

جان بول سارتر

مواقف

# فضايا الماركسية

جہان پوئل سارتر

مواقف  
۴

# فضایا المارکیتہ

ترجمہ : جورج طرابیسی

## صورة المغامر

أقبل بسرور ان أضيف بضع كلمات الى دراسة اسطوانات المرموقة حول المغامر . لا لأقرطها أو لأوصي بها القراء ؛ فهي توصي بنفسها من تلقاء نفسها . لقد كانت فكرة بارعة من اسطوانات ان يقرب بين هذه الاسماء الثلاثة وهذه الطيريات الثلاث . وسوف يحكم القاريء ، إذا كان هذا التقريب مشمراً . كما لا أود أن اعلق عليها لو ان اجازيف باكالفا : فأنا اعشى ان أسقط في الاسباب والحشو نظراً الى غنى السكرها ووضوحها . إن ما يقربني بالأحرى هو ان أسلط الضوء على موازنة مضمرة باستمرار في هذا الكتاب شاء لخابت اسطوانات ألا يفتح اليها إلا تقيحاً ضامناً .

ارت الفكر ليلتقل بكلل منا ونحن نطالع صورة المغامر هذه ( وكنت افضل : صورة رجل العمل ) الى تقيحه ، المناضل . بل يبدو انه يكفي أن نعكس ما يقوله اسطوانات حتى نكون فكرة لا بأس بها عن الشيوعي الوسطي . بيد ان المغامر والمناضل لا يتعارضان كتحض مفهومين مجردين . فهما رجلان حيان يتواجهان ، يتعارفان ، يعترف كل منهما بالآخر ، فارة يتحالفان وطوراً يتحاربان . ويؤدي لو أحاول ، كما لو التي اكتب فصل الحتام ، أن أسلط الضوء على بعض العلاقات المعقدة التي تجمع بينهما ، اي ان أعرض وأشرح بعضاً من الأفكار التي أوصي في ها اسطوانات .

\* \* \*

ان التنازل يرحي لنا بالزبد من الثقة كلما بسدا دخوله الى الحزب أشد  
ضرورة . وأنا لا أفكر هنا بالكلام عن تلك الضرورة الداخلية ، الشيوعية  
دوماً التي تولد من الصراعات الباطنية ومن العقد والصبوات الأخلاقية ، وبصورة  
اعم مما يسمى به « الأسباب الشخصية » . بل المرجو ، على العكس ، ان يكون  
التنازل قد أملت أسباب لا شخصية كالجموع ، على سبيل المثال ، الذي هو حرفة  
جامعة بين الجميع ، أو الحرف أو الفضب الذين يفترسان الجموع النقل : وباعتصار  
أن يكون أيضاً طبيعة ومحركاً من قبيل القوى الطبيعية الكبرى التي تسير  
الحيوانات البدائية وتتحكم بها بطريقة أو بأخرى ، من غير ان تكون بحاجة إلى  
امتلاك جهاز عصبي . ان الفضب والحرف والجموع لا تكفي لتخلق شخصاً ،  
وهذا ما يعني ان يكون . ذلك انه ليس من الصحيح ان المطلوب منك أن  
تتنازل عن « أنك » : فكثير بالأصل ان تكون لديك « انا » لتتنازل عنها .  
ان الانتماء إلى الحزب يجب ان يتجاوب بدقة مع الدخول إلى الملكوت الانساني .  
والحزب لا يحددك من « أنك » بل يهبك ايها . اقول ذلك بلا سخرية : انه لمن  
المتعجب ان يكتشف الانسان نفسه في عمون الآخرين الأخوة . ان المناضيل  
الجديد لن يكون موضوع نقود ميدني ولا هيام غير متبصر .

قبل كل شيء سيترف به الحزبيون على انه نذل لهم ، ابي عضو في الحزب :  
انها عملية تكريس . وفيه يتحول الحزب إلى ذاته كما هو شأنه في سائر الآخرين .  
وطالما انه مخلوق الحزب ، فهو سيجد الحزب ايضاً ذهب . وسيكون الحزب  
وسيطاً ضرورياً بينه وبين اقرب اصدقائه إلى نفسه . قيل لشاب شيوعي :  
« خذ زوجتك من الحزب . فبذلك لن تضيع وقتاً » . انه ليس وحيداً قط  
لأنه يأتي إلى ذاته بدءاً من الجميع . انه ليس عملاً ولا سراً . انهم يجرمون عليه  
أبسط العقد وأكثرها تواضعاً : انهم يؤسونه في نظر نفسه بالذات بواسطة  
معطيات موضوعية صرف ، وبفسرته بطبقته ، بالظروف التاريخية . وهو  
يرى نفسه من الداخل كما يرونه من الخارج : لا ادراج مبرية ولا خزان ذات  
قاعين . وإذا كان لا يتكلم عن نفسه بضمير الغائب فهذا من قبيل الاستهبال .



يبدو ان وجوده ليس وجود تجريد محض : انه يتعرف نفسه عضواً في الطبقة والحزب اللذين يصنعان التاريخ ، ويعلم انه مهدد بهيات واضحة وبأمل كبير ، ويعرف ايضاً قلبه الذي يتغذى بالحقد والصداقة . وفيما عدا ذلك يتميز بأفعاله . لكن هذا لا يعني ان المطلوب منه « أن يخلق من ذاته ... ذلك الكائن الذي لا يمكن لأي كائن آخر ان يكون بديلاً عنه » . فالحزب لا حاجة له إلى كائنات لا يمكن ان يكون لها بديل . ان المناضل يقف في منتصف الطريق بين الكائن الذي ليس له من بديل وبين الكائن الذي يمكن استبداله بغيره : انه يستخدم « هذا كل شيء » . في عام ١٩٣٥ كان بوليتزر<sup>١</sup> يعمل حالم يمكن يوسع اي انسان آخر ان يعمل : كان يعمل في علم النفس العياني . لكن كانت هناك حاجة الى الاقتصاديين . فترك علم النفس الى الاقتصاد الاجتماعي . وسألته : « وأعمالك ؟ » . فقال لي : « ليس ثمة من عجلة . فبعد الثورة « سيأتي عاملون آخرون يقومون بالعمل خيراً مما في وضعي الآن » .

\* \* \*

ليس منافساً كل من يريد ان يكون منافساً . فإذا جاءت الأنا في المرتبة الأولى ، كان الانفصال الى الأبد . والأنا تولد مبهكراً في الطبقة البورجوازية . حين كان جيد طفلاً ، كان يرمي بنفسه بين قرانهي أمه صائحاً : « أنا لست كالأخرين » . أن يكون الانسان ذاته فهذا معناه أولاً ألا يكون كالجار ، أن يكون متميزاً . يقال : « انحطم الثقال » . والحال ان الثقال يجب ان يكون دوماً معطوماً . فالحضارة البورجوازية هي « حضارة عزلة ووحدة » . ولا ريب في انه يتوجب أولاً ان يعترف البورجوازيون ببعضهم بعضاً فيما بينهم على انهم بشر . لكن هذا الاعتراف المبره لا يستهدف في أي منا غير ما هو عام ، ويفرقتنا وحيدين في قفراء . وبالختصار لعرف لنا الحضارة البورجوازية بالحق

١ - جورج بوليتزر : مفكر ماركسي معاصر ، احدثه التازيون أثناء احتلالهم لفرنسا .

بأن نكون في نظر أنفسنا كل ما نريده من خلف جدار الحياة الخاصة . والنقطة  
 « الخاص » بالذات « بفكرة الحرمان<sup>11</sup> التي تنطوي عليها » تبين بما فيه الكفاية  
 ان شمولية الاعتراف هي شمولية رفض الاعتراف . إن الإنسان البيورجوازي «  
 المتحجج» خلف هذه الاسوار الدائرية « هو إنسان مجنون » حيوان متوحش  
 ومهجور « دخل من نبات مجنونة . ترى ألا نجد أنفسنا متقارنين الى القول بأن  
 هذا المتحجج « العلي في «عق اعماق قلبه » والذي تردده صميمته مع ذاته كلفس  
 ازدهار شفاقية في نظر الجميع « وبأن هذا البيورجوازي الذي ليس بذاته إلا في  
 نظر ذاته « والمتعلق على نفسه في ظلمات لا يمكن لأحد ان يعرفه فيها « أنفسا  
 يتسبان الى نوعين متمايزين ؟ إذا ما حدث لأحد ابتداء العائلات ان للملكة الخوف  
 امام هجرانه « فإن الأوان يكون قد فات : انه لن يجد في الحزب أي عون له .  
 وحتى لو سمح له بالدخول إليه « فلن يكون له من حظ تقريبا في ان يجد فيه حلا  
 لصراعاته : فهذه الصراعات عبارة عن مشكلات شخصية « وهو لا يريد ان  
 يديه الحزب قطعة غيار تسمى بالأنا : انسا يطلب فقط ان تنفى أنه . وعينا  
 ينتج بالأصل بأن ضرورة والخطية ما هي التي قادت الى الحزب « لأن الجواب  
 الذي سيتلده هو ان هذه الضرورات مترتبة وكالية « وسوف يظل مشبوهاً  
 بالتالي . انه لانطلاق سيء ان يرفض الوحدة . ذلك انه حتى يرفضها « فلا يند  
 ان يلحقها « وملاحظتها هي غير ودية لإعطائها أعلى درجات الوجود . وإذا  
 ما هرب منها « يكون قد اعترف بها « وجعل منها بالتالي دافع أعماله كفاية .  
 هل سيحاول أن يفرج من ذاته بواسطة الحب ؟ لكنه سيكون حطب إنسان  
 متوحده يهرب من ذاته . كتب مالرو : « الحب هرب من الذات » . وهذا  
 صحيح إذا لم يكن الحب مطلوباً لذاته « بل كوسيلة للخروج من الذات . وهذا  
 يكلفي بالأصل حتى يصبح هذا الحزب مستحيلاً . ولقد أحسن كافكا « ذلك  
 المتوحده « التعبير عن هذا النوع من الحب : « كان يجيل إلي انسا بمحاولة بأنا

1 - فقط « خاص » و « حرمان » مشتقان في الفرنسية من فعل واحد هو « Privere »

مسلحين بوجهون حرايم نحو الخارج . في كل مرة كنت احاول فيها ان اقرب  
كنت اصطدم برؤوسها اللدبية التي ليجرحني وترغمني على التراجع ... انا أيضاً  
كنت محاطاً بأناص مسلحين بوجهون حرايم نحو الداخل وبالتالي ضدي . حين  
كنت اذدفع نحو الصبية ، كنت اصطدم أولاً بحراب حراسي بالذات ، صوت  
ان اتكن من تجاوزها . ولعلي لم أصل قط الى حراس الصبية ، واقام ما حدث  
مرة وتكثرت من ذلك فهذا ليس إلا بعد ان جرحت نفسي بحراي ومن غسبر  
ان امري .

إن فرصة التعامل الشاب الذي يدخل الى الحزب هي انه ليس له من « أنا »  
قبل ان يجب : انه يتكشف نفسه في الهبة التي يقدمها للآخر والتي يعترف بها  
الآخر . وحتى يتوصل شابنا البورجوازيون الى الحب ، فلا بد ان يكون في  
وسمهم ان يجازفوا بأن يتركوا الغير يعلمهم لأنفسهم . والحال ان الأوان قد  
فات : فهم يعلمون حق العلم ما هم . لكن يبقى أمامهم على الأقل ان يحسدوا من  
يحسبهم . فربما ستعترف امرأة ما ، بدافع من حسبها ، بهذا التفرد الذي يرفض  
المجتمع البورجوازي ان يصادق عليه . وربما سيكون في وسعها أن تلبس ذلك  
المسخ الذي لا شبيه له ، الفضل على كل شيء ، الذي هو كينونة كل كائن في  
نظر نفسه والذي يدل في قلبه . لكن كلمة « يدل » هذه لها دلالتها : انهم  
يريدون ان يروا من ذواتهم ومع ذلك يدلونها . انها ليست أنهم التي يفضونها  
بل هي وحدتهم ، وهم لا يفهمون انهم لا يستطيعون ان يفضوا على هذه إلا إذا  
فضوا على تلك .

لكن لفة شابنا يبدو عليهم انهم فهموا ذلك : انهم على وجه التحديد أولئك  
الذين يتكلم عنهم اسطفان . ولما كان العمل رابطة بين البشر ، فإنهم سيحاولون  
عن طريق العمل ان يروا من عزلتهم . فبالعمل يصبح الانسان آخر ، وينسلخ  
عن ذاته ، ويتغير بتغيره العالم .

لكن لا بد أيضاً من تحديد هدف معين ومن إرادته بمعنى . غير أن الهدف في  
مثل هذه الحال هو الأساسي ، لا الفعل الذي لا يعدو أن يكون أكثر من وسيلة

يلوغيه . والحال أن الغاية بالنسبة إلى المناضل هي التي تجلب أولاً ، وبضرورة مطلقة ، عليه أن يعيش ، أن يسد رفقته ، أن يحمي نفسه من البطالة ، من ارتفاع الأسعار ، من الاستغلال ، من الحرب . وعند دخوله إلى الحزب لتعبير الهدف تحت نظريته : فلهم أن هذه المطالب لن تلبس إلا بقيام مجتمع اشتراكي . ولقد تعبّر هو نفسه مع الهدف : أن الحزب يتابع ، فيه وعن طريقه ، تحقيق هذه الغاية المطلقة . والتفرد المتفرد له به هو إرادته المنفردة خدمة هذا التحقيق . وهكذا يتوطد نظام : الغاية هي الموجودة أولاً وهي التي تحدد الحزب بأنه المجموع الملتصق للأعمال التي ستسمح ببلوغها . إن المناضل لا يسأل قطه أن يمرره : أنه غير كائن أولاً حتى يمرر نفسه فيها بعدد . لكن شخصيته تنطوي على تمييزه الذاتي ما دامت الغاية المطروحة بلوغها هي التي تؤسّسها . وعلى هذا فإنه تابع للعمل التابع بدوره الهدف . أما العمل نفسه فينبغي أن نسميه مشروعاً ، لأنه جهداً بناءً بطيء ، وعنيد يشد طوال حلبة غير محددة . ولا ريب في أن هذا الجهد يستعمل على مظهر من مظاهر النفي ، لأنه لا يسد من الاتصال ، ومن تقييض المجتمع القديم ، ومن تحطيم المقامات والهيئات الطريفة ، لكن علينا أن نرى فيه في مجموعه بناءً إيجابياً وإنتاجاً منهجياً وتدرجياً لأشكال اجتماعية جديدة . إن المناضل ، الذي يدعوه ويعاونه خلقه باستمرار هذا المشروع الذي يتجاوزوه ، يجد نفسه محمياً من الموت : إن المشروع الذي يحمده أطول عمراً بكثير من عمر حياة واحدة . وهو يعمل بالتالي باستمرار فيما وراء موته الذاتي ، واختفاؤه لن يبدل الضرورية التاريخية تماماً كما أن ظهوره لم يبدلها . إن إرادته سقوية من بعده ، تلك الإرادة التي أعارها إياها الحزب كغاية من الزمن ، ومستتابع العمل من هوته .

لكن العمل هو الغاية بالنسبة إلى البورجوازي الشاب الذي يحاول أن يتصل بالبشر ، لأن العمل هو الذي سيحقق هذا الاتصال . وبذلك يتعكس الترتيب : أنه يعمل من أجل أن ينقل ذاته ويختار غاية للعمل . وكل غاية صالحة ميدانياً : يكفي أن تبرز العمل الذي سيرره . بيد أن مشروعه الأساسي مشروع سلمي .

وبالفعل ، انه لا يستطيع ان يفكر بأن يستمد من البشر شخصية جديدة : إما هو يريد الخلاص للشخصية التي له من الأصل . وهذا يعني انه يريد ان يجعلهم يتعرفونه في الفرد . ولهذا لا يكفي أن يخدم عارهم : لأنهم في مثل هذه الحال لن يعرفوا إلا بخدمته . وإذا كان يريد ان يقبلوا بطبيعته المتفردة ، فعليه ان يهتم بإيها . ولما كانوا يفتقر حاجة إليها ، فهو سيدمرها باحتفال كبير وسيجعلهم شهوداً على تضحيتة . ان بيركن<sup>(١)</sup> ، أحد أبطال دارو ، يريد أن « يوجد بين عدد كبير من البشر ، وربما لمدة طويلة » . وهو يضيف هذه العبارة : « المرء لا يقتل نفسه إلا ليجد » . وبالفعل ، انت الميت لن يكون له من وجود إلا عن طريق الآخرين . فهو يأتي ليتسلط على وحدتهم العديدة ، فيأخذونه على عاقبتهم من جديد ، شاوراً أم أبراً ، ولا يعود وحيداً . وهذه البنية العامة العلية قريبة الى أبعد الحدود مما يسميه الأميركيان « Compulsive Consumption »<sup>(٢)</sup> وما نسميه بالترف . فالطبقة المالكة ، التي يقتني إليها رجال العمل عندما لا تتميز بالأدبار والتوفير إلا في لحظة معينة من تاريخها . انها تستهلك : وهذا يعني انها تدم نفسها بعدما ثروتها عن طريق الاستعمال ، والفكر بالثاني انها تبيع امتلاكاً لثابتاً ذاتياً . وعند هذه المرحلة يمكن للتدمير النهجي أن يصبح الوسيلة الوحيدة للاتصال مع الآخرين : وهكذا تقع أعياد البولتاش<sup>(٣)</sup> - تدمير الثروات إكراماً للغير - وتقيم الحفلات - تدمير الثروات بحضور الفسح . لقد أهلكت الأرستقراطية الرومانية نفسها بهذه الألعاب ، وكذلك فعلت النبالة الفرنسية : كل أبناء العائلات يهدون الافلاس كما يريد هؤلاء الشبان البورجوازيون الموت . ان الغامرين سيضرمون النار في مستودع البضائع الضخم الذي هو المجتمع البورجوازي ، وبعد ذلك سيرمون بأنفسهم بين السنة للرب . البولتاش ، الحفلات ، الجود : هكذا ستكون نهايتهم . ولا أستطيع ان أضغ

١ - من أبطال رواية « الطريق الذي » لأندريه مالرو . ( ص ٢٠٥ )

٢ - ومعناها « الاستهلاك القاسم » . ( ص ٢٠٥ )

٣ - عيد ديني هندي أمريكي تتبادل فيه العطايا . ( ص ٢٠٥ )

نفسى من التصغير بذلك المعاصر الآخر ، جان جينيه ، الذي كتب في « مواكب  
جنازوية » ، « إن غايته حياتنا دفنة جيدة ، جنازة حافلة ، جنازة ستكون  
الزراعة الكبرى ، وعن وجبه التحديد تنوع حياتنا ، يجب ان أقضي نفسي  
بحوطني تبجيل عظيم ، ولا أهمية تقريباً إن عرفت الجهد قبل موالي أو بعده إنفا  
كنت أعلم بانني سأبالي » .

الجهد : هذه هي الكلمة الحقة . انهم لن يبحثوا عن الاتصال في الأخوة التي  
يرك فيها الانسان نوعاً شيئاً من ذاته للآخر ، بل في الجهد الذي يوجد فيه  
الانسان بالنسبة الى الجميع دون أن يفر شيئاً من ذاته . إن لحظة الموت ستكون  
لحظة حياتهم ، وهم ينتظرونها ، يوجد . . . وفي هذه اللحظة اللامتناهية الصفر ،  
سيشعرون ، وهم على قيد الحياة بعد وهم اموات في الوقت نفسه ، بأنهم أصبحوا  
بالنسبة الى الآخرين ما كانوا بالنسبة الى أنفسهم . ويانتظر هذه اللحظة الفارقة ،  
يكتفون به ، لحظات كالمسحة ، ينعكس فيها الكون لعني الظاهر الكبير للشوق  
الذي سيكونه . . . وانا نؤمن بالسعادة التي يقرها قرار سريع . . . لكن اذا كان  
القرار يترجم الحياة بأسرها ، فإن الحياة التي سقتله لن تتميز عن موت يحدث كل  
يوم بيوم . والخاتمة القرار على هذا النحو يعني الركض فوق القروة المديبة التي  
تفصل الحرية الفارقة عن استقالة الجثة ، يعني أن ينظر الزره ميتته الذاتية . ولقد  
يقنا نعرف نوحهم : فهذا الانسان المشغول يجنازته القادمة ، المشغوم بالنسبة  
الى ذاته وبالنسبة الى الغير ، والذي لا يجد الحياة طعماً إلا في بعض اللحظات  
الحارقة ، انا هو البطل . . . ويحذر بنا ان نلاحظ أن المشغل ليس بطلاً . وليس  
ذلك لأنه لا يعرف أن يموت ، لكنه لا يسعى الى الموت اذا كان يمكنه ان  
يتجنبه ، واذا ما دامه ، فإنه يموت يتواضع . أنا اعرف أن بعض الأشخاص  
الغرضيين هموا الشيوخيين ، أبطال زماننا الدافين . . . ولقد كانت هذه التسمية  
إعانة لهم : فأولئك الذين لم يتكلموا تحت التعليم كثيرا يقولون ببساطة : « لم  
يكن يوسعي ان أفعل غير ذلك » . كانت إرادتهم تجسداً لإرادة الحزب وكانت  
إرادة الحزب ألا يتكلموا . وما داموا لا أهمية لهم في نظر أنفسهم ، وما دام

مشروعهم ان يبتوا وما دام ان هذا المشروع سيكتمل من موتهم ، وما دامت  
حكمتهم تأمل في الحياة ، فان موتهم لا يسدر لهم . وكأنه زعرمة لتكون بأسره  
بل يبتد لهم كعادته عرضي يؤسف له .

يبد ان الأبطال هم طليقو المناضلين . إن البطولة بحاجة الى فريضة ما ، وإلا  
فلن تكون سوى انتحار . وكل بأس المدبرين سيكون غير جيد إذا لم يحسد أهل  
الجانب العريض . وحتى تكون جنائزهم فخمة ، وحتى يعفروا طويلاً في ذاكرة  
البشر ، فلا بد أن يكونوا قد ساروا ، من اجل ما كان في زمانهم يحمل أضخم  
المعاني وأكبر الآمال . وعلى هذا فإنهم سيعطون لحافقات مع حركة ثورية أو  
مع حزب مقاومة وطنية . لكن هذه التقاربات مؤقتة والغامر لن يشكل إلا  
بالأعمال السلبية : انه سيكون إرهابياً أو ضابطاً . وعلى كل ، فإنه يظل مشهوراً  
من قبل حلفائه ، ولا يجهوم ، لا احب حتى التماس الفقراء ، اولئك الذين  
سأقاتل من أجلهم بعد كل شيء . ... انني أفضلهم فقط لجردهم انهم المغلوبون .  
وانه لما يشير المضمول أن يكون لورانس وكثيرون من أبطال مالرو وغرباه في بلد  
الذين يقاتلون فيه . ففي القرن التاسع عشر كان الكاتب القوي يذهب ليارين  
الحب ويبتد ماله خارج وطنه : فقد كان يعجبه ، هو المستهلك الأجنبي في جماعة  
مكدة ، أن يكون الصورة الكاملة الطفيلية . أما الكاتب المغامر اليوم فإنه  
يذهب الى البلاد نفسها ليغامر بجلده : إنه يطلب ، هو الطفيل البطل ، من اولئك  
المقاتلين الذين لم يختاروا معركتهم ان يبرروا موتاً اختاروه بنفسه . واختلاف  
الثقات والأعراف يسمح له بأن يظل منفصلاً عنهم . وأهمية الفلبات الخاصة  
نفسه عمل المغامر لكنها إضافة غير مباشرة .

يبد أن الموقف ليس بالموقف الذي يمكن للمغامر أن يتسار عليه : فثقافة  
مغامرينا مستمدة من قبل رجال متحمسين وحمقى الجنان لا يطعمون أوامرهم إلا  
ليمكنهم استخدامهم بصورة أفضل . والمجتمع الذي يريد المناضلون ان يبتدوه  
يستبعد مجرم Desperados<sup>(1)</sup> وغيابهم المنطوية . إن الأرهابين لا مكان لهم في

(1) - المدبرين .

المجتمع منتجين . لقد كان تشن<sup>11</sup> يعرف إن « العالم الذي يعدونه له معصاً يدينه  
 بقدر ما يدينه عالم اعدائهم » . وفي هذا العالم الذي يعترف فيه البشر ببعضهم  
 بعضاً عن طريق عملهم وفيه « لا أمل البتة في أن يلقى ثمره هذه الكائنات  
 الاعترافاً به . والأكثر من ذلك ان ذكراهم بالذات ستعجز عنه » . وموتهم  
 بالذات يبدو مجهول المصير : فهو لن يقم على انه عطاء مجاني « بسبل سيخلف  
 بينه وبين باقي المناضلين المهم . لحظة النصر ستكون بداية فشلهم . فهل  
 يتكلمون ام يريدوا الانتصار حزب سيدتهم مرتسدين ؟ لكنهم اذا لم يريدوه  
 فهات البيطوة مستهارة : وبقوى الانتحار . ومحل الفسار يتأرجح من غير  
 أن يتوقف ابداً بين اكثر انواع الكرم جنوناً واكثر انواع الانتحار أبلية . انه  
 يتطلب اياداً ويمصر كل ايمان : ان الفاسر يصح مطلقاً اذا آمن بما يفعله «  
 ودجالاً اذا لم يؤمن به . فينكسر ، وبشبح على اراءته الخداسة ، وتبدله حرب  
 اسبانيا « حيث يقاتل « كوميديا كربية » ، وينقض الغاية الموضوعية التي  
 تنتفض في غاياته : « الربح الذي سيأتيكم به التحرر الاقتصادي » من يستطيع أن  
 يقول لي انه سيكون اكثر من الحسائر التي سيأتي بها المجتمع الجديد ؟ « وعندما  
 يتبين انه سيמות من أجل لا شيء « فأخذه الرغبة في ان يؤكد في الوقت نفسه  
 بطلان كل مشروع : « البشر يموتون من أجل ما هو غير موجود » . لقد التزم  
 بالعمل ليلت من الوحدة « فإذا به يجد نفسه وحيداً اكثر من أي وقت مضى .  
 ولا مجال لأن ندهش بذلك : فهذا التلايف الذي يفرض نفسه من اجل السلطة  
 سيكون يوماً مغايراً لخلقاته « وسوف يعتبرونه يوماً مشبوهاً : فهو لم يكن  
 مرشحاً على القتال . وبالأصل ماذا يريد منهم ؟ الاخوة « الرافضة « الصداقة ؟  
 يقيناً « أجل . لكن هذا يعني على الأخص انه بطلانهم بأن يكونوا شهداء موته .  
 ان رفاق الفاسر هم نائحات مستقبلات « أمعاء مستودع مصيره . يقول مالرو :  
 « لا وجود لبطل بلا نظارة » .

ويعود من جديد الى العمل « لكن هذه المرة ليرجعه الى ماهيته . انه ينظر

١ - من أبطال رواية « الشرط الاساسي » لمارو . التي تعود احداتها في القرن . ١٩٠٤ .



إليه يصعد فكره ، بعيداً عن الدوافع التي ولدته والذبات التي تثيره ، في عنده  
 المحض : « لا قوة » ، ولا حتى حياة حقة بدون يقين بطلان العمل وبدون تسلط  
 فكرة هذا البطلان على الإنسان . « وأتذاك فقط سيريد لذاته . سيريد هذا  
 العمل لذاته ، وحسابه الشخصي ، من غير أن يسأل بالشهود ، وأتذاك ،  
 ومهما كانت ديمومة هذا العمل قصيرة » فإنه يجره . حين ينسحب عملي مني . . .  
 يذهب معه ايضاً شيء من دمي . لكن هذا لأن العمل لم يعد محض حالة ذاتية .  
 فهو قد شرح به كي يخرج من ذاته ، ويتألم ليعود إلى ذاته . انه يريد في الوحدة  
 والتعرف ، من غير ان يره عن نفسه عينيه ، بلا أمل وبلا إيمان ، من أجل لا  
 شيء . وهذا الحلم ، الذي شرح به ليجرره ، يصبح هو الذي يجره الآن . وما  
 من غاية متعالية يمكن ان تجعله مشروعاً . ان هذا العمل يتعلق به وحده ،  
 انه ترد محض لا يهدر ضد مجرى الأشياء وضد الطبيعة الانسانية . ولا يعود  
 اليهم التذمير عن طريق فعل ما ، بل القيام بفعل ما يدمر نفسه بنفسه ، بطلانه  
 بالذات يشهد على صفته المضادة للطبيعة . وطالما انه ما من شيء يستدعي الغامر ،  
 وطالما أن كل شيء ينقصه ، وطالما انه ما من رمية ترد يمكن ان تلغي الصلقة ،  
 اذن يبقى امسامة ، شأنه شأن مالارميه الشاعر ، ملكوت اللاكينونة . ان  
 الإنسان كلن يموت من اجل ما هو غير موجود . وعلى هذا فسيان العمل ، إذ  
 يفور ويشلاشي ، بشير ، شأن شيفرة الفشل لدى بايزو ، الى ملكوت ما فوق  
 طبيعي لسكان الذي لا يقرأ إلا عبر الهزيمة والموت والحياة . وعلى كل ،  
 فإن داعي الغامر الى ان يضع في الفشل انتصاره اقل سمواً : ذلك ان انتصاره  
 سيكون فشلاً . « ان التحقيق ، اذا ما جاء ، سيكون خيبة كبيرة وعمماً  
 متبهداً » . إفت فالملطوب ألا يحيى ابداً . المطلوب ألا يحيى ابداً جنة عدن  
 المستقبلية تلك ، المدينة الشفقة بالنسبة الى الغامرين وحدهم . « كان الهدف ،  
 بالنسبة إلى البصير ، الفشل وحده . كان علينا ان نؤمن دوماً بالرغم من كل  
 شيء بأنه لن يكون هناك من انتصار ما لم تنزل الى عالم الموت ونحن نقاتل  
 ونطالب بالهزيمة » . وفي الهزيمة والاحتضار ، يشعر المناضل والغامر لأول مرة

بأخرة حقيقية : والحق ان الشاغل هو الذي يتغير لا رجل العمل . لقد اختار  
 الاخير ان يموت ، وسوف يموت إذن ، ولن يكون قد خسر من شيء . لست  
 الاول كان يريد ان يعيش ، ان يبلغ هدفاً يتنامى ويختفي . كان متفانياً ، وكانت  
 له ثقة برؤسائه ، يعمل أحسن اداءه ، لكن كل شيء يقتوش ، ويعلم أن الريح  
 قد يكون مستحيلة . كان موظفاً مطمئناً ، محدود المبادعات ، متسداً على  
 اكتشاف وجهه الأليف في عبور رفاته ، والتفكير ذاته ، والتفكير من انه يجد في  
 ابحاث ذاته ارادة الحزب الخائفة كصخرة . وهذا هو ذا يجد نفسه مهجوراً في  
 عزلة القرية التي لا تقاوم عنها ، والحزب قد غلب على أمره ، والأميل قد  
 سحق ، ويكتشف في عبور العدو المتصمر وجهها وحشياً ومجهولاً هو وجهه .  
 وتصار أمه ، التي كان يدعمها الكثير من الأوامر والخطابات والرسائل ، وتظهر  
 أنها اخرى ، تفرد بالنسبة ذكره على نحو غريب بالوحدات البيروقراطية . وموته  
 الذي موته طوال حياته بتظاهره بأنه يسوت من اجل القضية ، يريد تحسوه  
 على حين غرة لأن القضية قد لوقت ولأنه يموت من أجل لا شيء . فهل خسر  
 حياته ؟ وهل ربحها الآخر ؟

انني مدرك ان كليهما بحاجة إلى القرية ليبرا العظمى . بل انني سأنتهي أيضاً  
 هزيمة حقيقية للغمارة ، اي انتصار الشاغل : انه لن مقتضيات الاخلاق ان  
 ينتصر الشاغل ( وهذا يتجاوب علاقة على ذلك مع الصيرورة التاريخية ) . انه  
 على حق في كل نقطة : لقد ذهب نفسه للحزب من غير ما عودة الى ذاته ، وقهر  
 على نشاطه مرثاً متفاناً ، وأحب جميع اشقائه ، وحسين كان اعدم يفصل من  
 الحزب ، لعلطة اقرقيها كان يكف عن حبه لأنه يكون قد كف عن ان يكون  
 انتم . والمجتمع الذي يريد أن يبنيه هو المجتمع الوحيد العادل . ولقد كان الغامر  
 على خطأ : لأنه كان يعمل جميع وذائل الطبقة البيروقراطية من التلبية وغيبلا  
 وسوء نية . لكني بعد ان أصفق لانتصار الشاغل ، أتتبع الغامر في وحدته .  
 فلقد عاش حتى الثالثة شرطاً مستحيلاً : يهرب من الوحدة ويبحث عنها ، يعيش  
 ليحوت ويسوت يعيش ، مقتداً ببطلان العمل وبضرورته ، يحاول ان يغير

مشروعه بأن يستد عليه هدفاً لا يؤمن به ، يبحث عن موضوعية النتيجة الشاملة لبعائها في ذاتية مطلقة ، يريد العشل الذي كان يرفضه ، ويرفض الانتصار الذي كان يشناه ، يريد أن يبني حياته كما لو أنها قسدر ، ولا يوجب إلا بالمعطيات اللامتناهية الصغر التي تفصل الحياة عن الموت . لا تحصل هذه التضادات ، لا تركيب هذه التناقضات . ان كل زوج اذا ما ترك نفسه يتحل ، فيسقط الحدان كل في جانب ، او يتلاشى من الوجود فيتلاشى الحدان بدورهما . ومع ذلك استطاع هذا الرجل ، على حساب توري لا يطلق ، ان يبقى على الحدين معاً ، في تضادهما بالذات . وكان الوعي الدائم لهذا التضاد . اني النظر اليه يقتضي ، متقرباً وغالباً ، قدم نيابته في ذلك المجتمع الذي لا مكان له فيه . وأفكر بأنه يشهد على الوجود المطلق للانسان وعلى استحالة المطلقة معاً . بل أكثر من ذلك : انه يبرهن على ان استحالة الكينونة هذه هي شرط وجوده وان الانسان موجود لأنه مستحيل . والتفاضل ؟ ماذا انسى له في فجر تبارك الجديد ؟ انت يتعلم كيف يستعيد ما لا تفكر استعادته . اني أفهم ألا يكون للورانس مكان إلا في ظروف ١٩١٤ التاريخية ، وأن يفسر نفسه بسده من امبريالية الانكليز الاستعمارية وبالتالي يبدأ من الواقعية . اني أفهم ألا يظهر من جديد لورانس آخر ، ولا سيبعد لتصفية الطبقة البورجوازية . وأفهم أيضاً ألا يحبه الشيوعيون تقريباً ، واعتقد بالأصل ان له صلات وثيقة بالثورة ، بيد ان مجتمناً اشتراكياً قوياً يستحيل فيه جذرياً وجود امثال لورانس يبدو لي خفياً ، وحتى لو كان لورانس الثوري بعينه في نظر الاشتراكيين ، فإنني اصر على ان الهدف يجب ألا يكون إلغاء الشر بل الحفاظ عليه في الخير .

يقول لي اسطفان : « هؤلاء هم آخر القسامرين ، وبعدم ان يكون هناك غير مناخلين » . اني انسى ذلك اذا كان المناخلون سيحتضنون ذات تضائل للقامرين . وأنا اعرف من الآن رجالاً جموا معاً بين تلك الأنا المعطاة التي تلقوها من الآخرين من اجل النضال ، والتي يتجاوزونها في النضال ، وبين أنهم الحقيقية الثلاثة لسيا وراه الاثا . انهم لا يتكبرون إلا بواسطة العفصل الكفاحي الذي

منحهم اياه الحرب ، لكن لما كان فكرهم يرفض كل قيد فانهم يدفعون بهذا العقل المتكون الى أقصى مدهاء ويحولونه الى عقل متكون . رجال وهبوا قوايتهم كاملة للطاعة ولا يحتفظون منها بشيء ، اي شيء على الاطلاق ، فبما خلا تلك الحرية التي تهبهم بلا تحفظ . رجال خاضون حتى نخاع العظم في المعركة اليومية التي هي الموضوع الوحيد لاهتمامهم ، ويقفون في الوقت نفسه خارجاً عنها تماماً لأنهم يعلمون ان الغايات البشائية الفورية بالرغم من تصويبهم على بذل حياتهم من اجل بلوغها ، ولأنهم قرروا ان الزمان ليس على سعادة الانسان ، بل على الانسان المحض المطلوب خلقه . مقامر او مستأصل : اني لا أؤمن بهذا الاحراج . فأنا اعرف أكثر مما ينبغي ان تفعل وجهون : السلبية التي هي مغامرة ، والبناء الذي هو الضباط . ولا بد من إحياء السلبية والتلق والتقد الثاني في الانضباط . ونحن لن نربح إلا إذا استخلصنا جميع النتائج من هذه الحلقة المفرقة : الانسان ما يزال يتطلب ان يصنع ، والانسان هو وحده الذي يستطيع ان يصنع الانسان .

( مدخل الى « صورة المقامر » لروجييه اسطفان - منشورات ساجيتير - ١٩٥٠ ) .

## علماء ميزفون أو أراب ميزفة

إن ميرو - يوتي مؤيد أكثر من يقدم كتابك للفراء . فقد كتب « المذهب الأنساني والأرهاب » ليقاسم عن طبيعة ونتائج الفعل السياسي . فلي مجتمع شديد الاندماج ، تحاول ممارسة مسا ان نستولي على السلطة ، وسواء أربحت أم خسرت . فإن قانون العمل التاريخي يريد ان تتغير . فإذا ما كان قصير حاشياً نهائياً ، جعلت من نفسها قياس التاريخ وفكرت معنى الماضي . وهي تشيد للمستقبل . وفي حالة الميزفة ، يكون الوضع أكثر تعقيداً . إذ لم يزول المعارضون ؟ من سيحاكمهم ؟ باسم أي مبادئ ؟ وكيف سيحاكمون أنفسهم بأنفسهم ؟ هل سيقبلون معايير قاهرهم ؟ وبكلمة واحدة : ان المشكلة التي درساها مع لور - يوتي تتعلق بنفسه التفني : ماذا يحدث اذا لم يتمكن هذا التفني من تفسير الاطارات التي نضيف عليه الحقائق ؟ ان كتابك « يا عزيزي داللا » يقدم له مناسبة لطيف ملحقاً الى دراسته : إن احداث يوغوسلافيا الأخيرة تظهر لنا المعارضة وقصد حلفت نصرأ جزئياً ، متوقفاً ، غامباً مؤكداً ، يتوجب العزيزة ، فباسم أي مبادئ ، أي قيم ، سيتم تقييمه ؟ ان يتبوا يحصل بعد على الحق في ان يطبق مقاييسه على تاريخنا لأنه لم « يتنصر » بعد نهائياً ، ولكنه أصبح له من الآن الحق في رفض مقياس الآخرين لأنه لم يتنصر . ان الغريب لا يستطيع ان يفسر الحركة التبتوية تبعاً لمبادئ الليبرالية : انه لمن غير المباح له ان يرى في يوغوسلافيا لغة في الحصن السوفياتي إلا اذا توصل الى ان يحصل من نفسه سيصد الاقتصاد اليوغوسلافي . وطالما ان الاتحاد السوفياتي ، من جهة أخرى ، لم يتمكن من

سحق هذا التمرد ، فإنه ينجو عن التسيرة حسب رغباته . وحتى يكون في  
مكنته ان يقرر ان يتبو خائن ، فلا بد ان يكون قادراً على شنقه . وأخيراً  
فإن المعارضين المتنازعين في أوروبا يخطئون اذا ما رأوا في الانشقاق اليوغوسلافي  
دليلاً على قرب النيمات ثورة متاعضة : فقد رفض المسؤولون اليوغوسلافيون  
أكثر من مرة المعامل على لتطبيع أوضاع تنظيم الشغبية الأرمي . لا اليسرالية  
اليوجوسلافية ولا الستالينية ولا الفرونتسكية تلك في ذاتها مفتاح ذلك الواقع  
المتيسر والمتحرك الذي هو يوغوسلافيا : إن الرزية الكبيرة لمراسلك هي على  
وجه التحديد حفاظها على التماس هذا الحدث . وبالرغم من انك لا تحمي  
تعاملك - الذي أشاطرك اياه - مع النظام الشيوعي ، إلا انك لا تحمي عمالاً  
احداثاً الحطاً ولا التهديدات الخارجية . فذلك انك تأبى ان توقف صيرورة ما  
يزال تجري وان تحكم عليها . وليس ذلك لأن لا يمكن ان تتوفر لديك اليوم  
جميع العناصر التي تسمح لك بتقييم تلك الصيرورة فحسب ، بل أيضاً وعلى  
الأخص لأن لديك قبضة - بالغة الندرة اليوم لدى الماركسيين - بأن المستقبل  
لا يمتنع بعد .

ومع ذلك ليس كتابك لا تحقيقاً صحفياً ولا عرضاً وصفيّاً صرفاً - يقيناً ،  
انه هذا أيضاً - فأت أحد القلائد في فرنسا الذين قدموا واثق أخذت من  
مطالمتها ومضامرها عن انشقاق لينين وعن التصنيع اليوغوسلافي وعن مضاعفة  
التمازجات الفلاحية الخ . وفي الوقت نفسه تعرف كيف تعطي عرضك ، بين  
حين وآخر ، قوة الاقتناع الحمي والمتحمس التي للكها للشهادة . لقد رأيت لينين  
وجيشتا نراه . لقد حدثت وانت لجمعنا نشيد الهادئة . لكن ما يعطي هذا  
التراف قيمة استثنائية هو انه أول محاولة لتفصير الانشقاق اللينيني عميقاً . انك لا  
تطبق على هذه الواقعة التاريخية أي مبدأ قبي : فقد تركها تعرف نفسها امامنا  
غير منظورات النيبالكشيك الماركسي ، لكنك بدلاً من ان تفسرها فسراً  
باسم ماركسية خصوصية ، اعتبرتها تجربة حقلها التاريخ تثبت صحة المنهج الذي  
يسمح بتفسيرها وتسمه في بعض نقاطه ، وتمدله في نقاط أخرى . إن هذه المحاولة

جديدة بما فيه الكفاية ، فهي تترك الحدث يجري تحت بصير القارئ ، ، يسلمه الحرية ، وفككتني بأن تظهر لنا كيف ولد الوقائع الديالكتيكيها الذاتي . انها محاولة جديدة بأن تكون مثلاً يحتذى .

ما دعت الى الذي اقدم الكتابك ، سوف احاول ان اسعد اهمية الحركة التيقونية . لا اهميتها في ذاتها ، هناك ، عند الترخوم السوفياتية ، بل اهميتها هناك بالنسبة اليها نحن مواطني ديموقراطيات الغرب . وسوف احاول ، مقدماً منهجك ، ان اترك الوقائع لتنظم من تلقاء نفسها . وبالرغم من ان الغني ليست لغة ميرو - بونتي مئة بالمئة ، سوف اتخذ مكان في اطار اهتمامات ، المذهب الإنساني والارهاب ، لاستجوب هذه الوقائع .

إن العقول التي أرادت ان تحدد قلبياً معنى التجربة اليوغوسلافية ، حاولت هي ذاتها ان تقرر قلبياً الأهمية التي يجب ان تأخذها هذه التجربة في نظرها . فالبعض لا يريد أن يرى في فيتو سوى تاسع وظيفة الوحيدة ان يؤجج جرحاً حياً في جنب الاتحاد السوفياتي ، وهذا لأنهم راهتوا سلفاً على القوة الاميركية ، ولأنهم اختاروا سلفاً الحرب . وقرر الآخرون ان أهمية التيقونية تكمن في التأثير الذي يمكن ان تمارسه على بوليتاريا القرب : لكنهم عتياً يعاولون ، كما بينت أنت بما فيه الكفاية من الرضوح ، ان يستثيروا حماسة الشعية الفرنسيين المرافعة مع فيتو أو ضد . فهذه المرافعة لا تشغل حتى الآن سوى بال المثقفين الذين هم عاجزون بالأصل . واذا ما حاولنا على العكس ان نترك الحسنة اليوغوسلافية يحده بنفسه اهميته في التطور الديالكتيكي وعن طريقه ، وجدها ما يلي : لقد ارتفعت ، من جميع الجهات ، في الأوساط اليسارية احتجاجات ، ولا سيما منذ التحرير ، ضد ما يمكن ان يسمى بالمذهب الموضوعي الستاليني<sup>11</sup> . إن قولنا

11 - التي استخدم هذا التعبير أيضاً لأن يبحث عن الحائط . والمفضل ان الستالينيين يطلقون اسم « مذهب موضوعي » على موقف معين في الفلسفة والتاريخ اليوجوسلافي زعم انه ينظر الى اللامب السيلية والاجتماعية والى الصراعان السياسية على حدة سواء « بشكل موضوعية » باسم الطبقة العاملة وهذا الموقف المثالي القزعة يجد في كل رأي حليفة معينة . وفي كل طرف قيمة =



صاحبة يريد أن تعطي الذاتية حتى قدرها ، إنما عن طريق إعادة الأولوية إلى وهي الجماهير ، وإنما عن طريق ترطيد الديمقراطية من جديد داخل الحرب . إن هذه المطالب مثالية الفزعة لأنها تصدر عن أفراد متعزلين وعاجزين - بصورة عامة عن مثقفين - ولأنها تنطلق من حسرة على الماضي أو من سلم فتح قلبية بدلاً من أن تبدو كتحفة في سيرة وروية واقعية وتاريخية . وما أسهل على الستالينيين أن يظهرُوا أنها من بداية للذهب الثاني اليورجوزاري للذهب . إن التنبؤية ، إذا كانت لها بالنسبة للبنا أهمية استثنائية ، فهذا لأنها تتولد إلى الذاتية . لكن هذه الذاتية لا تظهر هنا كمثل الحق شكلي ، إنما هي نتيجة بصفتها واقعية فعلاً انطلاقاً من

التدعينة ، وبحال في كل مناسبة أن « يضع نفسه مكان الآخر » وأن يفهم وجهة نظره نحو الحق أفضل ، ولو كان الحد من ذلك حاربه بصورة السبع . وتعارض الماركسية هذا التصور المثالي للحقيقة في ماها بالتصور الواقعي عن الحقيقة الكفافية وعن الحقيقة الطبيعية . إن كل حقيقة تعكس مصالح الطبقة التي تتجها ولا دخل لها بمسائل العدالة . وهذه العدالة لا تتكامل ، بل تتعارض . وكل حصة يقضي المثلث السابع بأن تعارض إن الستالينية تعارض الذهب الموضوعي اليورجوزاري بذهب ثاني طبقي .

بإزاء ذلك إن الطبقة اليورجوزارية هي اليوم طبقة طبقة حاكمة . ماركسية ، فطنت مبادئها الذاتية ، والمتشعب . فعلاً في فيروليتاريا ، بل هي ترتق من الآن . وقد كانت مواقعها واقعية حراً . وفي فيروليتاريا ، الطبقة الصاعدة ، متدهنها يساً وتستحق الجميع اللاطفي . أي الطبقة الواحدة الوحيدة . وكل هذا فإن الطبقة الفيروليتارية ، بالرغم من أنها ذاتية لتكوينها تبع عن وجهة نظر الطبقة الحاكمة . لتتلق إن الموضوعية المطلقة باعتبار أنها متصحة فيما بعد وجهة نظر الإنسان . وخلاصة القول أنها هي التي ستكتب التاريخ . إن ذاتية الطبقة الصاعدة تبع عن موضوعية الضرورة التاريخية ولتدمع . ولما يستطيع القادة الروس أن يؤكدوا إن التاريخ فعلاً صارحاً وأن يسلفوا بتدريج تحت يده الذهب الموضوعي . إن عبارة « الذهب الموضوعي » ، إنشائها للترويج ، نظري ، على طرح فكرة حقيقة مطلقة . لكن اليورجوزاري يبحث في كل مكان ضمن هذه الحقيقة . ومع كل مع تبعد هذا الوقت إلى أقصى مداه حتى أنه يأخذ بالتفكير الحميم ليعتق في حين أن الشيوعي الستاليني يعتقد أنه قابض على زمام هذه الحقيقة المطلقة مساً دام يقضي إلى الحقيقة التي تكتب التاريخ .

ومكافئاً فإن التصحيح الماركسي للتاريخ المعاصر من قبل لينينوسكي برايدولوجي الخرب يصبح هو ذاتية جديدة . والتي احتلت هنا اسم « ذهب موضوعي » في موقف مثالي نوعياً رغم أنه يقصر الفكرة الأساسية ، في علمها ومغولاًها على حد سواء ، بالحفاظ الموضوعية الصارمة . وهذا يعني بالتالي اعتبار الذاتية معولاً مطلقاً ، أي معولاً لا يتحول البنية إلى حد .



الذهب الموضوعي من قبل حركة التاريخ بالذات . فلو حقق المعارضون نصراً مطلقاً لكانوا سادة الموضوعية . ولو كانوا ظيوا على أمرهم ، استحققت موضوعية العالم . وانتصار ليمو التصفي يعالج من شأن الذاتية لدى المسؤولين اليوتوقسلافيين ، وينقل عدواها إلى المسؤولين السوفييتيين .

وليس أسهل ، بالفعل ، من نسب النزعة هؤلاء الآخرين الموضوعية إلى عوامهم . فهذه النزعة هي في الحقيقة ظاهرة معقدة لكن جذورها في موقف موضوعي وفي تفكير فائئ لهذا الموقف . وأنه من السهولة والضرورة معاً أن نسب دوراً معيناً إلى ذاتية الجماهير حين تكون هذه الجماهير ، في بلد رأسمالي وعالي التصنيع ، تجسداً لتناقضات المجتمع بأسره . ولقد كانت الحال على سبيل المثال في ألمانيا روزا لوكسمبرغ<sup>(١١)</sup> . كتب ماركس : « حين فطن البروليتاريا عن التحلل النظام الاجتماعي الراهن ، فإنها تكشف بذلك عن سر وجودها بالذات ، لأنها تشمل في ذاتها على الانحلال الفعل لهذا النظام الاجتماعي » . وفي هذا الوضع السلي للبروليتاريا التي هي بحد ذاتها ، تصبح المجتمع بصفته طبقة خصوصية<sup>(١٢)</sup> ، « يكون هناك نطاق كبير بين وجود فعلها الأكثر مباشرة وبين مهمتها التاريخية بحيث أن وعي الجماهير هو الذي يقدم مثال الراديكالية . ونتيجة مطالباتها التلقائية هي التعميل بالتحلل المجتمع الرأسمالي » في الوقت نفسه الذي تعبر فيه عن طابع البروليتاريين العميق . أن الطبقة المضطهدة ، ذات طابع شعبي نتيجة آلامها الشعبية ، « وهي ولا تستطيع أن تتحرر من سائر عوامل المجتمع من دون أن تحررها جميعاً بالتالي » . إذن نوعي الجماهير له حقيقة عملية لأنه التصعب الضروري عن موقف معين ولأن مطالباتها تطوي على تجاوزها الذاتي نحو مجتمع « يكون فيه الإنسان الكائن الآخر بالنسبة إلى الإنسان » . ولهذا يمكن ماركس أن يستخدم تعبيراً الواجب

١ - التاريخية وماركسية القوية . أكدت على الدور الذاتي للجماهير وساهمت في ثورة ١٩١٩ .

وانفردت في تأسيس حزب الشياركين الماركسي (١٩٢٠ - ١٩١٩) . - ص ٢٠٤

٢ - « مساهمة في نقد فلسفة الخلق » - المؤلفات الفلسفية - المجلد الأول - ص ١٠٦ .

الخطي ليحدد خصائص المطالبات التي يرجع أصلها إلى المصلحة البائسة :  
 « حين يجاهد العمال كثيراً يرجعوا يوم العمل إلى حدوده المعتولة القديمة » أو حين  
 يسمون إلى عرقلة إرغاقهم والعمل عن طريق رفع الأجور عندما لا يكون  
 بإمكانهم الحصول على تعديده مشروع ليوم العمل الطبيعي ... فإنهم إنما يؤدون  
 واجباً تجاه أنفسهم وتجاه دورهم ويضمون حدوداً لاستبداء الرأسمال الجائر  
 الاستهاري<sup>١١١</sup> . « وما كان وضع البروليتاريا هو الانعطاط » لذا يكون رد فعلها  
 ثرأ على انعطاطها أو نقياً له ونقياً للمجتمع الرأسمالي . وتكون البروليتاريا  
 آنذاك تقي التقى . وعملها بصفته قديمياً « هو دوماً كل ما يمكنه أن يكونه »  
 ويبلغ دوماً هدفه . ان البروليتاريا لا تستطيع ان تعيش من غير ان تطالب  
 لأنها مجردة من كل شيء . « ولا تستطيع ان تطالب من غير ان تهدم لأن المجتمع  
 التورجوازي لا يتوسط إلا عسناً طريق سحق العامل . ولهذا يلج ماركس على  
 تحرير البروليتاريا الذاتي ولهذا تكتب روزا لوكسمبرغ : « انت الثورة الوحيد  
 لقادة الحركة الاشتراكية - الديموقراطية » المزعومين ، هو تنوير الجماهير حول  
 رسالتها التاريخية ... وحطوة الزعماء وتأثيرهم في الديموقراطية الاشتراكية ...  
 لا يزالان إلا بقدر ما يجهلون من الجماهير القادة ومن أنفسهم الأجهزة التنفيذية  
 لعمل الجماهير الواعي<sup>١١٢</sup> .

لكن إذا كانت هناك وحدة هوية « في مرحلة الهدم » بين ردود الأفعال  
 البائسة والمصالح البعيدة للبروليتاريا « فإن هذه الوحدة تنقسم في مرحلة  
 البناء » أي عندما تستلم البروليتاريا السلطة . ان التصور الذي قالت به روزا  
 لوكسمبرغ في نطاق ألمانيا الامبراطورية لم يعد من الممكن القول به عام ١٩١٧  
 في روسيا السوفياتية . إن اهم الأول للقادة في بد بلا أدوات وبسلا إطارات  
 سيكون تحقيق الشروط المادية لحل المشكلات التي خلقتها الثورة . وانك لعل  
 صواب كبير حين تلاحظ ان ماركس « كان يتوقع التحول الثوري في البلدان

١ - « الأجور والأسعار والأرباح » .

٢ - « تاريخية ضد الماركسوية » : الجماهير والزعماء ، ص ٢٥ - نقار سبارو كوس .

الرأسمالية المتقدمة ، ، وان الثورات حدثت جميعها حتى الآن في بلدان  
 مختلفة ، بل « مستعمرة » . وينجم عن هذا ان وعي الحركة الثورية متقدم  
 على اقتصاد البلاد . وعلى البروليتاريا ان تعطي عينيها اقتصادها . بيد ان  
 قلب المشكلة يؤدي الى انفصال حاجات الطبقة البروليتارية ومصالحها المباشرة  
 من جهة ، والتركيز على الانتاج من الجهة الثانية . وفي مثل هذه الحال لا يعود  
 يوسع سياسة البناء ان تستلهم ردود أفعال الجماهير العفوية ، وبالمقابل تهدد  
 ردود الأفعال العفوية بأن تسيء في عكس اتجاه المصالح العامة للاقتصاد . فقبل  
 الثورة كانت كل حركة فاضية أو بانسة مستندة الى أم أو حاجة خاصة شمولية  
 وذلك بقدر ما تكون فردية . وبعد الثورة تظل هذه الحركة عينا فردية  
 ومناهضة لما هو شمولي عام . وماركس يشرح ان الشكل الثوري للعامل في  
 المرحلة ما قبل الثورية ينجم عن « التناقض بين طبيعته الانسانية وبين وجوده  
 الحيوي الذي هو النفس العلي والنهائي والشامل لهذه الطبيعة » . بيد ان  
 هذا التناقض يظل قائماً في الآونة الأولى من المرحلة ما بعد الثورية . ولا ريب في  
 انه يمكن تحقيق للية جديدة لهذا التناقض عن طريق الدعاية ، وتحويله الى  
 « تضحية مرتضاه » ، لكن هذه الفكرة مضافة إضافة الى المصلحة بدلاً من ان  
 تصدر عنها . وفي تلك الفترة من الجماعية والحرب الأهلية المصحوبة بحرب اجنبية  
 تهدد حركة العامل العفوية بأن تكون عدامية : تهدد برفض العمل المكثف ،  
 ويتطلب رفع الأجور وسياسة إسكان الخ . ولذا كانت الشروط العامة لتقليص  
 تعبئة جميع قوى البلاد لخلق صناعة ثقيلة على وجه خاص ، يصبح من المستحيل  
 استشارة وعي الجماهير ، باعتبار ان مصلحة العامل هي أن يحدف « التناقض بين  
 طبيعته وبين وجوده » أي ان يطالب بخلق وتطوير صناعات استهلاكية .  
 ويدعي انه يمكن اتقائه ، لكن الذي سيفتحم سينطلق من معرفة الضرورات  
 الموضوعية الى التأثير المركز على الوعي الطبقي . وبعبارة اخرى ، سيؤثر من  
 الخارج على ذاتية الجماهير . إن الاختصاصي يكف عن ان يكون متشعباً الى

الجامع البروليتارية ، وعن ان يكون معبراً عنها ، وعن استلهاها : بل يلق  
خارجاً عنها ، لا تشغل سوى المشكلات التي لا يستطيع الشغلة ان يقرروا شيئاً  
بصدها على الاطلاق .

اذن فالجامع الثورية التي كانت متقدمة على الاقتصاد في المرحلة ما قبل  
الثورية تصبح متخلفة عنه بعد الثورة نتيجة انقلاب شيطاني .

ولنا في هذه اللحظة يتدخل التكليم الذاتي ويختار القادة السوفيياتيون سياسة  
معيشة والتصوراً معيناً للإنسان . ولقد كان ممكناً ، حتى في هذه الظروف  
الصعبة ، ان يعتبر الكائن الإنساني كائناً متقدماً دوماً على وضعه ، وأن نستخلص  
من هذا التجاوز الوسيلة لتكوين ذاتية بناءة . كان ذلك ممكناً في اطار الماركسية  
بذات . ذلك ان فكرة ماركس في هذا الموضوع مطلية ، وصحيح انه كتب :  
« ان افكار الدماغ البشري المشوشة هي تصميدات ضرورية لضرورتهم الحيوية  
المادية ، « اتقابه للفهم تجريبياً والمرتبطة بشروط مادية ، وبالفعل يدور ان هذا  
يعني أن الوعي ، ذلك النتاج الحامد الصرف للشروط المادية ، لا يستطيع ان  
يتجاوز اللحظة الحاضرة ، وعليه ان يكتبي بأن يمكنها سلباً<sup>١١</sup> . لكن  
يكتب أيضاً : « ... ان ما يميز من البداية أسوأ الهندسين الهناريين عن أكثر  
التحلات خبرة هو انه ينس التخروب في رأسه قبل ان يثبت في خيلته . والنتيجة  
التي يقضي اليها العمل تكون موجودة سابقاً بصورة مثالية في خيلة العامل .  
وليس ذلك لأنه يدخل تغييراً شكلياً على المواد الطبيعية فصب : بل يحقق  
فيها في الوقت نفسه هدفه الخاص الذي هو واع له والذي يحدد نظ عمله  
كفائون ، والذي يتوجب عليه ان يخضع له ارادته<sup>١٢</sup> . لكن القادة السوفيياتين ،  
بدلاً من ان يعمقوا اقتراحات ماركس ويشيدوا نظرية عن الذاتية متلائمة مع  
المرحلة الجديدة من الثورة ويحددوا الى أي حد يمكنهم ان يتسوا بين توجيه  
الوجدانات من الخارج وبين التوضيح التدرجي لثباتهم المشوشة ، بسدا عليهم

١ - المقالة القديمة - ص ١٥ - ١٦ .

٢ - الراسخ - الجزء الأول - ص ١٩٧ .

وكانهم ذهبوا على الأخص بالهوة التي تتصل بين الذاتية الشعبية وبين مساهمة  
 ماركس ، الفهم النظري للحركة التاريخية في مجموعها ، ، ان المعرفة النظرية  
 والعملية لصيرورة التاريخية تصبح علماً وتقنية يُعدّها لها الاختصاصيون . وهكذا  
 سبقت الصناعة لفترة من الزمن العلم : فقد كان البشر ينتجون المراكب قبل ولادة  
 أرخميدس بسدة طوية . وكان الحدس يسمح لهم بتجاوز النظرية عن طريق  
 الممارسة . لكن التقدم التدريجي للأنظمة العلفية أدى في النهاية الى عزفها عن  
 الفنون والهن . وبالرغم من أن هذه الأنظمة يتناول الجميع نظرياً ، لكنها في  
 الواقع وقفت على ارسطراطية صغيرة من الاختصاصيين . وما يزال في وسع العمال  
 أن يارسوا عمدة مهنة ، لكن اختراعات الصناعة ينتجها بالضرورة سلك من  
 التكنيكيين كونه العلماء . وهذا الانفصال الذي تلقاه في المجتمعات البورجوازية  
 بين محترفي الموضوع ( العلماء ، المهندسون ، الاحصائيون ) وبين الجماهير العاملة  
 هو الانفصال الذي قام في الاتحاد السوفييتي بين الأيديولوجيين والقادة من جهة ،  
 وبين الطبقة العاملة من الجهة الأخرى . ولهذا يمكن للشايفين ان يعتقد شارحاً  
 ستالين : « ان أجمع سلاح في يد البروليتاريا ... هو نظريتها الثورية الخاصة .  
 وإذا ما ارتبطت هذه النظرية ارتباطاً غير قابل للانقسام بالحركة الثورية للطبقة  
 العاملة فإن مبدعها يكون حزب البروليتاريا في شخص قائمه وايدولوجييه<sup>١٩</sup> .  
 ولقد سبق لروزا لوكسمبرغ قبيل حرب ١٩١٤ ان وقفت ضد هذا الاتجاه  
 وأخذت على لينين عن طريق قلب المواقف مشير للفضول « ملعبه الذاتي » :  
 « انه ليخيل إلينا اتانفين في هذه الرقبة ... في فرض وصاية لجنة مركزية  
 مطلقة المعرفة ومطلقة القدرة لحماية حركة عاملة ، حافلة بالوجود مثبته بالنسخ ،  
 من الوقوع في بعض الخطوات العائرة ، أقول ليخيل إلينا اتانفين في هذه الرقبة  
 أعراض تنص ذلك للذهب التالي الذي سبق له ان نصب أكثر من مطلب واحد  
 للفكر الاشتراكي في روسيا<sup>٢٠</sup> . لكن هذا المأخذ إن لم يكن خطاً فهو يهز على

١ - تتالين : فكر الحزب في الفلسفة - المنشورات الاجتماعية - ص ٢٠ .

٢ - المركزية والديموقراطية ، مقال ظهر عام ١٩٠٤ .

الأقل سابق لأوانه . فليست هي إلا « بخلاف زعمها » التي تأخذ بتأريخها ،  
فالأنا والثانية قد ثلاثتا معاً .

إن الجماهير الشعبية مقطوعة الصلة بعينها العقوي ، وهي تكشفه أمامها  
« مشبهاً » وأخذاً طابعاً موضوعياً ، شأن قوة عملها في المرحلة ما قبل الثورية .  
وهي لا تفك لغز هذا الوعي بنفسها ، بل لتعلمه عن طريق قادتها ، ولتعرف  
نفسها أولاً كواضع عن طريق وساطة هؤلاء القادة . وإذا كانت قوة عملها لم  
تعد محض بضاعة ، إلا أنها ظلت منسقة عنها ، وما قاله ماركس عن الصناعة  
البيروقراطية بظل صحيحاً : « لا ينبغي أن نقول إن ساعة إنسان يساوي ساعة  
إنسان آخر ، بل ينبغي أن نقول إن الساعة ساعة إنسان يساوي الساعة ساعة آخر » .  
لكن لا ينبغي أن نستلخ من هذا أن الثانية توجد على مستوى القادة . فعين  
تكون إحدى الطبقات الاجتماعية منسقة ، فإن الأسلاب يشد ، كما بين فلنك  
لوكتش<sup>١</sup> بعد ماركس ، إلى درجات المجتمع كافة . وفي اللحظة التي تسقط فيها  
البيروقراطية ، ذات التاريخ ، خارج الوعي النظري والعمل هذا التاريخ ، لتصبح  
بالنسبة إلى قاضها مادة هضبة للتاريخ ، موضوعاً سلباً . لكن القادة المنفصلين  
عن العامل التاريخي لا يؤثرون على التاريخ نفسه في هذه الحال إلا من الخارج :  
فيصبح هذا التاريخ شيئاً في ذاته يمكن تأمله ومعرفة ، ويمكن التأثير عليه من  
الخارج تبعاً لقوانين محددة . أنهم يؤثرون إذن بصورة غير مباشرة على التاريخ  
بتحديدهم العامل التاريخي من الخارج كوضوع ، لكنهم لما كانوا قد كثروا عن أن  
يكونوا شيئاً لوعي الجماهير ، فانهم يكتفون بالتالي عن صنع التاريخ مباشرة . هم  
خاصمون إذن كقوة موضوعية بصورة لا تقل جذرية عن خضوع الجماهير الشعبية لها .  
والحق إن هذه الجماهير موضوع بالنسبة إلى القادة و « بالتالي » يعرف القادة  
التاريخ كوضوع خارج عنهم . وهم بالنسبة إلى الجماهير كعالم القرن التاسع عشر  
بالنسبة إلى النظام التجريبي : في الخارج . وما نجد أن بيل<sup>٢</sup> وروزا لوكتش<sup>٣</sup>

١ - جورج لوكتش : فيلسوف مجري ماركسي معاصر . ص ٤٠٤ .

٢ - أوستن بيل : أحد مؤسسي الاشتراكية - الديمقراطية الأثنية وماركسي بارز .

٣ - (١٨٤٠ - ١٩١٣) . ص ٤٠٤ .

في معرفتها وفي عملها قريبان من العالم المعاصر الذي يعتبر ان المغرب يشكل جزءاً من النظام التجريبي . و خلاصة القول ان القادة السوفياتيين يتحولون وعي الجماهير الخلاق الى موضوع وبقدرهم خارجاً عنها ، لم يعد لثباتهم من حيازة نظراً الى أنها غير مدعومة بذاتية الجماهير : لم يعد يرفدها نهر الروح<sup>11</sup> ، الشعبية الكبير الذي ما يزال موحلاً لكنه عارم قوي ، فهي قدبل وتعتبر نفسها منتقنة الى حق والى أساس . وهم في الوقت نفسه معطلون في الهواء نظراً الى ان وضعهم كقادة فصلهم عن الشرط البروليتاري : انهم يستطيعون ان يضعوا أيديهم على تناقضات الموقف الموضوعية لكن ليست هذه التناقضات هي التي تكونهم وهم لا يستطيعون ان يستفيدوا من قوتها المنتجة . وبالتالي ليسوا في الواقع سوى المعرفة المحضة الموضوعية والتأثير الوحيد الذي يارسونه عليه تأثير نفسي ليس إلا ، أي عطفح الشبه بذلك الحساب العقلي الذي يرى فيه نوكتش الوظيفية النظرية - العملية للبورجوازية الصناعية . وهكذا تصبح الجماهير موضوعاً سلبياً ولاواعياً للتناقضات التاريخية بينا يتكون القادة والأيديولوجيون وعياً مجرداً خالصاً لهذه التناقضات . ولما كانت وظيفتهم الوحيدة تسليق المعطيات الموضوعية ، فانهم يدركون من الخارج الأسباب الظاهرات والقوانين التي تسيطر هذا الانسياق<sup>12</sup> . إذن فليس المنهج كماثاً فيهم ،

١ - ماركس هو الذي استخدم هذه العظة .

٢ - ان كوربا ، طر سبيل المثال ، القسومة الى قسمين ، هي لتناقض عشق . وقد كان لا بد ان ينشب صراع بين الشمال باتباعه الصناعي والمخطط وسعيه الى إقامة نظام اشتراكي ، وبين الجنوب بقتادهه للشغف والنظامية الاقطاعية وملكيته الزراعية الكبيرة . لكن اسبسية السوفياتية الخارجية ، ينظرها الى هذا الصراع من الخارج ، عبر منطويات الدفاع عن المصالح السوفياتي ، واعتبارها له واحداً من عوامل الوقت المؤدي والتطور ، ويتعديها تبعاً لفساد الوقت التاريخ والساعة الذي يمكن ان يستاح فيها فبحر عمالي اكبر قدر من فرص النجاح ، وربما التوقف المتبادل للاتحاد السوفياتي في حالة النجاح وفي حالة الفشل . تستخدم اسبسية فلاحية الجرب او حيازة التماثل الثورية كيرقي في رفعة شطرح ، بحيث يتكون الكوربوت عملاً واعياً لتاريخ بالنسبة الى القسم ، وأداة مبررة من الخارج بالنسبة الى القادة السوفياتيين . لقد أصبح الوعي الثوري الجماهير الكوربية بالنسبة الى الزعماء السوفياتيين عنصرأ من عناصر حياتهم الموضوعية .

وهو لا يكشف عن علاقتهم الحية بالموضوع . بل هو بالأحرى قاعدة موضوعية الموضوعية . إنسه يتجمد من الخارج ، يتعظم ، يصبح قاعدة ساذجة خالصة للتغير . وتقوم الماركسية وتصبح سكرولائية . وعلاوة على ذلك فإن العودة الى التحليل البورجوازي تميز على ما تبقى فيها من الديالكتيك وتحولها الى تحليل للشروط المادية لصيرورة التاريخية . إذن فمن غير الصحيح ان الذاتية هي المطلب الأخير للنظام السوفياتي ، هل الأقل عندما ننظر إليه قبل الشقاق بيننا . ان القادة والبيروقراطية التي تنفذ أوامره هم ضحايا الموضوعية كما ان البورجوازي ضحية الرأسمال . والذاتية لا وجود لها في أي مستوى من مستويات النظام . أو هي بالأحرى موجودة في كل مكان ، لكن مقلعة ، غير منظورة : موجودة كهرب من الذات نحو الموضوعية . بيده انهم انطواها مع ذلك مكانها في النظام . انها مساة وتقيد كصفة موضوعية معينة للموضوع . وهذه الذاتية الكافية تتجاوب بدقة مع ما يعتبره لوكانش الذاتية في المجتمعات البورجوازية : « نتيجة لعقولة صيرورة العمل ، تبدو صفات التشغيل الانسانية وخصوصياته أكثر فأكثر وكأنها بعض منابع الأخطا والأخطاء . تعارض العمل المتوقع والمحسوب لتلك القوانين المجردة والجزئية » . وأي عجب في ذلك أصلاً عفاً ان لينين ، نظري المركزية الأول ، أمكنه ان يكتب هذه العبارات القطعية متناسياً كلياً نظرية التشويق ( التي تقبل عن طواعية بأن ينظم العمل الشغية لكن كأشياء ) : « تهمني الأيسكرا<sup>١١</sup> بأمني أتصور الحزب كعمل ضخم على رأسه مدير ، اللجنة المركزية ... ان هذا للعمل الذي يبدو للبعض وكأنه فزاعة ولا شيء آخر هو الشكل الاسمي للتعاون الرأسمالي الذي ضم البروليتاريا وضبطها وعظما التمتع ... والماركسية ، عقيدة البروليتاريا التي تقفها الرأسمالية هي التي علمت والعلم الثقفين الثقلين الفرق بين الجانب الاستغلالي من العمل ( الانضباط التي على خوف الموت من الجوع ) وبين جانبه التنظيمي ( الانضباط

١١ - ومعناها البرومية الشراعية وهي اول صحيفة ماركسية عامة اسما لينين عام ١٨٩٠ .  
لم استول عليها للتشفيك عام ١٩٠٢ . ( ص ٥٥ )



التي هي على العمل المشترك الناجم عن تقنية رفيعة التطور<sup>(١)</sup> . إن لينين هنا لمضليل : فانضباط العمل يحدد تعبئه في التaylorية وسائر أشكال المظنة، وينجز تشيؤ العامل بإدراغاه إياه على العمل الجزأء وينسفه صلته العينية بالنتاج وينسفه ويحطه إياه الى مستوى الآلة . إن هذا الانضباط « الناجم » عن تقنية رفيعة التطور ، يقع بين الأشخاص تنظيمياً لا يقل احكاماً عن تنطع الآلة . ومرمومه مرموق ، وأما ما نقل هذا التنطع الحكم الى صعيد العمل الثوري اعطى نتائج مذهة . لكن المنظمة الكفاحية تنجز لتشيو الذي بدأته البورجوازية . وهذا مقبول أيضاً فيما لو أن التشيو يتحول وقد بلغ أقصى مدهاء حسب الانقلاب الديالكتيكي الذي توقعه ماركس . لكن البورجوازية اختلقت والانقلاب المفزدي الذي كان يميز المهتم البورجوازي لبث مقيماً .

والنظام الموضوعي النزعة يحد تكلفته الشيراً في الجيش السوفيياتي . ان الزمام السوفيياتيين يرتبون في الأحزاب الشيوعية الوطنية لأن هذه الأحزاب لم تتأدر ، نظراً الى يقانها في سطوة المجتمعات البورجوازية ، المرحلة السلبية التي تتفعز على وجه التحديد بالاتحاد المتناغم بين الموضوعية والذاتية . وبناء على هذا التطور سيهد القيادة الى الجيش الأحمر بهمة أحداث الثورات المحلية . وهكذا سيستبدلون حركة فردية وديالكتيكية ومبهمة بعملية تشكيبكية صرف للشابه في كل تقاطعها مع عملية تركيب آلة . إن الجيش الأحمر ، الخارجى بإعته بالنسبة الى البلد الذي ، يجره ، ، يستبدل الثورة الشعبية المناجحة بعمل منظم يمارس على المراضيع من الخارج . وأنذاك لا تعود المسألة سوى مسألة هندسية صرف ، وتشكيبكيون الذين سيوضعون في مراكز القيادة ينتخبون على أساس كفايتهم من قبل تشكيبكيين غيرهم ، بدلاً من أن تحملهم الجماهير الى السلطة . ومفهوم ان يكون المذهب الذاتي اليوم حقاً ورعياً ؛ ففي البلدان التي ظلت خارج منظمة عمل الجيش الأحمر ما تزال الذاتية موجودة وإن كانت مُلجمجة ، لكن

١ - لينين - مؤلفات مختارة - طبعة موسكو الفرنسية - ١٩٦٨ - المجلد الأول - ص

البروليتاريات ، تناقصة التكوين ، المحترقة بسبب عدم انضباطها ، مذوكة لصيغها مؤقتاً : ومطالباتها الشروعة تستخدم لتغذية شغب مشوش في أوروبا يعرف الانتاج ويسمى الى سمعة الحزب في الوقت نفسه . وفي بلدان الكتلة السوفياتية ، من هو البيروقراطي الذي ما يزال يعرف ما هي النهائية ؟ إن البيروقراطي ، الوسيط بين موسكو وبين أبناء وطنه ، يعرف نفسه موضوع بالنسبة الى القاعدة السوفياتيين ، أما الموقف الذي يملك لقراء وينظمه ، فهو لا يدركه إلا من خلال الصفة الموضوعية التي يضلونها عليه في اطار الظروف الحالية . انه يلائم ، هو الموضوع والتطور اليه كوضوع ، البنى المحلية الموضوعية مع الموقف الموضوعي الذي ينعكس عبر التطلبات السوفياتية . وحين توصي البعثات التجارية على ، طلبات ، ، يتوجب على الموظف ان يوجه الانتاج المحلي وينشطه حتى يتمكن ان يسلم هذه الطلبات في موعدها المحدد . وهذا النشاط التنظيمي يتم من تلقاء نفسه عن اساس الحساب والاحصاء .

ولهذا أرى انه من فادح الخطأ ان نسر د العصابات ، الجبهة التي قام بها الألباني ذرودزبه والبولوني قومولكا والمجري راجك والبلفاري كوستوف بأنها اكتشاف ومطالبة بحقوق الذاتية . إن نقطة الانطلاق على العكس ، كما تشير الى ذلك ، هي ، في كل حالة ، تناقض موضوعي بين التطلبات السوفياتية والهام التي تفرضها ضرورة التثريك المحلية . وهذه التناقضات ليست بالضرورة محسوسة من قبل الجماهير ، او اذا كان السكان يشكون منها ، فإن التمرد لا يولد على كل حال من هذا الصدام المعاش والحسوس : فما هذا التمرد إلا وهي البيروقراطي الذي يلاحظ التضاد والتناقض من الخارج شأن عالم الرياضيات الذي قد يكتشف اخطاء في صياغة المعادلة . إن استياء الفلاحين او العمال لا يظل غير ملحوظ : لكنه يتم كعطى موضوعي وكتعبير علامة عن التناقض . حين ألقى كوستوف خطابته في صوفيا في ٨ ايلول ١٩٩٧ ، فجعل له هذا التناقض وكانه محفور في الأشياء . فمن جهة أولى ، تلك العقيدة الجامدة الثابتة عن ، الدفاع الدائم عن الوطن السوفياتي ، : كيف السبيل الى الشك في موضوعيته ؟

فلاسطاه البيروقراطي اختار كوستوف على وجه التحديد ليستخلص النتائج العظيمة من تلك الموضوعية ، و كوستوف لا يستطيع ان يرى نفسه إلا على انه ذلك الموضوع المكلف بتطبيق سياسة مناصرة للسوفييت ، وذلك الوعي الجرد الذي يدرك الضرورة الموضوعية لهذه السياسة . لكن الموظف كوستوف مكلف من جهة أخرى ، وفي إطار الدفاع عن الحصن الروسي ، بالتشريك بلغاريا على مراحل وثمناً لشاهج بحرية . والحال ان الاستقلال الاقتصادي لبلغاريا من قبل الاتحاد السوفياتي يجعل هذا التشريك مستحيلاً عملياً . واليك المظهر الآخر للموقف الموضوعي : « مها تكن الظروف فلن نسمح بتدخل اجنبي في قضايانا الداخلية . إن الشعب البلغاري يعرف حق المعرفة انه بدون استقلال وبدون سيادة لا يتمكن ان توجد ديموقراطية شعبية ولا تصنيع ولا كهربة ، ولا ملكية وحياسة سعيدة للشعب » . بيد أن التناقض يتابع لتحويل الموظف : فهو يرغمه ، بتشكفه عن انه الصراع بين مهمتين متناقضتين لا يمكن تجاوزهما وتحددانه في واقع ، على ان يختار نشاطاً يحمده في كينونته ، بصرف النظر عن كل نشاط آخر ، واختصار يرجعه الى الذاتية<sup>11</sup> . وينتقل التناقض اليه ، تحت شكل صراع بين الموظف - الموضوع الذي يتعمد بتطبيق التعليلات السوفياتية وبين الوعي الجرد الذي يعكس فيه الاستعلاء الموضوعية . لكن لا ينبغي ان نظن ان اكتشاف ذاتية يفعمه بالسعادة . فهذه الذاتية تجعل له على العكس في الفلق ، وهي مندبة علاوة على ذلك بالنظام الموضوعي للزعة ، ولقد اعتبر الذاتية يوماً « منبعاً للأفراط والأخطاء » . وعلى هذا فإن اللحظة الذاتية ليست بالنسبة اليه سوى مرحلة انتقالية ، وهدف « لمرده » حذف تناقض في الموضوع وبالتالي نحو اللحظة الذاتية في شخصه . ويبدو انه من المرجح ان تلك العصبانية الزعومة لم تكن تهدف إلا الى إرساء اسس سياسة حزم لجأه الاتحاد السوفياتي للحصول من موسكو على ترتيبات تسمح بتابعة التشريك مع الاستمرار في تأمين الدفاع

١ - ان التناقضات الجزئية التي صادفها في عهد ليوبي تتحل في إطار المفاهيم المذكورة ، ولا ترجع الى الذات .

عن المحسن السوفياتي وبذلك يكون البيروقراطي ، عن طريق توفيقه بين مهامه ،  
قد استرجع الموضوعية .

والحال انه في كل مرة بفشل ، وبسجن ، وبجأ ، فكيف سيفهم فشله ؟  
انه لا يتكلم ان يميز الذاتي من الموضوعي . ولا يستطيع ان يلجأ بالتالي الى تفسير  
ذاتي للزعة : « لقد اخطأت التصرف » . ذلك ان كونه قد اخطأ التصرف  
بالحال يعني ، في منظور المذهب الموضوعي المطلق ، انه لم يكن يوسع ان  
يحسن التصرف . وبالفعل ماذا يتوجب عليه ان يقول ؟ « لقد عجلت بالتصرف ،  
ام ، تأخرت » ؟ لكن الموضوعية هي التي تحدد بنفسها لحظة الشروع : ولا  
ريب في ان الأوان كان قد فات حين الكشف للتناقض . لكن قبل ان يتكشف  
كان الأوان مذكراً بعدة نظراً الى ان هذا التناقض لم يكن قابلاً لأن يتكشف أو  
على الأقل لم يكن باهتاً على الفلق بما فيه الكفاية ليبرر عملاً ما . هل سيقول :  
« سينجح آخرون » ؟ لكن جميع الذين يمكنهم ان ينجحوا والذين يعدون على  
الاصابع اليد قد فشلوا معه : ما دام البيروقراطي قد انفصل عن الجماهير ، فإنه  
لا يستطيع ان يعتمد في البداية على المساهمة الشعبية ، ويأخذ لروءه في مشهد  
وجه نائم . « أكنت على حق ؟ أنا على حق حتى في فشلي ؟ » . ان هذا  
لوقف شعري : ان حاله يرميه يغمس في قساح البحر ، مقهوراً ومتصراً ، لكن  
الموقف في جمهورية شعبية لا يقامر إلا على اسام : من يخسر يربح ، والنجاح هو  
معيار الحقيقة . اذن فهو مخطيء : وما كان يوسع مشروعه ان يأخذ مكانه في  
الواقع . لقد كشف العقل الموضوعي عن حقيقته ، عن واقعه المطلق ، وعن  
ضرورة كل حركة من حركاته عندما جاءت لتتخطم على صخرة ذلك العقل  
الموضوعي . لكن الكارثة لصالحه مع نفسه لأن العقل يكشف له عن الدلالة  
الحقيقية لتلك الذاتية التي ما تزال متسلطة عليه كذكرى حلم : انها عدم ، تناو ،  
عجز . وكل ما هو موضوعي واقعي ، وكل ما هو واقعي موضوعي . ولقد كان  
تفسيره للموقف العملي خاطئاً . أي عمداً . لقد أراد ان يصدر حكماً بدون ان  
تتوفر لديه العناصر ، وهذه العجزة نتيجة عيب في طبيعه . وبالفعل ان العقل

الأمثل هو تلاؤم أمثل مع متطلبات الموضوع ، إذن فالذاتية لا تستطيع ان  
 تفعل شيئاً سوى ان تلتصق هذا التلاؤم . ان الكبرياء والادعاء وضيق النظر  
 قوى سلبية أو بالأحرى غياب كينونة . واذا كان أُخْبِلَ اليه لحظة من الزمن انه  
 سينجح ، واذا كان مشروعه قد حظي ببداية تنفيذ ، فهذا لأنه تليد بالتواعد  
 الموضوعية . وهو لما يستمد فعاليته من الموضوعي . لكن هذه المساعدة تتبخر  
 من لقاء نفسها عندما يمس الى تحويل القوى الموضوعية ضد الموضوعية . ان  
 المنهج الموضوعي الذي استعاد نسجانه الهادي ، على هذه الصورة يقارب هنا  
 من أخلاق كلوديل : « الأسوأ ليس مؤكداً دوماً » . وهكذا يصبح الموظف  
 متواطئاً مع قضائه : ففي الوقت الذي يمحك فيه على الذاتية بالأكثر سوى  
 محض غياب ، يصور هؤلاء التآمر الذي حاك شيأه وكأنه النتيجة القسرة  
 الموقف الذاتي . انه متفق معهم على النظر الى الذاتية لا باعتبارها تأريخاً مبنياً  
 للموضوعي بل تقيماً لهذه الموضوعية : انها بالنسبة اليه كما بالنسبة اليهم العدم الذي  
 يب الكائن قوته ليقلبها ضده . واختصار : انها شر . وفي نظره لا في نظرم ،  
 ليس القتل النهائي للشرورح إلا التليل على ان الشر عاجز ، وهو يعزز تقاضهم  
 القروض بالارهاب . ولا يد ان يقالي القضاء أكثر من ذلك أيضاً ، فما هو إلا  
 موظفون مهتمهم ان يقدموا التقارير للسلطات العليا . وتظل المشكلة هي هي  
 في التهوديسيات<sup>١١</sup> كالة : الواجب الأول هو تبرئة الله . والفعل لا يكفي ان  
 يرضع الخير والحق والنظام والموضوعي والكينونة في جانب ، والشر والخطأ  
 والذاتي والعدم في الجانب الآخر : بل لا يد أيضاً من تفسير العدم . ذلك ان  
 الشر غير كائن ومع ذلك هناك شر ، والخطأ ليس شيئاً ومع ذلك يخطئه  
 الانسان . ومهمة الكتابة هي ان يبينوا ان اللا كينونة تأتي من الكينونة وانه لا  
 وجود لها إلا عن طريق الكينونة وإن الكينونة مع ذلك ليست مسؤولة عنها  
 البتة . « الإدارة لا تتحمل أي مسؤولية ... » . فبالنسبة الى ديكرت على  
 سبيل المثال بأيننا الابهائي كله من الله ، والسالب لما يفسح منا . لكن ديكرت

١ - التهوديسيا على صفتك الله وحدك . - ٤٢٠٥٥ .

كان يؤمن على الأقل بالطبيعة الانسانية ، وكان لديه ميذاً من مبادئ التفسير . لكن المسألة أدق وأعمق بالنسبة الى الكتبة السوفييتيين الذين لا يؤمنون بحرية الارادة؛ ان الشخص لا يمكن أن يستخدم بعد اليوم ككوش فداء ، اذ المطلوب على العكس ، معرفة من الذي ستلقى عليه مسؤولية وجود الشخص . إن السالب ، في ، لا يمكن أن يولد من الضرورة التاريخية ولا من باعتراري نتاجاً وعاملاً موضوعياً لهذه الضرورة . كما لا يتكهن أن يولد من الطبيعة التي يفرق عنها التجزأ انها على وجه التحديد ضرورية مشركاً تحددها قوانين عامة . كتب يقول : «إن الفرد العزول لم يعد ضرورياً كصنعة التجربة ، بل يمكن أن تستبدل تجربته الفردية الى حد ما بنتائج التجارب التي قام بها عدد معين من أسلافه . وإذا كانت السمات الرغبية على سبيل المثال تبدو لدينا بديهية من تلقاء نفسها بالنسبة الى أي طفل في الثامنة من العمر وليست بحاجة الى البرهان عليها بالتجربة ، فهذا فقط باعتبارها نتيجة لثلاث مائة كراي<sup>11</sup> » .

وطالما إنه لا النظام الاجتماعي ولا النظام الطبيعي مسؤولان عن الفرد بصفته تنهياً ومعنيماً للأخطاء ، فلا بد إذن من نسبة الى ثلاثيها . ان التلقائية عيب في الصنعة ، فذهب يتقصر ، اذا ما نظرنا اليه بصفته نتاجاً طبيعياً ، بالقوانين والظروف ويندمج بالتالي بما هو عام وشعولي ، لكنه يصبح ، من وجهة النظر الاجتماعية ، استثناء ، وحشاً . والمسؤول انما هي الصدفة ، اي ثلاثي سلسلتين مستقلتين . والصدفة تعني على وجه التحديد عدماً - مسا دامت كل سلسلة من السلسلتين تنتج من تلقاء نفسها الاجتماعية الحاصلة وليست علة السالب إلا من وجهة نظر السلسلة الأخرى وبالتالي اليها - الجانب غير القابل للفهم فيما هو قابل للفهم - وما دامت كل ظاهرة في كل سلسلة قابلة للتفسير بنهايا ، لكن لا ثلاثي السلسلتين ، باعتبار ان سبب هذا الثلاثي غير كامن من حيث تعريفه بالذات لا في هذه السلسلة ولا في تلك ولا في حسد ثالث وجوده كقيل والقضاء على استقلال السلسلتين - العجز - ومسا دامت الصدفة يلقي بعضها بعضاً حسب قانون

١ - الجزء ، ملاحظات حول ضد تعريف « في » والكتبة الطبيعة » - ص ٢٦٠ .

الأعداد الكبيرة . ان الفرد ، الذي هو محض مثال عن القوانين الطبيعية ، ليس شيئاً في الطبيعة سوى ما هو عام . لكنه قد يكون الاستثناء في العالم الاجتماعي . وعند ذلك يتوجب على الذاتية باعتبارها عيباً في الصلعة ان تكون قد وجدت من لحظة لسلم النتائج . انها صفة موضوعية للموضوع البيروقراطي . ولا يسد بالفعل من تحديد موضعها وعصرها : إلامّ تصبح الإدارة اذا كان المرض الذاتي يستطيع في كل لحظة ان ينقضي على الموظفين السوفييتيين ؟ وقد يحدث . أن يتم اكتشاف هذا المرض في زمن متأخر ، لكن هذا لأن المرض كان يخبئ . وبكلمة واحدة : ان الذاتية عيب في التكوين اسمه الآخر الحياة . ان بعض الأشخاص يولدون ذاتيين ، أي نساء ومدنيين ، ومألفهم ان اللصقة . وحتى هنا ، حتى الانسانية ، حتى تنفيذ الاعدام ، يكون التهم متواطئاً مع فضاءه : ثم يأتي فشله ليحرره من قلبه . ومن أعماق سجنه يتأمل بإطمئنان العالم الموضوعي الذي صلحت حاله . ويشرح وعيه الخالص موضوعاً جديداً بين سائر المواضيع : هو نفسه مع ذاتيته . وهذه الذاتية ، المرتدة الى محض صفة خارجية ، تكلف عن إقلاقه وبلبته . انها في الخارج تكون شعرة ، كوزنه او كقامته . لقد كشفت عن أن تكون ذلك الصوت الحائل ، الجهول ، الذي كان يمس في اذنه ويحاول ان يفتحه بأنه ذاته ويأبى - اي الصوت - لا ينتمي الى عالم الأشياء . والان ها هي في اصمائه ، هامة ، تهددها الضرورة التاريخية . ولا يعود هو سوى نظرة مجردة تتأمل جنة . بيتاً ، لقد كان خائلاً : وكان لا بد أن يكون كذلك . كان مع العالم نفسه يتطلب الحياة . وكان تكونه المغيب يسميه لاقرافها ، وكان محتماً على الطرف التاريخي ان يحبطها ويجهضها . ويتصر التهم : كان يريد النظام ، ولقد ذاك . والحونة بالذات يحتلون مكانهم في النظام ويسامعون في ترتيبه . وحسب النظام لم يضطرب قط . ووعي المذهب الغفل يؤول كلاً واحداً ووعي القاضي الغفل . وهذا المذهب يستعيد برامته واداته جريته باسم الموضوعية التي خدمها دوماً . وبذلك يعود من جديد بيروقراطياً . ويسمى مع سائر البيروقراطيين الى استقلال واقعة حياته الموضوعية الى أقصى حد . ولما كثر واحداً من

تكتيكي الدعاية ، فإنه يهيء مع زملائه الاعترافات ، المدروسة جداً ، التي سيبدل بها أُنساء المحاكمة . وإني لأدعش إذ يثار كل ذلك اللغط حول هذه الاعترافات وهذه النزعة الموضوعية . فمقرنتنا بها ليست بنت اليوم . فلماذا أكثر من قرن وضع هيجل نظريتها وكتب : « لقد طرح الرعي مبدأ الفرد . وفي تطوره الكامل طرح الفرد الذي هو وعي واقعي قمعاً كثيفاً لذاته ، أي كوضعية قائمة ، لو هو النزاع من نفسه كينونته لذاته وجعل منها كائناً . وفي هذا التطور جاءت أيضاً إلى كائن الرعي وحدته مع هذا الشمولي ، وهي وحدة ... تشكل في الوعي كوعي مابيتها<sup>(١)</sup> » .

ولقد قرأنا الصفحات المخصصة للرعي التعميس . إن النقاش حول لعب الفرد والعمومية في الوعي المسيحي ينطبق أيضاً على سراج الموضوعي والذاتي في الوعي الموظف المجرى أو البلاغاري . لكن تقدم الشائع الحديثة ولاسيما تكتيك الاعترافات - المتفوق إلى حد بعيد على تكتيك الاعتراف الكاثوليكي - سمح لهذا الوعي التعميس ، الجديد بأستبعاد التعماسة .

وكل ما هنالك أن النظام الموضوعي النزعة يتطلب إخفاق المؤامرات . إنه يفسر المألوفين ويشغفهم هزئهم . وكل نجاح يسد إليه ضرورة قاضية : والحاصل أن فينوا قد نجح . يقيناً ، من الممكن أن يسحق هُداً ، ومن الممكن أن يتلاشى حكمه مع شوب حرب عالمية جديدة ، ومن الممكن أن تقوضه المصاعب الداخلية ، ومن الممكن أن تعمش بوعسلافيا عيشة كفاف ضمن حدودها الإقليمية : إلا أنه بانتظار ذلك يفوق الشفاعة من نجاح إلى نجاح وسيطر سيطرة تامة على قواته . إن المذهب الموضوعي لا يملك أدوات فكرية لتفسير وتقييم هذا التاريخ الجزئي . والاتحاد السوفياتي تموزه الوسيلة لهاكمة فينوا . ذلك أنه لو كانت النازية عجزاً ، لكان لوجب على فينوا أن يكون دراجك ، ، ولما كانت الضرورة التاريخية ، أتاحت له أي فرصة لتجتاح . والحق أن الماركسية تقلب هنا على السبائلية ، وتقلب السبائلية على نفسها .

١ - فينواينولوجيا الفكر - ترجمة هيبوليت - ص ١٩١ .



كتب الجبل : « ان مسألة ظهور فرد معين ، لا أي فرد آخر ، في عصر محدد ، في بلد محدد ، هي بالطبع مسألة متعلقة بالصدفة الحاصلة . لكننا إذا ما حذفناه ، فسوف يتكون نوعاً بحاجة الى بديل ، وهذا البديل سيوجد بهذه الصورة او تلك . سيوجد حتماً مع مر الزمن . ولقد كانت صدفة ان يكون نابليون ، ذلك الكورسيكي ، الديكتاتور العسكري الذي كانت لاحتاجه الجمهورية الفرنسية التي أهلكها حروبها . لكن لو لم يوجد نابليون هذا ، لفسام غيره بيهته<sup>(١)</sup> . » . ضعوا في هذا النص نيتو مكان نابليون فتجد النتيجة تعبرها المطلق . كان نزيه بيغوسلافيا الاقتصادي ، والتدمير الفلاحي ، والاستياء العمالي ، وانخفاض مستوى الحياة ، وارتفاع التصنيع ، كان هذا كله يتطلب القطيعة مع الاتحاد السوفييتي ، بل كان هذه القطيعة نفسها : وذلك من حيث المعنى الذي تقول على أساسه ان البروليتاريا هي تناقض المجتمع البرجوازي . ولقد كان واجباً ان تتم هذه القطيعة عن طريق وساطة زمرة من القادة الذين يتحددون على وجه التحديد بتصميمهم على إنجاز هذه القطيعة . ان نيتو ، فيما إذا صدقنا إنجلز وستالين ، هو النتاج الموضوعي للوضع اليوغوسلافي . سيقال : كلا ، فهو يحكم بالأرهاب . أمن الممكن إذن ان يقوم على الأرهاب ضد التاريخ ؟ وفي مثل هذه الحال ، من ثبتت في ان « المكتب السياسي » لا يحكم ضد إرادة الشعوب السوفييتية ؟ لكنني لا اعتقد ان هذا التصريح حاسم : فمن أمن له القوة التي تفرض حكم الأرهاب ؟ أمن الجيش ، أمن الحزب ، أم من الاطارات ؟ أمي معه إذن ؟ إذا صح هذا ، تكون قد تجاوزنا على نحو مستغرب موضوعه ، والعبء الذاتي في الصناعة . . . ويجيبنا ستالين آخر : كلا انه يعتمد على العناصر الرجعية من السكان : الفلاحين ، البرجوازية . لتقبل بذلك : إذن فهذه العناصر تلك ما قبله الكفافية من الثورة والأهمية لتفرض سياستها . وفي مثل هذه الحال كانت

١ - الجبل : رسالة الى ستالين ، ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٤ . انظر أيضاً كورسيكي ، السيرة الذاتية لتاريخ ، الجبل الثاني ، ص ٢٠٣ . وكذلك بليخانوف ، مشكلات التاركية الأناسية ، ص ١٤٠ .

يتوجب على الاتحاد السوفياتي ان يجري تعديلات على سياسته ، وان يتوقع  
 مراحل أكثر عدداً نحو التشريك ، وان يعتدل في مطالبه على الصعيد  
 الاقتصادي . وبكلمة واحدة ، لقد أخطأ هؤلاء القادة : ان الذاتية ثمر محالينهم .  
 هناك من يجهلي بأنه لا يمكن ان يكونوا على خطأ وبأن سياستهم تغير عمن  
 المطالب الموضوعية للوضع في الاتحاد السوفياتي . حسناً . إذن نظرية الثورة في  
 مثل هذه الحال متناقضة ، نظراً الى ان اثنين كان يرى ان من ضرورات  
 الاشتراكية ان تقوم الوحدة الاقتصادية للدول التي في طريقها الى التشريك على  
 أساس ، معونة متزايدة وبلاسيطرة ، ونظراً الى ان الجمهوريات الاشتراكية  
 السوفياتية مرعبة من قبل وضعها على ان تقع مع يوغوسلافيا علاقات تجارية  
 وأعمالية تسيء الى هذه الدولة . لا بد من الاختيار : إما ان التمس الماركسي  
 التاريخ خاطئ ، - باعتبار أن الصيرورة التاريخية سرغم البلدان الاشتراكية على  
 ان تطبق فيما بينها قانون السوق العالمية الرأسمالية - وإما ان تصور  
 البيروقراطي للذاتية خطأ فادح . وبعبارة أخرى : إما ان تحتاج لتبني فلسفة  
 بشروط يوغوسلافيا الموضوعية من خلال منظور مذهب موضوعي يقدم نفسه  
 بنفسه ، وإما انه يتصور بأخطاء سياسية - ارتكبها الاتحاد السوفياتي او القادة  
 اليوغوسلافيون - وعندما لا بد من الاعتراف بفعالية معينة ، بصلابة معينة لنا  
 هو دالي . ان يوغوسلافيا المشقة هذه كانت مستحبة : مستحبة لأن جهاز  
 الاتحاد السوفياتي البيروقراطي لا يمكن ان يخطئه في تقييمه للعمليات  
 الموضوعية ، ولأن الأخطاء الفردية صدف تتراكم ، ومستحبة أيضاً لأن الحياة  
 حلم قديم عاجز يتغير ما إن يس الواقع . والحال ان هذه الاستعانة الموضوعية  
 تعيش وتزدهر ، والصاعقة الديالكتيكية لم تحلها الى مساء ، وهي تتطور رغم  
 أنف كل يدوية ، بل إن يوغوسلافيا سابقة مدينة كان واقعا مراقبا من قبل  
 السوفياتيين ومدموغاً بدمفتهم . تقول إحدى الألفاظ : كان علماء يجرؤون تجارب  
 على أرانب وكانت النتائج الموضوعية لهذه التجربة مقررة سلفاً بناء على محاليات  
 عقلية مثينة . وكانت الأرانب تعرف مقدماً ما سئلته . والحال ان التجربة لم

تزيد النتائج المرتقبة . وهم الغداء عندئذ ، أمام هذا الميت ، ان الأرناب التي  
 أجروا عليها تجاربهم كانت أرناب مزيفة . حسناً : نحن نعلم ان نيتو أرناب  
 مزيف ، وان يوغوسلافيا هي يوغوسلافيا مزيفة . لكن ما الأرناب المزيف ؟  
 على كل الأحوال ، ان هذا الحيوان الكذاب يستلزم ان يكون العالم قد أخطأ :  
 فإما انه أرناب حقيقي يظنه العالم مزيفاً ، وإما انه مزيف فخطيئة العالم لا  
 تعترف إذ ظنه حقيقياً . ان رجال الكومنتفورم يقولون ان نيتو كان موعماً فاشياً .  
 إذن فقد كان موعماً نيتو مزيفاً . لكن في مثل هذه المجال يصح أن نقول ان  
 الاتحاد السوفياتي قد أخطأ : وهل هناك من طريقة أخرى لتفسير المديح الذي  
 ضفرت أكابيد له ، مثالين رقم ٢ ، ؟ إذا كان الأرناب أرناباً مزيفاً ، يكون  
 العالم عالماً مزيفاً . ويكفي ان يصرح العالم بأن العالم الحقيقي لا يمكن ان يخطئ .  
 حتى يكون قد انساى في سلسلة من المحامات تجمله بنفسه رأسه : ان العالم الحقيقي  
 لا يمكن أن يخطئ . إذن فأرصاده للأرناب صحيحة ، والمجال ان الأرناب  
 المزعومة لا تزيددها ، إذن فهي أرناب مزيفة ظنها العالم حقيقية ، إذن فالعالم  
 قد أخطأ ، إذن فهو عالم مزيف . لكن العالم المزيف لا يقول الحقيقة ، إذن فهو  
 قد أخطأ عندما قال ان العالم الحقيقي معصوم عن الخطأ ، إذن فالعالم الحقيقي  
 يمكن ان يخطئ . إذن فالعالم المزيف قد يكون عالماً حقيقياً خطأً ، إذن  
 فالأرناب المزيف قد يكون أرناباً حقيقياً . ان الموضوعية ليست محض تقييد  
 الموقف الزاهن ، بل هي أيضاً وعلى الأخص لتخمين . وإذا لم يزيد تطور الموقف  
 صحة التخمين ، فهذا لأن الموضوعية ذاتية موعماً من بعض نواحيها . ولما كانت  
 للتخمين ، سواء أكان صائباً أم خاطئاً ، نتائج واقعية ، ولما كان الاتحاد  
 السوفياتي ، سواء أخطئه بصدده السياسة الواجب اتباعها ازاء الديموقراطيات  
 الشعبية أم يخطئه بصدده الطبيعة الحقيقية للحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، قد  
 أثر على مجرى الأحداث ، يتبع عن هذا ان الواقع ليس متطابقاً مع الموضوعية  
 الصرفة . وعلى الواقعية الاشتراكية ان تأخذ بعين الاعتبار العوامل الذاتية .  
 وعليها ان تحمل هذا التضاد الجديد : الأطروحة : الذاتي بنية ثابرة الموضوعية ؛

التفويض : الموضوعية منوطه بذاتية تقع الظاهرات وتتوقفها وتعدّها تبعاً لتبنيها .

وهذا الخرج البالغ الذي يراجه القادة السوفييتيون يتجلى في تناقضات الصحافة الشيوعية : فهي لا تتوصل الى تعريف يقين . أخائن فاني ؟ أخائن موضوعي ؟ اذا كان خائناً ذاتياً ، شأن راجيك ، فقد كان يوماً خائناً ، والذاتية باعتبارها عيباً ، هي شر في أصل تكوين طبيعته . بيد ان هذا يفرض اننا نعرف بذهب حتمي نفسي - فيزيولوجي مستقل عن الديالكتيك التاريخي . ونحن نقتت التاريخ على هذا الأساس ، بدلاً من ان نعتبر الوافئة التاريخية الجزئية تعبيراً عن الكلية ، ونقهر الحدث على انه نتاج سلاسل سببية مستقلة ومتلافية : « لو كان الله كلبوبارة أقصر ... » ، ولو كان يقيناً أسهل عيباً ، أو لو كان مات بقاء الحصة أو برصاصة المانية ، لكان تغير وجه العالم . لكن إلام ينتهي التفسير الماركسي لتاريخ ؟ ان ماركس ، بلا أدنى ريب ، يقبل بتأثير الصدفة : « ما كان أسهل ان يصنع تاريخ العالم لو كانت كل صراخ يخوضه البشر يتم في شروط مناسبة بصورة لا ينطرق اليها الخطأ . ثم انسه سيكون ذا طبيعة مفرقة في الصوفية لو لم تكن الصدفة تلعب فيه أي دور . إن هذه الحالات العارضة تعارده الدخول بسهولة في السيرة العامة لتتطور وتعادل كفتها حالات عارضة أخرى . لكن لسارع الأحداث أو تباطؤها منوطان الى حد كبير به صدق ، مشابهة يتم من بينها أيضاً طبع الناس الذين يقفون على رأس الحركة »<sup>١١</sup> . لكن السياق يدل على ان المسألة هي مسألة تسارع أو تباطؤ في صعوبة تطور جارية . ويتبع آخر ، ان الالتحاق اليوغوسلافي بحفوري في الاشياء ، لو لم يكن يقيناً موجوداً أو لو كان مختلفاً ، حدثت القطيعة فيما بعد ، لكن يقيناً لا يستطيع وحده ان يخلق شروط هذه القطيعة ولا ان يمنع وقوعها . وعلى كل فإن الأيديولوجيين الستالينيين قد رفضوا وجهة نظر ماركس الممتدة نسبياً . إن الذهب الموضوعي مضطر اضطراراً الى استبعاد الصدفة . وهكذا

١ - رسالة الى كوريفان ١٤ نيسان ١٩٥١ .

امكن لتاريخ رسمي ، بوكروفسكي ، ان يكتب في مؤلفه « تاريخ روسيا » أن  
و الاستعداد بالصدفة دليل على الفكر الفكري ، . ويتبع آخر ، ان الاعتماد على  
الصدفة كبدأ للتفسير مشروع في حالة إخفاق المحاولة المدروسة . كما في حالة  
تجاسيا ، فهو يصف الماركسية . لكن الشيوعي التالي يقول : « لم ينته كل  
شيء بعد : انظروا يضع سنوات وستطيع يوغوسلافيا من ثلثاء نفسها بالطاغية ،  
ولن يعمد عندها الانحراف التيشوي ان يكون أكثر من احدى تلك الصدق  
التي لا اهمية لها والتي تؤخر فقط سح التاريخ من غير ان تتوصل الى تغييره . » .  
جانز ، لكن الساليين ما عادوا يملكون غير ايمانهم لتأييد هذه التوقعات .  
وطالما انهم انظروا في تقييهم الحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، بين 1945  
و 1948 ، فمن يثبت لهم انهم لا يحفظون اليوم في تقييهم لتطور اليوغوسلافي ؟

ولما يفضل معظم الساليين ان يعرفوا ، في احاديثهم الخاصة ، بأن تيشو  
قد لا يكون خائناً ذاتياً . وثباته ليست هي التي موضع اتهام . لكنه مرضعياً  
يجوز ان اشتداه يقدم الدول العربية ويده بأنت يضعف الاتحاد السوفياتي .  
والتي أهمهم بالعمل ان تكون هذه الحجة قسمة لو طبقت ، على سبيل المثال ، على  
برجوازي صغير غير متلف سياسياً : فشل هذا الشخص يمكن ان تكون له ،  
بالعمل ، « افكار كريمة » ، « حسانية يسارية » ، مثل أهل تقدمي ، لكنه يلعب  
مع ذلك في ظروف محددة ، وعن جهل منه ، لعبة الرجعية . لكن الطفل نفسه  
يستطيع ان يلهم ، في الحالة الطروحة هنا ، نوع الاخطار التي تتعرض لها قضية  
الاشتراكية نتيجة السياسة التيشوية . فكيف يمكن ان قبل بأن متاضلين  
متمرسين وقادة ونظرين من امثال بالشي وديوفيلس يمكن ان يجهلوا هذه  
الأخطار ؟ وإذا كان أهل الشيوعيين الفرنسيين ثقافتة بينين بوضوح ان تيشو ،  
بتخليه عن عقيدة « الحصن السوفياتي » ، مرغم على الانتباه الى الامسك الاميري ،  
فكيف لا يلهم تيشو ذلك ؟ إن هذا غير معقول ، وبخاصة اذا ما فكرنا بأنت  
القطيعة وقعت بعد شهر من النقاش وتبادل المدكرات ومحاولات التسوية ، وان  
جميع مظاهر المشكلة قد درست من كلا الجانبين . كلا : لفسد كان تيشو مدركاً

بوضوح لأخطار مشروعها ، وهو لا يستطيع ان يجملها . وإذا كانت خائفاً موضوعياً ، فلا بد انه كان كذلك ذاتياً . أو بالعكس : إذا لم يكن خائفاً ذاتياً ، فلا يمكنه ان يكون خائفاً بصفة موضوعية صرف . وهذا يعني : انه لم يأخذ بعين الاعتبار الجميع الذاتية ، إما لأنه لم يعد يضمن بتطرية الحصن السوفياتي ، وإما لأنه لا يعتقد بأن النهاية المحتمة للانشقاق اليوغوسلافي هي حجر الاشتراكية والانتهاؤ الى الكتلة الأميركية . وفي مثل هذه لا يدان تعترف بأن هناك إمكانية لتعيين اثنين متباينين لموقف واحد : الذاتية ضد الذاتية .

لكن التيقنية لن تكون لها سوى فائدة نظرية لو كان الهدف منها إحراج نظري الحزب وصحفيه ليس إلا . والحق ان ما يعطيها أهميتها الاستثنائية الفارقة هو انها مترافقة بالنسبة الى القادة اليوغوسلافيين بإعادة اكتشاف الذاتي . وبالعمل للذات كان يتو في البداية ، شأن راجك ، موضوعي النزعة . ولا أهمية إن كانت طبعه وتجربته كقاوم جملاً للطاعة صعبة عليه إلى أقصى حد : فالأمر الواقع هو انه اندمج بصفته قائداً عملياً ، بالنظام البيروقراطي الصارم والضخم الذي شاده الاتحاد السوفياتي . والأمر الواقع ، كما نرى بذلك يا عزيزي دائما ، هو انه ما من عنصر من العناصر التي يمكن للدار كسي أن يجعل منها سبب البيروقراطية السوفياتية ... غالب عن يوغوسلافيا . ويتنو شأنه شأن راجك وكوستوف ، قد انساق إلى التمرد نتيجة التأمل الموضوعي المحض في الموقف . ان خطابه ، التي كان يمكن لكوستوف أو راجك ان يلقياها مع بعض تعديلات طليقة ، تشده الهجة على الارتباطات الموضوعية وعلى الواقعية الاقتصادية : انه يلمح على الحاجة الموضوعية لتحرير الاقتصاد الوطني من سيطرة الرأسمال الأجنبي ، وإعادة بناء صناعة عمرها الحرب وتعزيز التصنيع لتوفير قاعدة مادية وقنية ليستأه الاشتراكية . ولقد وقعت القطيعة جزئياً لأن عزيمة « الحصن السوفياتي » الموضوعية ولدت لدى السوفياتيين مشروع تحويل يوغوسلافيا إلى امراء للاتحاد السوفياتي . انن قائلاً في البداية كانت مسألة تصورين للموضوعية متعاكسين . وآلية القطيعة شبيهة بالآلية التي وصفناها آنفاً بصدده راجسك أو كوستوف .

والهدف منها الضغط على الاتحاد السوفياتي ليعديل سياسته . وإذا كان صحيحاً  
أن مقاومة تيتو سابقة لعام ١٩٤٨ ، فلا بد من الاعتراف بأن الاتحاد السوفياتي  
هو الذي يادر إلى جعل النزاع علنياً والقطيعة عميقة .

وحتى نلهم هذه القطيعة وتجانسها ، فمن المهم ان ننظر إلى التثوية بالطرف  
الأخر من الشظار ، أي من وجهة نظر السياسة السوفياتية . إن يوغوسلافيا هي  
البلد الوحيد في الكتلة السوفياتية الذي استلم فيه الحزب الشيوعي السلطة على  
التفويذ ويفرده ، البلد الوحيد الذي اتجه فيه التفكير على الفور نحو اتخاذ تدابير  
تشريك ديمقراطية لكن حازمة . إذن فهذا الحزب الشيوعي اليوغوسلافي هو  
بالضرورة حزب أشداء . وهو ليس بحاجة البتة إلى التامل وال أخذ المقارنات  
البورجوازية بعين الاعتبار . انه يمض الحطى ، وينجح ، ويفضح انتهازية  
الأحزاب الشيوعية في الديمقراطيات الغربية . وحسين سيفرشي مولوتوف  
وفولستنسكي سياسة الشدة في الاتحاد السوفياتي ، فلإنفا نحو تيتو ميتوجهات  
بالطبع ، وانما في شخصه سيجدان الحليف الأفضل . والحال ان سياسة  
مولوتوف - تيتو هذه تمثل الحد الأقصى من المذهب الموضوعي : ان تحليلاً  
اقتصادياً لوضع الولايات المتحدة الاميركية يسمح باليقين الجازم بأن الانتاج  
الاميركي سيتشهد أزمة واسعة النطاق . ومن هنا كان الاستنتاج ، عن طريق  
التسلسل المنطقي لصارم ، بأن الحرب عميقة . وبدءاً من هذه المعطيات  
الموضوعية سيتم تحديد سياسة متصلة ، بل جفوية ، يمكننا ان نطلق عليها  
اسم استراتيجية . وإذا ما ألتفتنا إلى ذلك ايدولوجية جفوية النزعة ، لا بد ان  
ترافق بالضرورة اتجاهاً سريعاً نحو التشريك ، وسياسة مبنية على توقعات  
« علمية » ، تبين لنا ان الحزب الشيوعي اليوغوسلافي كان لا بد ان يصبح بطل  
المذهب الموضوعي . والحال ان القادة السوفياتيين لاحظوا قتل هذه السياسة ،  
الشيء الذي يعني في العالم الموضوعي النزعة إجراء تعديل في الجهاز . وبعد تعبئة  
مولوتوف شعر الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي كلنت أسهمه « في الارتفاع » ،  
شعر على حين غرة يتحول جفوي بآتيه من الخارج من غير ان يتكون قد عمل

شيئاً في موقفه . وهكذا أصبحت زعزعة الجذرية طفولة يسارية ، وأصبحت  
 المقارنات التي كان يعارضها مطالب الاتحاد السوفياتي الاقتصادية مجرد ان  
 هذه المطالب تهدد بمرققة للتشريك ، أصبحت علامة على انحراف قومي الفزعة .  
 واسع الحزب الشيوعي اليوغوسلافي مرطلياً ، وولدت التنبوية . ولقد كان  
 يكتفي بالطبع ، لتجنب ذلك ، الإقرار بالخطأ ، وتبني تبدل الجاه السياسة  
 السوفياتية ، والاتزام بسرعة ان قطيع الروح الشيوعية . لكن هنا تدخل  
 استعارة موضوعية اخرى : ان حركة التشريك متقدمة أكثر مما ينبغي ،  
 والأيديولوجية الكفصاحية واسعة الجذور أكثر مما ينبغي في الجماهير حتى يمكن  
 تبديل الاتجاه . وهكذا فإن عاملين موضوعيين اثنين سبباً حصر السزولين  
 اليوغوسلافيين في موقف ذاتي : إن عليهم ان يتقاروا : إما ان يصبحوا خوفاً  
 تحت اسم « روتسكيين قوميين » وإما ان يتحملوا بفردهم أخطار الموقف .  
 لكن ما كانوا يفررون السبود حتى لكشفت الذاتية لهم بكل وحشيتها بالرغم  
 منهم . فبينما ان الضرورة الشطية البسيطة التي تقضي بأن يردوا همة التحريرية  
 الى الاتحاد السوفياتي لتطلب منهم شجاعة لا يمكن إلا ان لتوافق بقلق معين :  
 يد زراعي صغير ، متخلف اقتصادياً ، يحرث على لوجبه همة الانحراف إلى أمية  
 تعدادها ١٥٠ مليون نسمة إلى دولة صناعية كبيرة مستمرة في التشريك منذ  
 ثلاثين عاماً ! لكن الذهول ولد على الأغص لعام نتائج سياسهم . لقد كانوا  
 ليبيين وساليين ، وهم ما يزالون كذلك ، ومبادئ الساليين ما تزال تعمر  
 طرفهم كما ان قاتيل متالين ما تزال تعمر حدائقهم . كانوا يريدون ان يفضوا  
 حتى آخر الشوط ويريدون ان تندلع الثورة في كل مكان ، ويشبهون قادة الحزب  
 الشيوعي الفرنسي بالانتهازية . والحال ها هم مضطرون ، لأنهم طالبوا بتضال  
 أحزم وأخذت ضد الرأسمالية ، الى الالتفات نحو العرب الرأسمالي ليطالبوا منسـه  
 المساعدة الاقتصادية التي ساسح لهم بحاربه . بل أكثر من ذلك ، وكما يقول  
 احد مراقبي المشكلة اليوغوسلافية ، وجدت كتائب الصدام الشيوعية هذه  
 نفسها وقد تحولت موضوعياً الى « قوة ثالثة » : ان وجود القوة العسكرية



الاميركية هو الذي يضمن استئصال يوغوسلافيا القومي ، لكن ... الوزن السياسي للاتحاد السوفياتي هو الذي يحول بين النظام السياسي اليوغوسلافاتي وبين ان يطيح به زحف البورجوازية العالمي<sup>١١١</sup> . وهؤلاء التصليون لا يصحون من معشتم : فلأنهم اراموا سياسة بلا تسويات ، وجلسوا انفسهم مرشحين على المراغة ، على اللعب على الحبلين ، على الموازنة بين التناقضات . ولأنهم بلا تردد الى جانب احد المعسكرين المتعاضدين ، وجدوا انفسهم بقعة في No mans land<sup>١١٢</sup> ، ووجودهم يضمنه الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية معا . ولأنهم اعلتوا تأييدهم بلا تحفظ وبلا مية استراتيجية لقيام الثورة في كل مكان ، وجدوا البورجوازية تنضم لهم والثوريين يدينونهم . وهذه التناقضات تخلق موقفاً مأساوياً ، وهزلياً لا يمكنه ان يلهم نفسه ويتجاوز ذاته إلا بالقسط الذاتي .

وبدأ من هنا يأخذ نيتو الذاتية على عاتقه على وجه التعديد لأنه سمح ولأنه لا ينهار تحت لوم الكومنفورم . ولقد رأينا انه لا يستطيع ان يدافع عن سياسته الا اذا اتهم القادة السوفياتيين بالانقسامية . فهو يبدأ اذن بالقائه حمل الذاتية كله على الخصم . وهذه الذاتية ما تزال بعد بعض المنبع للأخطاءه ، ما تزال سالبة . لكن نيتو يتو بالحاحه على الأخطاء السوفياتية يحد نفسه مرشحاً على القبول باحتمال ان يخطئه هو نفسه . وهكذا تنتقل دفعة واحدة الى ميدان جديد تكون فيه تقييمات الموقصف السياسي او الاقتصادي متهمة فحسب . تنتقل من المنصب الموضوعي الدوغماتي الى منصب قائم على حساب الاحتمالات . لكن ليس هذا كل شيء : إن أمة مؤلفة من ١٥٠ مليون نسمة ، حين تختار سياستها ، تستطيع ان تؤكد على نحو راجح بأن هذه السياسة هي وحدها الصحيحة . وقوتها نسج لها بالاعتقاد بأنها ستفرضها ، ولاسيا على جيرانها الضعفاء . لكن حكام بلد صغير غير صناعي مرغمون في كل لحظة على أن يأخذوا بعين الاعتبار القوى الخارجية

١ - كورد بوروييه ، الانشقاق اليوغوسلافاتي - ص ١٦٠ .

٢ - في الارض المزروعة السلاح التي تفصل بين حنود برلين .

التي قد تحبط جهودهم. ان مصيرهم ليس بأيديهم إلا جزئياً. وعلينهم ان يراوغوا  
 ويساطوا ويخفوا بالسفينة عبر الهالك ويستغلوا النزاعات التي تشل الدول  
 الكبرى: بل إن أمر سياسة على الاطلاق قد تكون عاجزة عن تلاقي كارثة  
 ستولد في مناطق أخرى من الكرة الأرضية وستند بسرعة الى البسيطة كلها.  
 وهكذا يظهر شكل جديد من الذاتية، ويجازف المسؤول بأخطار، وبحسب  
 حسابها وبأخذها على عاتقه. وانك لتبدع إذ تقول: « إن يوغوسلافيا تواجه  
 تهديداً مزموحاً: فكما انها قد تسلم أمام الولايات المتحدة الاميركية وتضم  
 الى الكتلة الاميرالية، كذلك فإنها قد تسنهك كفسها الثوري وتحتط الى  
 موة بوليسية». « أخطار في الداخل، وأخطار في الخارج. وهي أخطار  
 ظاهرة للعيان بصورة يمكننا معها بسهولة أن نعتقد بأن نيتو يعرفها جميعاً.  
 ومع ذلك لم يرضح، وهو مستمر في التضال. إننا نطاقة الفادة وروعهم  
 وإخلاصهم وبراغهم يمكن ان نؤخر ان حد من المياد، وتجنب الأوس،  
 وتبتكر مخرجاً لموقف يبدو ميتوساً، ومن يدري؟ ربما حطقت النصر. ان  
 مشروع نيتو حيث لا يمكن حتى تصوره لولا لغة مطلقة في قدرات الانسان.  
 يقول يوفيلتش: « لا بد من الاستمرار برابطة جاش وبالرغم من جميع المضاعف».  
 لكن حتى في مثل هذه الحال يظل الهلاك والانهيار ممكنين. وعلينا ان نقيم ان  
 التيقونية ترو بصورها باستمرار الى امكانيتين، أولهما الانتصار وإثباتها الانسحاق  
 الجذري والموت. لكن لما كان موقف اليوغوسلافية يستبعد المذهب الموضوعي  
 الطلق، لذلك ما عادوا يحدون النجاح بالحقيقة، والفشل بالخطأ. فمن الممكن  
 ان يظفر الانسان ويكون على حق. وفي مثل هذه الحال تم استعادة الفشل  
 نفسه: إن بدأ صغيراً يجتفي لأنه تامل بلا تحاذل وبلا تسويات يصبح قدوة  
 تحذى. ولقد قال نيتو ذلك بصراحة. ولقد كان يستطيع، بهذه المناسبة،  
 ان يستشهد بباركس، ما دامت كومونة ١٨٧١، الثورة، ظلت في نظر  
 الأخير انتصاراً للبروليتاريا ومثالاً. إمكانيات، احتمالات، اختيار، مجازف،  
 إعادة، لقب الفشل بالذات: اننا لنجد هنا جميع معالم المذهب الساني مأساوي

كان لمدة طويلة من الزمن مذهب الطبقة العاملة .

لكن الذاتية لا تؤخذ بعين الاعتبار . فهو أعضاء القاعة اكتشف ذاتيهم لأعدادوا في الوقت نفسه اكتشاف ذاتية الجماهير التي يقومون بها . إن المذهب الموضوعي يفترض أن الجماهير تستبصر . ويلين الزعيم يسمح له بمعاملتها كوضوع . لكن إذا كان من الممكن أن يخطئه الزعيم ، وإذا كان النجاح ممكناً فحسب ، وإذا كان يمكن لعمه أن يفشل نتيجة لحمازل وخور ، وإذا كان على العكس بحاجة إلى أن يبذل كل طاقاته حتى ينجح فيه ، فآنذاك تصبح الجماهير من جديد العامل الرئيسي في التصرف الاجتماعي . وفرض نجاح أهداف المشروع تنطبق بوقف الجماهير : فهل تميز هذه الجماهير تلك الأهداف بوضوح أم لا ، وهل تحض تأييداً لهذه الأهداف أم لا ، وهل تتطلع بكل ما لديها من طاقة أن تحققها أم هي تكتفي بأن تتلقى التوجيه سلباً . إذا كان مستقبل يوغوسلافيا محدداً من الآن ، فالسياسة إذن هي من اختصاص الفنيين . وإذا لم يكن مرسومياً سلباً ، فهو يتعلق إذن بالجماهير أولاً . ولهذا تشبه خطابات الزعماء اليوغوسلافيين أحياناً وعلى نحو غريب مقالات روزا لوكسمبرغ . كتب كارلبي : ونحن لا نعتقد أننا نستطيع أن نعمل من غير أن تقع في أخطاء ، لكننا نرى أن الأخطاء التي ترتكب عندما تأتي البداية من القاعدة بحرية لتفرض نفسها هي أقل خطراً من أخطاء أولئك الليبراليين الذين وضعوا في رؤوسهم فكرة أنهم معصومون عن الخطأ ، وأنه ينبغي ألا يحدث أي شيء كان قبل أن يسقطوا بركنهم . ولقد كتبت روزا لوكسمبرغ منتقدة لينين : « إن الأخطاء التي ترتكبها حركة عامية ثورية حقاً هي ، من وجهة النظر التاريخية ، أخصب وأثمن بساً لا يقاس من معصومية غير لجنة مركزية في العالم عن الخطأ »<sup>١١</sup> .

وانطلاقاً من هنا يمكننا أن نفهم كيف أن دكتاتورية البروليتاريا الضرورية يمكن أن تتلق مع ممارسة ديوقراطية اشتراكية . يقول تيتو : « لا مزاج مسع الثورة ، وهذا يعني أن مجتمعاً في سبيله إلى الاشتراكية عليه أن يشل العناصر

١ - لماركسية ضد الدكتاتورية - ٣٧ .

الرجعية التي ما تزال فيه وأن يجعل بشلوب هذه العناصر. لكن لم نلحظ يمكن هذه العناصر من هدف سوى معارضة التداوير الاشتراكية، فإن هذه الدكتاتورية ليست سوى لحظة سالية : أنها تقتل نفى النفي . والمظهر الأيمن واليسار للتشريك يظل حراً ، أي غير معوقل من الخارج . وإذا ما مورست الدكتاتورية ضد ، فإن النفي نفسه يصبح مجرداً ورجعياً . وكما سبق لروزا لوكسمبرغ ان لاحظت ، فإن دور الأجهزة القيادية في الحزب الاشتراكي يأخذ طابعاً محافظاً إلى حد كبير : ففي كل مرة تكسب فيها الحركة العاملة أرضاً جديدة ، تحرقها هذه الأجهزة ، كما تدل التجربة ، من حدودها القصوى لكنها تحرقها في الوقت نفسه إلى حين ضد التقدم اللاحق الأوسع نطاقاً<sup>١١</sup> . وبكلمة واحدة : إن جهاز الدولة يلعب دور العنسل العفوي ، فيحلق ويوضح . ويسلط الضوء ، لكنه يحد ويحد أيضاً . وواجب على حركة الجماعة العلية ان تتدخل باستمرار ضد هذا التحديد ، وان تغير الأطر ، وان تطالب في كل مرة لأجهزتها العلية بقدر أكبر من السلطات التي ألقتها الدولة بها . وإذا جسد الصورة فقط يمكن ان يتحقق تدريجياً لأشفي الدولة الذي كان لينت نفسه يطالب به : لا عن طريق تكيف انسانية بالغة الوداعة و ، بالغة التهذيب ، تطبيع من تلقاء نفسها بدون وجود استفاد ، شأن الفتيات النيوذجيات الصغيرات اللواتي يحافظن على هدوئهن المعقل أثناء غياب مربياتهن ، بل على العكس عن طريق حث الجماهير على رفض الطاعة ، أي عن طريق تنمية المبادعة في كل مكان . وطالما ان الدولة تعتبر نفسها دكتاتوراً ، فلن تخرج من المرحلة اللاهوتية .

سيفال لي : لكن ألا نعترف بأن المصلحة البائسة للجماهير يمكن ان تتعارض مع ضرورات التشريك وبأن العناية الحكومية مهددة بأن تصيف الفكرة السائفة إلى المصلحة بدلاً من ان تشتتها منها ؟ هذا صحيح : لكن فقط من خلال منظور ماركسي معين يعتبر الفكرة بعض العكاس للنشاط الذاتي لا تجاوزاً لهذا النشاط وللحاجات . اما اذا كان الكائن الانساني متدفعا

١ - الاشتراكية ضد الدكتاتورية - ص ٢١ .

دوماً على وضعه الذاتي ، وأما إذا كانت الحاجة لتجاوز نفسها باستمرار نحو  
 المطالبة وتجاوز المطالبة نفسها نحو متطلبات عامسة وقم تشمل على تصور  
 معين الإنسان والعنكب الإنساني ، فعندها لن تصاف الفكرة إضافة إلى الصلحة  
 بسبل تولد الفكرة من الصلحة . يقول تيتو : « علينا أن نشرح » أن نشرح  
 باستمرار ، . وهذا صحيح بشرط ألا يُلصق التصريح بالوجدانات كدلتوق ، بل  
 أن تحت هذه الوجدانات على اكتشافه بنفسها ، وبشرط ألا تكون الصلحة التي  
 تم توضيحها واصبحت راعية لمستلزماتها وسببة في أيدي القادة تفرض الاستقرار ،  
 بل أن تكون دافعاً لمتطلبات جديدة ؛ بشرط أن تستعمل عقيدة العصومية  
 البع وقراطية بقده ذاتي دائم يطبقه القادة على انقسام . أليس هو ماركس الذي  
 وجه التطريف التالي إلى كومونة ١٨٧١ : « لم تدع الكومونة لنفسها العصومية ،  
 تلك الصفة اللازمة لجميع الحكومات التي من الطراز القديم ، وكانت تشهد  
 علانية أعمالها وأقوالها ، وتترتب الجمهور على اكتشاف نقاط ضعفها » . والحال  
 أن فرقة التيتوية ، التي رأيت التور بسبب خطأ ، بسبب نزاع بين معصوميتين  
 متناقضتين ، هي على وجه التحديد كونها لا تستطيع أن تدعي العصومية .  
 والرسبة الوحيدة التي تستطيع بها أن تدافع عن نفسها ضد الاتحاد السوفييتي في  
 نظر الجماهير اليوغوسلافية ، ليست هي معارضة دوحمانية يدوحمانية أخرى -  
 ذلك أنه إذا ما وجدت الدوحمانية فكيف السبيل إلى البرهنة على أن المعتقد  
 الصحيح ليس هو معتقد الطرف الآخر ؟ - يسأل أن تطالب ضد كل دوحمانية  
 يحق القائد في الخطأ وأن تصور البناء الاشتراكي على أنه مجازفة . لكن هنا  
 مستحيل إذا لم يسلم بالحقوق نفسها لجميع أعضاء الحزب ، وإذا لم يسمح لهم  
 بتركيب المجازفات نفسها . والشيء الأهم من ذلك هو أن هذا التغيير السياسي في  
 الحزب الشيوعي اليوغوسلافي يسعير عن انقلاب في تصوره عن الإنسان : إذ لو  
 كانت البنى القوقية نتائج قانونية مطلقة بـ « الموضوعية المادية » ، ولو كانت هذه  
 الموضوعية مجرد نتيجة من الإنعكاسات المشروطة ، إذن لما كان لأي إنسان أي

١ - الحرب الأهلية في فرنسا .

حق من الحقوقي ، لقادة شأن الآخرين ، ولتكاثر التنوية هي المحطة .  
سؤال : حسناً ! هل تؤيد الوقائع النظرية ؟ هل هناك ديموقراطية  
اشتراكية في يوغوسلافيا ؟ انك لتشديد التحفظ في هذا الموضوع يا عزيزي دالميا .  
اما يورديه فهو يجزم بلا تردد : « لا وجود لديموقراطية في يوغوسلافيا » . بل  
هناك نظام شعبي يبدل جهده ليشي بأكبر سرعة ممكنة ببدأ حديثاً في شروط  
التضابط العسكري «<sup>١١</sup>» . لكن يورديه يلاحظ هو نفسه ان « الاكراه قد  
راحت قبضته على الأرجح وبصورة تدريجية منذ القطيعة مع موسكو » ، وهو  
يمضي هذا الفرنسي لتفسير أفا حجة مبالغة بقوله : « ان الحزب ... مرغم على  
ان يتم اهتماماً أكبر برغبات السكان ... » . ويضيف ان « الشفة بشمون  
فعلاً بالمكانية التأثير على حياتهم الخاصة » . لكن من المفهوم ان يكون تحسّر  
الطبقات الكادحة وبخاصة الفلاحية أيضاً وأشق في بلد متخلف منه في بلد  
كأثانيا على سبيل المثال . ولا سيما اننا ما تزال في البداية : إن اليوغوسلافيين ما  
يزالون يكتشفون وضعهم الغريب ، وقد صحوا النوم من الحكم الستاليني ، وهم  
يطرحون على انفسهم السؤال الأول بنوع من الدوار . لقد قال احدهم ليورديه ،  
على سبيل المثال : « انن ... محاكات موسكو أيضاً ؟ ... » . ان الطريق ما  
زال غاملاً امامهم باعتبار انهم يستكرون عما كفة راجلك في الوقت نفسه الذي  
يعملون فيه من القسم صدى الاتهامات التي لوجهها موسكو ضد كوستوف .  
هذا لأنه ما تزال تعوزهم الاموات النظرية التي تسمح لهم بالحكم على الموقف  
الراهن . يقول يورديه : « انهم يقفون عند عتبة تطور فكري طويل ، يتقدمون  
فيه ببطء » . نظراً إلى انهم مكيفون بالقيود الفكرية للشوعية الاورثوذكسية  
الضيقة » . وانت يا دالميا تروي لنا ان « ليشو وايدولوجي الحزب الشيوعي  
اليوغوسلافي الذين ما عادوا يرددون في ان يدينوا بعنف « الانحراف الستاليني »  
يقفون في أكبر الحرج عندما يطلب منهم ان يفسروه . وانما كانوا يتهرون من  
السؤال : فهذا لأنهم ليسوا على استعداد للإجابة : إن النظرية تعوزهم وهم

يخشون ان يساقوا الى اداة لينين والمعتقد الماركسي نفسه فيها وراء لينين .  
وبكلمة واحدة : ان ضغط الظروف الموضوعية وتناقضات المذهب الموضوعي  
نفسه قادتهم رغمًا عنهم الى اعادة تقييم الذاتية . لكن اعادة التقييم هذه تتطلب  
بدرورها تنديحاً نظرياً . لا بد من اعادة التفكير بالماركسية ، لا بسد من اعادة  
التفكير بالانسان .

واستطيع الآن أن أخلص الى نتيجة : ان انتصار نيتو الناصفي قد علمنا من  
تلقاء نفسه الأهمية التي يجب ان يأخذها في نظرنا نحن الغربيين . ولا مجال للتفكير  
بإنشاء امية جديدة أو بتحويل بلغراد الى « مكة » عمال ، جديدة . وكل ما  
هنالك ان وجوده يوغوسلافيا اشتراكية . ومستتقة عن الكرملين لا بد أن يؤثر من  
الداخل على وعي مناضلينا الشيوعيين إذ يجعلهم يعيدون اكتشاف ذاتيتهم . ولا  
ينبغي ان نعتقد بأنهم سيشركون الحزب الشيوعي السوفييتي ، ولا بأنه من الممكن  
أن يقع انشقاق في فرنسا أو في إيطاليا يصده القضية اليوغوسلافية ، بل لا ينبغي  
حتى أن نقضى فأسك . كما انني لا أقول ان الشائعين يمكن أن يظهر ذات يوم  
توافقاً أو تنهما لجواء الحركة النيشونية ، انا أقول فقط انه اذا ما قبض مجتمع  
اشتراكي أن يتوطد ويدوم ضد القادة السوفييتيين والكونغرسوم ، فلا مفر من ان  
يشير السبيل امام الشيوعيين الغربيين بصدد طبيعة نشاطهم . وكما قلت يا دالسا ،  
« اذا لم يكن هناك شيء آخر » ، فإنا لا نستطيع حتى ان نقول ان العامل  
يدخل الى الحزب الشيوعي . بل ينبغي في مثل هذه الحال أن نقول انه يراد فيه  
لأنه لا فرق بين أن يكون الانسان يوليبارياً وبين ان يكون ستالينياً . لكن  
اذا كان هناك شيء آخر ، ولو بخصيص مهم بعيد ، حركة ملتبسة يعود منشؤها  
الى انشقاق مشوش يا فيه الكفاية ، لكنها صاعدة مستمرة ، لا تقراصع أسام  
التهديدات السوفييتية ولا بغربها المذهب الأميريكي ، اذن فإن العامل يشعر من  
تلقاء نفسه بأن النباه الى الحزب ليس نتيجة لحركة آلية صرف ، او بأن هذا  
الانباه ، اذا كان قد تم آلياً ، يصبح الآن اختياراً . وليس معنى هذا انه يتكره ،  
بل هو على العكس يحدده . لكنه يلهم انه يجازف ، انه قد يكون غلطاً وان

لا بد من المراجعة ، ووقاؤه بالذات يصبح إنسانياً . ان هذا الانتهاء يكلف عن ان يكون قائماً على استجابة مفادرة الحزب الشيوعي ليقوم بالتسالي على ارادة البقاء فيه ... وبدءاً من هنا يمكن ان تقوم علاقات اخرى بين الجماهير والمسؤولين ، بين المناضلين والزعماء . ويمكن الوعي الطبقي ان يعود من جديد وعباً . وهذه هي الفائدة التي يمثلها كتاب ككتاباتك . انني اعرف انسه ان يوزع على الجمهور الكبير ، وان صحف الحزب ستفترني عليه او ستلزم حوله الصمت . لكنه هنا انه موجود ، انه شهادة ، ويستطيع اني كان ان يرجع اليه ، ان يقيمه ، ان يناقشه . ويمكن ان يعمل بعض اوساط المناضلين المثقفين تطرح السؤال ، حتى يكون قد أدى دوره . ذلك ان هناك سؤالاً . وهو سؤالنا بقدر ما انه سؤال اليوغوسلافيين : ما عام الهادي يتكشف من جديد في القعدة بالذات التي يوشك فيها المعاصم الانساني على العرق في الموضوعية المطلقة ، فكيف يليق ان نفهم التاريخ والعمل السياسي لتنتج كلاً من الحركة الثورية والذاتية في آن واحد معاً ؟  
انه ما من انسان يستطيع ان يتوقع ما ستؤول اليه التنبؤية . وما من انسان يستطيع اليوم ان يفهم دلائلها الحقيقية . وهذا لا بد من المراجعة عليها . وحين يوضع الرهان ، وتبدأ كرة الروليت بالدوران ، لا يعود بإمكان أحد ان يغير لعبه ، ويختفي الانسان . لكن القعدة الانسانية لتسرع من الشاربع انما تقاس بقدره الانسان على ان يراهن حتى آخر لحظة على نجاحه او فشله .

( مقدمة « الشيوعية اليوغوسلافية » لويو دالما - ١٩٥٠ ) .



## هل نحن في ديموقراطية ؟

كان من العيب ان نموت من أجل دالزيغ<sup>(١)</sup> ، وسيكون من المنطقي ان نموت من أجل الديموقراطية : هذا عن الأقل ما يكررونه على مسامعنا يوماً . إنني لا أتقش المبدأ : فالمرء إذا ما وهب حياته من أجل شيء ما ، فينتهي به الأمر الى ان يبها من أجل لا شيء . لكن بردي ، قبل أن أموت من أجل الديموقراطية ، ان أتأكد من انني أعيش فيها . يبدو ان الديموقراطية هي نظام بلادي : يؤدي ذلك ، لكني حين أبحث عن أدلة ، أتبين انها تستند الى شهادة الغير . لقد قرأت فوق طوابيع بريدسة وعلى واجهات دور المحافظة ان الدولة الفرنسية تسمى جمهورية . واستطيع ان أقرأ الدستور والقوانين التنظيمية والتشريعات . لكن المؤرخين يعرفون منذ زمن طويل ان دراسة القوانين المكتوبة لا تعطي فكرة دقيقة عن عمل المؤسسات الواقعي . لقد لفتت في حديثي نظرة متفائلة الى التاريخ تقوم على أسطورة التقدم . وإذا مسا صدقتنا هذا التصور الرسمي للقاية ، فإن آلام أسلافنا وانعاهم ، من كروماتيون<sup>(٢)</sup> الى قلمي<sup>(٣)</sup> ، قد قادت المجلس البشري نحو العظيمة المدسة التي تسلمت فيها البورجوازية أخيراً السلطة . انني لم أتحرق نهائياً من هذا التفاضل ، ولما كانوا قد أقنعوني بأن كل مرحلة

١ - مدينة وارية كان احتلال الثوارون لها عام ١٩٢٩ ، السبب المباشر للانفجار الحربي

العالية الثانية . (٢٠٥)

٢ - بلدة ما قبل تاريخية تقع في فرنسا . (٢٠٥)

٣ - قرية فرنسية انتشر فيها الفرنسيون على البروسين عام ١٨٧٢ . (٢٠٥)

تاريخية تحقق تقدماً على المرحلة السابقة وتطوي على بذور التقدم اللاحق ، فإنني ما أزال أميل إلى الاعتقاد بأن الجمهورية الرابعة أكثر ديمقراطية من الثالثة ، وإن هذه الأخيرة أكثر ديمقراطية من الثانية . ومن سوء حظنا أن هذا المشاجع ما عاد يفتح أي باب : فقد كان التقدم ، أثناء صعود البورجوازية ، هو التسير الشمولي . لكن جميع الأفعال قد جرى تبديلها اليوم بعد أن أخذت البورجوازية بالأفول ، وفقدت بلبلة العقول حداً باثت معه البورجوازية نسمي وجمعية الحكومات القاشية التي خرجت بالأساس من حظيتها ، وتطلق صفة التقدمية على الأحزاب الشعبية التي تسبيل أسطورة التطور المتفائلة باليمين التاجيدي والماساري بالثورات . لكنني إذا ما عدت أؤمن بالتقدم ، فمن يثبت لي عندها أن الديمقراطية ليست في العظام ؟ وهل أعرف كيف يجري تطبيقها في الجزائر ، في ظل " " ، بل حتى في كروزو " " واختصار التي اعرف نظام فرنسا الذي أعيش فيه عن طريق القال والليل شأن معرفتي بنشأريس افغانستان التي لم تطأها قدمي قط .

بيد أن الكثير من الناس يزعمون أن لهم معرفة حديثة مستمرة وعملية ببلساتنا . إن الديمقراطية بالنسبة إليهم بديية . وهم يعونها بوعياً من خلال عارسة وظائفهم بالفات ، حين يرفضون الاحترام لحقوقهم بل حتى عندما يبدون واجباتهم . فأنتم تستطيعون ان تذهبوا ونجسوا ، ان تكفروا وتقولوا ما تكفرون به وإنتم للتخبون ، تظلمون على الأحداث عن طريق صحافة مستقلة ، ولكم حصانكم ضد تصف الدولة والأفراد : وما الديمقراطية إلا هذا .

لكن الأمور ليست واضحة إلى هذا الحد بالنسبة إلي . انني مدرك ، بالفعل ، أننا نمتعون ببعض الحقوق ومطالبون ببعض الواجبات ، شأننا شأن أي عضو في أي مجتمع قومي . لكن من اللحظة التي أوجب فيها أن التأكد بأن لي حقاً حقاً معارفاً يساً ، يفزع كل شيء ويلتوش . فمن المؤكد ان لي حق

١ - احسن مدن أفريقيا الغربية الفرنسية . « م . م »

٢ - بقعة فرنسية صغيرة مشهورة بصالحاتها النجمية . « م . م »

الانتخاب . لكن هل أنا والحق من ان صوتي لن يضيع ؟ لنفترض ان الامة التي  
أنتسب اليها مرعشة على الخلق سياستها الخارجية بسياسة بلد اقرب و يحميها :  
فأي أهمية في مثل هذه الحال إن كان صوتي يساهم في تشكيل هذا الحزب لو ذلك  
من تسلّم : السلطة ؟ أي أهمية لذلك ما دامت السلطة تتسها لم تعد موجودة ؟  
وما دامت جميع الحكومات ستنتهج نفس السياسة ؟ فعلى أعرف أن لي فعلاً  
حق الانتخاب ؟ فمن الضروري ان أحده أولاً اذا كانت فرنسا قد احتفظت  
بسيادتها أم أضاعها . وهذا مثال آخر : التي الفتوح صحيفة من الصحف : كل  
صباح ، لأبحث فيها عن معلومات حقيقية عما جرى البارحة . وأنا أتت بالصحافة  
لأنني أعرف أنها د حرة . وهذا يعني انها غير خاضعة للرقابة وان حكومة  
بلاهي لا تفك الوسيلة للضغط عليها مباشرة . لكن لنفترض ان وضع فرنسا  
والعالم لا يسمح لهذه الصحافة بأن تستوفي الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي  
لكفّل لها حريتها العييلة . لنفترض ان الصحف اليومية الكبيرة مكروهة من قبل  
الطرف التاريخي - وحتى من غير ان يبيع نفسها - على التخلي عن استقلالها من  
تفداء نفسها . لنفترض ان مفاهيم الحرية والموضوعية بالذات فقدت معناها في  
مجتمع يزقه الصراع الطبقي وفي عسالم منقسم الى كتلتين متناحرتين . إن تفني  
الجملة هذه ستبخر دفعة واحدة اذا أدركت ذلك : وأتذكّر سأجد نفسي على  
حين ثورة عاطفاً يسور من الكذاب . وفي مثل هذه الحال سيكون التشلل الاعلى  
لصحافة هو الموضوعية ، وسيكون واقعها التفضيل الدائم . وإذا كنا نشتر  
في شراء الصحيفة كل صباح ، فهذا لأننا نرفض من حيث المبدأ ان نطرح السؤال .  
وباختصار ، انه ليخيل لي اننا نشتر في كل لحظة بحريتنا وبحقوقنا لأنهم أقنونا  
في البداية بأننا نعيش في نظام ديموقراطي . لكنني اذا لم اكن أفعل شيئاً  
سوى اني أساهم في طمس الاقتراح والفرقة السرية التافه ، بدلاً من أن أمارس  
فعلاً حتى الانتخاب ، وباختصار اذا كانت أفعالنا كقواطن تسبح سرأ الى حركات  
ظاهريية ، فهذا لأنهم كيفوني منهجياً بصورة يستحيل معها علي ان أدرك حقيقة  
الواقع . وإذا ما شعرت مع ذلك ، نتيجة لاسيادتهم ، بأن كل شيء لا يسير

على ما يراد ، فإني سأتهم الانسان بدلاً من أن أتهم النظام .

صحيح ان لي بعض سلطات واقعية . لكن كيف السبيل الى الجزم بأنها تأتي من الدستور لا من كوني متبياً الى الطبقة صاحبة الامتيازات ؟ اني حر على سبيل المثال في السفر الى الخارج ، والعمل لسوفييتيون لا يكون مثل هذه الحرية . حسناً . لكن العمال الفرنسيين هم أيضاً لا يملكونها . انهم يملكون الحق مجرد في اختيار الحدود ؛ لكن هل ثمة ما من تصورهم سواها؟ وانما ما أرادوا أن ياجروا ، فإن منظمات قومية وهولية سلت في أمرهم . والحلقة ان جميع الناس حقوقاً متساوية . لكن ليس جميع الناس حق التمتع بهذه الحقوق . النظام الذي اعتمد فيه أكثر ديمقراطية بكثير بالنسبة الى منه التعامل مياوم . ليس هذا منظوراً جيداً من التمتع للديمقراطيين الأحرار ان سألين ومقالين؟ وبالعمل اننا نسبل الى الحكم على القوانين حسب قناعاتنا المسبقة . لقد رأيت طويلاً مثارة وجدت في القانون التعلق بحق المرشحين في تكوين لائحة وسعداء لقرور بجميع مساهمة الماترة الانتخابية ، قهوة الديمقراطية . وكانت هذه القول قول : اننا كان الحزب الشيوعي ( او الحركة الجمهورية الشعبية ) مناهة ، فيضاد ان مع غيره . انهم يتظاهرون بالاعتقاد بأن حرية شيوعيين تعود الى نوع من الحرية . وانما أثبتنا عدم العكس ، هموا اكتافيم : ان الديموقراطيين والشيوعيين متعصبون ومشاهرون ، وإن قانوناً يحافظ على الديموقراطية لا يمكن أن يكون غير ديمقراطي . بسبب انهم يدعون باستخفاف ان تعنى الأوزان والمقاييس . فقد نقرر ، بحرية فقم ، أن صوتاً معطى لفلان الحزبين هو أقل قيمة من غيره . ونقرر أن حق بعض الآراء في تثليل نفسها هو أقل من حق غيرها . ومع ذلك يقولون انهم ديمقراطيون ويمثلون سرورهم ورفاههم .

هذه الأسباب والأسباب كثيرة غيرها ، خيل لي ان الواجب يلضي بأن نحاول ان نتحرر من الأساطير والأفانيل . اننا نشرع ، بدءاً من اليوم ، بتطبيق على التطبيق الواقعي الديمقراطية الفرنسية . هل يسمح الظروف التاريخي ، تحت مظلة الاجتهاد والاقتصادي والسياسي ، بحرية الشعب اللبناني . الديمقراطية ؟

ما مقدار الطلاق بين الحقوق والواجبات في المجالات الأساسية ( الصحافة ، الإدارة الاستمرارية ، العدالة ، البوليس ، المجالس النيابية ، الخ ) ؟ أما تزال فرنسا كما كانت سيادة ؟ هل الانتخاب العام هو النموذج الواقعي للاقتراع ؟ هل تتسع فعلاً الإدارة في المستعمرات بالانتخابات التي عقدها الحكومة ؟ هل تمنع فعلاً الحصانات التي يطلق عليها اسم "habeas corpus" ؟ الخ . وبالطبع إن الوقت ميكر على أن نحدد بدقة البيئة الحقيقية للبيئتين الفرنسي المعاصر ( التي ليس هو بالتأكيد لا بعض ديموقراطية ولا بعض قروايتارية " مقنعة ) . لكن يبدو لنا يمكننا ، من الآن ، أن نضع النقاط على الحروف . اننا سنخصص سلسة من الكلمات لتوضيح ذلك المربح المتعد من الواجبات والقيم ، من الأساطير والحقائق ، من التراجعات والتقدميات ، من الأساليب والوقائع . ومساعدة قرائنا لن نكون قانصاً عن الحاجة : اننا نوجه اليهم ، لأن هذا الشروع لن يكون له من معنى إلا اذا كان جامعياً . فليحيطوا علماً اذن ، اننا كانت الشروع يحظى بأهميته ، بجميع الوقائع التي يمكن أن تكون مفيدة لنا ( ليس لنا من موقف مسبق لا في هذا الاتجاه ولا في ذلك ) . وسوف نأخذ بعين الاعتبار جميع الانتقادات وجميع الاقتراحات التي سيبحثون بها البناء ، وانما كان عددها لن يسمح لنا بشرحها بتمامها ، فنخصص لها ، على كل الأحوال ، تعليقات خاصة .

كلمة أخيرة تجذب ابي سوء الفهم : إن الطلاق الألف الذكر الذي يمكن أن نناقش في ملاحظته سيحتل ولا شك أكثر من تسع واحد . فمن يستطيع ان يزعم ، على سبيل المثال ، انه توجد تحت سماه اطلاقية جمهورية مثالية لا يحول بينها وبين أن تجسد على الأرض سوى فواتيس الطبيعة البشرية . ويمكننا ان نزعم أيضاً ان التسع الطبيعي للمؤسسات الديموقراطية قد شهدت أحداث

١ - اسم قانون مشهور في إنكلترا يضمن حرية المواطن الفرنسية بالحدود في حروب إحصار الحقوق أو الحركة البنية في صفة اطلاق .  
 ٢ - نظام سياسي للمعنى فيه حقوق الأفراد بشرارة التي لا تهل بوجود حزب فصيل حزبي الحكومة .

خارجية وانته من الممكن إصلاح الآلة . ويمكننا ان نزعهم لقباً ان العصر  
الذي للديموقراطية قد أمس ورامعا ، وان تفسخ النظام سيكون فقط لبدء  
تلك الحكيم القيصري الذي يتلو عادة ، حسبما يقول التاريخ القارن ، عهد  
الجمهوريات .

إن وجهة نظرا لا يثلمها أي من وجهات النظر هذه ، وبالأصل نحن لا نبالي  
هنا بأن نتفلسف حول التاريخ . ان الديموقراطية في نظرا نظام بورجوازي ،  
والتناقضات التي قد نكتشفها فيها متلاحة داخليا بالجمبع البورجوازي . ولا  
وجود للديموقراطية مثالية ، إذا هناك نظام ليبرالي وقد تناقضات من نقطة  
البدء بالثبات لأنه يتعرض المشكلة محولة : انه ينفي بالفعل - عن التورق -  
واقع الطبقات وصراع الطبقات ، وزعم انه لا ينظر إلا ال المواطنين المعزول  
والجرد في علاقته بالمرأة أو بسائر المواطنين المعزولين . وإذا كان قد وجد عصر  
قعي المذهب الليبرالي السياسي وإذا كان بعض السذج يعتقدون انهم يستطيعون  
الرجوع الى ذلك العصر ليديتوا ، تعفن ، مؤسساتنا ، فهذا لأن النظام القدي  
كان يبيد حق الانتخاب بأداء ضريبة معينة أو لأن سحق البروليتاريا التي  
كانت بيئة التنظيم من قبل جيوش البورجوازية ، فقد حذوا المرأة من الزمن  
التطاعرات المتطورة لصراع الطبقات ، والبروليتاريا ، الصانعة أو المتسورة ، لم  
تكن تسمو آنذاك كعامل تاريخي ، بحيث ان الحكومة والبرلمان وأجهزة  
السلطة القضائية كانت تسمو بالفعل وكأنا انبثاقات لجمبع لاطبقي : كانت  
الطبقة البورجوازية هي وحدها التي تتجها وتراقبها وتستخدمها لسلطتها .  
وهل هذا ، لم يكن يوسع تلك الأجهزة ان تعكس تناقضات جمبع لا تعبر عنه  
ببانه . ونحن نرى ان الطلاق المتعاطف باستمرار في بعض المجالات ، بين  
الوقائع والبياني ، يظهر على العكس مقاومة الواقعي ، أي التلاق أوروبا  
بورجوازيتها وظهور طبقة عامة منظمة وواعية لنفسها في إطار الأمة ، في آن  
واحد معاً ، ان عدم استقرار الحكومة والبحث الدائم والباطل عمن غالبية  
برلمانية ليس سببه ، كما تؤكد أوساط الليبرالي ، قلة أخلاقي نوابنا : كل منا هناك

ان الصراع الطبقي ، انعكاسه على الصعيد العمالي ، قد عطب آلام تخلف إلا  
لنعكس السجام ، البيئات ، الاجتماعية وللمسح لها بالتوفيق بين مصالحها .  
وسوف نلاحظ في الوقت نفسه ان الشجرات الديمقراطية، في قطاعات أخرى،  
تسجل ، تقدماً ، بالنسبة الى فترة ما قبل الحرب . لكننا سنرى أيضاً ان هذا  
التقدم بالذات يساهم ، يا بولده من نتائج ، في تدمير النظام الذي حققه . فكان  
التحقيق الكامل للديموقراطية البورجوازية سيتطابق ولا يد مع دمارها الشامل .  
وليس في هذا ما يدعو الى العجب : فبقدر ما كان الفكر الليبرالي ينفي وجوده  
الطبقات ، بنيتة شبه الصريحة لإخفاء الشبكة الحقيقية ، كان لا يسد ان يرك  
فكرة واضحة عن مجتمع بلا طبقات سيكون حقيقة الديمقراطية البورجوازية  
وسيساهم في هلاكها .

« الأزمات الحديثة » - العدد ٧٨ .

## • نهاية الأمل •

قالت ليل • في أيام الاحتلال • كنا مجتمعين أنا وبعض الاصحاب في غرفة فندق . وتعالى فجأة صوت مجهول في الشارع يطلب النجدة . ودفعتنا نبرة هذا الصوت إلى النزول إلى الشارع ركضاً حتى من غير ان نتشاور . وجدنا الشارع مقفراً ، ووجدنا حول المنازل ولم نصادف احداً . عدنا الى عملا لكن ذلك الصوت لم يكف طوال الليل عن الصراخ في آذاننا . صوت بلا وجه • بلا اسم • يصرخ منادياً الجميع : في أيام الرعب تلك كنا ننظر جميعاً مساعدة بعيدة • لمجسدة فأخبرت عن موعدها • وكان كل واحد منا يتساءل إن لم يكن الصوت الذي حمله هو صوتها الخاص . وهذا الصوت هو الذي خيل لي أنني أتعرفه حين قرأت لقصة الأولى • نهاية الأمل • . انه هو الذي رتجه • من مدريد • ذلك النداء في نهاية كانون الثاني ١٩٤٦ : كان يقول آنذاك : • إن الأوان قد فات تقريباً • . وقد وصلنا النداء عام ١٩٥٠ . وحين تسرناه في • الأزمنة الحديثة • • تلقينا رسائل كانت نسألنا : • من هو هر مسافوس ؟ أين هو ؟ • وأجبت : • لا أعرف • . وكانت تعرضي غالباً ومساعدة • فأجبت : • لقد فات الأوان • .

عندما استشرعون بقراءة هذا الكتاب • سيخيل اليكم انه يحدثكم عن المسك . الأشخاص • الاعتقالات السرية • النضال السري • توزيع المنشورات • الحروف ، الاصناف المنقلى الى الادامة البريطانية : لقد عرفنا هذا كله . ولقد أحسن المؤلف اختيار اسمه المستعار : فيلاد ، الايبانيون أشقاؤنا . ولقد كانوا ينتظرون بفرغ صبر خلاصنا لأن خلاصنا كانت أيضاً خلاصهم . ثم جاء الخلاص : ولم يكن



خلاصهم . وكل ما عشناه في الفرح ، عاشوه هم في الفلق والحياة والنعول . وإذا ما قلبنا صفحة ، انقلبت ذكرياتنا إلى تأنيب ضمير : لقد سفنا أشقامنا . ويتغير الصوت ، ويصبح صوت شخص آخر ، صوت السان قتلناه . صوت ما يزال على قيد الحياة ، برن للمرة الأولى في آذاننا ، أصا صاحبه فكل شيء يدل على انه مات . مات في اليأس : ترى أما يزال في مقدورك ان تفهموا ما تعنيه هذه الكلمات ؟ ليس المسوت بشيء ، فيقال : لكن الموت في العار ، في الحقد ، في الرعب ، في الندم على ساعة الولادة ؟ انه الشر الجلدري ، ولا تحسبوا ان النصر ، مما كان ، يستطيع ان يعوه . وحتى لو حررة اسبانيا ، وبجنتنا عن هرمانوس ورفاقه من برشلونة إلى مالانغا ، فعبثاً : لقد اختلوا . واسبانيا فارغة منهم كما كان مقلراً ذلك الشارع الليلي . وما عاد هناك شيء يصلح ، فكلمات الكتاب الأخيرة تقول : « هذا ما فعلوه بنسباً جميعاً ، جميع اولئك الأندال مجتمعين ، الذين اطاعتوا والقمصان الزرق » . انها الكلمات الأخيرة لرجل يحتضر . وان يكون في وضعنا ان تبدل فيها حرفاً واحداً . لقد فلت الاوان .

لكن من الواجب مع ذلك ان نسموها ، صرخة نحيبكم تلك ، الصرخة التي تسبق بثانية واحدة الذبحة الأخيرة : صرخة نهاية الأمل . ان هذا الصوت لم يصمت منذ عشرين سنة : كانت صوت شعبا الألمان ، ثم النمساويين ، ثم الاسبانيين ، ثم التشيكين ، ثم البولونيين : ولقد ماتوا على التوالي ، وكانوا كلما سقطوا جاء آخرون ، ورفعوا الصوت ، وراحوا يصرخون بدورهم . اما نحن فكنا نسد آذاننا ، والكتاب الآن امامنا ، وآخر الصارخين قد مات : تبقى كلمات مطبوعة . وينبغي ان نقرؤها حتى نلفوا كيف يكون الصراخ بنهاية الأمل ، لأن موردة سياتي قريباً . ويعدنا لن يوجد أحد ليصرخ . كما لن يوجد أحد ليصد أذنيه .

( مقدمة « نهاية الأمل » لجوان هرمانوس )

باريس - منشورات جوليارد ١٩٥٠ .

## الشيوعية والسلام

حين كانت قوات الأمن تهاجم عمال المناجم ، راحت الصحافة البيعية تنشر بيانات النصر : الأمر الذي جعلني اعتقد ان الفيلاروا<sup>11</sup> لا تحب العمال . لكني كنت غطياً . وعلى ان أقدم اعتذاراتي للجميع ولا ميا الى السيد روبينه . ذلك لأن السيد روبينه يعيدم ، أولئك العمال . وهو لا يريد ان يعترف بذلك ، من قبيل الحياء على ما افترض . لكن بعد مشاجرة مصانع رينو ، غير أخيراً عن مواقفه الجدية . واقصد أمعشي في البدء ، أقر بذلك ، ان أقرأ العنوان التالي بالأحرف الكبيرة : « انتصار عمالي » . ذلك التي رحبت . أتساءل : على من أمكن لطيفة العامة ان تحقق هذا النصر ، إن لم يكن على أرباب العمل وعلى الحرس القنصل ، أي على قراء الفيلاروا ؟ لكن يبدو اني لم أهتم من الأمر شيئاً : كلا ، ان البروليتاريا لم تظهر الشرطة . ولا البورجوازية . إنما انتصرت على الحزب الشيوعي - المنظمة السياسية الوحيدة التي نشلتها في الجمعية الوطنية - وعلى الاتحاد العام للشغل<sup>12</sup> ، أكبر وأقدم اتحاداتها النقابية . وبانتصار ، لقد سلمت البروليتاريا ، وألقت سلاحها ، ونسبة جهد أخير منتظر منها : فلتحل نقاباتها ، ولتصوت للمستقلين في الانتخابات الفرعية ، وعندها تمرز أجل نصر : النصر الذي يحرزه الانسان على ذاته . أجل ، هكذا يكونون محبوسين ، العمال :

١ - أكبر الصحف البيعية الفرنسية . - ٢٠٠٥ .

٢ - في فرنسا عدة اتحادات عمالية ، والاتحاد العام للشغل هو الاتحاد اليساري للتركيبي بينها . - ٢٠٠٥ .

بمسلاح ، عزل الأيدي ، ملتوحي الأذرع . وما كنت أجمل الشعب في  
« فورمي » في ١ أيار ١٨٩٦ : لا كتابي صدام ، ولا تنبؤات شبه عسكرية ،  
إنما أناس في الشارع ، أناس كثيرون : دوقسا نظام ، أطفال ، شبان ، صبية  
لسك بعضهم عنم . ولقد أمكن لجنود القائد شايوي ان يسدوا بلا فجة وان  
يطلقوا فيصيبوا .

والعل هذه الأيام الرقعة مشهود : وإلي لأنهم ان ينسء البعض أنفسهم على  
ذلك : لأن هجرة فورمي لتنمي بالتأكيد ال ذلك الصنف من التثبيبات الذي  
يسميه السيد مورديك ، فاضحاً لكن بالمضى الجيد . لكن ما يتجاوز طاقات  
فهني هو السرور العمي الذي يدلل عليه بعض رجال « اليسار » وبعض صحف  
يا لم من مساكين : ففسد نصح الحزب الشيوعي مرة أخرى في خريفه : كانوا  
يجربونه « فتركوه على ندم » فططمهم بالبراز « فياتوا يفضونه . مسألة مواطن  
التي ألتقي بهم أحياناً ، هؤلاء المستعدين . ان ابلسامتهم ما تزال عذبة لكن  
نظرهم شاردة بعض الشيء : لقد ضرب تناقض زماننا حياضه فيهم . كيف  
يكنتم ان توتموا في أن واحد بالرسالة التاريخية لبروليتاريا وبخيانة الحزب  
الشيوعي ؟ إذا كنتم تلاحظون انها تصوت له ؟ لكنهم يتدبرون أمرهم مع ذلك ،  
وإن بشقة . وكل منهم يحتاج ، في فترة زمنية تطول او تقصر ، المراحل الخمسة  
الأربع . المرحلة الأولى : « الحزب الشيوعي خطيء » ، لكن لا يمكنني  
على كل الأحوال ان أعادي البروليتاريا . . والمرحلة الثانية : « الطبقة العاملة  
هي موضع حي القاتم » لكن لا بد من الاعتراف على كل الأحوال بأنها ليست  
بصحة والقدر المطلوب . أنظروا الى الشيعة الألمان : لقد أخذوا بتدجيل هتلر .  
والمرحلة الثالثة : « لم تعد الطبقة العاملة تتسال اعظامي منذ ان أخذت موقف  
التسامح غير الساحط من مسمكات الاعتدال السوفياتية » . والمرحلة الرابعة  
والأخيرة : رؤيا برحسبا : « ستعد لك تحالفاً مع الولايات المتحدة . قف .  
ستسلف لك روسيا والتنازل الدرية . قف . سلتحق لسك جميع الشيوعيين .  
قف . وسلبني لك فوق الانقراض الاشتراكية الأمية ، الديموقراطية ، الإصلاحية

الحنة ، لا مجال للشك : ان أجل ظفر مشحوزة الطبقة العامة ، إذا مشحوزة لها القوات الاميركية على قوات الاتحاد السوفياتي . لكن حتى يمرر المرء على ان يقول ذلك علناً وبصوت جمهوري ، فلا بد ان يكون خائفاً منه بالية ، أو ان يكون الغم قد أطاش بصوابه ، والشيء واحد في آخر الامر . لذلك فسوف يأخذون ، بصورة عامة ، موقفاً وسطاً ، وسوف يوجهون الانتقادات اللاذعة في الصراعات الرجعية حتى يروا العدو حسن قرب أكثر . وهم سيوازنون بين القادير بدقة بالغة : سيكونون مع الحزب الشيوعي والجمهوريين الاسبانيين ، وضد الصينيين واليونانيين . مع لينين ، ذلك القيادي الكبير ، وضد ستالين المستبد . وهذا شيء لا يمكن ان تقوم له قائمة ، وهم يعرفون ذلك ويريدون بصوت خافت : « لو ان الطبقة العامة للمعونة تلك للقر ، ولو مرة واحدة لتخلي عن الحزب الشيوعي » . غدوا ، على سبيل المثال ، السيد آلبان ، التي اعرفه معرفة جيدة : انه ليس بخائن ، ولا حتى برجل سيء . لكن الشيوعيين غامضه وفق طريقة شارل بوايه في فيلم ، ضوء الغاز<sup>1</sup> : الطريقة التي تقوم على إقناع الحادع للتجربة بأنه مجنون وتسرير عن طريق حيل مكررة . وفي مدى ثلاثة اعوام من هذه المعالجة ، يكون السيد آلبان قد اقتنع الى أكثر من النصف . واليك ما كتبه ، في ٢٩ أيار ، في « فران - ثيرور » : « إن الاعتياج ضد كل ما هو اميركي ، قد أخذ من الآن فصاعداً شكل ضراسة مهووسة وإجرامية . ان المرء هل الحق في انتقاد السياسة الاميركية ، إذا ما رأى ذلك راجعاً . لكن هل لنا الحق في ان نظهر ، بمختلف الوسائل ، بسدءاً من الافتراء وحتى التخريب ، أننا ما عدنا نقبل حتى بأن يكون الى جانبنا رجال وحلفاء لواجبة عدوان محتمل ... هل لنا الحق في ان ندفع الى الشارع برجال ونساء واطفال حول شعارات نذكر بالمتصوية لا أكثر ولا أقل ؟ إن المسألة لم تعد حتى مسألة شيوعية ، إنما محض نزعة قومية روسية . . . فكلم ما لا يحتم روسيا ستالين ... »

١ - فيلم مشهور يحمل فيه شارل بوايه عن طريق حيل منسطة ان يمان زوجته القويده برمان .

وكل ما هو مع الحرية كما هي وما زال موجودة فيها وراء الستار الجديدي ، كل هذا يجب ان يعدم من الوجود قبل ان يباد ويستأصل . . . . .

هل لاحظتم : ، إذا ما رأى ذلك واجباً ، ؟ ألا كم في هذه الكلمات المحس من براعة وتضمين ، وما اعظم استعداد الانسان كي يموت عن طيبة قلب من أجل اللغة والثقافة اللتين تسمحان بتل هذه التعبير الرفعة الدقيقة ! إذا ما رأى ذلك واجباً : إن كل ما في هذه الكلمات يدل على انها تريد فقط ان تقول : ، إذا كان هذا رأيكم . لكن ينبغي ألا ننسى الاستياء الطفيف المرتبط بتعبير : ، ما دمتم قد استحضتم ان اللاهوتي من غير ان تأخذوا رأيي . . . . . أهميتهم إذن : استمدوا حلفاءكم الامير كان اذا بدأ لكم ذلك واجباً . اما السيد آلان فهو لا يرى ذلك واجباً ، وإذا كان يترك لكم الحرية ، إلا انه يحذركم خطبة من النيك سترنكيون حماقات . والأسفاه ! انتم الخشي ان تضيع هذه الحذارات سدى : فالأمير كان الذين يقرأون المقال لم يوشهم بعد التعليل الأساسي لتصرفه كما يجب على كل حال ، انهم حلفائونا : وهذا شيء يقطع فيه السيد آلان جازعاً . وهو على حسن بالأصل ، على مطلق الحق : فالحكومة الفرنسية - أي حكومة في الحقيقة ؟ - قد وقعت على معاهدة الحلف الأطلسي . وخلاصة الكلام ان العامل يتمتع بحريات ديمقراطية : انه يستطيع ان يفكر ، ان يتكلم ، ان يصوت ؟ إذن ؟ ما حاجته الى النزول الى الشوارع ليشتاجر ، كالزجاج ؟ آه ! انه الساتليني الذي يجرسه ! ذلك الساتليني ، الدافع على الشر ، المحرض الأزلي ، الروسي اليوم ، الألماني بالأمس ، النازي الذهب الانكليزي عام ١٩٤٩ ، والذهب الروسي عام ١٩٤٠ ، المزجج ثار الاستياء الجماهيري ، والمستغل لهذا الاستياء ليذيق الجماهير الى السياسة . وهذه الجماهير ، التي ألحبت عصبيتها خطاباته الماكرة ، تخرج على الشرعية وتقع أول ضحية لعنفها . انه هو الذي حث الزجاج ، نحن نعرف ذلك اليوم ، على مهاجمة الباستيل ، هو الذي استغل غضبة بعض العبيد السود الذين ربما عوقبوا بصرامة أكبر مما ينبغي ، ليجعلنا نقرس سان دو مانغ<sup>(١)</sup> ،

١ - اسم آخر لجزيرة هايتي . - ٥٢٨٩ -

وهو الذي مسوول مؤامرة « الرقباء الأربعة »<sup>11</sup> ، وإيام حزيران ١٩٤٨ ، والأضرار التي لا يحصى لها عدد في أواخر القرن ، وأخيراً عضلات عماد ١٩١٧ . كيف السبل إلى إيجاباط حيث ؟ كيف السبل إلى مثل يده ؟ إن السيد آلان يقول لنا ذلك : « لو كان في وسع ديوقراطية اجتماعية جريئة ان تعرف كيف تتفرغ من الستالينيين احتكاك الدفاع عن الشقبة ، لما وصلت بنا الأمور إلى ما وصلت بنا إليه اليوم » . وهذا ما لا يحدد شيائنا : فنسند مشة وتئين وستين عامساً لم يتبدل لا الماء ولا الدواء . وجرأة السيد آلان الديوقراطية تذكرنا من بعض الوجوه والتقدمية الحضرة التي تأتي بها الكونكت دي مورني الذي كتب منذ كانون الثاني ١٩٩٤ في « مجلة العالمين » : « إن الشيوعية تفسم بصمت أساس المجتمعات والحكومات . فهبل في وسع تنازلات معتقدة ، وإصلاحات ذكية ، ودراسة دقيقة المسائل اإالية والاجتماعية ، ونخوة الطبقات الغنية الوردية على الطبقات الفقيرة ، ومقارسة شجاعة للمصاة ، أن تكفي على الشرور التي تهدمنا ؟ هذا هو السؤال الحقيقي » .

قبلنا بالديوقراطية الاجتماعية الجريئة : بتنازلات معتقدة لصالح النقابات ، بغيرة أرباب العمل الوردية على الشقبة ، بالقاومة الجريئة تجاه المصاة الأنفصاليين . لكن أين هي عناصر هذه الديوقراطية ؟ إن الجهاز السياسي الذي سيطبق هذا البرنامج ؟ إن العالمية التي ستعده إلى سدة الحكم ؟ إن السيد آلان ليس يتطوع : إنه يعرف معرفة سقطة انه لا بد من مرور سنوات قبل ان تتمكن جماعة سياسية من الوصول إلى ما فيه الكفاية من القوة ليصبح لها تمثيلها في الجمعية الوطنية . وإطال انه مقتنع بأن الحرب واقعة عمداً ، الحرب التي سيثورها الروس ، والحرب الحاسرة اإا لم توجد وسيلة لتحرير الجماهير منذ اليوم من سيطرة الحزب الشيوعي . بالسيد آلان المسكين ، انه يعرف الشيوعيين منذ ثلاثين عاماً عامساً ويعلم تماماً انهم لن يتفكروا بها بكن الثمن . فهذا فإن بما كتبه العقيلة العظيمة

١١ - هم الرقباء الأربعة من حاكمة لاروشيل الذين اتهموا بالتآمر واحدموا عام ١٩٢٢ .

تتطلب أحياناً من لثغاء نفسها في رأسه ويقبول في نفسه : مسا هام ، الحزب الديمقراطي الاجتماعي الحري ، لم يصل بعد إلى السلطة ، أفلا يتوجب الاعتراف بأن الحزب الشيوعي هو الممثل الوحيد الممكن ، في الوقت الراهن ، للناخبين العمال ؟ وأحب ان أقول لكم ان نوم السيد آلان يصبح خفيفاً في مثل تلك الأيام ، ذلك لأنه منسحب إلى جماعة واسعة الانتشار بما فيه الكفاية هي بالنسبة إلى الحرب القادمة ما كانته رابطة الممارين القدماء بالنسبة إلى حرب ١٩١٤ : « رابطة معضومي المستقبل » . كثيراً ما ذهوني إلى ماذهبكم لكنني لم استطع ان أخذ على عاتقي التعاطب اليها ومشاطرتهم مرحهم الرجولي والجنائزي . كانوا يقولون : « تعال إذن ، فأنت هنا » . لكن اذا ما اندلعت الحرب القادمة ، فإن لدي أكثر من سبب للاعتقاد بأننا ستقضي فيها نحبنا جيداً ولن أتسبح وقتي في تعداد الحيات العزيرة علي .

وأخيراً يأتي يوم ٤ حزيران وكأنه يوم الخلاص : فلسفة المصيرين [٢] . ويحل السيد آلان ، ويشعر بأن الحياة تدب فيه من جديد . [٢] إذن لقد فهم العامل اشيراً ، وشتم من الكند والعناء لمنفعة الاتحاد السوفياتي ، وبرهن على عدم ثقتة بالحزب الذي كان يريد ان يجرسه على المؤسسات الجمهورية . وهذا العامل ، الذي شجع من العنف ، يعود إلى حديقته الصغيرة في الضاحية ، إلى وداعة أخلاقه التي طالما تقنى بها البعض . وسرعان ما يتقدم الجميع عارضين عليه توجيه وإرشاده . و « القوة العالية »<sup>(١)</sup> تفتح له فراعياً ، ويبدأ السيد آلان بالتساؤل جيداً عما اذا كان يستطيع ان يضمه إلى « حزبه الديمقراطي الاجتماعي الحري » .

أيها الأطفال الصيغون ، ايها الجرذان الدقيقة العزيرة ، انكم التمسون إلى الحرب ان تستطيعون ان تصدقوني . انه جرد ديق ذلك الذي يخاطبكم . انكم تسمون إلى الحرب ، وستجرونا معكم اليها . ولأمانة العمال لا تمرقل الازلاق

١ - منظمة خاضعة لتوجيه الحزب الاشتراكي الفرنسي ، منشقة عن « الاتحاد العام للعمل » .  
٢ - ٤٥ - ٤٤ .

نحو الجزيرة : يسأل تعجب به . وإذا كانت نهائية ، نستطيعون إذن ان نسحوا  
احديكم . فلكنة ما فتنتم عن قتل الحزب الشيوعي ، اصبح نظركم حيوياً .  
واعطالنا شكوتكم من أن الحزب الشيوعي ، يحنكر الدفاع عن الشيعة ، حتى انتهى  
بكم الأمر الى الاعتقاد بأن هذا الاستيلاء جاءه صدفة . ان ، على مسألتون ،  
حزب المشهورين والفتنة والكذبة ، انه يبحث على الحقد ، وحيث غليظة خشنة الى  
حد ان صحتكم لا تجد مشتقة في إحيائها كل صباح . إذن فلا بد ان البروليتاريا  
كلها مجرمة وكاذبة ومهترة . وإلا كيف نفسر انها مسألتون شيوعية ؟ انفس  
ستألف ، من الجائر ؟ لو انه كان أقصر قليلاً ؟ ...

ان الواجب يلغى بدعوة هذه النفوس المشطورية إلى الاحتشام ، حتى ولو  
اضطرتنا الى قسح اعطشاتها الجبان ، ان تذكرها بعض الحقائق الرعيجة ،  
ومنها : انه لا يمكن للمرء ان يحارب الطبقة العاملة من غير ان يصبح عدو البشر  
وعدو نفسه ، وانه اذا ما حلا للحزب الشيوعي ، وعندما تكونون اتم عاجزين  
حتى عن تحريك اصبعكم الصغير ، فإنا الطبقة العاملة ستكون ضدكم . وانه لا  
يد مع ذلك من الاحتفاظ بصحو الفكر في الوقت نفسه لأن الغضب والحقد وربما  
الحرف والبلذات اليمينية يمكن أن تدفع بكم بين يدي وشعاعها الى احضان الحياة . وانه  
لا ينبغي البتة أخيراً الاعتقاد على تصفية الحزب الشيوعي : صحيح ان البروليتاريا  
حررة منه بعض الشيء ، في هذه الآونة ، لكنها مسألة صغيرة بسيطة وسنظل  
بينها ، ولقد أخذت اللجنة المركزية درساً منها منذ الآن . هل هذه هي حقيقة  
الموقف : لا اتم نستطيعون شيئاً ، ولا أنا . وإذا ما وجدوها قاسية أكثر مما  
ينبغي ، فاقنعوا الفاز او اسطادوا بالنسرة . لكن لا تبدأوا بالتلاعب والفسخ  
وإلا انتهى بكم الأمر ، كما حدث لشخص أعرفه ، ان الدعوة إلى الحرب في  
« قاعة كارنيجي » ، وإلى الثورة المحترز الاميركان انفسهم . حين علمت بالطاهرة  
ضد ريديوي<sup>11</sup> ، أظهرتم لنا استنكاراً لا حدود له : ولقد جمعتم في استنكاركم

١ - جيفال اميركي - قائد قوات الأمم المتحدة في كوريا بين ١٩٥١ و ١٩٥٢ .



كل شيء ، كل شيء على الإطلاق ! جميع العيوب الشيوعية التي لا تطاق :  
اللامرعية ، العنف ، وذلك القوس الضار في تعبئة الشفوية للتنظيم الى النقابات  
حول شعارات سياسية . وإني لأصارعكم بأنني أتمنى ان تكونوا قد لجأتم إلى  
العش . فتلك الرقبة المضال التي تأخذونها على الحزب الشيوعي ، أسامل أنا إن  
لم تكن بكل بساطة طبيعة البروليتاريا الخاصة .

ان الواقع هنا : المظاهرة ، الاضراب الفاشل الذي تلاها ، الانتقادات  
الفرعية في معامل ريشو ثم في الجمعية الوطنية . خطوط مشوشة ببعض الشيء ،  
مناقضة ظاهرياً . لا أهمية لهذا : فقدعنا تتكلم لعلها ستقول لكم ان كنتم  
خونة او مجرد جردان ديفة<sup>(1)</sup> . ستقول لكم ، بالفاظ أخرى ، إلى أي حد  
ينبغي ان نعتبر الحزب الشيوعي التعبير الضروري عن الطبقة العاملة ، وإلى  
أي حد ينبغي ان نعتبره تعبيراً دقيقاً عنها .

#### ٦ - تظاهرة ٢٨ ايلول .

##### أ - الكد والعناء لمنفعة الاتحاد السوفياتي .

لقد سئم العامل من كونه دمية في يد موسكو . لقد رفض أن يشارك في  
التظاهرة لأن يستهين بمبدأها . ما أفرأكم بذلك ؟ هل سمعتموه بأذانكم  
يتشكى ؟ انا نحن الذين نرى في كل مكان يد موسكو . وأنا لا أقول لنا دوماً  
على خطأ . لكن العامل ليس مجبولاً من طبيعتنا . انه مفسر كبير ، شئت  
البورجوازي ، لكن ماويته يمكنه ماويقتنا : فهو أقسى من ذهب أمير كاخلف  
حركتنا كافة . والقول بأنه افرك انهم يستغلونه كقطعة ، لهذا معناه اننا نقرض  
ان نظام قسرياً قد حل محل نظامه هو . فهل افرك السيد روبينه انه كانت  
دمية في يد الولايات المتحدة ؟ والسيد الثابت ؟ ان الحزب الشيوعي الفرنسي لم

١ - الجزء السابق لم يكن . لكن الحزب والتي من انه كان سيقدم على ذلك لو سمحت الفرصة  
واختصاراً ، انها كلمة تشير الى هذا الصنف من الافراد - الواسع الانتشار مع الأسف في مجتمعاتنا :  
صنف القذبة التي لا يمكن أن يؤخذ عليه شيء .

يخف قط على كل حال انه يبني سياسته على سياسة عامة ترمس تعليماتها في الكومنترن ثم في الكومنفورم<sup>(١)</sup>. وفي الموضوعات التي صدق عليها المؤتمر العالمي الثالث للاممية الثالثة نقرأ ان الحزب بجموعه هو تحت قيادة الاممية الشيوعية. وإن قرارات الاممية الشيوعية ملزمة للحزب ولكل عضو من اعضائه. والحال انه في ذلك الزمان ( ١٩٣١ ) كان من بين الأعضاء الحصة في « رئاسة اللجنة التنفيذية » ثلاثة روسيين « وألماني واحد » و« مجري واحد ». وهذا لم ينع بعد مؤتمر نور<sup>(٢)</sup> ١٣٠٠.٠٠٠ اشتراكي فرنسي من تشكيل الحزب الشيوعي « بينا بقي ٣٠٠.٠٠٠ مع بلوم. وعلى كل « فإن الاختلافات العميقة التي تفصل الحزب الشيوعي الإيطالي عن الحزب الشيوعي الفرنسي تثبت ان مبادعة واسعة النطاق متروكة للقادة المحليين. أنتم تزعمون ان هذه السياسة تخدم مصالح الاتحاد السوفياتي وحده. وما أسهل مثل هذا الزعم عليكم. ولا بد بالعمل من ان ترى ان الاممية الثالثة ولدت للحاجة الى الهبة والحزم. فنشل حركة ١٩١٤ السلبية « وعجز العمال « وللحالف الزعماء الاشتراكيين مع حكومة الاتحاد القومي البورجوازية « جعلت المناضلين يبلون نحو سياسة الحزم. ولم تكن مؤتمرات الاممية الثانية « غير هيئات أكاديمية تثبتي بقرارات لا قيمة لها « وعلى جميع المستويات كانت « الشعبية الفرنسية من الاممية العالمية<sup>(٣)</sup> « تعني الفوضى. والحال ان معظم المناضلين كانوا مقتنعين بشأن « الصراع الطبقي قد دخل في مرحلة الحرب الأهلية «. إذن فليس كانوا راغبين في تكوين حزب جديد يكون بمثابة سلاح « هبة « فعالية « تسلسل « هذا ما طلبوه من الاممية الثالثة. ولا ريب

١ - الكومنترن : المركز القيادي للحركة الشيوعية الاممية جرى حل عام ١٩٤٣ واستبدل عام ١٩٥٧ بالكومنفورم وهو لا يكتب اعلام شيوعي « غير حدود المركز .  
٢ - وقد عقد عام ١٩٢٠ ووقع فيه الانشقاق بين الشيوعيين والاشتراكيين الفرنسيين .

٣ - ص ٢٠٤ .

٤ - هو اسم الحزب الاشتراكي الفرنسي يوم تأسيسه عام ١٩٠٥ . وقد بقي محافظاً على اسمه هذا حتى اليوم بينا انشق عنه الشيوعيون في مؤتمر نور ليشكلوا الحزب الشيوعي .

٥ - ص ٢٠٥ .

في أنهم كانوا يؤثرون ان يلعبوا تطييبات الاجانب الذين قهروا بورجوازية بلادهم على ان يطيعوا فرنسيين تعاونوا مع البورجوازية الفرنسية . وما كان يتناه اثثة والتسلاطون ألف منسب الى الحزب الشيوعي ، وما حلقوه هو المركزية الديمقراطية ، وهي نوع من تعبئة شاملة ودائمة لتكفل لكل فرد منهم أقصى حد ممكن من التعالية . ومنذ ذلك العهد بدأ القادة يردون عن أنفسهم المأخذين الذين سيوجهان اليهم فيما بعد باستمرار : ويجب ان تم المركزية بصورة لتكون معها بالنسبة الى اعضاء الحزب بمثابة تدعيم ... لنشاطهم ... وإلا فسوف يبدو للجماهير كجهد بيروقراطية حزبية ، و ه الصراخ بصدد دكتاتورية موسكو ليس إلا وسيلة لتسليية مبتذلة <sup>١١١</sup> . بيد ان الجهاز الذي تم تصوره على هذا الشكل هو ، باهتة ، ملتبس . ذلك ان العمل العمالي اذا ما سقط له ووجهه على المستوى الدولي حزب مركزي ، فإن شعاراته سيقدر في هذا القطاع العمل او ذلك ، مما يمكن بالأصل هدفها ، وكأنها أوامر مجردة . وسوف تعامل كل بروليتاريا حليفة وكأنها وسيلة لتلك الغاية غير المشروطة التي هي الشيورة التعالية ، ونظراً الى عدم توفر معرفة دقيقة بالأحداث كافة - وهي معرفة غير ممكنة إلا للفرزخ وبعد تراجع زمني - فسبأن الثقة هي وحدها التي تتضمن البروليتاريا انها لم تقع ضحية لعمالها وان التضحيات التي ارتضاها كانت مشروعة . وكما هي الحال دوماً فإن الوقائع لا نقول نعم او لا : فيبعد بول هاربرير طلب الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة من اعضائه السود ان يقفوا خلفهم المعادية للعنصرية ، إذ لم يكن ثمة من فائدة من تغذية الدعاية النازية . وكان كثير يروى من السود قد دخلوا الى الحزب لأنه الوحيد الذي كان يدافع عنهم : فاعتبروا ان الحزب ضحى بهم وتركوه . ولا يمكننا ان نلومهم على ذلك : لكن ماذا كان الهدف النهائي لشعار ؟ هل كان يستهدف مصالح الاتحاد السوفياتي فحسب ام كان يستهدف مصالح أوروبا والعالم ؟ حتى يمكننا ان نثبت في الموضوع ، فلا بد من الاقتراض لولا بأن حرب ١٩٤٠ لم تكن سوى حرب امبريالية . وهذا ما

١ - رجالة الى العمال الألمان والفرنسيين ( لينين ) .

يعتقده بالفعل التروتسكيون ، وهم أوفياء بذلك لتطويعهم لأنهم ادانوا المفارمة عام ١٩٤٢ . لكن المفارمين اليساريين كانوا سيخرجون لو أنهم ماشوم . وعلى كل حال ، لا يمكننا ان نجزم في المسألة إلا بعد ان نكون قد حددنا موقفنا بصدده مسائل أوسع بكثير . ولا سيما مسألة قيمة الثورة الروسية والماركسية .

لقد شهد العالم موقفاً مماثلاً عام ١٩٢١ . فتمتد الحرب راح الاشتراكيون الفرنسيون يسيرون إلى العودة إلى النزعة السلبية المطلقة التي حافظت على مكانتها في التقاليد الفرنسية بالرغم من فشل ١٩١٤ . وكان لينين يريد ان ييزوا بين الحروب الامبريالية والحروب الثورية . وقد رفض فوضوي اليسار التطرف ذلك مدة طويلة من الزمن : انهم سيعيرون إلى النهاية ويطلبون بحقهم في الحثاف : « لتسقط جميع الجيوش » ، بتأييد الجيش الأحمر . « فمن كانت على حق ؟ ان المسألة تتعلق بالطبع بعمق الانتماء السوفياتي بالنسبة إلى الثورة ، اذن بقيمة الثورة في الانتماء السوفياتي . وستطيعون ، حسب قناعاتكم ، ان تبينوا ان مطلب لينين يحتم تطبيقاً عميقاً في الحياة الاشتراكية الفرنسية ، وانه يدخل بالفترة والتصب استثناء بطلاً في قلب نظام متلاحم ، او ان الموقف الذي كان يجر نزعة ما قبل الحرب السلبية المطلقة قد لجسأوزته ثورة أكتوبر على نطاق واسع . وانه ليخيل لنا في مثل هذه الحال اننا خضنا في واحدة من تلك المناقشات التي لا نهاية لها والتي يتعارض فيها الفلاسفة المتفانون وتلامذة لاروشفوكو : مناقشة تستعرض فيها الأعمال البشرية ويفسرها كل حسب وجهات نظره ، فهذا يفسرها بدوافع غيرية ، وذلك بدوافع مفرضة . وإذا كان هؤلاء المتخاصمون لا يستطيعون ان يتوصلوا إلى اتفاق ، فهذا لأنهم يتنوا قليلاً بالقيمة الانسانية . وإذا كنتم لا تستطيعون ان تتفاهوا مع الشيوعيين ، فهذا لأنكم كونتم لأنفسكم قليلاً رأياً بصدده قيمة التجربة الروسية .

في كانون الثاني ١٩١٨ كتب لينين : « إن جمهورية السوفييت ستظل مثلاً حياً في نظر شعوب جميع البلدان ، وقوة التفتقل الثوري لهذا السال ستكون مدعشة » . وفي آذار ١٩٢٣ : « إن ما يهنا ليس هو ذلك

النصر النهائي العظيم للاشتراكية . إن ما يفتنا هو التكتيك الذي يتوجب علينا  
 ان نلعبه ، نحن حزب روسيا الشيوعي ، نحن سلطة سوفياتيات روسيا ، لنضع  
 الدول الغربية الشاغرة الثورة من سخطنا . إن المشكلة كلها تكمن في هسلين  
 النصين . وبالعمل ، ان الاشتراكية لا بد بالضرورة ان تتصرف في نظر الشيوعي  
 الصلب القناعة ، لأن الرأسمالية تجعل موتها في ذاتها . وهذا يعني أن روسيا  
 ليست الطريق الأوحده للوصول الى المخرج النهائي . بل من الممكن ان تختفي هي  
 التي ولدت من التناحرات التي سببت حرب ١٩١٤ : لكن التناحرات ستبقى من  
 بعدها وسيتهي الأمر بالأمم الرأسمالية الى الانهيار . ومن هذه الزاوية المحددة ،  
 ليس الحفاظ على الاتحاد السوفياتي شرطا لازما لثورة العالم . لكن مثل هذه  
 الاعتبارات ليست ترفيحية : فالاتحاد السوفياتي ، من الزاوية التاريخية ، هو  
 فرصة البروليتاريا ، مثالها ، ومصدر ، قوة التطلع الثوري . ، وغلاوة على  
 ذلك فإنه في حد ذاته قيمة تاريخية يتوجب الدفاع عنها ، اول دولة ، والحصيل  
 نتائج الاشتراكية ، وإن كانت بعيدة عن تحقيقها بعد . ولهاذين السببين يتوجب  
 على الثوري الذي يعيش في عصرنا والذي تكمن مهمته في الاعداد لثورة بالوسائل  
 التي في متناوله وفي الشرط التاريخي المحدد الذي يعيش فيه ، يتوجب عليه أن يربط  
 بصورة غير قابلة للتفصيص بين قضية الاتحاد السوفياتي وقضية البروليتاريا من غير ان  
 يثبه في الأعمال المبهمة التي ستجهد بعق النهاية عن العمل . هذا على الأقل ما كان يعتقد  
 لينين وما يتجلى بوضوح من النصين المذكورين . لكن الاتحاد السوفياتي يبدو ، من  
 ناحية اخرى ، وكأنه الفرصة التاريخية لثورة لا شرطيها اللازم ( بالمعنى  
 الرياضي ) . ، يبدو ان في كل الحالات ، انه كان يوسع ان يكون قبر ما هو  
 عليه من غير أن يتعرض مستقبل الثورة مع ذلك للخطر . كان يتطلب على سبيل  
 المثال لتضحيات أقل في الديموقراطيات الشرقية . وكما ازداد وضعه خطورة ،  
 ازدادت بالنسبة اليه ضرورة المساعدة التي سيطلبها من البروليتاريات الأوروبية .  
 لكن كلما ازدادت مطالبته فسوة ، لجه أكثر فأكثر نحو ان يصبح في نظر  
 الديموقراطيات الشعبية والبروليتاريات مجرد أمعة خاصة . ان ، وفي أفضل

الأحوال ، لن يكون أبداً التوحيد بين الاتحاد السوفييتي والقضية الثورية لأما ،  
 ويستطيع يوماً الشاعرون الشيوعية ان يبنوا للعامل الفرنسي انه ، يخرج  
 الكسائد من النار لشعبة موسكو ، . لكنهم بالتقابل لن يستطيعوا ان يقدموا  
 البرهان على ذلك إلا في حالة واحدة : اذا كان بقدرهم ان يشبوا ان القيادة  
 السوفييتية ما عادوا يؤمنون بالثورة الروسية او انهم يعتقدون بأن التجربة  
 سيكون مصيرها الفشل . وبدعي انه حتى لو كان هذا صحيحاً ، وهذا ما أشك  
 فيه كثيراً ، فإن البرهان عليه لن يكون ممكناً اليوم <sup>11</sup> . . وفي هذا عدا هذه  
 القضية ، وفي أي قضية أخرى ، يمكن للكتب السياسي ان يخطئ ، ان  
 يسير في غير الطريق السليم ، ان يفرط اعطاء هيئة الثورة هتمة لكن الاتحاد  
 السوفييتي يمكن ان يخطئ ، إلا انه فيما فعمل فلن يضحى بالعامل لحساب  
 الأمة الروسية .

وفي مظاهرة ٢٨ أيار نستطيع ان نجد مثلاً صادفاً عن الخلاف في الرأي  
 الذي يعارض بصورة لا توفيق معها بين المناهضين للشيوعية وبين الشيوعيين .  
 فكلا الطرفين متعلقان عن التجربة لأن مواقفها محددة مسبقاً . لكن الأولين ،  
 الحساسين بالمراق ، لم يروا في المظاهرة سوى نوع من ضيق وحشي وحربي ،  
 كما أمكن للآخرين ان يحكموا عليها بأنها عرقاء ولم تجيء في وقتها : غير انها  
 تطل في نظرم إحدى لحظات لعبة الشطرنج الكبرى التي تلعبها الديموقراطية ضد  
 الرأسمالية الدولية .

#### ب - موسكو تريد الحرب

المشكلة الحقيقية ، على كل الأحوال ، ليست هنا ، واولئك الذين يتحدثون  
 عن موسكو انما يريدون ان يضلوا . ذلك انه من المؤكد انسه ليس الاتحاد  
 السوفييتي الذي أمر هذه المظاهرة . ان لا أنكر ان الأحزاب القومية تستلهم  
 لكن بصورة بالغة العمومية . لقد كتب بيرو <sup>12</sup> ، لندن عودته من موسكو ،

١ - سامرغ ان هذا الموضوع في القسم الثاني .

٢ - انه هو الذي سيوجه إليه . بالتعليل . انفس القصد والادانة في تقرير فاجنوت .

مطلقاً يعلن فيه قطعية الحزب الشيوعي مع «البورجوازية التي تسم البلاد لاستعمار المحتل الجديد» . لكن حتى لو افترضنا ان القفال أمل عليه - الشيء الذي يبدو لي أن فيه تبسيطاً مبالغاً فيه للأمر- فإن الأفعال التي يعلن عنها أخطر بكثير من مجرد نظاهرة بسيطة حتى لو راقبها شجار . والحق ان المظاهرة انما جرى لقررها مع سائر الأمور الجارية من قبل المكتب السياسي ولحمت مسؤوليته .

وبالواقع ، ما هدفها ؟ ذلك ان الصحافة تتكلم عن اضطرابات وقوضى وحقد ، لكن من غير ان تقدم سبباً لكل هذه الضجة . ان مناهض الشيوعية يلتفت حول سداجتي ويقول : « هدفها ؟ لكن هل يعنى عن الأبخار ؟ انه الاعداد للحرب ! » . بدعي ا كيف لم يخطر لي فذلك : إن الحزب الشيوعي وأنصار السلام يدعون سكان باريس الى لتظاهر ضد الحرب : وهذا دليل بأمر يعنى الأبخار على ان الاتحاد السوفياتي يريد ان يهاجمنا . معمر للأبخار ، بالفعل ، بالنسبة الى من يأخذ بنذهب وزرنا : إذا كنت تريد السلم فهي الحرب ، ومن اصول المنطق ان قلب الآية بعد ذلك وتقول : إذا كنت تريد الحرب ، فهي السلم . ومنذ توقيع معاهدة الحلف الأطلسي ، أصبحت دور دعسة الزيت وهدونه مرتبطة بشهد برة عسكرية ، كما ان لقاء عامي أبدأه ما يكون مغفوله بالنسبة الى اصحاب الأمزجة العصبية كملعول شراب مسكتين . وبالقابل فسان الذي مشبه لأنه لا يرتدي البزة العسكرية . أفلا يريد السلم ؟ بالضبط ، انه يطالب به بصوت عال : لا مجال للشك اذن ، انه مشاغب . وواضح انه اختار هذاهم ليقيم لأنظاراته صورة تزج السلاح الشبلة لهم . ودعوتهم الى تألف القلوب ليس لها من هدف سوى تخريب الدفاع . أذكرون حرجنا حين كانت الحرب الباردة لتترك لنا ، من حين الى آخر ، بعض الراحة ؟ فقد كنا تتسائل : ما وراء الاكمة ؟ والأمس أيضاً ، استولى القلق على الجزائر كلارك عندما رأى ان القتال قد توتف في كوريا . ولم يعد اعطائه انيه إلا بعد خمس عمليات قصف جوي شديد . وهكذا فإن سموتنا غربياً يتبع من حين لآخر ترنم له أوصال العالم . والإنسان الذي يريد السلم ، سواء أكان شوبياً أم لا ، يظل مرتبطة في نظرتنا

بشاعر الضيق والمخرج هذه : انه يعمل بالضرورة لحساب العدو . فكيف يكون الأمر اذا كان سلوكه يستلهم العنف الذي يرفضه ؟ واني لأقر بأن صوت الحزب الشيوعي جهوري : فقد صاح بإرادته السلم بصوت عالٍ للفايعة حتى بات كل إنسان يعتقد ان ساعته الاشارة قد أُرقت .

لكن انتم ؟ يا من تلمعون نور الساحطين المستهجين ، هل تفعلون شيئاً آخر ؟ ألا ترحمون انتم أيضاً انكم راغبون في السلام ؟ والحال اني البحث عن الخصان زبونكم فلا أجد غير القتابل . انكم تقولون انكم تظفرون قوتكم حتى لا تضطروا الى استخدامها ؟ لكن إظهار القوة هو بالأساس فعل عنف . انكم تظنون بدافعات قنابلكم سواء إقريبها لترضخوا لأوامركم مُليكاً ونحياً . وهذا العنف الأبيض أدهى من الآخر : إن التلبك سيطاً طره الرأس بدون ان تطلقوا طلقة بنديقية واحدة لكنكم تكونون قد حطمت ارادته بالأرهاب . وانظروا على كل حال ان نتيجة تهديداتكم السلبية جداً : انها تنتج ردوداً سلبية جداً هي بمثابة حجازر . وانتم تفتشرون نتائج تجاربكم القوية ولتباهون بقدراتكم على محو موسكو في مدى أربع وعشرين ساعة : الصالح السلام ، بالتأكيد ، ولتسيط حمة المعتدي المتوقع . لكن الحكومة السوفياتية حريصة هي الأخرى على تسيط حمة المعتدي : فتلسط طائرة سويدية لتثبت ان مجالها الجوي غير قابل للاختراق . من عدوان مشيط الى عدوان مشيط ، في اليونان ، في برلين ، في كوريا ، في باريس بالذات ، ورجال يقولون يوماً . وهذا هو سلامكم : السلام عن طريق الخوف . ولو كان الاتحاد السوفياتي خائفاً مثلكم ، لكان سلامكم قد انقلب حراً .

ذلك أن الاتحاد السوفياتي يريد السلام وهو يبرهن على إرادته هذه يوماً . ان حلفاءكم الأميركيان يرددون بأنه لا يمكن تجنب الصدام إلا عن طريق المبالاة في التسليح . « لن يعود الانحسار السوفياتي يقلقنا حين ننصبح أقوى منه » . أقوى منه : أي قادرين على سحقه إذا ما تمنح . لنفترض بأنكم وصلت الى هذه الدرجة من القوة : فمن سيقرر انه تمنح ؟ ما ستكون حدود حيزكم ؟ أسيوجب



أن يغزو بدأً أجنبياً أم يكفي أن تمثل دولة تابعة له أحد الكرادلة ؟ إن  
الحكومة الأميركية تؤكد أنها لن تهاجم إذا لم يكن هناك داعٍ جليل إلى ذلك.  
ويؤدي لو أضدقها . لكن الروس ؟ كيف يريدون أن يصدقوها ؟ كيف يتفنون  
بوجود حكومة ديموقراطية عاجزة حتى عن إيقاف تحركات جنرالاتها ، وقد  
تغلي مكانها ، في مدى ستة أشهر ، لحكومة جمهورية ؟ انني لا أشك ، بالطبع ،  
بصفاء النيات الأميركية ، لكنني أعرف مع الأسف أن تغيراً في الطاقة العسكرية  
يؤدي بالضرورة إلى تغير في العقول . وليس قلة من حاجة إلى التجوء إلى التحاليل  
الماركسية لتعرف أن السياسة الخارجية لأي أمة كانت تتعد بتسلحها : إن  
عهدنا ما يزال قريباً بذلك الزمان المأسوف عليه الذي كان فيه الأميركان  
يبيضون الحرب لأنه لم تكن لديهم مدافع . والحال إنكم تزعمون أن القيادة  
السوفييتيين وحوش لا تأبه بالحياة الإنسانية وقادرة على إشعال نار الحرب  
بمنطقة أصابعها . إذن فلماذا لا يهاجمون طالما أن الفرصة ما  
تزال سالحة ، وطالما أن مطارداتهم متفوقة على مطاردات العدو ، وطالما إن  
جيوشهم لا تحتاج إلى أكثر من ثمانية أيام لاجتياح أوروبا ؟ تقولون : « لأنهم  
يخافون من قنابلنا الذرية » فهت : إنهم ينتظرون إذن أن يتضاعف مخزوننا  
ثلاث مرات وأن يصبح الجيش الأطلسي على أهبة الاستعداد . باله من حساب  
مدعش ! الاتحاد السوفييتي يريد دخول الحرب ، وإذا فأشرفت ثلاثة أعوام  
فسوف يجسرنا ، وهو لا يدخلها في الوقت الذي ما يزال فيه وسعه أن يربحها .  
إذن فلا يد أن الناس هناك مجانين . اللهم إلا إذا كانوا بكل بساطة يريدون  
السلام .

السلام ؟ إنني أراكم تجلسون ابلساعة : هذا عهد آخر ، إنسان يؤمن بالآب  
نويل . حسناً : أما أنتم فواتميون . في حرب ١٩٤٠ كانت اسم الواقعي يطلق  
على الفرنسيين الذين يتعاونون مع الجيش الألماني . والواقعي اليوم هو الفرنسي  
الذي يؤمن بأن الاتحاد السوفييتي هو الشيطان والذي ينتهي ، صارخاً في تنورة  
أميركا . إذن فأنتم تعرفون أن أعضاء المكتب السياسي كلاب مستكبة . ومن

قال لكم ذلك؟ ما أدانكم؟ اني أختار أرفف وأنتم معطي السيفار، السيد  
 ريمون آرون، وقرأ ما يلي: «يجلو للحياد... ان يتخيل اتحاداً سوفياتياً  
 يقف موقف الدفاع الهض، تطلب الاستعدادات الأميركية، ولا يرغب إلا في  
 حماية أمنه. ويكفي ان تذكر الدبلوماسية التي انتهجها الاتحاد السوفياتي بين  
 ١٩٤٣ و ١٩٤٧، في الوقت الذي كان فيه الغربيون يشاطرون جهود التعاون،  
 حتى نفهم الوم الذي يقوم عليه موقف الحياد<sup>١١</sup>». لقد انبثقت بلا شك اى  
 هذه الكلفة: «يكفي». هذا هو نوع الحجج التي يعارضونها بها. وإلى لأعتقد  
 جداً ان آرون لا يتكلم جدياً: ذلك اني قد حاولت كثير أ، كما يدعوني، ان  
 اتأمل في «الدبلوماسية» السوفياتية، فلم أوصول إلى التحرر من أوهامي.  
 وهذه الدبلوماسية ليست بجماعة، بل هي فظة، لا رادع لها من ضمير، وتوحي  
 بالرؤية والحقد. وواضح ان الاتحاد السوفياتي، الذي لم تتوفر لديه وسائل  
 المعلومات الكاملة، لم ينظر بعين الجهد الى جهود الأوروبيين لتعاون. انه يراهن  
 في كل مرة يمكنه ذلك، وأحياناً يجازفها بزيادة حدة التوتر الدولي الى حد  
 خطير<sup>١٢</sup>. كلا: اني لن أمتنع الاتحاد السوفياتي جائزة فضيلة. لكنه كان غير  
 قابل للقهر في أوروبا، ولم تكن إعادة التسليح الأمريكي - باعتراف آرون - قد  
 بدأت ومع ذلك لم تيسر عنه قط بادرة يمكن ان تؤدي الى اندلاع الحرب. ثم  
 ان الحزب الشيوعي كان يتعاون مع الأحزاب البورجوازية في ديموقراطيات  
 الغرب وكان شعاره: الانتاج. واذا كنتم تهتمون الاتحاد السوفياتي بأنه غريب،  
 بدءاً من عام ١٩٤٧، إعادة بناء أوروبا، فاعترفوا على الأقل بأنه كان يحث  
 عليه قبل ذلك. واذا كنتم ترون في هذا التخریب برهاناً على نيته الحربية،  
 اذن، واكراماً للمنطق، اعتبروا استغلالية ماركسيل بول برهاناً على نيته  
 السلبية.

يخيل إلي، على العكس، ان الموقف الراهن للاتحاد السوفياتي، وتردده،

١ - آرون: «لجربنا الأوروبي» - مجلة «بروف» - حزيران ١٩٥٢.

٢ - افكر على الأخص بفضيلة ايران.

والعنى المزوج لديبومايته ، قد جرى تجديدها بصورة مثل قبل ثلاثين عاماً  
في مقال لينين في البرافدا في ٢ آذار ١٩٢٣ ( المجلات الكاملة - المجلد الثاني -  
ص ١٠٤٦ ) .

٥ ... لن يكون سهلاً علينا ان نضمد حتى انتصار الثورة الاشتراكية في  
البلدان الأكثر تقدماً ... ان نظام العلاقات الدولية قد بلغ الآن في أوروبا درجة  
اصبحت معها إحدى الدول - ألمانيا - مستعبدة من قِبل الدول المنتصرة . ثم  
ان مجموعة من الدول ، ولتحدد بأنها من أقدم دول الغرب ، تجد نفسها على إثر  
انتصارها ، في شروط تستطيع معها الاستفادة من هذا الانتصار لتقوم بسلسلة  
من التنازلات لصالح طبقاتها المضطّدة ، وهي تنازلات ، على تواضعها ، تؤخر  
الحركة الثورية في هذه البلدان وتخلق شبه ، سلم اجتماعي ، .

٦ وفي الوقت نفسه فإن مجموعة كاملة من البلدان - الشرق والهند والصين -  
قد وجدت نفسها "مُلغى" بها نهائياً خارج تقاليدهما نتيجة الحرب الامبريالية  
الاخيرة على وجه التحديد . ولقد اتجه تطورها نهائياً في طريق الرأسمالية  
الأوروبية العام . وفي هذه البلدان بدأ الاختار الذي يشغل بال أوروبا بأسرها .  
وواضح الآن بالنسبة الى العالم قاطبة انها اندفعت في طريق للتطور لا يمكن ان  
يشخلف عن ايقاع مجموع الرأسمال العالمي في الزمة .

٧ نحن نقف اذن في الساعة الزامنة امام هذا السؤال :هل تستطيع الصود  
بإنتاجنا الفلاحي الصغير ، الصغير للغاية ، وبجاعة الحراب التي يشكو منها بلدنا ،  
ان تنجز البلدان الرأسمالية في أوروبا الغربية تطورها نحو الاشتراكية ؟  
لكنها لا تنجز تطورها كما كنا نعتقد في السابق . انها ستجزء ، لا عن طريق  
" نضج " منظم للاشتراكية فيها ، بل عن طريق استقلال دول معينة من قِبل  
دول معينة أخرى ، عن طريق استقلال اول دولة مقبورة في الحرب الامبريالية ،  
بالاضافة الى استقلال الشرق كله ... لقد دخل الشرق ... نهائياً في مدار  
الحركة الثورية العالمية .

٨ وما التكتيك الذي يفرضه هذا الوضع على بلادنا ؟ انه بالطبع التكتيك

التالي : إن علينا أن ندلل على أكبر قدر ممكن من القطعة والحذر حتى يمكننا ان نحفظ بحمكتنا العربي ، وان نفي تحت سلطته وقيامته طبقنا الصلاحية الصغيرة ، الصغيرة للغاية ... وما هو في غير مصلحتنا ان الاميراليين تمكنوا من شق العالم الى كتلتين . وهذا الشق يتعقد بفعل ان المانيا ، ذلك البلد الذي بلغ درجة متقدمة فعلاً من الثقافة الرأسمالية ، لن يتمكنها ان تعاود النهوض اليوم إلا بصعوبة ... ومن جهة أخرى لمعان الشرق بأمره ... يجد نفسه في شروط لا يمكن فيها للفواء الفيزيائية والمادية ان تصمد البتة للمقاراة مع القوى الفيزيائية والمادية والمسكونية لأي دولة معها تكن صغيرة من دول أوروبا الغربية .

• فهل نستطيع ان نتلافى الصدام القادم مع هذه البلدان الاميرالية ؟ هل نستطيع ان نأمل بأن التناحرات والتراعات الداخلية بين بلدان الغرب الاميرالية المزدعرة وبين بلدان الشرق الاميرالية المزدعرة ستترك لنا هدنة للمرة الثانية ، كما فعلت في المرة الأولى حين فشلت الحجة الصليبية التي قامت بها الثورة المناهضة الغربية لمساعدة الثورة المناهضة الروسية بفعل التناقضات القائمة في معسكر المناهضين للثورة ؟ ...

• يجيل إلي انه يتوجب ان نجيب على هذا السؤال آتفين بعين الاعتبار ان الحل يتوقف هنا على عدد كبير للغاية من العوامل ، وأن ما يسح لنا بعد كل شيء بالتنبؤ بنتيجة الصراع هو ان الغالبية الساحقة من سكان المعمورة تتلقفها وتزبها لتضال الرأسمالية نفسها .

• ان نتيجة الصراع تتوقف في النهاية على كون روسيا والمهند والصين التي تشكل الغالبية الساحقة من سكان الكرة الأرضية ... ومن هذه الزاوية لا يمكن ان يخامرنا ظن من شك بصدد النتيجة النهائية ...

• لكن ما يمننا ليس هو البتة هذا الانتصار الحتم للاشتراكية . ان ما يمننا هو التكتيك الواجب اتباعه تبع الدول الغربية المناهضة للثورة من مصلحتنا . وحتى يمكننا ان نستمع في الوجود الى يوم ينشب فيه الصدام العسكري بين الغرب الاميرالي المناهض للثورة والشرق الثوري القومي النزع ، بين أكثر بلدان

العالم قديماً والبلدان المتأخرة كبلدان الشرق التي تثلل مع ذلك العالمية - فلا بد ان يتاح الوقت لهذه العالمية كي تتحضر . ونحن أيضاً نفتكر ان المدنية حق تنتقل مباشرة الى الاشتراكية بالرغم من ان تباشيرها السياسية متوفرة لدينا ... .

( ويبلغ ذلك خطط إجمالي لاقتصاد الاتحاد السوفياتي الداخلي ) .

لما الذي تغير منذ ان كتب هذا النص المثير للاعجاب بما فيه من صحو فستقر ؟

- لقد تصنّع الاتحاد السوفياتي . لكن الجهود الضخم للولايات المتحدة الاميركية يهدف الى الإبقاء على التفاوت بين إنتاج الغرب وإنتاج الشرق .

- لقد انتهت الحركة الثورية السببية الى ثورة . لكن تصنيع الصين لم يبدأ . وقد بقيت الهند خارج الحركة : ومن الممكن ان تولد فيها بين يوم وآخر نزاعات يستعيد منها الاتحاد السوفياتي . لكن الأمور لم تصل الى هذا الحد بعد .

- لا يمكننا في ١٩٥٢ ان نتحدث عن « الازدهار » كما كانت الحال بعد ١٩١٨ . ولا عن السلم الاجتماعي . لكن الطبقة العاملة في مرحلة جزر والحكومات البورجوازية مضممة على قسح الاضطرابات الاجتماعية بجميع الوسائل . والعمل المركزي للامبريالية الاميركية يتبع مؤقتاً القراعات القومية والدولية من التفاهم . ويبدو ان الروس اعتمدوا على لزمة اقتصادية في الولايات المتحدة الاميركية ، لم تلتب بعد .

وبصورة إجمالية فإن تفاوتاً حقيقياً ما يزال قائماً بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية . وبالرغم من أن الولايات المتحدة الاميركية والصين هما في حالة حرب عملياً ، الا ان هذه الحربيين يد ما يزال متخلفاً للغاية اقتصادياً وبين أكثر الدول الرأسمالية « مدنية » لا تشبه في شيء تلك الحرب التي ثلها بين لينين والتي كان يتظر ان تفوز ضربات حاسمة بالرأسمالية . وبكلمة واحدة ، اذا ما حاولنا ان تصور « بالرجوع الى هذا المقال » ما يمكن قوله ان يكتبه اليوم عن السياسة

التي يتوجب على الاتحاد السوفياني انتهاجها ، لبدأ لنا جلياً أنه سيكرر المجلس  
الاساسية فيها : « علينا ان ندلل على أكبر قدر ممكن من القفظة والحذر ...  
هل نستطيع ان نتلافى الصدام القادم مع البلدان الامبريالية ؟ هل نستطيع ان  
نأمل بأن تتسارعتا ستترك لها هدية لفترة الثالثة ؟ ... ان الحبل يتوقف على قدر  
كبير للغاية من العوامل بصورة لا يمكننا معها التلبؤ بشيء ... لكن لا مجال  
للتشك في نتيجة الصراع » .

ولا انصور ان سألين لبيع سياسة أخرى . فنحن نرى أولاً الحكومة  
السوفيالية تحتكر عصبه الأمم ، تلك الاداة في يد الامبريالية البورجوازية ، ثم  
من القفظة التي بدأت فيها اليابان والمانيا المتفوية تطلقان بالها أخذت تتقرب من  
عصبه الأمم ، وتتادي في جنيف بنظرية السلم غير القابيل للانقسام ، وتقف  
بجانب الأمم ، والحفاظة ، ضد الأمم « البروليتارية » . كان ذلك في العصر الذي  
صرح فيه سألين : « نحن لا نطمح في بوسة واحدة من أراضي الغير ولن نسبح  
لأحد بالاستيلاء على بوسة واحدة من أراضينا » . بسبل ان الاتحاد السوفياني  
سيذهب الى حشد توقيع اتفاقية معونة متبادلة مع فرنسا . وحتى مؤخر  
ميونخ<sup>١١</sup> ، سيلعب لعبة الديموقراطيات ، مكثفياً بتروحيته بالتريد من الحزم .  
وموقف الحزب الشيوعي الفرنسي ، منطوراً اليه من خلال صلته بالسياسة  
الخارجية للاتحاد السوفياني ، بالغ الدلالة . فبين ١٩٣٨ و ١٩٣٠ ، بس برامجه  
النضالي ، لحشية من اندفاع الدول الرأسمالية في هجوم على روسيا السوفيالية ،  
ضد الحرب الامبريالية ، وحدد التدابير الرئيسية الواجب تنفيذها في حالة نشوب  
القتال . وبدءاً من ١٩٣٥ وحتى ١٩٣٨ ، واصام تهديد القاشية الداخسلي  
والخارجي ، ففكر ونفذ فكرة وحدة العمل مع الاشتراكيين . وتحسن لعرف  
غضبية الاتحاد السوفياني وتطهيره . بعد ميونخ ، و « محاولات رجعيي السكتلرا  
وروما للاتحاد مع فاشي ألمانيا وإيطاليا على حساب الاتحاد السوفياني » . ومن

١ - المؤتمر الذي عقد في إبريل ١٩٣٥ ، وضم رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وألمانيا  
 وإيطاليا ، ومعرض على شيكوسلافاكيا للتشاور عن جزء من أراضيها لألمانيا .

يؤكد ان الاتحاد السوفياتي قد خشي من التطويق والحرب : وعيناً طلبت  
 الحكومتان الفرنسية والانكليزية التحالف الروسي بين ١٩٣٨ و ١٩٣٩ اعمام  
 الخطر الوثيك الوقوع . ان رية السوفياتيين لن تلقي السلاح : فهم ملتصقون  
 بان ألمانيا على مفرق الطرق ، وبأنها ستهاجم جيواتيا في الغرب أو جيرانها في  
 الشرق ، وذلك تبعاً لميزان التحالفات . ويوقع رينستروب<sup>(١)</sup> ومولوتوف الخلف  
 الألماني - الروسي . ولقد قيل كل شيء حول هذا العمل ، ولا ريب في انه كان  
 خالياً من الرقة والمراعاة : لكن من يستطيع ان ينكر ان روسيا كانت تريد  
 ان تحافظ على سلامها امام استحالة المحافظة على سلام العالم ؟ ولم تغير موقفها إلا  
 مع هجوم ألمانيا عليها عام ١٩٤١ ، ويستدل من العطبات الأولى ان الجيش  
 السوفياتي لم يكن مهيأً قام التوشة للصدمة . وبعد ١٩٤٤ ، ايقظ انصار ألمانيا  
 الصليبية المعادية للسوفييت من جديد . وحسبوا الاتحاد السوفياتي ، بمختلف  
 الوسائل وبمختلف السياسات ، ان يعمي نفسه . وبدءاً من ١٩٤٧ ، ابعدت  
 الأحزاب الشيوعية الأوروبية عن المراكز القيادية . وكان تصلب سوفيياتي جديد .  
 لقد بحثت طويلاً ولم أجد خلال العقود الثلاثة الأخيرة أي ارادة عدوانية لدى  
 الروس . انا وجدت أمة مرابطة محاصرة ، ما تزال تذكر تدخل الحلفاء عام  
 ١٩١٨ وما تبع ذلك من فرض حجر صحي عليها ، أمة ستؤثر أي شيء كانت  
 على الانسحاق ، حتى ولو حرباً عالية ، لكنها تسمع بجميع الوسائل التي تدور  
 هذه الحرب ؛ أمة غشنة ، أجل ، ومتعالية وغضوبية وشريعة عندما تدعو  
 الحاجة : لكن اين العجب ؟ ذلك انه اذا كان صحيحاً ان الأحزاب الثورية  
 بتبعيتها لها لا تسام البتة تقريباً في تهدئة روح الناس ، إلا ان الشنائم التي ترمخ  
 فيها هذه الأحزاب في الديموقراطيات البورجوازية ، وقمعها سياسياً ، وسياسة  
 الزعماء الشيوعيين في البلدان الناشئة ، لا تشمل من شيء سوى انها تريد في حدة  
 التوتر . ذلك ان ما يبغضه البورجوازيون في الشيوعيين هو الاتحاد السوفياتي

١ - وزير خارجية ألمانيا بين ١٩٣٨ و ١٩٤٥ ، حكمت عليه محكمة نورمبورغ بالإعدام  
 ( ١٩٤٣ - ١٩٤٦ ) . ٥٧٥٥ .

وما يفضونه في الاتحاد السوفياتي هم الشيوعيون . وما لا مجال للشك فيه ، على كل الأحوال ، هو ان تسلط فكرة العدوان الروسي علينا يتجاوب بدقة مع تسلط فكرة التطويق على الروس .

لنكن على بينة من أمرنا : اذا فقد الاتحاد السوفياتي ذات يوم كل أمل في تجنب الحرب ، فسوف يتولى بنفسه اطلاق شرارتها الأولى . ومن يمكنه في مثل هذه الحال ان يلومه ؟ لكن فادته لا يقولون انفساً عن قادتنا . منذ عام ١٩٤٦ بات مولوتوف يؤمن بخصية الحرب . لكن المسألة اليسوغوسلافية دلت على انه لم يقنع زملاءه قام الاقتاع ، وكان بعضهم ، على ما يبدو ، يفكر بشأن الصدام يمكن إرجاؤه الى يوم تلشب ازمة حاجرة تززع اركان العالم الغربي . المقاومة الألمانية ، التحفظات الانكليزية ، طلبات الرأي العام في فرنسا واطاليا ، تورط الاميركان في كوريا ، اضطراب العالم العربي ، حرب الفيت - منه : هذه وغيرها اوراق ما يزال بالأمكنة القائمة عليها . وكان هذا التصور اوفاك يفرض نفسه ، تبعاً للوقوف الدولي ، وربما ايضاً تبعاً لميزان القوى داخل المكتب السياسي ، لكن تصور الاقلية كان دوماً يعدل من كفته .

وقد انعكس هذا التراجع في سياسة الحزب الشيوعي ، وانا في هذا المناخ يقضي ان نضع نظاهرة ٢٨ أيار . فكثيراً ما ربطت هذه النظاهرة بالقال الذي نشره بيبو بعد سفره الى الاتحاد السوفياتي . والحال ان هذا القال ، وكما يستين ذلك جيل مارلينه في « الاوسرفاتور » ، يعلن عن عودة الى خط ١٩٥٠ اكثر مما يشكل ، انعطافاً ، في سياسة الحزب . ففي عام ١٩٥٠ ، في المؤتمر السابع للحزب ، وقف توريڤ<sup>١١</sup> ينضح ، الحكومات الثمرشلة<sup>١٢</sup> التي وهبت نفسها للرأسماليين الاميركان . . . . . التي تلجأ في حربها على الطبقة العاملة الى طرائق

١ - موزيس لوزيڤ ، الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي بين ١٩٣٠ و ١٩٦١ ،  
١٩٥٥ - ١٩٦١ .  
٢ - نسبة الى عارثال الاميريكي ومشروعه المعروف .  
١٩٥٥ .



الاغتيال والارهاب ، . وفي ايلول ١٩٥٦ صرح جاك ديكنو ، على العكس ،  
 في مجلة اللجنة المركزية : « ان ارباب العمل والعمال يمكنهم ان يلتقوا في المعرك  
 نفسه من اجل انقاذ الاستقلال الفرنسي » . وفي ايار ١٩٥٢ عاد بيرو الى موضوعات  
 تورين : « ان الدفاع عن الصناعة الفرنسية لا يمكن ان يتحقق ضمن نطاق  
 « الحماس قومي » بين العمال والطبقات المتوسطة والصناعيين » . وهكذا رجع  
 الحزب الى تصليب ١٩٥٠ ليعود بعد شهر واحد ، مع تقرير فاجون الى اللجنة  
 المركزية ( ١٩ حزيران ١٩٥٢ ) ، الى التمسك ديكنو : ان طبقة ارباب العمل  
 ليست متجانسة ، وان كثيراً من الصناعيين الفرنسيين مهذبون بالافلاس نتيجة  
 سياسة التسليح . ولقد أسيء فهم مقال بيرو ، ولا يسد من التخلي عن التعصب  
 القومي ، « يؤسد اليد الى الجماهير الفلاحية والى الطبقات المتوسطة والى المثقفين  
 والى » من يشكو من ارباب العمل من السيطرة الاميركية ، . والتسارح هذه  
 المرة أسرع وأوسع نطاقاً : لقد غالى بيرو أكثر من تورين ، وفاجون يقالي أكثر  
 من ديكنو . ويبدو ان التماس قد طاش صوابه . ولقد قيل ان تناوياته كانت  
 تتجاوب مع ايقاع الموقف الدولي . لكن هذا غير صحيح مئة بالمئة : فصحیح  
 ان تورين صرح عام ١٩٥٠ بأن « السلم معلق بشعرة واحدة ليس إلا » لكن  
 حرب كوريا لم تكن قد اندلعت بعد ( هل كان يعرف انها قريبة ؟ ) ولجدهد  
 التسليح الاميركي يرجع تاريخه الى العام التالي ، وفي ايلول ١٩٥٦ لوحظ بعض  
 الانفراج بالنسبة الى شهر كانون الثاني ، بيد ان الاخطار نفسها ما تزال تكفل على  
 العالم : فقد تم تقرير إعادة تسليح ألمانيا ، ومفاوضات الصلح في كوريا تسير  
 سراً بطيئاً للغاية ، وفوز المحافظين في الانتخابات الانكليزية مؤكداً ، ومؤخر  
 اولوا على وشك الاقتناع . اما التارجمان الاخير ان فقد حدثاً في نفس الجو  
 الثور الهدد ، وهذه القناعة المسرحية المزوجة لم تترافق بأي تعديل محسوس  
 في الموقف السوفياتي الذي ظل ملتصقاً بسياسته الكفافية . إلا اننا لا نجد شيئاً  
 مماثل لهذا في إيطاليا بالنسبة الى الفترة نفسها ، وانه لما يسرع الانتباه ان

تولياني<sup>١١</sup> ، بعد بضعة أيام من نشر مقال بيبي ، قد اقترح على دي غاسبري<sup>١٢</sup> عن طريق نيني<sup>١٣</sup> جبهة مشتركة ضد اللكيين والقاشيين الجدد . وهذا وحده يكفي لاستبعاد فكرة وجود أور كسفا واحدة تتولى التنسيق بين الحركات الشيوعية القومية<sup>١٤</sup> . إن تارجحات السياسة الشيوعية في فرنسا هي خاصية الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يقصد ، لأسباب سأشرحها فيما بعد ، التنازلات الروسية مع تومسما ؛ ووثيرة هذه التنازحات وشدها واتساعها تتعلق بثلاثة عوامل هي الأقل : الطرف الدولي ، الحياة الداخلية للمكتب السياسي ، الحياة الداخلية للجنة المركزية الفرنسية . ولقد تم تقرير مظاهرة ٢٨ أيار في جو من التشاؤم . كانت جهداً كبيراً في سبيل السلم . لكن الحزب كان قد كف عن الأيمان بالسلم ، وهذا ما يفسر ارامة الفشل والوجه إلى العنف . ارت الحزب الشيوعي بتوقيع الأسوأ دوماً ، ففي عام ١٩٢٧ قال ستالين : « ما من بلد وأسمالي يمكن ان يمازف بحرب واسعة النطاق إن لم يكن مطمئناً إلى مؤخرته سلفاً ، وقيل ان يكون قد قهر عماله وقبح مستعمراته » . ولما اقتنع الحزب بأنه سيحل ، بدأ يفكر بالعودة إلى العمل السري . وتقرر قاجون بلج صراحة إلى هذه الزاعة الأنظمة ، فقد قال : « على جميع نشاطات الحزب ان تستمر علناً في عملها الجماهيري ، وكأنه أراد بذلك ان يطعش المضالين وان يستنكر في الوقت نفسه الاستنتاجات المتسرعة أكثر مما ينبغي . وحسين قرر المكتب السياسي المظاهرة ، لم يكن همه كثيراً ألا يشارك فيها سكان باريس ، لأنه يعلم سلفاً ان

١ - تقرير تولياني ، الأمين العام السابق للحزب الشيوعي الإيطالي ، تولى في اواخر عام ١٩١٤ .

٢ - سياسي إيطالي . وضع الديمقراطية للشيوعية ، ووليس التوروات بين ١٩٤٥ و ١٩٥٥ .

٣ - بلور ليانو ، الأمين العام للحزب الاشتراكي الإيطالي .

٤ - في خطابه في شهر حزيران ، وبخطة مهاجمة دي غاسبري ، قرع تولياني بقهوة الحزب الشيوعي الفرنسي ، وقال ما خلاصته : « لنا الحياة إلى هذا الحد » . لقد حشدتم شرطسكو وفرانسكو في شوارع روما لكننا لم نلج في القبع ولم نرد على استفزاز السكو » . ومن السهل ان نستنتج من هذا الكلام رأيه في مظاهرة ٢٨ أيار .

الأمر لن ينفذ<sup>١١١</sup> . وقد قال بيير تيسو في « فرانس سوار<sup>١١٢</sup> » : « كانت  
 النظرة عبارة عن عمل منسق قام به فدائيون سائرون ، تنفيذاً للأمر » إلى  
 معركة خاسرة سلفاً<sup>١١٣</sup> . معركة خاسرة سلفاً : هذا صحيح ، فقد كان لا مفر  
 من فشل النظرة . لكن من الصحيح أيضاً أن انتصارات البروليتاريا طويستة  
 الأمد وتولد في غالب الأحيان من معارك خاسرة حينياً . وما لا نستطيع البدء  
 تقريباً أن نقفه ، نحن البورجوازيين الذين لا يريدون أن يحتفظوا إلا بقسري  
 انتصاف انتصاراتهم<sup>١١٤</sup> هو صبر العامل الطويل وذلك المزيج من القدرة والبناس  
 والشجاعة الذي يحدد أحياناً<sup>١١٥</sup> تحت ضغط وضع لا يطاق ، يدخل معركة هو  
 شبه واثق من أنه سيظهر فيها . إن الحزب الشيوعي بتقريره ذلك « اليوم »  
 العيش بالرغم من عدم وجود أي فرصة لتراجع<sup>١١٦</sup> ، إننا كان يسلمهم رخصاً عن كل  
 شيء ، التقاليد العمالية .

لكنه كان يعبر على الأخص عن نزعة الجماهير السامية الثأرة<sup>١١٧</sup> وانتهمكتلون  
 متعصبين حين تهنون العامل الفرنسي على أنه رفض تجنيده خدمة مصالح ليست  
 هي مصالحه . إن واحداً من العمق وأبسط مشاعر البروليتاريا<sup>١١٨</sup> ، إن واحداً من  
 العظيمة البائسة لوجعها الطبيعي<sup>١١٩</sup> هو فهمها لنفسها على أنها ذلك الوجود اللغز  
 به في الكتل الاجتماعية من غير ما علاقة تضامن معه . أنها غير متديجة بالمجتمع<sup>١٢٠</sup>  
 بل هي تلف بجوانبه<sup>١٢١</sup> ، في شبه انفصال يفرض عليها وينتهي بها الأمر إلى المطالبة  
 بمسه . وفي فترات التوتر الدولي<sup>١٢٢</sup> تفرغى روابطها الاجتماعية أكثر أيضاً<sup>١٢٣</sup> ، في  
 الوقت الذي تتوق فيه في أي مكان آخر . فكيف يمكنها أن تضع نفسها على  
 مستوى التوتر النفسي والاجتماعي البورجوازية الصغيرة التي تحيط بها ؟ إن هذا

١ - وكيف يمكنه أن يكون على علم بذلك خلافاً له . كما يقول مورغنيه . « يتبع متبعاً  
 عليها يسمح له ... معرفة تقاليد مشاعر الجماهير » ؟ يسأل إن السورلين الحقيقين لا يقدمون  
 معلومات كافية إلى السورلين التركيزين . هذا ممكن ، لكن الحقيقة في مثل هذه الحالات متعرف  
 لكنها لن تبقى كليا .

٢ - من كوربات الصحف البيئية الفرنسية .

الطلاق بين انعدام المبالاة وبين الاحتياج العام يجعلها تلب نحو النزعة السلبية .  
 والنزعة السلبية هي أولاً وبالكامل اعادة تركيز الغزاة العمالية وسط مجتمع  
 استغلالي ، ثم تصعب ، بعد ذلك فحسب ، إعلاناً عن التضامن مع الطبقة العاملة  
 في الأمة العدو . وفي الوقت الذي تنسقط فيه سائر الطبقات لتضامها الخاص في  
 الجانب الآخر من الحدود ، مغيرة اسمه وكصورته شيطانية عن المجتمع ، يسقط  
 العامل ذاته امام نفسه ومن غير أن يبدل الاسم ، لأن تقيده لذاته هو طبقة بلاده  
 البورجوازية بالذات . وعلى هذا فإن الموقف الأبسط والأقرب من المفوية ،  
 الموقف الذي يعبر على الضل صورة عن مشاعره ، هو النزعة الانيمية . ولعل  
 اولئك الذين تقدمت بهم السن من العمال ما يزالون يذكرون النداء الذي وجهته  
 عام ١٩٠٦ اللجنة الاتحادية للاتحاد العام للشغل : « حارب على الحرب . ايها  
 العمال ... ان الحرب قد تشب لأبسط حادث . والصحافة تعلم هذه الأشياء ...  
 وللهم الصمت مع ذلك . هذا لأنهم يريدون ان يرهبوا الشعب على ان يسير »  
 متذرعين بالشرف القومي وبجنتية الحرب ما دامت دفاعية . والحال ان الشعب  
 لا يريد الحرب ... وليس للطبقة العاملة اي مصلحة في الحرب . فهي وحدها  
 التي تتحمل تكاليفها كافة - وتدفعها من عملها ودعما . اذن فعليها تقع مهمة ان  
 تقول بأعلى صوتها انها تريد السلم .

ولقد رأينا كيف ان تحول الثورة الروسية الى أمة تسد عقبة الأمور بعض  
 الشيء . والحزب الشيوعي ، بطلبه الى البروليتاريا ان تدخل استثناء على مواقفها  
 العادي للنزعة العسكرية ، قد خلق تناقضاً سينتهي به الأمر الى تشويش كل  
 شيء ، وإلى حرمان الشعور العفوي من تعبيره . ومنذ ١٩٢٨ وجدت رغبة في  
 استغلال القوة المقدسة لبعض الكلمات وبعض المواقف لصالح الاتحاد السوفياتي .  
 وبدلاً من ان يشرحوا العامل وروابطه كتضامن الواقعي وغير القابل للانقسام التي  
 تربطه بالاتحاد السوفياتي ، جندوا من الاتحاد السوفياتي الوطن الاشتراكي العامل ،  
 ومن العامل جندي الاتحاد السوفياتي المحارب من وراء الخطوط . وفي الوقت نفسه  
 تقدمت وتطورت اساليب التضال ضد الحرب واخذت باتت شيكلاً عسكرياً :

وهكذا أراد الحزب الشيوعي ، وقد أخذ درساً من فشل ١٩١٤ ، ان يستبدل  
 اسلوب ، الاحزاب المسام ، المشهور والنهيم ، بأسلوب التخريب والدعاية  
 الانزامية واللائشرية ، الخ . وعند ١٩٢٨ - ١٩٣٠ بدت الحيرة على الطبقة  
 العاملة وفشل ، اليوم الاحمر الدولي ضد الحرب ( ١ آب ١٩٢٩ ) فشلاً فريعاً  
 شبيهاً بفشل ٢٨ أيار ١٩٥٢ . واليوم ، وكما كان متوقعاً ، تفرق المقصب الاممي  
 الذي يفترض اصطفاً لأعضواً للجماهير ( انها بجانب بعضها البعض ، تفصلها  
 الحدود ، وليست القيادة لأحد ، وهيئات مثلها برلمانية ) تحت تأثير المركزية .  
 ولادة ٥٧ ، موضوعة ايلول ١٩٢١ ، : اللجنة القائدة للحزب مسؤولة أمام  
 مؤثر الحرب ، واعام قيادة الاممية الشيوعية ، يمكن ان تفرجهم ومزماً الى هذه  
 الجهة ، العامل وطنان ، وطنه وجمهورية السوفييات الروسية . والحقيقة ان  
 ظهور الأوطان اكل وأجز عملية الانفصال الاقني . وأصبح للحزب الشيوعي ؟  
 على المستوى الدولي ، تنطيم لا يقل قوة عنه في كل بلد على حدة : ان الأمم شأن  
 اطلاقاً لن تتصل فيما بينها إلا عن طريق اهل حلقات التسلسل . لكن مصلحة  
 البروليتاريا ومصصلحة الاتحاد السوفياني تظل واحدة بالرغم من هذه الموازين  
 الفاصلة المهادفة الى توثيق الأواصر وتدعيم هيبة السلطة المركزية : وبذلك تم  
 التخلي عن جميع غريزوله التي كان لها اعليب الوقع في قلوب الثقابين .  
 ( ، الدفاع عن أرض الوطن ؟ لست أرى مانعاً لكن بشرط ان يكون الدفاع  
 مائلاً لهذه الارض ، ، تحقيق عن الحركة الاشتراكية ، آب ١٩٠٥ ) . لكن  
 ينبغي ان نتعرف ايضاً بأن الدفاع الجديدة تهدف الى تحرير العامل ، والى تويده  
 على القور بوسيلة للخروج من فائسه وبصفة تجاوز مع الآخر - لكن مع الأسف  
 تحت شكل الامر الكفاقي والواجب العسكري . والقصة المستعصمة هي نفسها  
 عسكرية : ، إن يوم ١٩٢٩ فاك سيكون بداية انتقال البروليتاريا الى الهجوم  
 المضاد على الجبهة الدولية . . . . لكن خلف لغة البلاغات هذه ، ويتكلمات  
 مقتبسة من دعاية دعاء القومية ، استمر فرع من حديث صاحب بيتي بروليتاريا  
 لينت متمسكة بالترعة السلفية - بكل بساطة ، لأن وضعها يفرض عليها ذلك -

وبين مناضلين لبشرا متمسكين هم أيضاً على الأرجح بهذه الفزعة من خلف جهازهم الأيديولوجي واللفظي . وباختصار ، إن هذا أحد اعراض « حبة القسار » الخطيرة باعتبارها ظاهرة دوائية : فلا اتصال يقوم عن طريق اللغة ، لكن الملائك والثورات تستخدم ضد هذه اللغة كلمات تكلمب ، غير أنها تتفاهم حينياً لتعبير عن الحقيقة . انهم يعدثون التناقضين القدامى عن هجوم البروليتاريا المضاد فيسمع هؤلاء صوتاً قديماً صادراً قبل 1914 يمس في آذانهم : « ايها الشيعة ... في فرنسا كما في ألمانيا ، التفاهم الفكري كامل حول هذه النقطة : ان بروليتاريا كلا البلدين ترفض ان تخوض الحرب . ان فلير لهم كل منا حكومته ، ويمتسكاً المشترك والتواقف ، على أخذ ارادتنا بعين الاعتبار » . وبعضى ما « كان هدف مظاهرات 28 أيار - التي كانت من تدبير مناضلين متمرسين أكثر مما كانت مظاهرات علوية - ان تعطى الجماهير تصوراً مأساوياً عن صيواتها العميقة : كما أن التشبيل « المجازي » في المأساة اليونانية يمسك » على حد رأي نيتشه ، « أعمق فرائز الجوقة » .

وخلاصة القول انسه يتوجب على سادتنا الوصاء ان يلتفتوا بهذا : ان البروليتاريا ليس لها من داع الى القتال . انكم تشرحون برماً للعامل ان الاتحاد السوفياتي قد خان الثورة . وهذا ما يدعته ، لأنه ما كان يظن ان هذا يمكن ان يسبب لكم هذا القدر من الألم . وحرصاً على الايجاز اقول انه لا يصدق كلمة واحدة مما تقولونه . فالنيكارو حين تشر شائعات مطبعية عن السفارة الرومانية ، فإن ما تشره يسلي حتماً عجائز عليه المجتمع ، لكن هذا لأن عليه المجتمع يحين الحدم والفراشين . اما العمال فلا يحضونهم عباً خاصاً . وحتى لو شامت الصدف التاهرة ان يكون هناك عامل يقرأ بانتظام هذه الصحيفة ، ورك نفسه بفتح باحسانة السوفياتية ، فربما سيكون هذا سبباً كيباً يفتائل في صفوف الجيش الأحمر ، لكنه لن يكون بالتأكيد سبباً ليعائل ضده . لكنكم ستقولون : يسلي اكي يحرر البروليتاريا الروسية التعمية الخط . حسناً . لكني أشعر في مثل هذه الحال ان دعائكم لا تضح بعد ، ولا اعتقد انكم ستجنحون

الكثير من الناس اذا طلبتم اليهم ان يستأنفوا الصليبية المعادية لبلانشقة التي كان يعظ بها هنتر وان يلقوا الى جانب لسان كاي شيلك ضد صيني ماونسي لونغ ، والى جانب سينفان ربي ضد الشعب الكوروي بأسره ، والى جانب قنسة بيولونيس ضد آباء وأخوة منفي ماكرونيوس ، والى جانب أوليفارشية من المعمرين ضد التونسيين والمدغشقرين والليتناميين .

لقد امرتكم على ما اعتقد ، ان هذه مطالب كثيرة ، وراجمتم عن التشويق والتلفين للشهجي . وحين ترغبون ، لثبوتة دعوتكم ، في انتاج بعض اسباب يمكن الفرء بدافع منها ان يموت من أجل الولايات المتحدة ، تنطقون معارض قنيسة ومعارضات وحفلات موسيقية ، وباختصار تحوضون ما أصبح يسمى منذ بعض الوقت « حرباً ثقافية » . لكنكم تحرضون على مضاعفة أسعار الدخول : لتأكدوا ، على الأقل ، من انه لن يندس بينكم غريب . أو تزهون بين باريس ولندن وبرلين - فوداً علق عليه عدد من التلفين الشاحين والناصحين كآلسات صفيرات يلقين الأشيد تعلقها على مقاعد الدراسة الابتدائية حول الثقافة والحربة . لكن من تريدون ان تفتح هذه الأوركسترا النسائية باستثناء جمهور بجملة « المحويات » ؟ ان الثقافة لموت موتاً أكيداً حين يشرح الكتاب بالدفاع عنها بدلاً من ان يصنعوها . أما العامل فهو على كل الاحوال لا يبالي بها . وحتى يتم بها فلا بد أولاً من ان تفتح له ، ولا بد ثانياً من ان تحدثه عما يهمه . ان منضدة الصفايح التي تعمل في مصفاة ما ، تشرف عادة على مجموعة من أربع آلات ، وكل آلة تقرأ ثلاثين صفحة في دقيقتين ونصف . والصفحة تزن ثلثة غرام . وهكذا فإن العامة تقرأ مئة كيلو كل دقيقتين ، أي حوالي عشرين طناً يومياً . فاذهبوا إذن لتطلبوا منها ابناً أو زوجها ، واترحوا لها ان ذلك من أجل تحرير منضدات الصفايح ، السوفييات المسكينات المحرومات من حق التعبير عن رأيهن في الرسم التجريدي أو في نظريات لينسكو<sup>(1)</sup> . أهموها ان الولايات

(1) - عالم سوفيالي يوروجي اثرت نظرياته جداً كثيراً ، وقد تم عزله مؤخراً من منصبه كرئيس لأكاديمية العلوم الزراعية . 1968

المتحدة ستصنع قنبلة هيدروجينية وهي، خلسة الثبول امبانيا في الأمم المتحدة  
 من أجل ان تتاح الامكانية لـ منضعات الصفائح ، في الديموقراطيات الغربية  
 للاستمرار في التفكير والتعبير عن افكارهم باستقلال كامل . لا تخافوا : انها  
 لن تضربكم ، فهي أشد تعباً من ان تفكر بذلك . وانما اتم الذين ستقتاطون منها  
 وستصرفون أسفين وشاكين من ان حس الحرية قد ضاع في أوروبا . ومع ذلك  
 فإننا نتمنى هي أيضاً التحرر . لكن الحرية التي تطالب بها لا تشبه في شيء  
 حريبتكم . واعتقد انها على استعداد للتخلي بكل طواعية عن حرية التعبير التي  
 تشنون بها اجل التعبي في صالة غافو فيها لو حررت من ايقاع الآلات الواخر ،  
 من الاعباء التي ليس لإرادتها دخل فيها ، من البرد ، من ديكور المصانع المكتيب ،  
 وحتى تشمر بأنها حرة ، أكثر حرية من أي وقت مضى ، يكفها - مؤقتاً -  
 ان يصح في امكانها ، بالنسبة ان الزمن نفسه والأجر نفسه ان تنقل عشرة  
 اطنان بدلاً من عشرين . ماذا تنتظرون ؟ لو فعلتم ذلك لكيفتم تعرف خدمة  
 الثقافة . تقولون انكم لا تستطيعون ، وانه لا بد من الصبر ، وان أجلساد  
 منضعات الصفائح سيحورم التقدم التكنيكي؟ حسناً : اذا كنتم تريدون الحرب ،  
 فانتظروا ان يولدوا . ولا تعتقدوا انكم تكتمون جدهم إذ لدحون لها الاجور  
 الاميركية المرتفعة وتفرق الحياة المادية في الولايات المتحدة الاميركية . فسادا  
 نهما المفارقات الدافئة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية ؟ انها لا  
 تعمل في ستالينفراد أو في شيكاغو بل في فرنسا حيث سلم أو حرب . اما انتم ،  
 أيها القتلون ، فلشدة خوفكم من النظام السوفياتي ، تفعلون كل شيء لتدفقوا  
 طعمه . ذلك ان هذه الأيام أيام سلم ، والاميركان عندهم والروس في روسيا ،  
 لكن غداً حرب ، وسيكون الاميركان في اميركا والروس هم الذين سيكونون  
 عندهم . والعمل يعرفون ذلك : فمن اللحظة الأولى للشوب القتال ، سيقطعون  
 حتى تلك الاجرة الباسة التي يطلق عليها اسم « الحد الأدنى الحيوي » وهم لا  
 مصلحة لهم في ان « يجتأوا » من قبل أحد ولو من قبل الجيش الحمراء : انهم  
 يريدون الروس في الاتحاد السوفياتي ، والاميركان في الولايات المتحدة الاميركية .



وإذا كانوا لم يتكفوا أنفسهم عناء ما يرم ٢٨ أيار ، فهذا لأنهم كانوا يرون -  
 لأسباب سأشرعها فيما بعد- ان القصة لا تستحق مثل هذا العناء . لكن الخلاف  
 لم يتطرق قط الى مبدأ المظاهرة . وصدقوا انهم لا يشعرون البتة تجاه ريدوي  
 بعطف خاص ، ولا تجاه أي اميركي آخر . ذلك انكم تعلمون حق العلم ، انهما  
 الجزان الذبقة ، والفيغارو نفسها بدأت تشك في الأمر : ان الاميركان رجال  
 دعابة يتنازرون ، لكن غير دعابة يقومون بها انما يقومون بها لصالح الروس .  
 ج - الحزب الشيوعي والاتحاد العام للشغل يشبان العمال بفرضها عليهم  
 تظاهرات سياسية .

لكن هي ذي حجة جديدة : إن العمال ينحون باللائمة على الحزب الشيوعي  
 لأنه زيف أهدافهم المتفاعلة الوحيدة حين استخدمها لأمر لم تخلق لها . ولقد  
 دلوا على حسم السلاح وأفهموا المحرضين « العملاء للروس » انهم مصممون على  
 الابقاء على الانفصال بين ما هو سياسي وما هو اقتصادي .

إذا كنتم تقولون الحق ، فإنهم يكونون قد قدموا لأرباب العمل أجل عدية :  
 ذلك ان أرباب العمل حريصون على هذا الانفصال ، ربما أكثر من حرص رجال  
 ١٧٨٩ على انفصال السلطات . فبعد أن عشنا الطهرانيون التجارة والصناعة ،  
 كان لابد ، في هذا القطاع ، من استبدال الله بقانون حديدي : فكان هذا  
 القانون ، باعتباره صارماً ، بعيد البراعة الى المستغلين ، ويبرر باعتباره إلهياً  
 النجاح . وكان يمكن إقامة الدليل ، بنفسه ، على أن الغني صالح والفقير طالح .  
 وكان هذا القانون قانون العرض والطلب الذي هو بمثابة « آية منظمة  
 حثيثة » تعدل الاسعار ، تسمد بعض المتطلعين الى ان يكونوا باعسة وبعض  
 المتطلعين الى ان يكونوا ثمرات... تحت على الانتاج في حالة النقص وتبسط عزيمته  
 في حالة الفيض الوفرة<sup>١١</sup> . ولقد سمح بالعودة الى التفاضل ، وبالتالي ارت  
 القوية متناسبة مع التبع الاجتماعي وارت أفضل تاجر مسوم من يبيع بأرخص  
 الاسعار ، وانه بالتالي مصطلق الله والحسن الى الانسانية . وكان القانون ينطبق

١ - دوجروس ، الأجر - ١٩٥٦ - ص ٤٠ .

على نحو مدعش على العلاقات بين المستخدم والمستخدم : فالعمل بضاعة والأجر ثمنها . ولا أحد يستطيع ان ينهي باللاقة على أرواب العمل : فالأجر هو في كل لحظة ما يمكنه ان يكونه ، لا أكثر ولا أقل ، باعتبار ان التوازن يتم آلياً . وهكذا أصبح ميدان الاقتصاد ميدان الضرورة ، بينما لبث ميدان السياسة ميدان الحرية . وكل شيء يسير على مسارهم طالما ان الميدانين منفصلان . ولا مانع عند لزوم من أن يؤثر الاقتصاد على السياسة ، لكن تدخل السياسة في الاقتصاد يبلبل الوجدانات ويشير الاستهجان : فعمل الرجل السياسي يهدف الى إقامة الدليل على ان ميدان الاقتصاد قد لا يكون مستقلاً بذاته ، وانّه يمكن تبديل مجراه بالتأثير على عوامل أخرى . واقترح بعض النظرين إرجاع ما هو سياسي الى ما هو اقتصادي : لكن البورجوازية أبت ذلك ، فهي لتفصل الفصل والتقسيم . فترق لسد . وجرت العادة بكل بساطة على إطلاق اسم الديماغوجية على كل تنازل لسم به السياسة للطبقات الفقيرة من غير ان يتفرع منها انقزاعاً . فالكرم هو ، من حيث المبدأ ، كرم كالب . وإن ذلك الإصلاح ، الكرم ظاهرياً . . . . وهذا يعني ان كل محاولة لإحلال نظام إنساني محل النظام الميكانيكي مقدر لها الفشل . وليس هناك إلا طريقة واحدة في ان يكون المرء صالحاً : هي ان يتلائم مع النظام الطبيعي ، ان يخضع للسلطان ، أن يعمل الآخر يعمل أكثر ما يمكن وأن يدفع له أقل ما يمكن . وهو سيخدم الانسانية قاطبة إذا ما انتج بأقل تكاليف ممكنة . وهذا الجهد الشكور لتبرير الربيع هو أصل تلك النظرية المضحكة : نظرية العظيمة الرهيبة التي تجدس لدى كاترويل ولدى المتلربين . فالعامل إذا ما استخدم حدوقه الثقافية ليخلط بين الاقتصاد والسياسة ، قضى في النهاية على كل الميكانيكا التسامحة . وكل شيء يسير على مسارهم إذا ما رقت العمل لتفاني على حمالة مضاعفة . وفي الحقيقة ، لا بد من الاعتراف بأن تناوجات السوق قبل ان ان قيمة قليلاً الأجر الوسطي مما كانت يسمى يورج في القرن الثامن عشر

بالأجر الطبيعي والذي كان تورغوا<sup>١١</sup> يعرفه بأنه ، وما هو ضروري للعامل ليقوم بأرد حياته ، والنقابة لن تتدخل إلا لتحل متعاقداً واحداً محل عدة بانين . وهي لا تستطيع ان تعدل قوانين الاقتصاد الخالدة . لكنها تتمتع ببعض السلطة لجرد انها تعمل كاحتكار . وهي تستفيد من هذه السلطة لتدخل بعض التعديل على الأجر الخام ، المتعلق بلعب القوى الاقتصادية وعده ، ولتقرية مما أمكن من الأجر الطبيعي .

وهكذا فإن الاقتصاد الكلاسيكي يصف ما كان سيحدث لو ان العلاقات بين العشر كانت قابلة كلياً للتشبيه بعلاقات الأشياء فيما بينها . أو هو يقرر ، إذا شئت ، قوانين عالم ، الإنسان فيه لاإنساني بالنسبة الى الإنسان . والنقابة مقبولة إذا ما أخذت مكانها ، بصفتها حالة خاصة ( حالة بائع أوجد وعده مشفرين ) ، في إطار هذه القوانين الصارمة . لكنها لن تكون مقبولة إذا كانت تتطوع الى أنسة هذه القوانين . لكن بالرغم من است وجة النظر البورجوازية واضحة بما فيه الكفاية في حد ذاتها ، فإنني أكف عن قهها إذا ما حاولت ان انظر الى الأشياء من وجة نظر العامل الأجير ، فالناز بين الاقتصادي والسياسي يصبح غامضاً ومبهماً للغاية الى حد أجد معه مشقة في الايمان بوجوده . وبالأصل لست افهم ما يقصدونه حين يريدون ان يقتصر العامل على حماية مصالحه . فهل للعامل من مصلحة ؟ يبدو لي بالأحرى ان مصلحة العامل هي أن يكف عن ان يكون عاملاً . وقد قال ماركس : « انت المهنة الواقعية للبروليتاري هي بالضرورة قلب شروط وجوده » . وإني لأرى من الآن مناهض الشيوعية يزد كتيبه : إذ يبدو اني لست جاداً وان هذه الألعاب اليزنطية قد انضاعت فرنسا عام ١٩٣٩ . حسناً ، لتكن جاداً في إذن . ان العامل مصلحة خاصة باعتباره عاملاً . اي انه يتوجب عليه كهداية ان يقبل بشرطه في مجموعه . وإذا ما فعل ذلك ، أفرواله يحقه في تحسين التفاصيل . وعلى هذا فإن الموضوع البورجوازية ( سواء أبحث

١ - اقتصادي فرنسي ، وزير المالية في عهد الملك لويس السادس عشر ( ١٧٧٧ -

١٧٨٦ ) . ( ٢٠٠٢ ) .

شكل الاقتصاد الكلاسيكي الحثيث بعض الشيء أم تحت الشكل الحديث لتعاون الطبقي) تقول إن العامل يجب أن يظل عاملاً، ولا يجب في ذلك طائفته خلق ليكون عاملاً كما خلق رب العمل ليكون رب عمل . والاضراب يكون تحريضاً إذا كانت مطالب الضربين تستوحى تصوراً عن الإنسان . وحسين يصرح رب العمل بأن البروليتاري برويتاري بالولادة وأنه ينبغي أن يظل كذلك . فإني لا يتكلم في السياسة : إنما يطرح مبادئ الاقتصاد . أما العامل فإنه يتنقل بالتقابل إلى ميدان السياسة حين يريد أن يلغي البروليتاريا . وكل تاريخ التشريعات العمالي يكشف ، لدى المؤلفين البورجوازيين ، عن اهتمامهم بتثبيت الاضرابات الصالحة من الطائفة . ومثل عام ١٨٧٢ صرح موير ، وهو يدافع أمام الجمعية الوطنية عن مشروع قانون يعاقب على الانتباه إلى الأمانة، بأن هدف المشروع «حماية الفئات العمالية» من كل محاولة لإضراب «تكون نتيجة تفكير سيء، وتأمير ضد النظام الاجتماعي» . «واليوم أيضاً ، وبميسرات مختلفة» يقضى «بجلس إضراب العمل والعمال المشترك» (قرار ٢٦ آذار ١٩٤٧) من جديد نظرية «الاضراب الخالف للشرع» : «من المناسب تطبيق هذا الحق (حق الاضراب) مع الأخطار بعين الاعتبار المبدأ المطلق القائل إن ممارسة حق من الحقوق يحددها ما يمكن أن ينشأ عنه من شلطة، وإن الحق لا يكون أبداً غير محدود في مجتمع منظم» ، وأنه يجب حده الطبيعي في حال غياب تشريع خاص في حقوق الغير والجماعية...» . ما أجملها وما أعظمها من كلمات : لنا الشكل الوحيد هو أن «الاجتماع المنظم» الذي يعيش فيه العامل والذي يتوجب عليه أن يحترم قوانينه هو على وجه التحديد المجتمع الرأسمالي الذي يضطهده . وعلى هذا فإن القرار البورجوازي بتحديد حق الاضراب وحدته بالمطالب المهنية وحدتها هو بالأصل قرار سياسي ويستند إلى تصور كامل معين عن العالم والإنسان .

حسناً ، حق لو قبلت بهذا التصور ، وحق لو حددت بالاشترائك مع إضراب العمل مصالح العامل ، فإني لا أتوصل إلى أن فهم ما هي هذه المصالح . لنفرض أن مصنعا من المصانع وضع في خدمة جهازه مفسدة : فمصلحة الجهاز هي ألا

يفسد الباب للتفريغ . وبعد هؤلاء الشغية منساق الى حرب نتيجة سياسة  
 غبية : فصلحتهم هي ألا تقع الحرب . وبين المثال الأول والثاني هذين : نسأ  
 مجال للحياة الاجتماعية بأسرها . تتولون ان المثال الثاني سياسي الطابع ؟ هل  
 هذا مؤكد الى هذا الحد ؟ ففي حالة اشتعال الحرب ، تقدم الطبقة الفلاحية  
 و الصناعة البشرية ، واستفيد بالمقابل من ارتفاع اسعار المنتجات الغذائية ،  
 وابتعاص ، فتنساع منها ليرات من الدم . اما وضع البروليتاريا فعمل المنص  
 تماماً : اعسارها من الحروبات الانسانية أقل ، ولنا اقتصادياً تناسر . ليس في  
 البداية بل قسماً بعد ، عندما يسبب التضخم القسط الصناعة الثقيلة ومصاعب  
 الانطلاق من جديد من مستوى بدائي الأزمات والبطالة . ففي عام ١٩٣٤ كان  
 مجموع الأجور يساوي ضعف مجموع الضرائب . وفي عام ١٩٥٠ أصبح مجموع  
 الضرائب معادلاً لمجموع الأجور . والعامل ملء الحق في ان يصرح بأن المارك  
 العسكرية منه في مصاحفه المادية . بل أكثر من ذلك : اذا صرحتم ان الحرب  
 واقعة سياسية ، تكونون قد رفضتم التفسير الأشراكي للحرب والحلقة الجهنية :  
 تضخم في الانتاج - بحث عن اسواق - اسطدامات . وانا لا أقول انكم على  
 خطأ ولا أن هذه النظرية صحيحة : فلا أهمية لهذا هنا . بل أقول فقط انكم  
 تدخلون في تعريفكم لما هو سياسي ولما هو غير سياسي احكام قيمة وافراضات  
 وابدولوجية . يقيناً ان النظرية الماركسية عن الأزمات الدورية ، والطروحات  
 لينين عن الامبريالية الرأسمالية صحيحة او خاطئة . لكن إقامة الدلائل على  
 ذلك مسألة تقع على عاتق الاختصاصيين . ومعظم الناس يرفضونها او يقبلونها بها  
 حتى من غير ان يعرفوها ، ولا ريب في انهم سيجهلون مشقة وعناء اذا ارادوا ان  
 يتناقشوا حولها . ومع ذلك فقد صرح مرهام في شعاع طرحة التصويت في  
 مرسيليا عام ١٩٠٨ بأن « كل حرب ليست إلا مؤامرة على الطبقة العاملة »  
 وسيلة دامية وريعية لصرفها عن مطالبها ، وردد جميع المؤثرين هذه الصيغة  
 من بعده كما لو انهم قاموا بها . وقد ردد دعاء القومية متبهمين هؤلاء ، والآنزاميين ،  
 بأنهم يبايعون العدو كما لو انهم عازفون بذلك . والحق انها تصوران عن المعامل

مقاييلان ومعارضان ، معاشان ومضومان أكثر منها منكمراً بها . ويبدو ان  
 اي ترفيق بينها مستحيل ، و « الاصلاحية » بوجه خاص تصدر عن الطاب  
 العمالية حكماً مباحثاً واعتباطياً يبدو غير مبرر بالمره . ولستطيع ان لحكم على  
 ذلك مما جرى عام ١٩٠٨ : فقبل عامين من هذا التاريخ صوت أحد المؤتمرات  
 على شعار يدعو الى شن حملة « دعائية مناهضة للزعمة العسكرية والوطنية » .  
 وقد جاء « نيل » ، وهو نقابي اصلاحي وزعيم الأقلية « بمرح وجبة نظره في  
 مرسيليا : انه ضد الزعامة اللاوطنية التي تجمع ميامياً بين المناضلين . وأيد  
 جانسون وجهة النظر ذاتها : ان ألمانيا التي ستلتزم من غير مشقة متفرض طرامة  
 سيدفع العمال القسط الأعظم منها . انتم فقد نيل الى الاعتقاد بأن الخطبين  
 سيعلقان كلاهما أنها ضد الزعامة اللاعسكرية لأصحاب مهاتمة . لكن لا شيء من  
 هذا على الاطلاق : فالزعامة اللاعسكرية تبقى قائمة « في نظر نيل » في المجال  
 النقابي « هادفة الى النضال ضد تدخل الجيش في الاضرابات » . وهذا شيء ان  
 يبدو مجرداً ولا لاجياً بالنسبة الى الذين يتذكرون « هازر فورمي ( ١٨٩٦ )  
 والمارتينيك ( ١٩٠٠ ) وشالون سور مارن ( ١٩٠٠ ) وراون ليناب ( ١٩٠٢ )  
 وهراتي فيديو وفيلوف سان جورج ( ١٩٠٨ ) . كان الواجب يقضي بالنضال  
 ضد الجيش طالما ان الجيش يمثل النفع . إلا ان هذا لا يعدل من حقيقة ان هذا  
 التفكير لا يستند الى اساس من المنطق : فذلك ان تحريض العسكري على العصيان  
 عمل سياسي . واما كان تيسار الزعامة اللاعسكرية قوياً بما فيه الكفاية « حدد  
 بإضعاف الدفاع القومي وتسهيل انتصار ألمانيا ولعريض العمال لنفع تلك القرامة  
 الباطنة التي كان جانسون يريد ان يمنحها العمال .

كلا ، لكن على فناعة من الأمر : ان النقابية ليس لها إلا موقفان متلاحقان .  
 فهي إما ان تقتصر على دعم المطالب الباطنة . وإما ان تدافع عن العمال في جميع  
 قطاعات النشاط القومي . لكن العامل الذي يكتفي بالمطالب الأولية « لا يسه  
 ان تعرف ان يكون قد اتخذ موقفاً سياسياً : فهو لا يرفض الثورة فحسب « بل  
 يرفض ايضاً على سبيل المثال ، اضرابات التضامن . انه يسلم بصحة ويخون

والحقيقة هي انه يستحيل الاقتصار على اللطالِب المباشرة؛ ولقد قال ماركس ذلك بوضوح : « ان تضالاً من أجل زيادة الأجر انما هو استمرار لتعديلات سابقة . انه النتيجة القهمة لتقلبات مسببة في كمية الانتاج » في قوة العمل الانتاجية « في قيمة العمل » في قيمة النقد « في النسخ او كثافة العمل المضغوط » في تارجعات أسعار السوق التي تحمي لتطلبات العرض والطلب والتي تتم تبعاً لمتخلف مراحل الدورة الصناعية . وباختصار « انها في الوقت نفسه وجود افعال من قبل العمال على الاعمال السابقة للأعمال » . لكن المعامل في مثل هذه الحال يتدخل بعدد فوات الأوان و « في ٩٩ حالة من أصل ١٠٠ لا تكون جهوده لرفع الأجر غير محاولات للحفاظ على النسبة المغطاة للعمل » . « الذي فحش يمكن لبروليتاريا ان تحمي نفسها فلا بد ان يكون في وسع النقابة ان تؤثر على الأسباب لا على السببات . واذا مسا انكرتم عليها حلقها في التأثير على الظروف بكل مستلزمات السياسة والاقتصادية والقومية والدولية » تكونون قد هبطتم بطالبيها إلى مستوى الأندفاعات العمياء « وجردهمها من امكانية التوقع والألقاء الانسانية . انكم تجمعون من العامل معدة جائحة وفقاً بصرح . وبكلمة واحدة : « إن المهمة الواقعية للنقابة هي بالضرورة « ان تطالب وتحصل » على مستوى الشروع » على حق المساهمة في الإدارة « وعلى المستوى القومي » على حق مراقبة النتائج الاقتصادية لسياسة الحكومة . وهذا سواء أكلت اصلاحية ام ثورية « اني فقط من زاوية مصالح العامل « باعتباره عاملاً » .

ذلك ان الواقعة الاقتصادية « شأن الانسان الاقتصادي » هي من تصورات العقل . او هي رمز بشكل مطابق الى بعض الأوضاع القصوى التي يمكن فيها التسلط ان يعامل المنظم كحصة . ففي الريفيا الثورية الفرنسية على سبيل المثال « تخلق العنصرية وغياب النقابية السوداء بروليتارياً فونياً وطبقيةً ورغم

على الحياة في جميع الميادين في مستوى أدنى من مستوى الأبيض الأقل حظاً<sup>١١</sup>.  
 ومن هنا فإن « تعويض العمل بشبه عملياً أن ان يكون عمداً يقاوم العرض  
 والطلب<sup>١٢</sup> ». وتبصر آخر « ان الأيديولوجية العرقية تسمح بالهبوط بالعامل  
 الوطني الى مستوى الواقعة الاقتصادية الحالية . لكن ليس تماماً : فلأسباب  
 يمكن تحميشها يحدث السلطة الامارية ان تحدد نسبة الحسد الأدنى من الأجر .  
 وهكذا تتشاطر عبدة العنصرية السياسية ( بنهاها التعمية الاقتصادية ) وعبدة  
 الآلية<sup>١٣</sup> السياسية ( الماركسيون - الشيوعيون ) لتحددوا مستوى الحياة الذي  
 تقدران انه « عامل » و « كلفة » بالنسبة الى زمني . والحال ان الاقتصاديين  
 البورجوازيين « في الماركسيول » قد عدلوا عن إقامة نظرية الأجر على قانون  
 العرض والطلب . كتب موسى : « ليس العمل بضاعة . وليس الأجر سعراً  
 يتكيف حسب السوق ... ومن المستحيل ان تؤكد ان هناك علاقة بين أجر  
 عامل وإنتاجه » بين المستوى المسام للأجور والاستخدام والإنتاج والاعمار  
 والتفقد الخ » . انهم يعتبرون اليوم ان مشكلة الأجور قد أصبحت مشكلة تتعلق  
 بتوزيع الدخل القومي بين الأشخاص والفئات الاجتماعية . ومن سيحدد النسبة  
 مجموع معدل من العوامل تدخل فيه التصورات الاجتماعية والقيم والأيديولوجيات<sup>١٤</sup>

١ - التصريحات العالمية موزعة كما يلي :

- الأمريكيين : الولد الاول ١٧٥٠ ، الولد الثاني ١٥٥٠ ، ولد السادس ٥٣٥٠ فرنك  
 الامارات : الولد الاول ٥٩٣٠٧٢ ، الولد الثاني ١٣٧٥٥٠ ، ولد السادس ٥٩٧ فرنك  
 والفرنسيين تصريحات في مختلف انواع الطوائف . أمسا السود تليس لهم من تعويض إلا في  
 الحالات التي يقع فيها الحادث نتيجة انفجار أو آلة « تحركها قوة غير قوة البشر أو الحيوانات » .  
 والحصول على كسب واحد من الخبز الأبيض يشترط العامل التيام في ما كثر الى العمل ١٥٢٧  
 ساعة ، بينما يعمل العامل الباريسي ٢٥ ساعة . والحصول على ربحه واحدة يعمل أسود ما كثر  
 ٥٩ ساعة بينما يعمل الباريسي ١٦ ساعة .  
 ٢ - ويليم لوب : « قيمة عمل الأجراء الامارات » في « العمل في أفريقيا السوداء » - مجلة  
 « المحضر الافريقي » - العدد ١٣ - ص ٢٥٢ .  
 ٣ - كل نظام يدمي انه يرعى مصالح الأثريين ويمطي نفسه بالتالي نوعاً من ملطاة اومسة  
 عليهم .  
 ٤٢٠٥



وعلاقات القوة بين الفئات والمعطيات الاقتصادية الصرف . كتب موسى : « إن الأجر هو مساهمة ، أكثر منه سعراً ، في محصلة عامسة يستحيل فيها تحديد الأجر الفردي للمناصر التي يمكن فصلها عن هذا العامل أو قائد . أو ربما هو جزء مقتطع يشبه الضريبة في نقط التقطاعه ونسبه . أو هو أيضاً المورد الذي يفدي الحاجات الفردية والعائلية . وإذا كان هذا هو الواقع فإن مشكلة الأجور تصبح مشكلة علاقات الساية وبسيكولوجيا وميزان قوى : وبكلمة واحدة مشكلة سياسية تحدها أيديولوجيات ومعتقدات متعلقة بالعدالة والانتصاف والتسلسل الاجتماعي<sup>(١)</sup> » . ويرى قلوب الاقتصاديين ، ويقول أحدهم : « لقد انتقلنا من الحياة إلى الذهب الأنساني » . ويقول آخر : « انتقلنا من الاقتصاد الموضوعي إلى الاقتصاد المعياري السياسي » . فما الذي حدث لكل ما حدث هو أن البروليتاريا دخلت في الجنس البشري بطريق الاقتحام . ففي عام ١٨٤٨ لم يكن عامل العمل ، الموزون ، نادجاً لامتحان قوة . الفن فهو حيوان . وعلاقته بأرباب العمل نتجه إلى أن تكون محض صفة اقتصادية . وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كونت البروليتاريا نفسها كقوة اجتماعية مستقلة . وعمل المورد اعترفت البروجوازية للمال بكرامة الإنسان . وبدءاً من هنا وقع المذهب الأنساني الذي كانت فضوراً به إلى أبعد الحدود في التناقض : إن العامل انسان لأنه يهيف ، لكن النظام الاجتماعي يتطلب الابتداء عليه في شرطه الحيواني . وأصبح التناقض الذي تيمشه البروليتاريا وبرز تحت تناقض الفكر البروجوازي . وراح كل يفرح حله . وراح كل ، باسم أحد المذاهب الانسانية التي أخذت تتكاثر بسرعة إصلاحية ، تعاون طبقات ، نقابية مهنية ، اشتراكية مسيحية<sup>(٢)</sup> الخ ) ، يبحث عن التدابير التي تسمح للجموع البروجوازي يهضم بروليتاريتته . كانت المشكلة بسيطة لكن صعبة الحل : فما الشروط التي ينبغي ان تتوفر في مخلوق له ظاهر من انسانية حتى نستطيع أن نعطي صفة انسان وإن تعامله في الوقت نفسه كحيوان ؟ والحل لا يوجد بعد . وهكذا فإن هؤلاء البشر ، يجرد

١ - موسى ، الأجور - ص ١٢٤ .

حضورهم الصامت والتهديد المهادن الذي يوجهه نظامهم الصارم المرضي الى النظام القائم ، يطهرون على حين غرة وكأ أنهم مجتمع في المجتمع ، ويثيرون الاضطرابات في القردوس ويفجرون المنعجب الانساني : انه فعل سياسي ، اكيس كذلك ، بل لعلم الافعال منذ عام ١٧٨٩ . وليس له صعوبة في ان تفهم ان كل عمل مشترك يقوم به المظهرهون ، حتى لو كان محصوراً في حدود المطالبة المهنية ليس إلا ، هو بذاته ، وكما لو انه حدث من لط معيين يحدث في مجتمع معين ، عمل سياسي : ذلك انه يكشف عن درجة تلاحم القوى العمالية ومناخها المعنوي وقوة واتساع حركة المطالبة ، وهذه القوة ستنمو وتزيد بوعيتها نفسها أو مستأنض ، والروابط التي تربط بين العمال المنسبين الى النقابات ستوثق او ستفترق ، والعلاقة بين ارباب العمل والعمال الأجراء ستلتطور في هذا الاتجاه او فاكه ، وذلك تبعاً لنتيجة الصراع . والعمال على أم وعي هذه العلاقة العميقة التي تربطهم بالطبقة العامة بأسرها والتي تقابلهم على الطبقة البورجوازية . وعلى هذا فإن الاضراب ، مهما يكن موضوعه ، هو دوماً شيء اكثر من مجرد اضراب ومقار له . إن رابطة عمالية كبيرة لا تقتصر على مواجهة ارباب الصناعة : انما هي تهتم ايضاً بالمستهلكين ، بالجمهور . وهي تهدف الى إشغاله في لعبها ، وتحرس على ألا تكون غير شعبية ، وعلى ان تجهد بقدر اهميتها في الاقتصاد القومي ، وعلى دفع الرأي العام الى الضغط على ارباب العمل . وفي غياب الأحيان لا يكون تحسين شروط الحياة هدفاً في ذاته للعمل النقابي : انما الانتصار مطلوب من اجل الخطوة ، من أجل الحفاظ على المنسبين ، ومن اجل زيادة عددهم . أما الاضراب نفسه فإن المسألة بالنسبة اليه تتجاوز على كل الأحوال مصلحته المباشرة وهي شيء آخر غير هذه المصلحة : ان مسأله ليس هو المخرج ولا البؤس بقدر ما هو الغضب والحاجة الى التأكيد بأنه إنسان في وجه اولئك الذين يعاملونه كشيء . ولتفل ان النقابية هي طريقة في ان يكون العامل انساناً .

والنقابية ، موضوعياً ، سياسة . فهي تتولج بنفسها كلية الواقعية العمالية .

والتحديات التي تفرض عليها يرجع مصدرها بلا استثناء الى فكرتها السياسية  
 المسبقة . فواضح مثلاً ان الاصلاحى خجول ، محافظ ، منجذب سرّاً الى  
 البورجوازية ، فالحدود التي يضعها للعمل الثقاني لا بد ان تكون ناجمة عن  
 مساومات سرية طالما انها لا تستطيع في أي حال من الأحوال ان تجد تفسيرها  
 في الموقف الموضوعي . وواضح ان ابتعاد قبيل عن كل تطاهرة مناهضة للزجة  
 الوطنية تكن جذوره في شوقية غير معترف بها . لكن ينبغي ان نضيف ان  
 المناهضين الثقائين وعوا دوماً أهمية النقابة السياسية . بقينا ، لقد اظهروا رغبة  
 تجاه الأحزاب في أيام الثنائية - الفوضوية البطولية ، لكنهم انما كانوا مندوعين  
 به ، شعور معارضة عنيفة للبورجوازية ، . ويقول لنا غريغوروف انهم ، يريدون  
 بشراسة ان يقدّم عمل ، . وهم يريدون ذلك على وجه التحديد لأن الرجعيين  
 والاجتماعيين ، هم من طينة واحدة في نظرم . انهم سيفهمون بالثورة بأنفسهم  
 ولقد دعا المؤتمر نفسه عام ١٩٤٨ العمال الى ، الانفصال عن السياسيين ، الذين  
 يخدعونهم ، والى وضع أعناهم في الاضراب العام الذي ، يستطيع هو وحده  
 ان يقدّم الى تحرّهم ، . ويمكننا فيما بعد ان نلاحظ في قلب ، الاتحاد العام  
 للشغل ، بعض التناوب بين الاصلاحية والثقافية الثورية . لكن المناهضين من كلا  
 الفئتين متفقان على تطوير العمل الثقاني في جميع الاتجاعات . ان العامل ، في نظر  
 الثوري ، هو بعد ذاته التناقض الأكبر المجتمع البورجوازي ، وهو لني نظام  
 الملكية . وسيكون لطالبه هدف مزدوج : فهي تحسين وضعه في حال  
 تحقيقها مؤدية في الوقت نفسه الى زعزعة النظام الرأسمالي تدريجياً . وسيأتي  
 الاضراب العام ليقوضه نهائياً . والاصلاحى انما يبتعد في الحقيقة الهدف النهائي  
 نفسه لكن عن طريق تقدم متصل . وعلى كل الأحوال سيكون ، في كل مكان  
 تطرح فيه مصالح العمال على بساط البحث ، وسيطالب ، بالمساهمة المباشرة وعلى  
 جميع المستويات في الواقع الاقتصادي ، .

ولقد كان كلا الاجتماعين سيوافقان بلا تحفظ على برنامج الاتحاد العام للشغل  
 المنسج ، برنامج ١٩٤٩ ، ، والذي جاء فيه : ، ان الشرط الاساسي لقبلة تجربة

الخطوة الأولى للتحديث والتجديد والتجربة ما طرأ بعد تدخل مشروع مارشال ..  
 ينبغي ان توضح الاتفاقات العسكرية العالقة بين الكتلة الغربية \* ان تعيد  
 العلاقات بين الدول الى حالتها الطبيعية \* ان تطالب بدفع التعويضات لنا ...  
 والى غير ذلك من المستلزمات التي تشرط تطبيق البرنامج الاقتصادي لتنهض البلاد  
 اقتصادياً واجتماعياً \* هذا التطبيق الذي يشرط بدوره تحقيقها الكامل ... \* .

ذلك ان حقدكم على الشيوعية \* أيتها الجردان النيفة العزوة \* قد أساءكم انها  
 متشكلة بالنسبة إلى حملات الإفارة في ذلك العصر . فبين ١٩٠٥ و ١٩١٠ كتبت  
 إليكم يديشون في خوف دائم من اهتزاز قلب الأوضاع بالقوة . ومع اقتراب يوم  
 ١ أيار ١٩٠٩ طارت رؤوس أموالهم الى حيث قطيع رؤوس أموالكم اليوم . ولم  
 يعد الشعب والثقة إلا بعد اختراع مؤامرة وإلقاء القبض على عدد من الثقابين .  
 ان شيوعيينا قوميو النزعة \* لا قنوا ذلك . إنهم ضد سياسة معينة لكنهم  
 ليسوا ضد الدفاع القومي . إننا نحكم بالسجن خمس سنوات على هنري مارشال \*  
 لتوريطه مشورات تفضح حرب الفيلتان وقيامها الذي : لكنه لم يجرى الجنود  
 على المصيان . وعلى العكس من ذلك كانت الدعاية المناهضة للزعة العسكرية  
 يومية . لقد علا صياح كثير لأن بعض قادة الحزب الشيوعي صرحوا علناً بأن  
 البروليتاريا لن تقاتل ضد الاتحاد السوفياتي . لكن الثقابين الفرنسيين سبق لهم  
 أن صرحوا علناً هم أيضاً \* وكل ظنهم أنهم على اتفاق مع العمال الألمان \* وأغفوا  
 البلاد فاطمة عن طريق الاعلانات التي لسفوها على الجدران \* انهم سيلجؤون الى  
 الاضراب العام لمنع الحرب . وإذا ما افترضنا العطفة واحدة \* بالرغم من أن هذا  
 النوع من التوهم لا قيمة له \* ان ترفيقوله ومرهايم وجدا نفسيهما في موقف مماثل  
 لوقتنا \* فلن يكون في مجال الشك في أنها كما سيجران المؤتمر الاقتصادي الى  
 إدانة كل صليبية معادية للسوفييت سلفاً . وهكذا \* حين تتكلم صحفنا الصالحة  
 يحنن عن عصر ذهبي كانت الثقابات تقدم فيه لأرباب العمل مطالبها كما لو أنها  
 تهتمهم بعيد رأس السنة \* فلما هي تحمل . إنها تريد ان تذر الرماد في العيون حول  
 واداة الاستغلال التي لا تتيب أبداً عن أنظار الثاقبين الثقابين . إن الثقافية \*

في نظر هذه الصحف ، سلاح إعطاء أرباب العمل بله إرادتهم العمال حتى يتمكن المناقشات ان تدور في جو من المساواة . لكن العمال يقولون جيداً ان منطلقاتهم قد منعت وحوريت . ويقولون أن هدف النقابة الاول ، سواء بمساعدة الحزب الشيوعي أم بدونها ، هو ، تغيير العالم ، . وسوء التفاهم الظاهري هذا هو الذي يفسر على الواقعة النقابية التباينها . لكن أرباب العمل لا يتخذون بها ، وهم يعرفون كيف يعزفون لحنين متباينين . فعين لتظاهر منظمات الطبقة العامة بمعارضة إهانة السلاح او سياسة الحرب ، يفتنون حواجيبهم ، ويأخذون سياء الدعشة الثالثة . ويقولون : « كيف ؟ أهكذا تشكرونا ؟ ليس للسياسة من دخل في النقابة ، لكن حين يفلتهم او يجرهم إضرابها ، وحتى لو كانت اقتصادياً صرفاً ، لاقا باسم السياسة يزعمون أنهم يحطمونه . ففي عام ١٩١٠ توفقت عمال السكك الحديدية عن العمل وأمر برلمان<sup>١١</sup> باعتقال لجنة الاضراب . وحين استجوب من قبل الاشرافيين صرح بقوله : « انه حتى يدعوا على الحقوق كافة ، انه حتى مجتمع قومي في أن يعيش في استقلاله وعزته . والحال انه مسا من بلد يستطيع ان يظل مفتوح الحدود . كلا ، هدفنا غير ممكن ... ولو توجب علي أن ألقأ الى اللاشعرية لأحافظ على الامن لنا ترددت ، . وهكذا أريدت أسس ابداً : إن أي إضراب يمكن ان يقع باسم مصالح عليا . ولا يحق للنقابات ان تقاوم الحرب . لكن من الممكن باسم ضرورات الحرب أن تلحق النقابات . وفي ١٣ كانون الثاني ١٩١٥ صرح مييوران<sup>١٢</sup> أمام مندوبي « المعادن » : « لم تعد هناك حقوق عمالية ، لم تعد هناك قوانين اجتهابية ، لم يعد هناك غير الحرب ، . وهكذا ألقبت الحقوق النقابية باسم حرب لم يكن للنقابات حق في

١ - أرنست بران : سياسي فرنسي ، رأس الوزارة إحدى عشرة مرة ( ١٨٦٥ - ١٩٥٥ ) .  
 ٢ - تيبين مييوران : سياسي فرنسي اشتراكي ديمقراطي وزير الخريفة بين ١٩١٥ - ١٩١٥ ، ثم رأس الجمهورية ( ١٩٢٠ - ١٩٢٤ ) واستقال أمام معارضة « كورنيل اليسار » ( ١٩٢٤ - ١٩٢٩ ) .  
 ٣ - ١٩٢٥ .



آلاف التضيقات والحدود المصطنعة الواقعية التي تجعل من البروليتاريين أرقاء  
مأجورين .

بين عامي ١٩١١ و ١٩١٧ ساعد الحزب الشيوعي الطبقة البورجوازية على  
إعادة بناء جهاز دولتها ؛ وذلك لأنه كان يفكر باستخدام البرلمانية للاحتيلاء على  
السلطة ، ومن ثم ليحوّلها . لكنه لبث وفياً للمذهب الميخيني القائل ان فسوسة  
الطبقة العاملة لا تتجمل حقاً إلا على صعيد صراع الطبقات . ومنذ عام ١٩١٦  
وجد نفسه ممزقاً بين سياسته البرلمانية والماركس الاجتياحية ؛ فقد كان وزيراً في  
الدولة البورجوازية يسون وكانهم يحض رهائن ، وفي داخل الحزب ظهر من  
جديد ، تحت شكل ثور مترايد بين ثوابه ومناضليه ، الصراع بين الطبقات  
المالكة والبروليتاريا . وبعد اقتضائه عن الحكم ، سقط جهاز الدولة بأسره في  
أيدي البورجوازية التي استبدت الشيوعيين في جميع المناصب الحساسة  
بصناعتها . وأصبح مجموع المؤسسات الجمهورية يعمل ضد الحزب . ومن هنا فإن  
الحزب سيكون زحمان الأداة الشعبية على صعيد آخر ، صعيد تطاهرات  
الشارع .

هذا على الأقل ما سيصيب به الشيوعي . لكن هذا الجواب لن يفتح السيد  
ثيتو بقدر ما ان سؤاله لم يبلبل أفكار السيد فاجون . وسوف أحاول ان أعرض  
الوقائع بعيداً عن كل روح مذهبية ، وان أبين بكل بساطة أنه بحق للعامل اليوم ،  
إذا ما صوت للشيوعيين ، ان يعبر صوته لأغياً .

سأذكركم عابراً بما صنعتم منه : مواطناً من الدرجة الثانية . فماذا كان يقرر  
التصويت الحزب الشيوعي ، حتى تعرض صوته لالخطاط غمامض قضائت  
بالتالي قدرته الانتخابية عن قدرة صوت جاره . لإرسال ١٠٣ شيوعيين  
الى البرلمان ، يترجم ٥ ملايين صوت كصوته . وإرسال ١٠٤ اشتراكيين لا يترجم  
سوى ٢٠٧٥٠٠٠٠٠ صوت ، وإرسال ٥٥ نائباً من الحركة الجمهورية الشعبية ،  
يكتفي ٢٠٣٠٠٠٠٠٠ صوت<sup>(١)</sup> . والحزب الشيوعي بمخبراته ١٠٠٠٠٠٠ صوت

١ - معروف ان القانون الانتخابي الفرنسي مؤرخ بتدور لدى المحرقين والتفكرات التي

عشر ٧٩ مقعداً ، أما الحزب الاشتراكي فيربح خمسة مقاعد بخسارته ٦٠٠.٠٠٠ صوت . وبالاجمال - بالاجمال قاماً - يساوي صوت عامل المرفأ نصف صوت القديس ، او نصف صوت صهره ، مكرتير البلدية . ويلبقي أن نعرف بأن حزب « تجمع الشعب الفرنسي »<sup>١</sup> ، مكرره النظر هو الآخر . لكنه بـ ٩٠٠.٠٠٠ صوت أقل من الحزب الشيوعي ذال ٦٥ مقعداً زيادة عليه . وليست هذه بالصفقة الكبيرة الخسارة . لقد نفذت العملية ببراعة ضد الحزبين المتطرفين ، لكن أحدهما أكثر تطرفاً من الآخر . ويقول عامل المرفأ : « إذن فأنا إنسان دون ؟ » . أجل : انه « ضعيف المثل سياسياً » والصدفة وحدها هي التي شامت ان يكون عاملاً . أوام ! أمربي : « السألة شرعية » وليس لة ما يقلل . إذ لا بد ، « ليس كذلك » من وجود قانون انتخابي ؟ ثم لم يكن على الحزب الشيوعي ، بعد كل شيء ، إلا ان يتحالف مع غيره . والبيان الختصاصي كؤثر « الحركة الجمهورية الشعبية » يعطين بحلاء : « أولئك الذين يرفضون احترام القواعد الديمقراطية كما يرفضون احترام مختلف الأسر السياسية يستبعدون أنفسهم بأيديهم من هذا الاتحاد ويتعدون وعدم مسؤولية ذلك » . وباختصار ، إذا كان هناك شخص « حردان » ، فترسي له ! لكن مع من كنتم تريدون أن يتحالف الحزب الشيوعي ؟ أمع الحركة الجمهورية الشعبية ؟ أمع تجمع اليساريين الجمهوريين<sup>٢</sup> ؟ أما بصدده لتقارب مع الحزب الاشتراكي « الشعب الفرنسية من الأهمية العالية » فإن السيد غي موليه قد قطع الطريق بحزم : مع حزب شيوعي فرنسي ، وحسبته عمل . وعلى الفور . أممع الحزب الروسي ، فيناتاً ! والخلاصة انها خدعة ناجحة : ففي إطار مؤسسات الديمقراطية العالمية تم

١ - يتشكل حده مارتر بين حده الحزب وبين حده الأصوات التي بلغا مرجع الى الطريقة التي يتبعها هذا القانون في تقسيم الدوائر الانتخابية وفي فرض النتائج على أساس القوائم لا على أساس الأصوات الفردية . - ٤٠٠٠٠ .

٢ - هو الحزب الديمقراطي . - ٤٠٠٠٠ .  
 ٣ - هو التجمع الناتج عن الدمج الحزب الراديكالي مع حده من الأحزاب الصغيرة . - ٤٠٠٠٠ .



الافتقار على قانون غير ديمقراطي يستهدف بصراحة حزباً محدداً . واني لأقولها لكم فيما بيننا : هذا عمل كان يجب ان يقابل بالتزول الى الشارع وتحطيم بعض الواجهات وبعض الوجوه . فنقد قرن واحد بالضبط ، ٣٩٠ أيار ١٨٥٠ ، تم الاحتفال على عمال الموانئ ، بومذاك بتريكية مائة . لم يبلغ الانتخاب العام ، كلا : بل اشترط فقط ان يكون الناخب مقبلاً في دائرته منذ ثلاثة أعوام . ولما كان العمال قد تنقلوا كثيراً ، بحثاً عن عمل ، في أعوام أزمة ١٨٤٧-١٨٤٩ ، فقد كانت نتيجة هذا التدهور حرمان البروليتاريا الصناعية من حقها الانتخابي . وبجرمة فلم تم الفاء ٣٠٠٠٠٠٠٠ ناخب . وأسفوب ١٩٥٩ أكثر تطوراً بكثير : فقد تم إفساء ٣٠٥٠٠٠٠٠٠ ناخب لأن انتخاب ١٠٣ نواب يتطلب ٥ ملايين صوت شيوعي . وكل ما هنالك انه ما من أحد يعرف من الذين ستميز ورقتهم بيضاء من بين هؤلاء الملايين الحسة . ومن بين كل ناشين شيوعيين ، يسقط دوماً صوت أحدهما ، لكن لا يدري أيها . ثم ان البروليتاريا غير مساة بصورة جلفة عن طريق صفات خارجية : ان الحزب الشيوعي يسمى نفسه على أنه حزب الأحرار إذ يرفض ان يتحالف ، والناخب يسمى نفسه بوليتارياً إذ يصوت الشيوعيين .

لكن عامل الرفق يحتفظ بشيء من الأمل . فالحزب الشيوعي بعد كل شيء هو حزب فرنسا الأول . ولعل نوابه المئة والثلاثة سيؤدون عملاً طيباً . بقينا ، انهم لن يدخلوا ابدأ في ائتلاف حكومي . لكن المعارضة مبرراً تلبية : انها لتتبدد ، تحت على الاعتدال او تحرض ، انها توتر . ولعلها ستشجع الحكومة على ان تقول لا لواشنطن احياناً . والمؤسف ان حال المعارضة كحال اعضاء الحزب الشيوعي : ففي البرلمان معارضتان ، احدهما لها حسابها والأخرى لا حساب لها . ان تجمع الشعب الفرنسي ، يؤثر عن بعد - على السياسة في اشد الصلابة على حيل المثال - والحزب الشيوعي لا يؤثر . واصوات نوابه مجردة عملياً : ان الحكومة تدخلها كمعدد سالب ثابت في حساب غالبيتها . انها تعدد بعض الشيء القبة البرلمانية ، ولا يد من الحد الاحتياطات قبل طرح المسألة للثقة ، لكن هذا

كل شيء : فبدلاً من أن يلعب إيطاليو البيمار الكلاسيكي يلعبون البيمار الحديث  
 المسمى بالترافكت . وهكذا فحين يلوم السيد بروك ديكلو على جلوسه الى التعريف  
 بدلاً من أن يعرض رأيه في البرلمان ، وحين يظن السيد بولي جيهان في (الأورور)  
 إن كل مواطن فرنسي له الحق في اقتناع الآخرين ، اعتقد انها افكار بريدان التي  
 يضحك . وإلا فلنقولاً في مع من يستطيع حاك ديكلو ان يتناقش في الجمعية  
 الوطنية ! تصوروا ان وحياً عجولاً يجعل يركض للثور ، انه يخطب ، يتحسس ،  
 يهاجم ، يسيل دموع النصارى . ثم ماذا ؟ انه سيحكي تصديق انصاره الرقيقين  
 وشأنهم خصومه الأكثر رقابة أيضاً . أم يمس اذن لو تفر قلب التواب ؟ كلا ، ولا  
 واحد : فهم لا يصفون . لقد حدث في التاريخ البرلماني ان أسقط خطاب احد  
 المعارضين وزيراً . لكن هذا لأن الاعتقاد كان ما يزال قائماً بأن المعارض  
 يمكن ان يتطرق بالحق . اما اليوم فعروف أن المعارض كذاب : طالما انه  
 شيوعي ، لا اكثر ! إن أكبر حزب في فرنسا مفصول عن سائر الأحزاب بمجاز  
 غير منظور . ولواب البروليتارياء لا يتخفون ابداً عن الادلاء برأيهم بصدق  
 المسألة المعروفة ، لكن المسألة لا تعد ان تكون اكثر من مسألة طقس محض .  
 وعلى هذا فإن احد عاملي الرفق الذين يتزهان معاً على أوصفة القافر لا حق له في  
 التصويت ، والآخر قد صوت على لا شيء . قبل تعتقدون ان الحزب الشيوعي  
 كان بعيداً عن التعبير عن رأي ناخبيه عندما اظن بصورة إجمالية ، غسادة  
 الانتخابات ، عن مظاهرة ٢٨ أيار بقوله : « هل الحزب ان يلجسأ الى الشكال  
 الخرى في العمل لا مفر من الاجراء اليها لفضال منه غالبية رجعية شرسة » .  
 وقد قررت غالبية ، لتعاقب لواب الدرجة الثمانية هؤلاء ، ان تحرمهم من  
 حصانهم الترابية .

لكن صاحبنا عامل الرفق لم ينته بعد . فقبل خيبة عشر عاماً ، كان ما يزال  
 يوسه ان يأمل بأن حكومته ، بفعل التناقض استقلال او كبرياء مقسحة ،  
 شككف عن السير في ركاب الانكسار . اما اليوم فهو يعرف بصورة قاطعة ان  
 « استمرارية مياضتنا » هي استمرارية العبودية الزائدة . ونحن لا نظهر الحزم

إلا مع المدخشفين والتونيين . فهل نحن مباحون ؟ كلا ، ولا حتى ههنا : فالأمر أهمل وأمكن . لقد تمكن منا الأمير كان واشفرونا مقابل لاشيه . فإذا ما تذكر عامل الرفق في هذه الآونة جسارة لينين : « في الدولة البورجوازية الأكثر ديموقراطية تصطدم الجماهير المضطّدة في كل مرة بتناقض صارخ يسبق المساواة الشكلية التي تصادى بها « ديموقراطية » الرأسماليين » . وبين آلاف التضيقات والحدود المستعنة الواقعية التي تحصل من البروليتاريين أرقاء ماجورين ، « وإذا ما قال في نفسه عند ذلك : « ان لينين » مرة أخرى ، على حق » ، فعلى من سئلت مسؤولية القلطة « يا أسرة بينش وبيديو ولاسي وبيناي وأنسابهم الكبيرة ؟ وفات يوم سيأخذ الملل والضجر ، وكذلك رقيقه . وبدلاً من ان يفرغ الرشايات الأميركية « سيلفغان بها إلى الماء . وسوف يقول لهم رجال الشرطة الذين سيقتلونهم : « يا عصابة الأسمال ! إذا كنتم ضد الحلف الاطلسي ، فلماذا لم تقولوا ذلك ، بدلاً من ان تلتقوا العتاد ؟ ان الناس جميعاً احرار » في بلدنا . وناس جميعاً حق الانتخاب » .

د - « الحزب الشيوعي يحرم العمال الى طريق اللاشعرية والعنف » .

كانت مظاهرة ٢٥ أيار مظاهرة غير مشروعة عن سبق تعمد وبكل وقاحة ؛ يأتي تعال أورا ان يطلقوا الآن بها ا فقي يوم الاربعاء ٢٧ أيار أرسلت مديرية الشرطة الى الصحف بالبيان التالي : « لما لم يقدم اي طلب سماح » فإن كل تجمع في الطرق العامة يظل ممنوعاً » . وفي الوقت نفسه كانت الحزب الشيوعي يدعو بكل اطمئنان الباريسيين « عن طريق اعلانات الجدران » الى « ان يلبوا جماعياً نداء مجلس السلم » .

أقول ان هذا الأزمراء الصريح بالفاتون لا يشير فظلي البتة تقريباً ؟ ان هذا القرار اذا ما قرأه بعض الثكنين المحترمين في الولايات المتحدة « ثارت له اعصابهم . « ضعف الوعي الديموقراطي لدى المثقفين الأوروبيين » ؛ هكذا يمشطونه . بيد انهم سيواجهون بعض الحرج اذا ما طلبوا من المثقفين الفرنسيين ان يدهشوا لتصرفات الحزب الشيوعي غير المشروعة « في الوقت الذي طالبت

فيه الامية الثالثة ، منذ عام ١٩٢٠ في ، بيان ٢٦ ثور الوجه الى اعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي ، ، بأن ، قارس الضعابة بصفة غير مشروعة حيث تراجعها المصائب نتيجة قوانين استثنائية ، . وبضيف النص : ، ورفض ذلك سيكون بمثابة خيانة للواجب الثوري ، . والاشراكيون آنذاك لم تحفهم لا الكلمة ولا المضمون . ولقد قام ليون بلوم بتعيين مدير للفضول في هذا الموضوع في مؤتمر تور : « بديناً ، ليس هناك اشتراكي واحد يقبل بأن يجلس نفسه في الشرعية... لكن اللاشعرية شيء والعمل السري شيء آخر » . وحتى الآن لا ارى من مشكلة : حزب من الاحزاب يصرح بأنه سيلجأ الى اللاشعرية اذا لزم الأمر . وتغفر له الديمقراطية ذلك باسم حرية الفكر . وينظم هكذا الحزب مظاهرة متنوعة : فيعارضها البوليس بالقوة ويقف المظاهرين الذين يقاومونه . هكذا كله شيء طبيعي ، السيد كاشان لم يكن قد ولد بعد حين وقع أول صدام بين المظاهرين وبين شرطة الجمهورية الثانية . وبالغالب سوف يصعب عليهم ان يدعوا في ال إعلان اسفي بكل طيب لية على لاشعرية المظاهرة الشيوعية من غير ان أفضح في الوقت نفسه اعجابية القمع التي لا تقل استرخاء للانظار عن هذه اللاشعرية . فما الذي يبرر اعتقال ديكلو ؟ أجرمه المشهود بتأمره على أمن الدولة ؟ ان هذا شيء لا وجود له . وعلى فرض انه معقول ، فكيف يمكن ان يكون هناك جرم مشهود بعد ساعتين من المظاهرة ؟ أحصل أسلحة محظورة اذن ؟ ياله من اعتراف : نائب يحمل في سيارته مقعدة ومسدساً ، ولهذا اللجنة توفقونه بالرغم من حصانته النيابية وترعون به في السجن وتلقونه فيه حتى من غير أن تفكروا باطلاق سراحه مؤقتاً ؟ كفى ، دعوك من هذه الأضاليل ا لقد اوقدم السيد ديكلو لأنه كان يقوم بهام الأمين العام للحزب ولأن الحزب نظم المظاهرة : لقد نقلت الحكومة عن جميع الاحتياطات التي اتخذها منذ قرنت

١ - من سوء الحظ ان اللاتينية لا يمكن ان تقدم لها قالة اذا لم تتخذ القرارات في السر .  
 وعلا كل الاحوال ، وفي الحالة التي نبحثها هنا ، لم تقم اللاشعرية على السرية ، بسبل كانت على العكس علنية ، متصرفة .

ونصف قرن لفضاء ورجال القانون أيضا وصفة خلائية على التآثر العمام ،  
 ورجعت الى أغشن وأغظ مفهوم عن المسؤولية ، واهتمها التقليل بتبرير  
 أفعالها يمت على العلق أكثر أيضا ، كلا ، ليس هو الشئ الغربي الذي نفسه  
 نطقه بالجمهورية ، بل هو المجتمع بأسره . وأن يؤكد الحزب الشيوعي نفسه  
 ثلاثين عاما ازدهاره والشرعية البورجوازية وأن يفعل ذلك من غير ما عقاب ،  
 فهذا ما يبرهن على قوة مؤسساتنا . وحيث ليكم ، حسبما يحاول ليكم ، ان تجدوا في  
 ذلك فرصة لإبداء إعجابكم ببطلة الديمقراطية أو لنسج ثنائياتها . وأن يلبس  
 السيد بيناني شيئا من القضاة بالمؤسسات الجمهورية وأن يحارف بإطلاقها ، فليس  
 في هذا ضرر عظيم : فهذا السيد ليس بشخص ذي أهمية ، ولم تحضر على اشتهاؤه  
 استيعاب قضية ، وسوف يرسم الجهاز الحكومي بعد ان يرجع ، كما كان ، مقهوراً .  
 لكن أن تكون فرنسا قد فاجأت رئيس وزاريتها في الجرم للشهود وهو ينتهك  
 القانون ولم تنتهج مع ذلك ، فهذا دليل على ان الجمهورية متدهورة الصحة ان  
 درجة خطيرة . وبما الحجج التي تحتلق لتبرير ذلك الاعتقال انظروا الى  
 السيدين روبينه وريسون<sup>1</sup> : لقد شرح السيد فورجيه<sup>2</sup> بكل هدوء في  
 صحيفة « لوموند » أنه قد لا يكون هناك من داع للإسراع في حيل الحزب  
 الشيوعي . وعلى إثر ذلك ، قد صير هذين السيدين والنسج عليهما بعضا من :  
 « مؤامرة ألبي مؤامرة ؟ » إن الحزب الشيوعي بأسره مؤامرة ! وهو  
 يتباهى بذلك منذ ثلاثين عاما ! فما يريد أكثر من ذلك ؟ .  
 قد تقولون : بعض هاتين الشخصيتين الكبيرتين مطالبان بالتهاج  
 سياسة معادية للصوفيت ، هجومية . لكن السيد فورجيه ، كما  
 أظننا في مقال جديد ، قد تلقى عددا كبيرا جداً من الأجوبة يثبت ان الرأي  
 العام لدى قراء « لوموند » الراضين معاد كليا للديمقراطية . « هم تشكروا لا  
 تبع الحكومة من تنفيذ سياستها : فهي مخلصة من ديكتاتورها : « يجب ان

١ - بيير وريسون : رئيس تحرير صحيفة « لوموند » .

٢ - موريس فورجيه : من كبار المحققين الفرنسيين ، وسطي الأبناء .

يدفع الزعماء الثمن كما تدفع جماهيرهم . . . أو أيضاً : « لقد كان بيننا على حقيق  
 طالما ان الشيوعيين لم يشعروا . . . أو : « ليس هناك لا شرعية تجاه الممارسين  
 على القانون . . . والحق ان السيد دوفرجيه لا يذكر الأجوبة لهذه الألفاظ : إنما  
 أنا الذي حررها ، لأنها وجهت إلي ولأنني تعرفتها في مقاله عاراً . إنما تحذير  
 صارم للحزب الشيوعي : فهذا كله يثبت أنه بث الشعر في قلب البورجوازية  
 الصغيرة والطبقات المتوسطة . وبالفعل ، ان التفكير السائد لدى هذه الطبقات  
 هو ان أرباب الصناعة لا يبالون بالحرمان الديمقراطية : مادام أنهم يريدون أن  
 يتفعلوا بحرية الفكر ؟ إنهم لا يشتمون بها ، حين تتوفر لهم ، أكثر مما تشتمع  
 بها متشددة صنائع في مصفاة : بل هم يستأجرون مخرجين ليشتعروا  
 بها بدلاً منهم . ان الحرية التي يطلبونها ، الحرية الوحيدة ، هي حرية  
 توجيه معارك الانتاج حسبما يحلو لهم : إنما تدعى الليبرالية . وميزة بيننا  
 على ديغول في نظرم هو انه يؤيد الحريات من غير ان يمس الليبرالية بأفنى ،  
 في حين ان الديمقراطيين ، إذامسا صدقنا السيد فالون ، يفكرون  
 « باستبدال الاقتصاد الأهمي باقتصاد واجر » . وبين البورجوازية  
 الكبيرة التي تطالب بالقدرة المبنية على التصرف والتملك والبيع والبروليتاريا  
 التي تطالب قبل كل شيء بالحق في الحياة ، تفت البورجوازية الصغيرة  
 وحدها لتدافع عادة عن حريات ديوقراطية الشكلية : بينما ، إن  
 هذه الحريات ملية وتحديدية ، تفصل البشر أكثر مما توحد بينهم ، لكنها هذا  
 السبب على وجه التحديد تحمي النظام القائم وتسمح ببعض التنوير ، وتوجد نوعاً  
 من التفاوت داخل مجتمع يزداد اندماجاً يوماً بعد يوم . انها البورجوازية الصغيرة  
 التي عجلت بتقرير مبدأ الانتخاب العام ، وهي التي أعطت ، في غالبيتها ،  
 الجمهورية الثانية إطارا المعارضة ، وأعطت الحزب الراديكالي والراديكالي -  
 الاشتراكي جهازها بعد عام ١٩٥٠ . لقد صنعت هذه الطبقة الجمهورية ، وهذا  
 هي المؤسسات الجمهورية تقتصب على جمع وبصر منها ، ومع ذلك تلزم الصمت ،  
 فهل هي خائفة الى هذا الحد ؟ سوف نعود الى هذا الموضوع . لكن مما يبدو

والضخاً ، على كل حال ، هو ان النظام الديموقراطي لم يعد اليوم سوى واجبة : ان جميع المارك الخليلية تدور خارجاً عنه . ودمفرجيه ، في مقاله الأخير ، يحسن طرح المسألة : بلغة الاحصائيات . فهو يقول لنساء ان الحزب الشيوعي عندما يحصل على خمس أو ربع الهيئة الناخبة ، يظل في وضع خصومه ألا يبلغوا الالفاشية ، بالرغم من أن الحياة في ظل الجمهورية تصبح حياة تنوير . لكنه إذا ما جمع من 50 إلى 59 من الأصوات ، قد لا يحصل للبقاء على الديموقراطية وتصبح المسألة مسألة اختيار الأنظمة التي ستتوحد بها . والحزب الشيوعي في فرنسا يتمتع بغالبية الأصوات العالية : إذن فطبيعة النظام السياسي تتعلق فقط بالأهمية التي تستطيع منظمات البروليتاريا ان تأخذها في حياة الأمة . انها لعبة برديج ذات مناطق خطيرة : اذا ما تجاوز حد معين كانت الرجعية والفاشية . لكن اذا ما تم اجتياز المنطقة الخطيرة ، بسرعة ، استلمت الأحزاب العالية السلطة وشكلت ديموقراطية شعبية . ان ما أخذت للاترجعية ، كما نرى ، لا يس جوهه المشكلة . وكل ما هنالك اننا نلطف عند نسبة المنطقة الخطيرة ، وهذه المناوشات حول الشرعية القديمة هي في الوقت نفسه أولى بشارت شرعية جديدة سواء أقامت على سيادة الجماهير ام الأعيان ام الحزب .

والواقع المستتر تحت تلك الاستنكارات هو صراع الطبقات . ولو كنتم فهمت ذلك ، فلربما وجدتم بعض المخرج في تأنيب الحزب الشيوعي على عنفه ولا شرعية تصرفاته : ان كل عنف يأتي اليوم ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، من البروليتاريا التي ترجع لبنائها ما أعطيناها اياه . ان جميع الحقوق العالية ، بما فيها الحقوق ، الممنوحة بحرية ، قد توجب على البروليتاريا ان تشرعها انتزاعاً بفضل نضال شاق . وهذه الحقوق تبدو وكأنها حديثة نعمة وسط الحقوق الخاصة بالثقفة البروجوارزي ، كما ان الحجر يفرض عليها ، والحقوقيون يتكلمون بحذر عن حق الاضراب بالرغم من أن دستور 1916 يقره بصراحة . علام تريدون ان تقيدوه ؟ أعلى سمو الطبيعة البشرية ؟ في مثل هذه الحال سيكون حسواً لا طائل تحت . أعلى الحرية ؟ لكن الضرب يارس إكراهياً . أعلى المساواة إذن ؟ لكنه ، على

العكس ، اعتراف صحتي بالامساراة . ، إن من حق الأضراب ، من حيث تعريفه بالذات ، ان يؤذي . انه سلاح اكثر منه حقاً ، . أنتظرون انتم بعض الناس الحق في ابتداء غيرهم ؟ ، انه حق الدفاع الشرع مطبقاً على جماعة . ، التمدد المتعدّد ان إن مجتمعتنا لا يستطيع ان يعبر الأضراب قبل ان يعترف أولاً وجهاراً بأنه مجتمع التضاهي . ، منذ نصف قرن من الزمن وتطرح حسب الأضراب مطروح باستمرار على بساط البحث بمناسبة كل موجة جديدة من التغيرات الاجتماعية . ، يا لعدالة انهم يعترفون بهذه الممارسة حتى يتكلموا لتقنينها ولتجديدها بصورة الفصل . وفي النهاية يعترف احد المحققين متهدداً بأن والفة الأضراب ظاهرة من نوع الانتعاجات البركانية ... عصبية بطبيعتها على أشد مكانها في نظام قواعد الحق . ، يا لها من وظيفة غريبة يؤديها العامل : انه منبع غير مشروع للشرعية . في ايار ١٩٣٦ صرح بلوم : ، اني لا اعتبر احتلال المصانع شيئاً مشروعاً ... فهو لا يتفق مع قواعد ومبادئ ، القانون المدني الفرنسي . ، والواقع انه مماثل بحق الملكية . وهذا مسارد عليه لوزر بلوم شديد : ويقولون : لا شرعية اكلاً الا قامى شرعية جديدة لتكون . ، بيد أنه يمكن الاعتراض بأن هذه الشرعية الجديدة ليست قابلة للتصور في اي نظام : انها تلتصق ابداً الاساسي للمجتمع البيوجوراي ، وفي المجتمع الاشتراكي لسن يكون لها من يعبر الوجود . إن هذه الشرعية ، اللاعقلانية ، المضافة بجملة على الممارسة العمالية ، لا معنى لها إلا في عالمنا الانتقالي والمتناقض ، انها صورة العامل بالذات ، هي ذاته والمجتمع ، ووظيفتها الواقعية ان تفسد النظام القائم الذي يحلها يدمرها شرط وجوده الخاص كبروليتاري . لكن العامل ، حين لا يفكر بالتوقف عن العمل ، يعرف أنه يستطيع ان يعطى الأضراب ويعترف ان هذا التهديد الدائم يؤثر على الاجور بصفة عنصر معدل ومنظم . انه هو نفسه هذا التهديد وهو يشعر بتمته : ففي مجتمع قائم على الاستعباد لمة ظلم فائق يريد ان يكون العنف من صنع المظهد أولاً . ولستكم سيكون كل شيء واضحاً لو كان في الامكان الاعتماد على عدالة المظهدين الخاصة في محاربة المظهدوم . لكن



المضطهد هادي، وقوي، ويضع قوته في خدمة القانون. وإذا ما قتل، فعل ذلك شرعياً. والقوانين هو الذي يسنها. ثم إن البورجوازية، كما بين ذلك الجاز، قد خلقت البروليتاريا، دونما تدخل سحري من جانب العنف، بطرق اقتصادية خالصة. وبضيف: « حتى لو افترضنا بأن كل ملكية فردية تقوم على أسسها على عمل شخصي للمالك وبأنه لم يجر من تبادل قط، خلال التطور اللاحق لجرى الأمور، إلا بين قيم متعادلة، غير أن هذا لا يمنع أن التطور التدريجي للانتاج والتبادل يفرض بالضرورة أن تمتص الزامن من الانتاج الرأسمالي، وإلى حكر وسائل الانتاج وأسباب العيشة بين يدي طبقة قليلة العدد، وإلى النزول بسوى الطبقة الأخرى، التي تشكل الغالبية الساحقة، إلى مستوى البروليتاريين المحرومين من الملكية». وباشتمار: « إن العامل مهدد بأن يقع ضحية الخداع. أنه مضطهد، ومهزق بالعمل. ومع ذلك، إذا ما عاد يفكره، إلى تسلسل الأسباب، لم يجد لا سرفة ولا إكراهاً: فقد تم كل شيء برفق وخلسة. يسأل أكثر من ذلك: لقد قبل من تلقاء نفسه بشرطه، وعلى الأقل لفترة من الزمن: « طالما أن نطقاً معيناً من الانتاج ما يزال في مرحلة صعود وتطور، فإن من يشعرون بنمط التوزيع المقابل له هم انقسم الذين يطالبون به. وهذا هو تاريخ العمال الانكليز في أيام ولادة الصناعة الكبيرة». وحين تأتي الأزمة ويبدو نمط التوزيع ظالماً على حين فجأة، فمن يكون المسؤول؟ إن العامل، منها أرغل في تأمل ماضيه، يجد نفسه منخرطاً من البدء في مجتمع له قانونه وطقه، وله حكومته ومفهومه عن العدل والظلم، والأخطر من ذلك أيضاً أنه يضاطره ايدولوجيته غفياً<sup>11</sup>. انهم يفرضون عليه مصيراً وحدوياً، ويجعلونه بهام جزئية ونصف آلية بفلت منه معناها وقانونها، وبأمراض مهنية. وهم يشطون همة، بالتمب والبؤس وبارغافه على أن يكرر ألف مرة في اليوم حركة واحدة، عن ممارسة صفاته الأساسية، ويجيسونه في عالم التكرار لتفقد العدم المعنى.

١ - « التطور الطبوي للحركة العمالية يؤدي بسرعة إلى إخفاها بالإيدولوجية البورجوازية »  
 (لينين، « ما العمل » - للوفات - طبعة موسكو - ١٩١٥ - المجلد ١ - ص ٢٠٦ ) .

ورويداً رويداً يصبح شيئاً . لكنه حين يفشل عن المسؤولين ، لا يجد أحداً ، كل شيء عدل ، وحده مستوفى . لقد رفض كثير من العمال الأمر كان عام ١٩٣٠ الاكتئاب في ضايق البطالة التي تم ارتجالها بسرعة : فقد كانوا خطيئ من بطالتهم ويطنون انهم مذنبون . اما العامل الأوروبي ، الاكثر بقلعة فيعيش في الالئاس هذا الوضع الذي لا يطاق ، وهو بالتأكيد يرفضه بكل ما في طاقته من قوة ، لكنه يقبل به رغماً عنه لأنه ولد فيه وبقدر ما يكون هدفه تحسينه ليس إلا . ان العامل نصف المختص يجهد نفسه ليكتسب مثل ما يكتسبه العامل المختص ، ابي ليعوض بالتالي عن التفاوت الهين ويشعر بأنه انسان ، لكنه لا يتوصل الى ذلك إلا اذا اشتط في تشيؤه . ولعله سيفضل العمل الجزأ ، وسيضن بدعمه على الشعة التنافسية التي قد تحاول تحديد ايقاع العمل او تنظيمه . وحين يجهد نفسه وجهاً لوجه مع عمله ، منهك القوى ، خاضعاً لقوانين آتية من الخارج ، يصطدم رفضه العقوي ، غير المعبر عنه لكن الدائم المستمر ، لأن يكون مجرد قطعة في آلة ، يصطدم رفضه هذا بإرادته الحقاظ على نط في الانتاج يدير عليه قدراً أكبر من الدخل . والخلاصة انه لا يعرف في البداية إن كان مسؤولاً عن هذا المجتمع الذي ولد فيه والذي يتخلى من المؤسسات التي تحببه والذي يقتصر الى الكلمة القادرة على تسمية الضرر الذي ألحقه به . وتحتمل الطبقات الأخرى بشجاعة يؤسه وتشرح له ان هذا البؤس ضروري للتوازن الجماعي . وهو موضع رعاية الدولة التي تقدم له أجراً إضافياً وتعويضات . لكنه لا يستطيع مع ذلك ان يقتنع بأنه متضامن كلياً مع مجتمع يصدر برماً ، وسراً ، أحكاماً بالموت لدواع اقتصادية ، ويفترق اثنين من اولاد الفقير يوانان في سبيل ولد واحد من اولاد الثقي <sup>(١)</sup> . انه

١ - نسبة الوفيات الاطفال في عام ١٩٣٩ :

نسبة الوفيات بين ١٠٠٠ طفل ولدوا احياء .

ولم يفلخوا عاماً واحداً من العمر .

أ - فيرروجوازيوفا الكبيرة ، كتابا الموظفين ، ١٩١٥  
الحكام .

ب - المزروعون ، المستخدمون ، الموظفون ، ١٩١٥

يريد ، هو نصف المتواطئ ونصف الضحية ، هو التضامن والشهد ، ما لا يريد ، ويرفض بكل جسده ما يقبل به بكل ما فيه من اعادة الحياة . انه يفت ذلك المسيح الذي حوكت اليه الكنتنة ، لكنه يعرف مع ذلك انه لا يستطيع ان يكون غير ما هو عليه اذالم يقهر العالم . والتناقض لا يكون فيه هو وحده ، انفسا هو يفرض عليه فرضاً ، والانتساج الكثيف يتطلب ان يكون متناقضاً . انسان وميكانيكي معاً : فلذا فانهم لا يلجأون الى خدماته إلا عندما يكون بنسأة آلة موجهة اوتوماتيكياً امرأ بالغ الصعوبة او كبير الكلفة . كما ان تقدم الآلية<sup>١١</sup> سيفني عن الحاجة اليه . وهكذا يطالبونه بإضافة نوع من التيقظ المهيم الى توازنه الفكري ، ويأمن يكون حاضراً وغائباً معاً . انسان الى حد معين فقط : ذلك ان الصناعيين لن يهدوا حرجاً في ان يقولوا لكم ان التعلج العام يضر بمروده العامل نصف المهتم ومع ذلك لا يمكن بعد استبدال عينية البشريتين بخلايا فوتو - كهربائية . وعلى هذا ، ليس العنف الأول هو الاضطهاد لأن هذا الاضطهاد يحتاط بالتعامل مع العدالة والنظام ، انه الاضطهاد المستطعم ، الاضطهاد المعاش كضراع داخلي ، كإكراه يارسه نصف ذاته على النصف الآخر . العنف الأول هو العنف الذي يارسه العامل على ذاته ، ويقدر ما يجعل من نفسه عاملاً . ان جوع العاطل عن العمل وقلته لا يكونان في البداية عنفاً مكابداً منه . وهما يصبحان كذلك حين يأخذهما على عاتقه ويتواطأ معها ليرغم نفسه على القبول بعمل أجرد دون التعرّف التلقائية . لتفرض ان رب عمل يحسب الى ضاربة على الآلة الكتابية ، وأن البلاد تم بأزمة : فتتقدم شلالات فتاة على نفس الدرجة من الكفاءة وهن يحملن نفس الشهادات . ويستدعيهن جميعاً معاً ويسألهن أن يذكرن

١١ - التوسلون ، صفار التجار

ج - الصناع ، اعمال المهتمون [٥٤٠١]

د - العمال الصناع المهتمين [٥٤٠١]

هـ - العمال غير المهتمين [٦٠٠١]

١ - اقتراح هذا المصطلح كقابل لفظة (Cybernetique) وهو علم حديث يدرس علاقة الانسان والآلة ، وآليات الاتصال والرقابة لدى الكائنات الحية وفي الآلات . [٥٤٠٥]

التعويض الذي يرضين فيه . . . وأذنك تبدأ مناقصات رهيبة : ان رب العمل -  
 في الطاهر - لم يفعل من شيء سوى انه ترك قانون العرض والطلب يباشر عمله ،  
 لكن كل ضاربة آتة كاتبة ، يطلبها أقل الأجوور لارتفاعها ، تنارس العنف على  
 الاخرىات وعلى ذاتها ، ولتألم ، في جو من المهانة ، في تحفيض مستوى حياة  
 الطبقة العاملة أكثر ايضاً . واخيراً سيتم استخدام تلك التي ستطلب ، نظراً إلى  
 انها لتتبع بدخول آخر طفيف ( نفقة أزمة - او فتاة تعيش مع أسرتها )  
 تعويضاً هو دون الحد الأدنى الجبوي ، اي تلك التي ستنارس على ذاتها وعلى  
 الأخرىات العمل الخدم الذي مساكن لبشواتي عن موارثه بنفسه . أن يكون  
 الانسان عاملاً ، فهذا معناه ان رغم نفسه على ان يكون كذلك بحمد الشرط  
 المهالي شرطاً زاد قسوة الحياة فيه أكثر فأكثر بالنسبة إلى ذاته وبالنسبة إلى  
 الجميع . . . والبعض يتظاهر بالاعتقاد بأن العنف يولد على حين غرة لحظة العصيان  
 او الاضراب . . . لكن هذا غير صحيح . وكل ما هناك انه يبرز الى الخارج  
 في فترات الأزمة . ويتعكس التناقض : كان العامل يرفض في ذاته الانساني يوم  
 كان مستلباً للوداعة ، اما الآن ، وقد ترد ، فإنه يرفض الانساني . وهذا  
 الرفض هو في حد ذاته مذهب انساني ، وينطوي على تطلب عدالة جديدة .  
 لكن طالما ان الاضطها ليس جبرية منظورة ، وطالما ان ايدولوجية الطبقة  
 السائدة تحدد العدل والظلم ، وطالما انه لن يتكده الحصول على شيء ما لم يحطلم  
 بالقوة النظام القديس ، فإن توكيد العامل لواقعه الانساني يقيدى لعليه كمتظاهرة  
 عنف . وبالأصل ما يكاد يرفع أصبعه ، حتى يجتهد المجتمع قواه البوليسية ، ويغير  
 الديكتور من حوله ، ويهيء له عنقه ، وبضطره الى ان يدفع بهذا العنف الى  
 أقصى مدى له . ان على استيائه ان يتحول إلى إضراب ، وإضرابه إلى مشاجرة  
 والمشاجرة إلى جناية قتل . وبعد ان يكون قد وقع في الفخ ، وعندما يستسلم  
 يذهول كيف قامته المطالبة السياسية بحقوقه كإنسان الى ان يضرب ويتسلسل  
 اناساً آخرين ، يبدأ القمع . ولن تكون العودة إلى الهدوء ممكنة بل عودة إلى  
 العنف الأولي . . . ويعاود التناقض الأصلي الظهور لكن بعد ان يكون تعق

واحتد : فقد ذاق المصرب عنف المجتمع المضاد ، وهو ما يزال يؤثر فيه ، فيرد عليه بشعورين متناقضين ، الحوف والحقن . ولقد اكتشف في الوقت نفسه ذاته وهو يعرف الآن ان العنف هو قانون عمل . بيد ان البورجوازية تتعامل بتخوف ولتقزز هذا الانتقاع البياض الذي يعكس لها بكلمة واحدة ، الاستطهاد الذي تقاربه . ويحبل هذه الطبقة السياسية للقاية والتعمدية للقاية ان العنف يتبع من الضطهد بالذات وأن سببه يكن في مجيئه . ويصبح العامل في نظرها العنف الذي لا يسير له محور والذي تحول إلى موضوع . والعامل لا يحبل ذلك ، ويعرف انه يخيف البورجوازيين ، ويدافع من رد فعل جديد على الشخصية الاستطادية التي تقسب اليه يطالب باعتزاز بهذا العنف الذي يؤخذ عليه . لقد كان هدف هذه الملاحظات أن تظهر التباس الشرط العمالي : فليسك ان العرولياتها خاضعة لحكم حق تاريخي غير موجود بعد وقد لا يوجد أبداً . وعنفها ، إذا ما نظرتا اليه من وجهة نظر مجتمع فادم يسرى النور بفضل جيوهها ، هو مذهب انساني العمالي <sup>(1)</sup> . اما إذا نظرتا اليه من زاوية مجتمعا الراهن ، فهو جزئياً حتى ( انحراب ) وجزئياً جريمة . والواقع ان المذهب الانساني والعنف مظهران غير قابلين للفصل من مظاهر مجيئه لتجاوز شرطه كضطهد .



ان الجرفان الدبكة ذات طبيعة وقيلة حبية ، والعنف يشير انتمتازها ، وهل في هذا ما يدعش طالما انها بورجوازية ؟ والشكل هو ان فيها ميلاً ملحوظاً إلى الطبقة العامة . وحتى تخرج من الأزرق ، افترعت أسطورة الأكم العمالي : لقد ظهر العنف في العمام مع ظهور الأمية الثالثة . ياله من تزوير غريب : فلك ان الشرب البشبي والمسلم يسه في النهاية هو أن العنف العمالي يشكل قوام الحزب الشيوعي وقوله بالذات . فقد التفت الحزب هذا العنف ، وهو يتغذى به ، وإذا

١ - وليس وسيلة لرفع اللعب الانساني . ولا حتى شرطاً لازماً . لكنه هذا المذهب الانساني نفسه من حيث انه يؤكد نفسه ضد التشليل .

كان النامة ملبوسين من قبل العمال فبقوا لأنهم يشكلون الغنم . بينما ، ان هذا العنف بقلة ، مع الحزب ، سفته كقوة هائلة : انه يصبح ، متوسطاً ، ، واحياً ، ويتحدد بتصوره لذلك . والحزب الشيوعي إنما هو الإرادة المعلن عنها ، الموقفة<sup>11</sup> . وليس في هذا من خطورة : فحق لم نجد شيء من التفاوت بين إعلان العنف وبين العنف الأصلي الذي يبتثق منه هذا الإعلان ، فإن هذا لن يتبع مع ذلك الطبقة العاملة من أن تتعرف نفسها في اختبارات القوة التي يجرها الحزب بأعضائها .



ماذا أردت ان أثبت ؟ ان نظاهرة يوم أيار كانت بارعة ، جامعة جديدة بالثناء ، بالرة . بل أردت فقط ان أثبت انها تحمل مكانها في إطار النظواهر الشعبية . تتولون : ، لو أنهم حلوا الحزب الشيوعي ، لكنا وقدما ، يساراً حقيقياً ، مكاناً ، يساراً أيضاً ، عاماً ، مستعداً للتعبير والتضخمات الناعمة ، بحسارب الرأسمالية وينصف الأشخاص الذين لا يقضون العنف لكنهم لا يستخدمونه إلا كوسيلة أخيرة ، ويؤجج في الوقت نفسه حماسة البروليتاريين الكريمة ويحميهم عند اللزم من سطوتهم . إنه ، واقع الحق ، برنامج جيد بلا عيوب ؛ كل ما هنالك ان هذا اليسار إذا ما خلقت لكم ضربة عصا سحرية ( فإلا لا تصور كيف يتكتم الحصول عليه بقدر هذه الطريقة ) ، لا أعطيه أنا سوى ثلثة أيام لتفجير ؛ وأتأكد متجدون بعضاً من أعضائه في كتلة البرلمان الاشتراكية أو في أسرة لحرير ، فرانس - فيرور ، بينما سينظرون الباقون في الشوارع ضد ريدوي .

ستقولون : ، إن مهاجمتك جيدة للغاية . لكن فيها نقطة ضعف واحدة باعتبار ان الطبقة العاملة لم تزجج نفسها في 28 أيار وان النظاهرة الجماهيرية جرت بدون جماهير . وتضعك الجرذان الدقيقة . حسناً . فلترجع الى الوراء ولتر .

١ - من الانوم . والأقامة لبريد ينظر إليه خطأ على أنه واقع . \* \* \*

لقد نظم الحزب الشيوعي تطاهرين في ٢٨ أيار و ٤ حزيران . فإذا كانت ينتظر منها ؟ وما كانت دلالتها الحقيقية ؟ وإذا كان صحيحاً أنها فشلنا فشلاً ذريعاً ، فما الذي أفسدها ؟ وأي معنى ينبغي أن نعطيها هذه الفزينة المزخرفة ؟ وما ستكون نتائجها ؟ وإذا تبين أن هذه النتائج شؤم على الطبقة العاملة ، على المجتمع الفرنسي بأسره ، وعلى السلم ، فهل هناك من وسيلة لتلاقي ذلك ؟ هذه الأسئلة المتشابكة هي التي أود لو أحاول أن أفصل بينها وأجد الجواب لها .

ماذا كان في وضع الحزب الشيوعي أن ينتظر من ٢٨ أيار ؟ وحتى يكون رجال الشرطة متحيزين بأعداد كبيرة ، فعم يمكن للصراع أن تعلن الهم إلا عن هوأها<sup>١</sup> بكل معاني هذه الكلمة ؟ وطالما أن السلطة تحظر التطاهر ، فكيف السبيل إلى أن تتطاهر الجماهير الهم إلا إذا استولت على السلطة ؟ لقد حدث أن دافع السخط بالباريسيين إلى الشوارع ، فكافوا يسعون ويستولون على أحد الشاقي أثناء مروعهم ، ولقد وضعت ثورة شباط<sup>٢</sup> الحكم بين يدي بورجوازية أطاش الحرف بصوابها . أما اليوم فقد اتخذت التغيير لتجنب التطورات غير المتوقعة ، لقد بلغت الحياة السياسية درجة من الجدية لم يعد يستطيع معها حزب من الأحزاب أن يسمع لنفسه بأن تحمله الأحداث إلى السلطة . ولما عنه . إن ألقى ما يمكن لطاهرة شوارع في عام ١٩٥٢ أن نعطيها هو علامة فرد - بشرط أن يكون هناك اتفاق مسبق على ذلك - لا أن تعجزه من حيث لا يدري أحد . إن هذه المسيرات المتقطعة ، الواقعة دوماً في منتصف الطريق بين الفتنة والاحتفال ، بين الاستشهاد والتجنيد ، استعصي العطف لظن لتتجمل وتعاين منه . إنها مسالك قاسية ، حركات مريرة لنفسها غير مجددة ، وعدم جدواها بالذات

١ - Passions . ومن معانيها القوي والمالطة الشديدة والغامة والعذاب . الخ . ص ٥٦ .

٢ - هي ثورة شباط ١٩٥٤ التي أطاحت بالكلية لوي - فيليب وأنت إلى قيام الجمهورية

الثانية . ص ٥٦ .

شهادة . أنها تظهر للجماهير طاقاتها الهائلة وعجزها الوقت . وهذه الحفلات الصاخبة إذ ترهبها من عمل التنظيم الصابر لجعلها تفدرك ضرورته . وباختصار ، « مسرح الشارع » الذي كان يقمناه آنذاك<sup>11</sup> : إن دور السكان الباريسيين يؤديه عادة السكان الباريسيون انفسهم الذين يأخذون على عاتقهم ان يستعرضوا امام النظارهم مصيرهم الماجد وبخاصة علوية الضائقة . إن كل شيء بعد كذا يتوهوا انهم ما يزالون تلك الجموع السخيفة القدم التي سارت وتقاوجت في ساحاتنا طوال القرن الماضي . وانهم كذلك بالفعل فيما عدا أن التطاهرين مدهورين سلفاً ومنظفون ومسيرون ، « والله يحظور عليهم ان يسوا زجاج الواجبات . وان يستولوا على أي شيء حتى ولو كان التباستيل .

انه لمن الضروري ان تنتهي المظاهرة المحظورة بشكل : لكن هذا لا يعني انه يتوجب عليها أيضاً ان تبدأ من هنا . والحال ان التنظيم كانوا يتوقفون هزيمة مرعبة لا هزيمة رمزية على الاطلاق : كانوا يعرفون ان الجماهير لن تجسم نفسها عندها ولن تتحرك . كانوا يعرفون ذلك : فالصحافة ، من صحف ومجلات منطيات اليمين الكبرى الى جرائد المعارضة العمالية ، تنوء وتعلق ، منذ عامين ، على « فتور همه العمالي » . فكيف يمكن للكتيب السياسي ان يكون هو الوحيد الذي لم ينته الى ذلك ؟ تصفحوا دفتر جاك ديكلوا<sup>12</sup> : انه ، بالطبع ، غير واضح العبارات ، لكنكم ستفرون كلمة « اشرحوا » تتكرر مئة مرة : اشرحوا لعمال مرفأ مرسيليا ... اشرحوا للشعبة ... لم تشرحوا بما فيه الكفاية ... وستشعرون بتعاطف الفلق والرفيسة في « تأجيج الحركة » ضد بعض ترددات الرأي العام العمالي ولاحطوا كيف انهم يرجعون دوماً الى نفس الاهتمامات والى نفس المواضيع : إن هؤلاء الناس واعون قاصداً لمصاعبهم . ستقولون : لم اقترب يدعون الباريسيين في هذه الظروف وفي هذا الوقت الى تظاهرة سياسية ؟

١ - التطاهرين كرف : مثل وشاعر وكاتب فرنسي معاصر .

٢ - عندما احتفل ديكلوا بصورتته اوراقه الخاصة وتشرت باعتبارها « والنسق من



وسأجيبكم : لأنهم كانوا عرضيين على ذلك . التفترض ان لجنة استقالات أعلنت  
عن موكب قبل زمن طويل من مواعده : انها ولا شك ستجد مشكلة وحرجاً في  
الاعلان عن إقامته حتى ولو فسد الطقس . والحال ان المطاهرة ضد ريدوي قد  
جرت الاعلان عنها من شهر طويلة : وعلى وجه التحديد منذ يوم المطاهرة ضد  
ايزنهاور . فيوم احتج الحزب على هذا الجزال \* تمهد ضمناً بأن يحتج على جميع  
خلفائه . إن حزياً جافيراً لا يستطيع ان يكتفي بالمشارة الرأي العام : بل  
عليه ان يعنى ميوله المتزودة وان يوضحها وان يبرزها للنور . وعليه أخيراً ان  
يمكسها الجمهور : وهل هناك من جهاز إرمان غير من الجماهير نفسها ؟ انه  
سيجرها الى ان تكون بنفسها تصوراً موضوعياً عن ارادتها \* والى ان تضعها  
جميعها في الفعل لتجاوزها وتسوقها الى أبعاد أيضاً . وإذا كان السكان الباريسيون  
ضد الحلف الاطلسي \* فلا بد ان يروا هذا العداء : والحال ان عملاً ضمناً فيه  
مخاطرة هو وحده الذي يستطيع ان يجعلهم يعونه . الباريسيون ليسوا على  
قدر كبير من الحماسة في هذه الأونة ؟ اذن فهذا سبب إضافي لتقرير المطاهرة  
الشعبية . إن صلة حزب من الأحزاب بالجماهير \* شأنها شأن كل علاقة واقعية \*  
صلة ملتزمة : فهو من جهة أولى يقتدي بها ويلتقي أثرها \* ومن جهة ثانية  
\* ينظما \* ويحاول \* تربتها \* . ولما لم يكن المطلوب تغييرها بل مساعدتها على  
ان تصبح ما هي عليه \* فإنه يكون تعبيرها ومثالها في آن واحد . وحسين  
يتوجه إليها في بيانها \* يستخدم نارة صيغة الأمر \* وطوراً صيغة المستقبل \*  
وطوراً آخر صيغة الحاضر ليشير الى الواقع نفسه \* الى الحركة التي هي واقعة  
وقيمة معاً \* سينتظر الشقية الفرنسيون ... الجماهير الكلاسيك لن تحذع بهذه  
التأورة المضوطة ... انها العمال \* طالبوا بتحرير \* الخ . إن ما يشهه لأنظارها  
انها هي مطاهها \* ميؤها \* ارادتها \* لكن بعدد ان يكون قد حتمها \* أي  
رفعها الى أعلى مستوى من القاعدية . وزارة لتبسمه وطوراً تجره \* لكن من  
المتك أيضاً ان تظل في المؤخرة . لكن لا أهمية لهذا : فهو اذا كان والناس من  
انه يتكلم باسمها \* وانما كان يرى ان حادثاً عرضياً ما هو وحده الذي ينشأ من

ان تتبعه ، فإنه يفتد السير الى الأمام : انه يعمل من أجلها وبإسماها ، ان الجماهير عمل وهوى معاً : صحيح انها ستغير العالم في النهاية ، لكن المسام يحفظها في الوقت الراهن . ان الدفاعها يمكن ان يكون غير قابل للدعوة أحياناً ، لكن البرد والجوع والقمع البوليسي قد يشككن منها لبعض الوقت : اما الحزب فهو عمل هض . عليه ان يتقدم أو يتخفي . انه قوة العمال الذين اشرفوا على الإنباك وأعمل الذين استولى عليهم اليأس . ولقد كان الفراغ عن مظاهرة ٢٨ أيار يعني « خطوة الى وراء » : ما كان يستطيع ان يأخذ بعين الاعتبار لعب العمال بدون ان يحازف بزواجه ويدفعهم الى الأسلام . والعمل المكتب السياسي فهم من تلك اللحظة ان عليه ان يفسر تكتيكه : لكن هذا لم يكن ممكناً ، في جميع الأحوال ، إلا بعد المظاهرة . إن الجماهير لن تعرف لعبها : بل هي ستطاعر عمن طريق اشخاص وسطاء . وسوف تم تقطيع نخاعها بعنف المشاجرات ، وسوف يظهر لها عملها كما كان يجب ان يكون . وسوف يُعهد الى فرق متخصصة بأن تنفذ افعالها حركات العنف ، وسوف ترى هي عنها ذاتي حياً ومثلاً عنها ، وسوف تشهد من ضواحيها قتال المتظاهرين ضد الشرطة كرمز سهل لصراع الطبقات .

والخلاصة : ماذا كان يريد الحزب حين أرسل متابعيه ليحاصروا ساحة الجمهورية ؟ الاستيلاء على السلطة ؟ اعتطاف ريدوي ؟ إسقاط الوزارة ؟ لا شيء من هذا كله : كان يريد ان يجعل موقفاً ليس إلا . ويم كان يحازف ، إذا جرت الأمور كما هو معتاد ، فسوف تعلق الصحافة البورجوازية على الأحداث دونما حساسة وسوف يعود كل شيء الى نظامه السابق . ان السيد بيناي<sup>(١)</sup> لا يلهم السألة على هذا النحو . أهو يؤمن إذن بالجماعة ؟ أتصورون ان كل ما هنالك أنه يحدد هدف أولئك الوزراء الضباط الذين أنظفوا الأمة بلا مجر حتى يعيطوا أنفسهم بلا مشقة بسألة المجد نظراً الى أنهم أعادوا

١ - المطران بيناي ، رئيس الوزارة الفرنسية عام ١٩٥٢ . - ص ٤٠٥

الطمانينة إليها . نحن نأرجح الحكومة له القرصين<sup>١١</sup> ، تلجأ الى وسيلة كلاسيكية : انها تحرف لصالحها دعابة المناس . أنظروا كيف ترجح المناقشة وكيف ترم بجعرفة على التجدلات بينما مسرحية قايان بلا مبرر . وهذا الجو من العنف قسد خلقه أشخاص غامضون راحوا ببقاياهم مع المثاليين الضربات على الطريقة الأميركية . وسرعان ما يدور المجلس بأن الوزير قسد استلم لفظ السفارة الأميركية : أسلوب اعلاني متسلز ، فزائين و القرص و القادمون بميون ان يحدوا اصبح الله في كل شيء . وحتى في التفاصيل : إذا كانت الولايات المتحدة قد تازلت ، في مثل هذه الظروف الناقية ، لتحمينا من تسامنا الحرم ، فإذا ستعمل إذن في الظروف الجلية ؟ وكان الانفعال قد أخذ يسكن روحه حين جاءت زيارة ريدوي لتقدم موضوع الحملة الاعلانية الثانية . وقد بدت هذه الحملة باعتقال أندريه سبيل ، والمكر في الموضوع هو ان اعتقاله كان اعتباطياً بصورة لا تدع مجالاً للشك : ان البورجوازية الفرنسية الكبيرة نفت الجمهورية وترتاب في القاشية ، لكنها مولعة بالتصنف الاعتيادي الذي يبدو لها اوستقراطياً والذي يقدم لها في آن واحد صورة القوضى التي تمنع حسا بصورة الهيبة التي تحلم في ان تكون لها في نظر الآخرين . إنها ترفع رأسها وتلسائل بتقول إن لم تكن قد وضعت بعدها على ذلك الطائر الناصر : شخص لبيروالي حديدي القبضة . وبأني يوم المظاهرة . وينظم السيد بايو والحكومة الرعب : فذاك يؤكد أن الجماهير لن تتحرك ، وهذه تؤكد أنها على طريق مؤامرة تدعوننا الى قياس مدى أهميتها بعدد رجال الشرطة المكلفين بقمها . وهدف المتآمرين ؟ كيف يريدون ان يعرف طالما ان تيفظ الوزارة قسد أحبط مشاريعهم ؟ وينضم الحظ للسيد بيناي . فكل شيء يخدمه ، يا في ذلك الدم السلوك . فرجال الشرطة قسد أطلقوا النار ، كما هو معروف ، في الهواء . وقسد اصطدمت رصاصة في الساه وسقطت من جديد بين الجموع : هل ستصيب فرنساياً ؟ كلا : ان اصبح الله متحولها في اللحظة المناسبة إلى جزائري . وأنتم تعرفون كيف استقل

١ - مشروع اكتاب مالي طرحته حكومة بيناي . « مرم »

الموضوع : كان هناك إذن عرب قتلون في صفوف الانفصاليين ! وماذا كانوا يفعلون هناك ؟ لو استخدموا في كتابات الفريقية للصح المدفشرين ، فلا تقرب : إنهم وطنيون ضد وطنيين . لكن لا بد ان يكون المرء عدواً لفرنسا حتى يدخل عرباً في منازعات بين فرنسيين . واختصار ، حين أسدل الستار ، كانت قوات الأمن قد رجمت الجولة . جولة صغيرة للغاية ، انتصار صغير للغاية : جيشة واحدة وكافمان مشغتان بالجراح ، وهذا شيء لا يكفي أبداً للترويج لشروع القرص .

انتهت المظاهرة . وعاد الناس الى بيوتهم ، غاضبين ، متعبين ، خائبي الأمل على نحو مبهم . وفي الأحياء العالية ، كانت الأنباء قد وصلت سلفاً : قتل آخر . وحين السبت ، وتخفى المرارة والحزن تحت قناع المزاج المتمكر . وهذه هي المحطة التي اختارها السيد بيناي ليعمل على اختطاف زعيم شيوعي من قلب أحد الشوارع . ونحن نعرف الحرافة الوردية التي نشرتها الصحف في اليوم التالي : لقد قبض على ديكولو في الحرم المشهود ، ولقد تردد وجمال الشرطة في البداية أمام نتائج اعتقاله غير المحسوبة ، ثم قرروا أن يقضوا عليه بدافع الغيرة على الوطن وحب الشرعية المتجردة للقاء . لقد كان من الممكن تصديق هذه الحرافة لو كانت هناك قوانين تتطلب الحماية ، لكن لم يكن هناك وجود مثل هذه القوانين : إنما كان هناك مواطن عائد الى بيته في سيارة ، وكانت الظروف تحرم شرعياً المساس بسسه . ياله من حب غريب للقانون ، حب يعرفه لأفسي إهانة بحجة ان حرمة قد انتهكت . سيقال لي هماً : أنت لا تفهم : إنها حالة اضطرارية ، وقد أرسلت الشرعية في إجازة لأن الجمهورية في خطر . مؤامرة ! أتصورون كم هويؤم بالؤامرة ، السيد بيناي ، والسيد بلين ، والصحافة اليمينية ! اطرحوا عليهم السؤال ، أسألهم عن طبيعة المؤامرة ، ألحوا حتى تحصلوا على أدلة او على بعض معلومات على الأقل : انهم سيجيبونكم بتعالق ان الحزب الشيوعي مؤامرة ذائفة وأنه كان من الواجب حله غداة مؤتمر تور . كلا ، ان رائحة التاوردة الثلثة لجرح الأنف : فقد استخدمت الحكومة ، بعكس

ليوني<sup>١١</sup> ، قوتها حتى تستطيع ان تظفرها . ونحن أظهرتها ؟ وان الحق : لزيارتها  
القادمين .

إذا نظرتم الى عملية بيناي بدون حكم مسبق ، رأيتها عبثاً : أما أنها  
فعل عطف سياسي في النهاية الى القضية التي يزعم انه يتفحصها فهذا ما لا يشك فيه  
أحد : فالبورجوازية تزعم كل دعائها ان الحريات الشكلية ، وأما ما قدمت  
هذه الحريات بيدها فعمد سترهم انها تدافع ؟ لكن إذا أمعنا النظر في تفاصيل  
ظروف الاحتفال ، نشترش كل شيء . فلماذا اصام سيناريو كتبه بالتعاون  
مؤلفان ، احدهما طبيب والثاني أيد . فإذا كانت الحكومة قد أرادت ان تظفر  
قوتها ، فما منعها من اطلاق سلاح عيكتو فور فشل الإضراب ؟ أكان حقاً من  
الضروري ان السبع أوروبا كلها رلين الصناعات التي اتتالها القضاء على ضرورة  
الوزارة ؟ ولم شكذب بصدده ساعة التوقيف ؟ وصدده جهاز الراديو ؟ ولم تلك  
السذاجات حول الحمام الزجاجي ؟ ولم الهجوم الى ذلك القوم الموقر عن التأمرة -  
الباع من العمر مئة وعشرة أعوام ؟ ولا يبدو ان الصحافة الليبرالية قد تحسنت  
هذه التناقضات : فقد كتبت ما تزال لحسب السيد بيناي آنذاك باريسيان<sup>١٢</sup> .  
لكنكم اذا كنتم لا تتبنون هذا الرأي ، فربما شعرتم بأن قرار الوزراء قد اوسى  
به اليهم ما كيايفي مسا ، وانهم وجدوا القسوم في النهاية امام نتائج تجاوز  
طاقاتهم . أما عن ما كيايفي فأنا ، بالطبع ، لا أؤمن بوجوده : ففي هذه العملية  
البارعة والطائشة جاء الطيش من الوزراء وجاءت البراعة من مصدر آخر . لكن  
قد لا تكون المسألة سوى مسألة ظروف .

كان السيد بيناي يتابع فكرته ، وكانت فكرته « القرص » . وبعد بضعة  
ايام من الحادثة ذكرت إحدى الصحف هذه العبارة الصادرة من اعناق القلب :

١ - ماريتال فرنسي - وزير الحربية بين ١٩١٦ و ١٩١٧ . عضو في الأكاديمية الفرنسية  
( ١٨٤٤ - ١٩٣٤ ) . ص ٢٠٥  
٢ - بطل أوروبا مشهورة بالعنف . مثال السبحي السند لتضحية بكل شيء . ص ٢٠٥

• لقد انتهت المطامحة بالقتل والملاسل تبشر بنجاح القرض : ففي أي جانب  
 يقف الفرنسيون الصالحون ؟ • . انه كلام واضح : ان الفرنسيين الصالحين  
 يكتفون في القروض ولا يسكنون في الشوارع : والسيد بيناني لا ينظر  
 مكافآت من الشارح • بل من المكان والمصارف والجمعية الوطنية . وما كان يعد له  
 العدة باصرار كبير لم يكن حل الحزب الشيوعي بسبل خفيفة صغوف • لجمع  
 الشعب الفرنسي • . وانما كان حاول ضرب المعارضة اليسارية • فذلك ليكافئ  
 المعارضة اليمينية • وانما كان أبقى أسيرة السبب لإخراج في السجن • فهذا  
 بكل بساطة ليضغط على زملائه : ولقد رأينا ذلك حين قرعنا لكفة على الجمعية  
 الوطنية التي طم لسانها الرعب : • ان مكافئ لكم . لكن الذي سيأخذ •  
 سيتوجب عليه ان يأخذ معه اميري • . وفي فلك اليوم • انقل السيد ويكتور  
 الوزارة .

• باختصار • لقد اوقعوك في فم الخطر الأحمر : وهذه خدعة لا يعود تاريخها  
 الى أمس بل هي ما تزال محافظة على قيمتها الى اليوم . كل ما هنالك ان السيد  
 بيناني لم يعطها شكلها الكلاسيكي • بل لقد كانت مرصعة من جانبه ان يلعب اليها  
 في هذه الظروف على حسب قول الخوازم . فهم يريدون نجاح هذه الخدعة يقتضي  
 عبادة ألا يكون هناك خطر أحمر . خدوا الامير كان : لا شك في أن حسيم  
 النظري بالدعاية كان كبيراً جداً ومعرفتهم بأهواء القلب البشري عميقة للغاية  
 حتى انكبتهم ان يرفعوا الى مستوى الكمال تلك الطريقة الخسنة بعض الشيء التي  
 جادتهم من أوروبا . وهل تعتقدون انه كان في رسمهم ان يتخذوا منها أداة دعائية  
 مدعشة • اداة عبادة الشيوعية • لو كان هناك شيوعيون في الولايات المتحدة  
 الاميركية • فلو كنتم تلتفون بتأخيل من الحزب الشيوعي برعباً او حتى شهياً •  
 فكيف ينكمحوا بانهم يأكلون الاطفال ؟ لكن انما لم يسبق لكم قط ان  
 رأيت منافقين شيوعيين • فكيف تستطيعون ان تبهنوا على انهم لا يأكلون  
 الاطفال ؟ ثم لا تنسى ما يبلغ ذلك من اقتصاد في الجهاز : انما لم يكن احد  
 • متاليبياً • • يكون كل الناس مثلها في انه كذلك . ويلزدي

Average man<sup>(1)</sup> كلا الدورين ، أنه واضح مع الجميع ، ومرش به عندما يكون بفرده . والضحايا بالطبع لن يبرهنوا ابدأ على برامهم طالما ان الاتهام لا يعرف ما يأخذ عليهم . والسيد بيناي ، بتطبيقه لبدأ دولغا تيز ، مهدد بأن يبين على حساب الخاسر بأن هناك شيوعيين في فرنسا .

لكن لا : لقد جرى كل شيء كما لو انه لم يكن هناك شيوعيون . فهل ينبغي ان نؤمن فعلاً بأن ثمة ما كفافيل ما يسدي النصح إلى الحكومة ؟ ان هذا التسرع مقبول لكنه ليس ضرورياً . فنتلك العملية القصيرة التي قد جاءت في حينها في معركة ناشبة منذ التحرير ، عرفت فيها البورجوازية كيف تأخذ المساعدة وتحافظ عليها . ان الماكيافيلية كاعنة في الاشياء : فيها فعل السيد بيناي ، فإن عهد الذي تدعوه وتخدمه وترعاه وتقومه مناورات اخرى أغشى عن الانظار واهتم ، لا بد ان يعكس ذلك مستعاراً . ان الحرب عندما تبلغ لحظة معينة ، وعندما يكون احد الطرفين متفوقاً على الآخر ، فإن كل شيء يتخدمه ، وحتى عامل الصدفة يتدخل لصالحه . لقد اوقف السيد بيناي طيش ديكلو في الوقت الذي اصبح لوقفه فيه مناسباً وبارحاً . إن لأحداث 28 أيار معنى موضوعياً قد لا يكون تبدي لأي طرف من الأطراف التي ساهمت في صنعها ، لكنه يعمي العميون بعدما انقضت تلك الأحداث : انه يصبح رمزاً الستراشيجية بأحساوول تجددها في الفصل التالي .

ان لوقيف ديكلو ، اذا ما نظرت اليه من هذه الزاوية ، غير شرعي على وجه التعديد لأنه كان يتحتم ان يكون كذلك . فلو كان شرعياً ، لاحتفظ الحزب بخراج : كان في وسعه ان يتحدث عن طريق صحافته ، وبقامته المهرجانات الخطابية ، ضد التية مملاً في الوقت نفسه رضوخه امام شرعية الفعل الشكلية . لكن الوزير ، باختطافه ديكلو ، قد سد جميع المنافذ : انه برجه تحدياً عالياً إلى الشيوعيين ، وهاجمهم على فشل المظاهرة ، وحين يضطرون الى التفتير برامهم على القول بأمتحان قوة في المكان والزمان اللذين اختارهما ، على مرأى ومشهد

١ - الرجل المتوسط او العادي . « ص ٤٠ »

من العالم اجمع . الاحتجاج ؟ مواجهة الحكومة بالدمور ؟ هذا شيء يمكن ان  
يُفعل وقد فعل : فقد قدم ديكتو شكوى ضد لاشريعة اعتصامه . وبالطبع  
احسنت مسعفا موقف الشرطة : « اذا كانت قوانيننا موضوعة ضدك » فلم  
تحتجوا عندما انتهك ؟ وانتم الذين تحرقونها برميأ ، بأي حق الصرحون عندما  
يكون تحريقها صادراً عنا ؟ انكم مع الجمهورية او ضدنا حسب مصالحكم الآنية  
وانتم لا تملكون خصوصية لسانيتنا إلا لتقيدوا بقوانين أنتم أنفسكم لا ارحونها .  
إن هذه الحججة لا قيمة ، وسوف نتاح لنا الفرصة لنعود فننتكلم عن علاقات الحزب  
الشيوعي بالديموقراطية . لكن حق عندما لا يكون له من هدف سوى تشهير  
هذه الديموقراطية ، يبقى هناك ان البورجوازية هي نفسها التي طرحت شمولية  
القانون ضد خصوصيات النظام القديم : فلماذا سيحرم الشيوعيون أنفسهم من  
اتهام المصم باسم مبادئه بالذات ؟ مستقولون : إذن قالت تدافع عن موروا ؟  
على الاطلاق : فلفسد كان موروا بورجوازياً يستمد جميع مصادره من المجتمع  
البورجوازي ، وكان له من الثقافة وطلاقة اللسان ما يعطي الحزب الشكلية  
مضموناً حقيقياً ، وكان يحقون طبقته لصالح أقلية صغيرة من البورجوازيين . أما  
الشيوعيون فيشكلون باسم البروليتاريا التي تسهم في حياة البلد الاقتصادية من  
غير ان يكون لها نصيبها في الحياة الاجتماعية : فلماذا مسأحدث للعامل واستفاد  
بعض الفائدة من القوانين البورجوازية ، إلا أنها ليست قوانينه : ذلك أنها  
يحاسب الذين يستولون . بيد ان الحزب مسأ كان يستطيع ان يقتصر على عمل  
شرعي : ذلك ان الحكومة بانتهاكها القانون ذهبت تبعث عن الجماهير في  
ميدانها الخاص الذي هو ميدان اللاشريعة . ولقد تحدثت هذه الجماهير إذ وجهت  
إهانة عظيمة الى حزبا : « أروون ماذا افعل بزيمكم » وإذا كان هذا لا يعجبكم ،  
فلن يتبدل في الأمر شيء . ينبغي إذن أن ترد الجماهير على هذا التحدي في  
هذا الميدان بالذات ، ففي حالة هنري مارلان يمكن الحزب أن يجد دافع للملاحظة

١ - شارل موروا ، كاتب فرنسي معاصر ( ١٨٦٤ - ١٩٤٢ ) . تعاون مع المحتل النازي  
وحكم بالسجن المؤبد .



لأفياً والحكم الصادر جائراً ، لكنه لا يستطيع ان يتلف حق توقيف ومعاينة جنعي أو بحار ضبط وهو بوزع منشورات : انه سيقصر إنترت على المطالبة ، عن طريق صحافته او المهرجانات الخطابية أو المرائض ، بإعادة النظر في المحاكمة . وعلى العكس ، إذا ما اعتقلت حكومة ذات ميول فاشية مثل حزب بورجوازي ، فإن هذا الحزب يستطيع اللجوء الى القضاء : ذلك أنه سيرغب في ان يثبت ان القوانين الديمقراطية كلية لمبايقتنا من الدكتاتورية . لكن إذا ما مورس العنف على حزب عنيف ، فإن الجواب الوحيد هو العنف .

ان الحكومة والهيئات التمثيلية في مجتمعاتنا تستمد سلطتها من المؤسسات على الأقل بقدر ما تستمدها من ارادة الشعب ، لأن المؤسسات أولاً هي التي تختار الناخب ، وأثباتاً وعلى الأغص لأن السلطة يمكن ان تظل شرعية بعد ان تكف عن ان تكون معبرة عن ارادة الغالبية بشرط ان تكون فقط مضمونة من القانون . فبعد انتخابات ١٩٤٧ البرلمانية ، أمكن لحكومة ثورات منها البلاد نصف تسير ، ان تحتفظ بالسلطة ، وان تنتظر الحصار الحركة الديمقراطية وتحتلق قانوناً انتخابياً يضمن عودة الغالبية ذاتها الى البرلمان القادم .

ان الحزب الشيوعي يتبع سياسة تشبه هذه حكومة . لكنه لما كان يسلا مؤسسات ، فإن سيادته تأتيه من الجماهير نفسها . يقولون في انه عميل لوسكو؟ انه لا وجود للديموقراطية داخل الحركة ؟ هذا محتمل جداً : بيد ان هذا لا يمنع انه سيخسر كل شيء اذا امتنعت الجماهير بقية عن السير وراءه . فهو يشبه منها لكن قوله : أنطوس<sup>١١</sup> الذي كلت لا تعود اليه قواه إلا عندما يمس الأرض . ان الملايين الخمسة اوالسنة من الأصوات التي تنصب على الحزب كل أربع سنوات تكسر اهميته الانتخابية من غير ان تضي صفة شرعية على عمل الثوري . فالناخبون لا يستجيبون لا المطاميرت ولا الاضرابات السياسية ، لكن ووقتهم الانتخابية لا تسبح بعمق ما إذا كانوا يساهمون فيها .<sup>١٢</sup> وانما في الشارع يقبس

١ - مارغ غراي ، ان ليقون والأرض ، ختف هولسل بين فولغيد . لكنه لم يتمكن من ذلك الا بعد ان رفعه عن الأرض بعد أن لاحظ ان قواه تعود اليه كلما سبأ . ٥٥ ، ٥٦ .

الحزب الشيوعي مقداره سلطانه ، واتساع التظاهرات الشعبية هو الذي يعطي  
صفة ثورية على ميته . وهذه التظاهرات هي ، في وجه نظام الانتخاب  
الجرم والبالغ الحكمة ، بمثابة تعويض بالسلطات ، عام ، مبهم ، غطر ، قابل  
للتعسف ، لكنه يوجنا إلى منابع السيادة بالذات . لكن شأن هذه الاستفتاءات  
الشعبية شأن الخلق الاثني لدى ديكرات : انها قيامة في ساحتها ، لكن لا بد من  
تجديدها باستمرار . فحق لو اضريت فرنسا بأمرها بالأمس ، فلا شيء يسمح  
بالتأكيد بأنها ستعاود ذلك في القدر. إذ انه لا وجود لمؤسسة لتوسع نطاق نتيجة  
هذه الاستفتاءات الشعبية وقد في أجلها إلى مسا وراء اليوم الذي جرت فيه :  
وهذا مفهوم طالما ان سيل التظاهرين يعبر ، بعينه بالذات ، عن نوع من ارادة  
تأسيسية تظل مقبول القوائين المرعية الاجراء . واليولوجوازي لم يتضح قط  
بالأمر : ان دساتره تستطيع ان تعدل الوزارات لكن الجماهير هي التي تعطي  
السلطة الحقيقية . وما يخشاه ويقلقه في العامة ، انفسا هو السيادة الوحشية .  
لكن طالما ان علاقة الجوع برعاها متبذلة باستمرار ، فهو لا يتردد في اخذ  
الشيوعيين على كلامهم وإرغامهم على طرح انفسهم للاستفتاء الشعبي حين تكون  
الظروف في غير صالحهم . وإذا جاءت النتيجة معاكسة لهم ، شرت . وهذا  
يشتركون ان المسألة لا تعدو ان تكون أكثر من الخسوف مؤقت عارض :  
فالحزب الانتزاعي يستطيع ان يبقى على قيد الحياة رغم عزائه لكن الحزب  
الثوري لا يتميز عن الدفاع قواه الثورية . وبرد الوزير عن الشيوعيين حججهم :  
انهم يهاكمون اليولوجوازية باسم ميادها بالذات ، وباسم مبادئهم ثم سيرتهم  
على كشف اوراقهم . ان السيد بيناي متألف من سيادة الشعب الوحشية ، لكن  
بينه وبين نفسه : فهو يعلم حق العلم ان غالبية البلد ليست وراءه ، لكن الغالبية  
لا يحق لها سوى ان تلزم الصمت طالما انها غير معدة بقانون انتخابي . بيد انه  
يعلم حق العلم ايضاً بالمقابل ان الحزب الثوري لا يحق له ان يتراجع ويطأ طرء  
الرأس : فهو يحتفظ السيد ديكرات ويلتظر ، فالتحدي لا بد ان يلقى جواباً .  
والواقع ان الكتب السياسي قد رأى الفخ (ولو لم يره لكانت مقارعات ومباحثات

الاتحاد العام للشغل كتيبة بإدارة الطريق امامه ) لكنه سيرى اليه يحيى الرأس :  
فان تفرد للفاضل فكري هزيمة خير من ان تسرك له ذكرى تهرب وتخاضل .  
وهكذا أعطى أمر الاضراب ، والحكومة على أتم استعداد لمواجهة : اذا ما  
تحركت الجماهير سحقها ، لكن يخيل إليها ان تتحرك . وفي ٤ حزيران  
كان في ٢٨ أيار كان التطابق بين توقعات المكتب السياسي وتوقعات الوزارة تماماً .  
وخلاصة القول انه لم يكن هناك شيء منتظر ، ولم يحدث شيء ، وعلى هذا  
الاشياء بنى السيد بيشاي مجده . ان يوم ١ حزيران فريحي من حيث انه يشبه  
سائر الايام . ولقد قرأنا في صحف اليوم التالي ان الشوارع حافظت على نظريتها  
المعتاد ، وان المراقب كان يسير كالعتاد . لقد كان ذلك اليوم واحداً من تلك الايام  
المكرمة للعمل التي تحوّلها نعمة فريدة من نوعها الى اعياد صاخبة في نظر استبداد  
النظام .

كنت في بلاد الغربة ، وكانت علاقتي بالشويعيين طيبة لكن غير مستطابة  
لينة : كانوا قد كثروا عن اثماني بأني أجعل من الانسان حيواناً لكمهم كانوا ما  
يزالون يتهموني بأني عملت جاسوساً على المقاومة حساب البوراجوارزية الفاشية .  
وأخيراً فان مطاردة ٢٨ أيار لم تبد لي انها جاءت في وقتها ، وكنت أحشى من  
وقوع مشاجرات جديدة وقتل بلا جدوى . وكانت هذه وغيرها اسباباً كافية  
لتجملني أنتفى نأ قتل الاضراب بلا مبالاة إن لم اقل باوتياح . والحال ان النبا  
كان له علي وقع معاكس : فاحتجاج الصحف المحترمة لم يتمكن من تغطية حمت  
فرنسا الغربية ، وقد أحسست بأني تلبيت لبأ هزيمة صغيرة للانسان . لم أكن  
أعرف آنذاك ان هناك عدداً كبيراً من الناس ينظرون الى الأشياء مثلي . ولقد  
كتبت الصحافة البورجوارزية فيما بعد اننا كنا خائفين . لم لا ، بعد كل شيء ؟  
ان الخوف هو احدى الكفالات النادرة التي تستطيع صحفنا ان نقهها . لست  
مع الحسوف ؟ من النظام البوليسي الذي تسلح في الأفق نذره ؟ من الهيمنة  
الأميركية ؟ من مطاردة الساحرات ؟ من الحرب المهددة بالاندلاع ؟ هذه

مواضيع باعثة على الفلق اراما معقولة جدا . لكن يبدو أنني لم أقبهم : نحن  
خائفون لأن الطبقة العاملة قد تسيرت من الحزب الشيوعي . اننا لم يكن الأمر  
غير هذا فكيفكم عشاء ولحماً . ذلك اننا مطمئنون كلي الاطمئنان : فالحزب لن  
يختمني وشيكاً وليس صحيحاً ان الطبقة العسامة قد اعلنت برامها منه : قلبي  
في حزيران لم يُعلن عن شيء ولم تكن هناك طبقة عاملة . هذا هو على وجه  
التحديد ما اخافنا اذا كنتم تريدون ان تعرفوا ذلك . وانا اكتب هذا المقال  
لأحاول ان افهم ماذا قصمت فرنسا .



يبدو انها غير ضامنة ، وأنها تصبح بازدادتها في وجه السيد بيناي . وخلاصة  
القول ان الحزب الشيوعي ، على ما يقال ، سينقض فشل الاضراب «المرحوم» ،  
فسيكون قد خفنا بلا داع . ولقد كان يتوجب علي ان أفرح ، لكنني لم افعل شيئاً  
سوى اني امتدلت مما هم : انه صمعي الذي يسبب في التم الأت . انني ألح  
السيد كلوا بيتهم ، ويقول في نفسه : هذا هو مال من ينهل بالدفاع عن  
الشيوعيين من خارج ميدانهم . هل يعتقد سارتر انه ينال إعجابهم إذ ينش بصوت  
عال يصده هزيمة لا يقرون بها ؟ - كلا ، لا اعتقد ذلك . ومن ذا الذي يبلغ  
به الجنون جداً يريد معه ان يسأل اعجاب الناقلين ، سواء أكلوا شيوعيين أم  
غير شيوعيين ؟ وما الداعي الي ان يسعى الي ذلك ؟ وأي فائدة سأجني اذا  
حملت نفسي هذه المشقة ؟ مصافحة مختلفة مع رجل مطارده ؟ ابتسامة شاحبة  
على شفهي مناقش متساهل ؟ ان قلبي لا يتحقق لأشياء كهذه . كلا : إن الحزب  
الجماعيري إما ان يكافحه المره ، وإما ان ينتسب اليه ، وإما ان يتفاهم من الخارج مع  
مثليه حول أهداف مشتركة . ولا بأس إن كان العمل هو الذي يحدد المواطنين ،  
فقد كان المذهب الفردي البورجوازي يرجعها الي تقلبات المزاج ، ولا علينا إذا  
نحن أحييتنا الإنسان بكامله أو مفتناه من خلال أعماله . إن هدف هذا  
المقال ، هذا صحيح ، ان اعطن القاري مع الشيوعيين مسرور مواضيع محددة

وهددرة ، انطلاقاً من مبادئنا لا من مبادئهم . وسوف أبحث السبب . ولقد حدث مرة منذ مؤتمر نور ان أعلن افراد أو جماعات ، يسارية ، اتفاقهم العملي مع الحزب الشيوعي منوهين في الوقت نفسه باختلافاتهم المبدئية . وعندما كانت مساعدتهم تبدو للحزب مرجوة ، كان يقبل بهذا التحالف بالرغم من الاختلافات . ويخيل لي اليوم ان الموقف قد تبدل ، بالنسبة اليه كما بالنسبة لينا ، بحيث بات واجباً عليه ان يتبنى مثل هذه التحالفات بسبب الاختلافات جزئياً .

لما الواقعة نفسها ، فهل يمكننا ان نقول ان الحزب الشيوعي يتقضا ؟ نعم ولا . انه يقر بأن الاضراب لم ينجح لكن همه الأول على ما يبدو هو ان يبريء الطبقة العاملة من المسؤولية ، وهو لا يفرده ، في سبيل ذلك ، في ان يأخذ الخطأ كله على عاتقه . تهور ، نقل سيء للأوامر ، فقدان التنسيق ، الشطط في التهجئة . ان ما يقوم عليه نفسه معروف لدينا . والحق ان في هذا نوعاً من التهور . ان الحزم يفسر أحداث ، حزين بالموهر : انها طبيعة الحزب الشيوعي الحبيثة التي كان لا بد ان تثير في النهاية احتراز الطبقة العاملة . والحزب الشيوعي يعترف بالوقائع لكنه يفسرها بالعرض . لقد احتلقت الطبقة العاملة بطاقتها التضالية ، وكل ما هنالك ان بعض الافراد اخطأوا ولم يعرفوا كيف يدعونها في الوقت المناسب . واليك مسأله السيد ديكلور في الجلسة الأخيرة للجنة المركزية : ، لقد كانت الطبقة العاملة العنصر الحاسم في النصر . ولقد كانت في غالبيتها الساحقة مع حزبنا ضد المتأمرين . لكن هذا لا يعني ان هذا الموقف قد تفرج دوماً وفي كل مكان في اضرابات أو تظاهرات أو عرائض . وخطأ الحكومة ومخلائها هو بالضبط اعتقادهم بأنه حينئذ لا يكون هناك اضراب أو تظاهر تكون الطبقة العاملة لامبالية . لقد فهم العمال ان الوأمره المناهضة للشيوعيين هي تهديد هجوم عنيف على شروط وجودهم ، على حقوقهم المكتسبة ، على الحريات الديمقراطية وعلى السلم . ولا مجال للشك في ان عمل الطبقة العاملة كان مدعواً الى تحقيق تطورات جديدة للغاية لو لم توجه الحركة الشعبية ، مع

التحرير الذي تم في أول تموز ، ضربة أول صارمة الى القسامين<sup>١</sup> .  
 إنني متفق مع الحزب الشيوعي حول نقطة واحدة ، ألا هي استحالة اعتبار  
 صحت الجماهير قبولاً بالقمع ، سيقتال لي ، لا يمكن ، لكنك لا تستطيع ،  
 للأسباب نفسها ، ان تعتبره استهجاناً ، . أنا لست متأكداً من ذلك الى هنا  
 الحد ، بينما ، انه لن الصعب فك لغز إشارة سالية . لكن من الصعب أيضاً ان  
 نعتقد بأن عملاً موحهاً ضد زعم حزب عمالي ، على إثر مظاهرة - وإن تكن  
 غير شعبية - يمكن ان يقابل من الجماهير بلا مبالاة . ان العمال يعيشون تحت  
 التهديد الدائم للأفات الثلاث التي تسمى ارتفاع الأسعار والبطالة والقمع . ومها  
 يمكن المستقبل البعيد الأمد الذي يحملون به أو يمدّون العدة له ، فإن مستقبلهم  
 القصير الأمد قائم دوماً ؛ إنهم يعرفون عداء الطبقات الحاكمة ، ويعلمون ان هذه  
 الطبقات مندفعة في «وكليات» نتائجها شوم في غالب الأحيان على البروليتاريا ،  
 لكنهم يجربون تفاصيل المناورات فتصيبهم نتائجها في غالب الأحيان من غير ان  
 يكونوا قد أحسوا بأسبابها . وفي هذه العتمة غير الأمانة الجانب التي يسر فيها  
 كل ما يعاقونه من خلفاء نفسه الى الأسوأ ، تكون التغيرات المفاجئة مشؤومة  
 الطابع . هل تذكرون سنوات الانطفاف تلك التي كنا نتكهن فيها بأن ألمانيا  
 تستعد للحرب ، من غير ان نستطيع ان نفيس مدى جهودات تسليحها ، هل  
 تذكرون قلنا الدائم والنداق الكثيب لتلك الأيام ؛ كان هنر يتحرك من حين  
 الى آخر ويطلق خطاباً فنشعر بأن الحرب قد اقتربت أكثر قليلاً أيضاً عن ذي  
 قبل ، بينما ، ليست المقارنة دليلاً وحجياً ؛ لكنني حين أريد ، أنا البورجوازي  
 العملي نسبياً من الأزمات ، أن أفهم مناسخ الضواحي العالية ، ذلك الجو الثقيل  
 وذلك المستقبل السود ، فأنا أجد ان تلك الحقبة من تاريخنا ان البورجوازيين ،  
 باعتقادهم سيكون ، فقد بلغوا البروليتاريا أتباهم ، ولقد كانت هذه الأبناء  
 مكدره ، ومسالماً نفس حقد العمال للتأصل على الشرطة ، ومصاعب حياتهم  
 اليومية ، وعدم استقرار ميزانيتهم وجراحاتهم القديمة الباقية أبداً ندوباً ،

١ - «الغد الجديد» - العدد ٢٩ - ايلول ، تشرين الأول ١٩٥٢ - ص ٢٨ .

فكيف يمكننا ان نتقي أنهم لم يروا في الإجراء القضائي الذي اتخذ ضد الحزب الشيوعي تدبير الخطوات جديدة ؟

والآن هل ينبغي ان نشبه ذلك الطلق الأصم بحركة ؟ وذلك المزيج من التضام والحنن ، هل يمكن ان يعتبر حلاً ؟ لا أظن ذلك . ان السيد ويكتور يرى ان الحكومة أخطأت إذ أسامت لتدبير مقاومة الجماهير . وأنا ألتزم على افتراضه هذا . لكن إذا لم يكن السيد بيناي قد عرف كيف يرى غضبها ، فعل من إذن أمكن هذه المقاومة الباطلة والحرساء ان تؤثر ؟ وكيف السبيل الى اعتبار إطلاقات السراح التي تمت في الأول من نوز استصاراً شامياً ؟ لو كنت شجاعاً لحفظت الجبل لونتسكيو أكثر منه للبروليتاريا ؛ ذلك ان إجراء الوزير القومي قد عرفه ليضعة أشهر مبدأ فصل السلطات البروجوازي . ان قضاء موسوس الضمير وفقروراً بزبابه قد رفض بكل بساطة التخلي للسلطة التتقبلية عن الاستقلال الذي هو مبرر وجوده وعن الحصة التي ترجع إليه من السيادة . يقال ان الحركة الشعبية قد تشكلت من إحياء ضمير القضاة ؟ لكن من أين جاء هذا الافتراض ؟ وطالما أنها لم تعبر عن نفسها ، لا في اضطرابات ولا في تطامرات ولا في عرائض ، فكيف أمكن لأولئك القضاة البروجوازيين ان يتصرفوها ؟ الواقع ان فرنسا لامت السكون والسكوت ، وإفان في جو يخيم عليه صمت كبير اتخذ القضاء قراره . وذهب الحكومة في رأي ليس في كونها أسامت لتدبير الاستنكار الشعبي ، بل في كونها لم تتوقع قراراً متوقعاً كهذا ؛ فالقضاة لم يخلصوا لأوامر أحد منذ الجمهورية الثالثة<sup>١١</sup> . فما الداعي لأن يقبل بسادة له ، ولا سيما إذا كان هؤلاء السادة يدعون دايو وبيناي ؟

اذن فن غير الصحيح ان الجماهير قد ضغطت على الوزراء ، كما انه من غير الصحيح انها وقتت موقف اللامبالاة . والواقع انها استنكرت لكنها لم تسجل استنكارها . وهذا ما يبدو باعناً على الشبهة ؛ فإنا لم نسمع استنكارها الواقعي جداً الى التعبير عن نفسه ؟

١ - كتب هذا المقال عام ١٩٢١ .

« لأن كراميتها كانت جارية » ولأنها كانت تمدن السياسة الشيوعية ولأن  
الفرصة أتاحت لها لتظهر ذلك » . عن طريق هذا القلب البارح حولت الصحافة  
البروجوارزية غياب رد الفعل إلى رغبة في عدم الرد . لتقبل بذلك : لكن عم  
تتكلم هذه الصحافة ؟ أعني ٢٨ أيار أم عن ٤ حزيران ؟ يقال لي إنه لا فرق  
بينهما ، وإن النشل الثاني ليس إلا تركيهاً وتناقضاً للأول . وأنا لست مقتنعاً  
بذلك البتة : فالبرهان في نظري يختلفان اختلافاً عميقاً .

ويكفني واحدة أقول إن تطامرة ٢٨ أيار لا يحسن أمراً : أنها لا تخرج  
سواء أفضحت أم فشلت ، عن الروتين و « المسائل الجارية » . كما أن لها على  
الأخص طابعاً سهلياً . لقد درس القادة الشيوعيون الموقف القوي ، وقنعوا  
القوي الموجودة ، وارتأوا بأن عملية محدودة التطاق يمكن أن تساهم ، ولو في  
أبسط الحدود ، في تعديل ميزان هذه القوى . وما فعلوه هم ، يستطيع غيرهم  
أن يردد فعله لحسابه الخاص : إن كل إنسان يستطيع أن يفتح سياسياً عملاً سياسياً  
مسا . وإذا لم يكن في وسعي أن أعتقد - سأشرح السبب فيما بعد - بأن الطبقة  
العاطلة قد تطامرت ضد المظاهرة ، إلا أنني أقبل عن طواعية - لم لا ؟ - بأن  
عددًا لا بأس به من العمال قد استلطف عن المشاركة فيها بنوع من احتداد هو  
بشابة استهجان ، « ما الفائدة منها ؟ إننا لن نحصل على شيء بهذه الطريقة »  
الخ . بل من الممكن أن يكون قد وجد بعض أفراد أروافها ان يظهروا بغياهم  
أنهم يريدون سياسة الحظوة والنفوة تلك . أمسا بالنسبة إلى الغالية ، فإن  
الموضوع أبسط بكثير : والمتاضلون يعلمون حق العلم ان المظاهرات ضد الحرب  
تكون سبباً للمردود في غالب الأحيان . ان فشل اليوم الأحمر ، في حزيران  
١٩٢٩ ، بشبه من عدة نواح - سطحيًا على الأقل - يوم ٢٨ أيار : لتداء نفسه  
لجرايمه ، أظهرنا أنكم مضمونون على منع الحملة المعادية للشيوعيين ، « والقياب  
نفسه ، المتحفظ جداً ، من قبل الطبقة العامة » مع فرق واحد : فوز هو الذي  
استغل آنذاك . ان الحزب يعرف المشكلة قام المعرفة : انه يعلم حق العلم انه لا  
يبد في كل حالة من الحالات من دعم المواقف السياسية بطالبات اقتصادية ، وهو



بمعنى ان يكون فاعراً على تحليل الوضع الفعلي واستخلاص اسبابه العامة وإظهار  
روابط الصلحة المباشرة مع المصالح الطبقية . لكننا نسوى ان هذا ليس سهلاً  
دوماً : إذ يحدث ان تكون إحدى حلقات السلسلة مفقودة أو أن يتوقف التدافع  
الخطأه : وفي مثل هذه الحال يقف العمل السياسي وحيداً بلا حماية ، ولا يتنجح  
دوماً في جر الجماهير ، وهذا بالطبع لا يرجع الى ان العمال يعتبرون العمل  
السياسي خارجاً عن دائرتهم أو الى انهم يحرمون على انفسهم استخدام اسلحتهم  
العادية في وضع الاستعمار أو الامبريالية : انما يرجع بكل بساطة الى ان الهدف  
يصور لهم تحت شكل مجرد وبعبء اكثر مما ينبغي . انهم يتاحلون من كل الفتنهم  
اذا ما بين لهم ، على ميول اليسار ، انهم يدافعون عن اجورهم يحرجون موقف  
سياسة إعادة التسليح ، وبالتالي وبصورة غير مباشرة ، الحلف الأطلسي . لأنهم  
يدافعون عن مصالحهم الخاصة : كلا : بل لأن سيطرتهم على الأحداث تظل  
مباشرة ، لأنهم يرون النتائج التفصيلية للعمل ، لأن كل ، زيمتهم السياسية ،  
تصدق ان فكرة ان الأحداث العائلية لتبدى ، على مستوى الأمم والمدن ، تحت  
مظهر تبدلات محلية وعيالية يستطيع عمل محلي وعيالي ان يعدل مجراها .

بيد أن اضراب ، حزران ، على كل الأحوال ، لم يكن سياسياً . ام ينبغي ان  
نسمي تلك القضية التي حركت العمال الإيطاليين حين علموا بأن جهولا أطلق  
النار على تولياتي ، بأنها سياسية ؟ لقد استبقوا أوامر الاضراب ، ورحقوا على  
المصانع ، واحتلوا ، وحبسوا الزباب العمل في مكابهم : كان الجميع متلفين ،  
الشيوعيين والاشيوعيين واعداء الشيوعيين ، وكان مداً هائجاً حاصلاً . وطوال  
يومين خيل للحكومة انها فقدت السيطرة على الموقف . وما كانت أهداف هذه  
المظاهرة - سياسية كانت ام لم تكن ؟ الاحتجاج ؟ ضد من ؟ ضد من ؟ ذلك  
انه ما كان أحد يعتقد - آنذاك - ان الحكومة أو احزاب اليمين غيبة الى حد  
تقدم معه على اقتيال زعيم شيوعي في وقت كان فيه الحزب الشيوعي يسيطر على  
ثلث وثلث من البلاد . أما ، ضغط ، الجماهير ، فإن من كان يمكن ان يوجه اليهم  
إلا ان الإله الأب ؟ بيد ان الحدث كان له سدى كبير : فقد أكدت الطبقة ذاتها

عليا ، وبالتفاح مهورس ، تجاه الأمة ، تجاه أوروبا . فقبل محاولة الانقياد  
كانت الظروف تدل على أنه ليس هناك سوى تجمعات صغيرة لتجانس أو  
تتباين ، تحادى أو تتداخل ، من أسر وروابط ومؤسسات وأرثيات الخ .  
وبعدما حل النور لطايرت الحواجز وظهرت البروليتاريا . وهذه الانتفاضة  
العظيمة ، لا شيء آخر ، هي ما كان ينتظره الشيوعيون من العامل الفرنسي . لم  
يكن المطلوب كما في السابق بلوغ أهداف بعيدة إن قليلا وإن كثيرا وبطرق  
مقنونة إن قليلا وإن كثيرا : إنما كان المطلوب موجهاً إلى الطبقة العاملة في واقعها  
اليومي المباشر وعلى حلقها الأساسية ، وعلى مرأى منها ثم اعتدال القادة الذين  
اختارهم لنفسها ، فطلب منها للكتب السياسي - بلا أمل ، قلت ذلك - وقد  
فعل مباشرة وحاسبا . لم يطلب منها أحد أن تحطم زجاج مبنى رئاسة الوزراء  
ولا أن تضرع النار في قصر الاليزه : إنما كان جل الشئ أن تظهر نفسها لا أكثر .  
ولم تظهر نفسها .

يجب عدم الشيوعية : وهذا يثبت أنها تريد أن تزيير الحزب الشيوعي .  
لقولون إن هذه المظاهرات وسامات مجيبة وأنه في الشارع تجدد البروليتاريا  
لقتها في زعمائها . النتيجة واضحة إذن : حين تكون الشوارع مظفرة ، فهذا  
معناه أن البيعة قد سقطت عن الزعماء .

لا داعي لي مثل هذه السرعة في الاستنتاج . فمثل عام ١٩٥١ بدت عن  
المجاهير علامات الأناك واضحة ، ومع ذلك صوت ٥ ملايين ناخب للشيوعيين .  
وقد جرت بعد ٤ حزب ان انتخابات فرعية لم تدل على تراجع يذكر عن نسبة  
العام الناصي . وحدث الأضراب الحبط حلتت القوة العمالية ، في مصانع رينو  
تجاساً طلت له وزمرت الصحف المحترمة . وهذا الكسب الذي لا مجال للتفاش  
فيه يشهد على الأقل على تفكير المزاج العمالي ، لكن مما لم يشر إليه البعض إلا  
ذمراً ، وما يبدو لي أبلغ دلالة ، هو ان الاتحاد العام للشغل كان ما يزال يحتفظ  
بـ ٦٠٪ من الأصوات بمسند خمسة عشر يوماً أو أقل من فشله . إذن فهناك في  
مصانع رينو غالبية من العمال مما يزال تعضه لقتها مع احتفاظها لنفسها بحق

عصيان أوامرهم . كما ان في البلاد أربعة أو خمسة ملايين ناخب يصوتون لتواب  
الشيوعيين من غير ان يحرکوا اصبعاً للدفاع عنهم حين قتلتهك حرمة اخصائهم  
النابية . صحيح ان الحزب الشيوعي في سيدة الى خسران ذلك النوع من السيادة  
الذي يولد من العمل ، وهذه للاحطاط تبعد وكأنها تشير ، لوهة الأولى ، الى  
أزمة تعاني منها سلطته الثورية . لكنه أيضاً حزب كلاسيكي وبرلاني . وطلنا  
أنه يسيطر عملياً على الاتحاد العام للشغل فهو منظمة نقابية : انه يحافظ ، تحت  
هذين المظهرين ، على سلطته وتفوقه ، و ٦٠ الى ٧٠٪ من العمال يقبلون بأنت  
يدافع عن مصالحهم المادية ، و ٢٥ إلى ٣٠٪ من الناخبين يقبلون بأن ينظم في  
الجمعية الوطنية . وبعد هذا تأتون لتقولوا لي ان الطبقة العاملة تتبرأ من ديكلو :  
بردي ذلك . لكن يبدو لي وانها أنها لا تستطيع ان تتبرأ منه من غير ان  
تتبرأ من نفسها . على رسلكم ، اني أقبل بكل ما تريدون : ان العمال قد شعروا  
الوصاية الشيوعية وبيع وقرابية الحزب وخضوعه لوسكو . وهم يأخذون عليه  
ألف مأخذ ويعلمون استنكارهم بردياً للاتحاد العام للشغل . ثم ماذا ؟ ليس  
المطلوب منهم ان يقدموا برهاناً دامماً على صيهم المكتوب السياسي ، بل ان يردوا  
على تحدي وعلى إهانة وعلى تهديد . إن الحكومة ، بالأمس ، باعتقافها ديكلو ،  
قد أتت بحجة قلم انتخابهم . وهي اليوم ، باعتقافها بوليب ، قزني بطاقاتهم  
الانتخابية . التبرؤ من ديكلو في مثل هذا الوقت ؟ وإذا ما فعلوا ذلك فإنا لا  
يتوجهون ايضاً بالشكر الى السيد بيناتي الطبيب الذي خلصهم من طاعنة ؟ أم  
تعتبرون صادقين ان بوليتارياً لاكتها سنة وخمسون سنة من النضال ، وتعي  
قضاياها وعظمتها ، ستأتي لتعلن أمانتها والأبشامة للبع على شفتيها : « اني  
لست راضية كثيراً على لقادة الذين اخبرتهم نفسي ، ولهذا لست أرى في  
اعتقافهم سوءاً ، ومع احتفاظي بتلقي فيهم حول بعض النقاط لا أرفض أنت  
لقتلك حرمة القانون بمض الشيء ، إذا كان هذا ضرورياً لتخليصي منهم ؟ »  
وان يجب معلقو القيدارو الطبقة العاملة عذراء جنونسة ، فهذا شيء طبيعي  
ونظامي . لكنكم ، أنتم الماركسيين و المناولين الستالينية ، أنتم الذين تعتمدون

على سداد بصيرتها لتخلصوها من قاداتها الحاليين ، كيف يتكلم ان قليلوا بأن تكون قد فتحت الباب بكل الامتثال للقمع البوليسي ؟ لقد قلتم ورددتم ذلك بعد ماركسي ، وبعد لينين : البورجوازية فرضت على نفسها قوانين تخلفها ، ومصالحة اليه وليتبارا هي ان تحملها على احترامها . كنت تقولون : علينا ان نشور على كل مظاهر سوء استعمال السلطة . فهل مستضيفون اليوم ، إلا عندما يكون السالطون هم الذين يدفعون التمسق ؟ أعرف : أنكم نستطيعون ان نسمحوا لأنفسكم بكل شيء ، لأن مواقفكم لا تؤثر على الجماهير . وقد عهدهم مع الواقع معاهدة عدم تدخل : فهي تحدث من غير ان تزعجكم ، ومن غير أن تزعجكم ، ومن غير ان تؤكد صحة نظرياتكم او بطلانها . والمقابل لمهدهم بعدم التدخل البتة لتعديل مسارها . لكن ردود فعل القوة العمالية ، و « الاتحاد الفرنسي للعمال الشيوعيين » تبدو أكثر مدعاة للقلق . فالمظاهرات النقابية ، سواء أكانت اصلاحية أم ثورية ، مستقلة أم موجهة ، تشترك جميعها في كونها قد تطورت في إطار الديمقراطية البورجوازية وفي كونها تستخدم جميع الأسلحة التي تمنحها اياها الشرعية . وإذا ما انتهكت الحكومة القانون او بدلته ، امكنك نتائج ذلك عليها جميعاً ؛ فحتى تنق الطبقة العاملة في فرنسا ، ينبغي ان تراها في وضع النهار . ولقد حدثت اضطرابات ١٩٣٦ على سبيل المثال في رواق مرايا . تصوروا عودة مباحثة للعمل السري . ان عمل الانتصار في مثل هذه الحال هو الذي سيظل ممكناً ، لا عمل الجماهير . وبذلك تكون قد فتحت عيننا شمشون . تقولون ان الأمور لم تصل بنا الى هذا الحد بعد ؟ هذا طبعاً صحيح . لكن لم تقض فترة طويلة بعد على خروجنا من السرية ، ولدينا جميعنا ذكريات يقترض فيها أنها تجعلنا حاسين بموضوع الاعتقالات التعميمية . ستقولون لي : « بل ! لكنك تتكلم عن ذلك على هواك : قد تكون كنت واقفي عليك لكنك لم تضطهد . أما متنازل ، القوة العمالية ، فهو واقع ضحية اضطهاد منظم متواصل : فهو أيشتم ، ويهجر عليه ، ويقرب عليه عمداً ، ومن حين الى آخر يهاجم ويضرب . ونحن نعدده أحد من الشيوعيين » فهل تعتقد أنه يفكر

بالزعة الانفصالية ، بالفسكرات ، بالبروقراطية ، بالتثوية ؟ عيا دعك من هذا ! فهو إنسا يفكر : « لِمَ أدأقوني ، أولئك الأنذل ! انتظروا قليلاً حتى يتغير الوضع وسوف أتقبلهم بدوري من مثل ما أدأقوني » . وعلى كل ، ما كان أسهل الأمر لو لم يكن على الحزب الشيوعي إلا أن يطلب الهدنة حتى يسرح ضحاياه جميعاً إلى نجدته .

هذا صحيح : إن التسامات الطبقة العامة قد جعلت الحياة مستحبة ولا بد بالنسبة إلى الكثيرين من العمال . أما عن الاحقاد فهي موجودة : هذه حقيقة واقعة . لكن ما كان المطلوب منهم ؟ ان يتناسوها ؟ ان يعيدوا الوحدة النقابية ؟ ان يبدوا ايدهم إلى الحزب الشيوعي ؟ بالمره : افما كان المطلوب منهم أن يشركوا في الضراب محدود المدة ورمزي المفعول للدفاع عن الطبقة العامة وعن منظراتهم بالذات . وكان من السهل عليهم ان يبدوا تحفظاتهم وان يمشوا على سبيل المثال : « نحن لم ننسَ خلافاتنا لكننا نضمها جانباً ولو لمرة واحدة . ومهما تكن عميقة فلن نسمح ابداً بأن تتعدى اطار الطبقة » ونحن نرفض مرة واحدة ونهائية المساعدة الطبقة التي ابدتها الحكومة وأرباب العمل مما كان الشكل الذي جاءت به : وحتى اذا بدأ تدخلهم في البداية وكأنه يعمل من شأننا على حساب خصمنا ، فنحن نعرف ان نتيجته ستكون في النهاية وبالاً علينا جميعاً . إن أي انسان يارمر عنقاً ضد أي مثل كان العمال ، انما يارمر ضدنا جميعاً ، وسفرقتع وحسدة البروليتاريا في وجهه .

ولم يحدث شيء من هذا . فلو كانت الحركة « عفوية » و« جارية » لشارك فيها قادة « القوة العمالية » بلا ريب حتى لا تضيق عليهم ثأرهم . لكنهم قنوا ، لتوقعهم فشل الاضراب ، ان يكون تجربة حاسمة بالنسبة إلى الجماهير وان تكشف لها بصورة ساطعة عن عدم اتفاقها مع الحزب . قبل كان هذا حساباً سليماً ؟ لقد وقع القتل ، فمن استفاد منه ؟ بورجوازيات ووزراؤهم .

ان احد المحررين « المهيين » في مجلة « أدلة » يتهمني بأنها أثير مشاكل كثيرة بسبب مسألة لاقية : فهذه الأحداث من التاريخ القديم وأأ الوحيد في فرنسا الذي

ما يزال يشكرها . اني احبب بأننا على الأقل اتسان ما يزالان يجان بالقضية : إن ما يعيدها اني فإكرني باستمرار هو ان السيد بيتاي يدعون بومياً على انه لم ينسأ . فلو كان الاضراب نجح ، لأوقفه الحال : كانت وزارته انتهت وما كان لولياب سيدخل السجن ( ان أقعب اني حد القول انه كان سيحدث العكس ) . أما وقد فشل ، فقد علمه ، ان أي حد يستطيع ان يدفع ان أبعد عما بلقي . ولهذا السبب وحده ، وهو سبب واضح ، لقول ان الاضراب ، جزيران ما كان يخدم المصالح الشيوعية فحسب بل مصالح البروليتاريا والأمة بأسرها . من أين خطر لكم ان البروليتاريا قد وجهت لوماً ان قادتها الشيوعيين ؟ ونحن تتواطأ نقابة عمالية خنياً مع العدو الطيفي لإقصاء نقابة مزاحمة لها ، فإني القول ان البروليتاريا تكون قد غادرت المسرح .

- اذن فمن الذي رفض القيام بالاضراب ؟ - حسناً ، انهم افراد وإن كان عددهم كبيراً جداً ، ولنقل اذا شتم غالبية العمال العظمى - أليس هذا ما يسمى بالبروليتاريا ؟ - كلا : ليس هذا . لقد نشرت الصحافة اللاشيوعية ، بعد الاضراب ، شهادات عن الحالة المعنوية التي كانت وراء الفشل ، فساداً لا ترجع اليها ، أنا اعتقدتها صحيحة - جزئياً على الأقل - لأنه أمكنني أولاً ان العطف من صحة بعضها ، ولأن الرقائع المروية ثانياً تظل مثابة تقريباً غير تبين الآراء ، وثالثاً وأخيراً لأنها تعاكس مصالح الذين يروونها ولأنها تظهر عكس ما يراد لها ان تثبت . إنه ما من سبب من هذه الأسباب يفتح وحده ، لكن اذا ما اضفناها جميعها معاً ، فإننا لا نستطيع أن ننكر ان لها أهميتها . ان هذه الشهادات تسترعي الانتباه أولاً بما فيها من نقص . واذا بحثت فيها عن رفض قاطع لمدروعه السياسية ، فسوف تجيب عليك . ان اول سكير يأتي ان الحالة ، في الاحياء البورجوازية الصغيرة ، بحسب نفس الهيئة الناجية ، الأمة . ويتخذ موقفاً ضد الحلف الأطلسي او معه ، ويشرح ما يتوجب على حكومة ، جديدة هذا الاسم ، أن تمتد في تونس : ان احكامها لها قوة القانون ، وهو يتكلم باسم الجميع ويطالب الجميع بالمصادقة على رأيه . لكنكم لن تجدوا ، في الموضوع الذي نادوهه هنا ،

شيئاً مشابهاً هذه الثقة الهيبية التي يشعر بها الناخب القوي بحقوقه : فالمعامل يقتصر على رفض المشاركة الشخصية ، وهو لا يصدر حكماً ، كما أنه بعيد عن أن يريد ، شأن كانت وسكيري الجمهورية الرابعة ، « إزال مبدأ عدم موقلة القانون الشمولي » ، بل هو يبذل جهده على العكس ليحتفظ له بطابع خاص . وبالطبع ، إذا ما لامه وفاقه وعاملوه كالو انه « اصفر » ، واختصار اذا كانوا هم السابقين الى محاولة وضعه من جديد في الظروف التاريخية ، وسوف يدافع عن نفسه في الميدان الذي اشتاروه ، وسوف يحاول ان يثبت لهم انه على صواب سياسياً وانما كان عليهم ان يتصرفوا كما تصرف . لكن على العكس ، اذا ما تردد آرائه وانزل ما شعر بأن قراره يمكن ان يوجد حركة استكشاف عامة ، فإن الحوق يستولي عليه ، وبروح يؤكد ان لفة مواقف اخرى ممكنة ، وان موقفه لا يلزم احداً غيره : انه انما يبيع بخاصة على المظهر المتفرد حالته . ترى أمر وانض في صميمه ؟ انه يقول بالأخرى ، على ما يبدو ، انه لا يستطيع ان يطبع : « انت الذي لا يواجه اعباء عائلية كأعبائي او الوالدين من احتفائه بعدد ، الخ ) انت حر في ان تفعل ما يحلو لك . أما ان افوضني مختلف . . . ان يقرر ألا يقوم بالأضراب ؟ ألا يتأرجح بين هذين الواقفين . انه لا يعلم اذا كان يرغب حقاً في ان يمتدنى مثاله في فرنسا قاطبة او في ان يرحل من غير ان ينته اليه احد . انه يخشى في آن واحد مظاهرة ستقوم بدونه واستنكافاً جماعياً يمكن ان تكون له نتائج خطيرة . اجل ، إن الشعور المسيطر هو الشعور بالعجز . إن الأوامر التقابلية تفرض نفسها عادة كواجبات ، والمدويون يقولون جهدهم لإقناعه بأنها قابلة للتنفيذ : يجب عليك اذن فأنت تستطيع . اما اليوم فهو يحسبهم : لا يجب علي لأنني ما عدت أستطيع . « انتم تعرفون جيداً اننا لن نتوصل الى شيء ، واننا سنفقد أجراً مقابل لا شيء . « أو « القوة العمالية لن تتحرك : اذن ستكون وحيداً . « أو : « أتشرون مشاكل ولم يبق على موعد اجازاتنا المدفوعة سوى شهر واحد ؟ ليس في هذا ذكاه . « أو ايضاً : « لا أستطيع لأن عندي ثلاثة

١ - لب يطلق على العامل المتأخر لآراء اوباب العمل . . . م . م

أطفال ولأن زوجتي قد وقع لها حادث ، الخ . بأي هذه المبرر يس الصالح  
الطبيعية ؟ أننا نتفح من خلال هذه الاجوية المشافة عودة الى تلك النزعة القدرية  
التي لا تقي تهدد المضطهدين ، والتي تسمى الطبقات السائدة الى تمتتها باستمرار  
والتي لم يكف الثوريون قط عن مهارتها . ان فنور الحق هذا يولد من الوحدة  
والعزلة ويولدهما بدوره : فالطبقة العامة لم تركذ ذاتها إلا عندما حطمت الحلقة  
وتقاؤل المتاضلين الشيوعيين القسري بعض الشيء بغير عن رغبتهم في انقاذ والى  
البروليتاريا ، الأمل . واولئك الذين يقولون انهم لن يسبحوا لأن « القوة العمالية »  
ترفض ان تسبح ، كيف يمكنهم ان يظنوا بوضوح أكبر ان الطبقة العامة منقسمة  
على نفسها ؟ ومع ذلك فإن المنظمات غير الشيوعية لا تضم الا خمس العمال المتتبعين  
الى النقابات على أقصى تقدير . وما أهمية نسبة ٢٪ من المعارضين في قلب منظمة  
وحيدة واحدة ؟ انها بدون أهمية تقريباً : المارقون الى سلة المهملات ، والقالية  
ستتجاوزهم وتعلن عن نفسها بأنها الإجماع . واذا ما تنظم هؤلاء ، النقابات ، فيها  
بينهم ، فإن كل شيء يتبدل عندئذ ، فلا يعود ذلك الاجماع المعبى بنفسه الذي  
كان يحسب ذاته الطبقة العامة بكاملها الا نقابة لها القالية . وبالأسوأ أيضاً كان  
الاجماع يعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ وكانت قراراته هي الوحيدة الممكنة .  
ولم تكن البروليتاريا في كل لحظة سوى ما يمكنها وما يتوجب عليها ان تكونه .  
وكان هدفها و عملها التاريخي مرصوفين لها بصورة نهائية وجليسة في ظروف  
حياتها بالذات ، . وكان كل رد فعل من ردود الاعمالها بغير عنها بتأملها . اما اليوم  
فان قرارات ، الاتهام العام لتسفل ، نطل عارضة : أم تبثت ان هناك قرارات  
أخرى ممكنة ، واحياناً غير أمنها ؟ وليست البروليتاريا التي نظمت هذا  
الاضراب وأمرت به بلسان زعمائها : اننا هر طريقة معينة في الرد على تحدي  
الوزير . وبكلمة واحدة ، ان قرار القادة لم يعد يلزم أحداً عليهم . يمكنهم ان  
يكونوا زعماء صالحين لكن هذا بالذات يعني انسه يمكن ان يكونوا طالحين :  
وسوف قيل الجماهير الى اعتبارهم سلاطين مستبدين يفكرون بالسياسة عنها ، من  
غير أن يكونوا ارتكبوا خطأ ومن تسبح ان يكونوا قبيحوا . ومعهم اني لا



اعراض هنا ، وفي الوقت الراهن ، بر ، الاستبدادية ، و ، البيروقراطية ، التي  
 تؤخذان على الحزب الشيوعي : انما اذكثر فقط بنتائج الانشقاق التقني منها يمكن  
 هذا الانشقاق . إن الخلافات العمالية تسودي الى ظهور نوع من الانشقاق لدى  
 الجماهير التي تجد نفسها متقادة الى الاختيار بين عدة سياسيات ذات طابع احتمالي  
 بدلاً من ان تؤكد ذاتها في رد فعل إجماعي . إن أعضاء و الأعضاء العام للشغل ،  
 المتخطفين في عمل يتبرأ منه رفاقهم ، يشتمون وكأنهم يقاتلون وجانبهم  
 مكتشف . وأتدرك لا تكون نتيجة العملية هي وحدها غير المؤكدة ، بسبل  
 العملية بالذات ، فهي لا تعكس ، بعد ان كانت فقيرة ، تخمينية ، محدودة ، غير  
 لوائح بعض الاختصاصيين . وانما كان هناك اختصاصيون في الصلحة العامة ،  
 فكيف تدعش اذا حال العامل الى الاهتمام أولاً بر ، مصلحته الخاصة ؟

ذلك أنه هل بيننا أخيراً من يعتقد بأن مضربي ١٩٣٠ و ١٩٣٦ و ١٩٤٧ كانوا  
 جميعهم عازبين وبلا أولاد ، وأنهم يتمتعون بتأمين عيائني ضد البطالة ، وأنهم  
 مزودون بدفتر اشتراك في صندوق الادخار ؟ أم هل هناك ، على العكس ، من  
 يعتقد بأن عامل اليوم قد فقد حظ ذكري مصالح الطبقة العاملة ؟ هل يبدو له  
 الاستغلال الرأسمالي أكثر عدلاً وانسانية ؟ وهل يقبل بقلب مفتوح بالاستعباد والحروب  
 الامبريالية والقمع البوليسي ؟ وهل سيضحي برحمته كئيباً بقرب من أرباب عمده ؟  
 قوماً بالتجربة بأنفسكم : اتصلوا باحد من الذين رفضوا المشاركة في الاضراب ،  
 وكلموه بظاهر من صراحة وعدم كلفة ودسوا خلسة في كلامكم بعض أسهم  
 مسمومة ضد السياسة الشيوعية : من يدري ، فربما كان من رأيكم ، إلا أن هذا  
 لن يثمة من قطع المحادثة على الفور إذا تعرف العدو الطبقي تحت الانتماءات .  
 وخلاصة القول ان المبال ، اليوم كما في أمس الأول ، يعيشون الاهتمامات نفسها  
 والاهداف نفسها والوفاء نفسه . ومع ذلك نجد بينهم من كان يجازف بالسوت  
 عام ١٩٤٣ ، ثم لم يعد ، بعد عشرة أعوام ، يجازف حتى بأجره عن يوم واحد .  
 فما الذي تغير ؟ السواقع ؟ الميزل ؟ كلا : انما الذي تغير علاقتها ونظام التلصيق .  
 وما الذي افضى الى هذه التغيرات إن لم يكن مجرى العالم ، اي التاريخ الذي

يصنع كل يوم بيوعه ؟ ان المجموع التاريخي يبت في كل لحظة في قدراتها ويضع حدوداً لحقل عملنا ولتقبلنا الواقعي . انه يشرط موقفنا ازاء الممكن والمستحيل ، الواقعي والخيالي ، الكينونة ووجوب الكينونة ، الزمان والمكان ، ويبدأ من هنا ليست بدورها في علاقاتنا مع الآخرين ، اي في معنى حياتنا وقيمة موتنا ؛ وانما في هذا الاطار تظهر أخيراً ، ألباناً ، اي تلك العلاقة العلية والتقلبية بين هنا وهناك ، وبين الآن وبعدها ، بين الأمام والقد ، بين هنا والكون ، وذلك الفرار القابل للرد باستقرار حول الأهمية والتنسبية لما يسمى اصطلاحاً بـ : الصلحة الخاصة ، و : الصلحة العامة ، . وإذا ما أخذنا الحالات القصوى وجدنا ان أعضاء مجتمع من المجتمعات يلتجئون الى الحاضر المباشر او يعلقون آمالهم على مستقبل يند إلى ما وراء موتهم ، يلتسجون على القليل يملكون او ييمازون بكل شيء من اجل قضية لم يروا انتصارها بأعينهم ، ينظمون مشاريعهم على أساس حاجاتهم او يقررون حاجاتهم تبعاً للمشروع ، وذلك حسباً اذا كان المجتمع المذكور ينقل بيجري السلم او ينام في قفله . والتاريخ هو الذي يظهر الخارج لأولئك ويجعل هؤلاء يتعشرون امام أبواب مسدودة . ان العامل ، شأنه اليوم كما في عام ١٨٥٠ ، لا يملك أدوات عمله : اذن فالطبيعة العيفة لمطالباته لم تتبدل . لكن تنظي المجتمع الرأسمالي لم يكف عن التطور كما لم يكف وضع العامل عن التبدل : فنحن نجد ، حسب الأزمان ، « يلتصق » عمله السياسي إن كثيراً وان قليلاً او يتكسر على حياته المهنية ان كثيراً وان قليلاً . وصلاته بالنظريات الطبقية تتوثق او تفرغ ، والاصناف الكبيرة المفترحة عليه - اصلاحات او ثورة - لا يم - تبدو له واقعية واحياناً في متناول يده او بعيدة واحياناً خيالية . وإذا ما فقد الأمل ، يستطيع اي خطاب ان يعيده اليه ؛ لكن يكفي ان يأخذ العمل حتى يؤمن ؛ فالعمل هو بعد ذاته ثقة . ولم يأخذ ؛ لأنه ممكن : انه لا يقرر ان يعمل ؛ بل يعمل ؛ فهو عمل ذات التاريخ . انه يرى المهدف النهائي ، ولكنه ليس ؛ ان المجتمع اللاطبيعي سيحقق في حياته . وما الواقع المباشر إلا المستقبل . وما الصالح الخاصة ، إذا

ما نظر إليها من المستقبل ، إلا ظلال مجردة . والموت نفسه لا يخيف : لسانه هو حدث معين شخصي جيداً لا يد ان يقع له وسط ذلك المستقبل الذي يتلكه بالتشارك مع الجميع .

ومروراً عدة انتهى العمل بكتابة : وأتذكر تلك تحصيل العمال الذين كانوا ذات التاريخ الجماعية الى مواضع إفرامية له . وبغير العامل جلده ويرى العالم بعين معاصرة : فقد انطقت بدييات الأمل ، واضاعت بدييات اخرى ، اقرب وبعيدة وكريمة : النضال طالما انه لن يتغير شيء ؟ اذا كان المرء يأمل في أن يكتب ، وإذا لم يكن لديه شيء يخشى ان يفقده ، فإنه سيقاتل . لكن اذا بقي لديه شيء يخشى ان يفقده - ولو كان أجراً بالنسبة - واذا ما تحلى عن كل أمل في الكسب ، فإنه يقوم جانب الهدعة والسكون . وأولئك الذين كانوا يحافظون بحياتهم حتى من غير ان يفكروا بذلك ، يخافون الآن الجماعة ويقولون : ولا تريد ان تقطع جوعاً ؟ . حين كان كوستل قد اسقطت اللانهاية دعواه ولم يتغير بعد ان يكون صلياً<sup>11</sup> ، روى لنا قصة ذلك الراعي الاسباني الذي كان يخاف من اجل ان يتعلم القراءة : انه لشيء معقول جيداً ان يخاف الانسان بجلده من اجل ان يتكلم ، لكن بشرط ان يكون له حظ في الفوز . وحسين ضاح شيء ؟ وحسين قرر المنتصرون ان يعمسوا الأمية وأن يشيدوا حكمهم على الجليل ، اصبح الجوع حليلاً متواطئاً معهم : طالما انه كانت ما تزال هناك فرصة ، فقد كان رامينا يأكل اذا أمكنه ذلك ، يأكل ليقايل . وحتى يقاتل فإنه يميل بالألا يأكل . لكن عندما انتهى كل شيء ، امسى يأكل يعيش ويعيش لياكل . بيد ان الحاجات قد تولد ارادة الجماد ، وليس الجوع يوماً ولا حتى في غالب الأحيان مساعد السلطات : فحين يجدها ، لا بد ان يكون هناك لقب بالوصة الثاني . ان الجوع سرقة الى محض التباينات حشوية اذا ما سد المستقبل بعناية : فالمستقبل يولد من العمل ويرقد عليه ليعطيه معنى ، واذا ما أرجع العامل الى

11 - فرز كوستل ، كتاب جري مضمر ، بدأ بكتابة والتي يبدأ ، وكان كتابه في السفر واللاهية ، غطت لورد .

الحاضر المباشر وحده كلف عن ان يلهم تاريخه . لقد كان يلمعه وهو الآن ينظر  
 اليه وكأنه انتمل به دوماً ، ولا يرى فيه سوى عصيان وحيد ، معاود دوماً  
 ومسروق دوماً . الانهزام ؟ مع من ؟ انه يحكم عليه . منذ الهزيمة ، بتلك  
 العزلة العريضة الدوارة التي يرفضها كل انسان ويماني منها باعتبارها عاقبة عزلة  
 الآخرين : « انا على استعداد للسير ، لكن الآخرين لن يسعروا » . ولما كان قد  
 أرجع الى جسمه المهزىء ، الى الزمعي اليسوعي الكئيبي لانهاكة ، فإن الموت  
 بزمامه في نظره شيئاً كلياً تضاهلت حساساته معنى ، ويوحى اليه بخوف أكبر كلياً  
 ازدياد لعياً من الحياة : ولا يعود ثقة شيء بمشاه ارباب العمل - لا ترد ولا ازمة  
 يد عامة - طالما ان العامل لم يبق لغيره من سبب الحياة سوى الخوف من الموت .  
 واذا اراد ان يحول نظره عن نفسه ويشطط الى الخارج ، وجد كل شيء معسداً  
 ليعكس له عجزه : انه يحتاج وسط جموع مرابطة شوارع ثقلت بصورة لا تقاوم  
 معها التصيان ، ومنسطر المسامع والضواحي المزور يقدم له صورة نظام صارم  
 ولا انساني . وبذلك يكون قد نصب حسوله فيكور الاستسلام القنع . الحس  
 السليم وحسابات الاحتمالات المعقل ، كل شيء يمس به بأن دعك وخلل التضال  
 ضد اعداء معهم السلاح والجيش والسال والآلات والعلم . ان مصيره لم يتحسن  
 وكذلك سادته : افامم الأفوى ، هذا كل شيء . وهزيمته لا تحطت : انفسا  
 تثبت فقط ان العالم شوب . يقيناً لقد وجدت آمسال اخرى ، حليقة اخرى :  
 فقد تحولت الأوراق المالية على حين غرة الى اوراق ميتة ورفضت القوات ان  
 تطلق النار على الجموع . لكن هذه الحفسات لم تكن حية وعيية إلا من خلال  
 التضال : فالمعمل هو الذي كشف عنها ، وحين يصبح العمل مستحيلاً لا يقى  
 منها سوى ذكريات هزيمته . ان الجمهوريين يعيشون على يدوية خاصة :  
 الانسان غلطة .

وواضح ان فشل حزب ان يتغير بتطور الهمة : لقد ارادت الصحف المائعة  
 ان تصور لنا البروليتاريا كأثرة على زمامها ، ولقد شعرت على العكس بأننا نشبه  
 انهارها الباطني . إن العامل ، يرفضه القدر المدي السياسي للاضمراب ، قد

وضع نفسه بإرادته ضمن نطاق مصالح طبقاته ، وزاد من عزله بالدوافع التي تلوح بها ليبرز نفسه ، وقطع صلته الجماعية ، وفقد الاتصال مع قاداته : إذا كان الاضراب لم يتم فليس ذلك لأنه أمين بالدفاع الجماعي بل لأنه أبغض ملايين من اشتراكيات اراذلت ان تبقى فردية . إن العاليت الجماعية والقيم والنقل العليا لم تكن : لكنها تامت ووقفت بعيداً عن المناول . والنضال مرفوض لأنت الهزيمة مؤكدة : لقد فقد العامل الثقة في قدرات الطبقة العاملة ، وبخيل اليه انها فقدت سيطرتها على الأحداث وان التاريخ يصنع بدونها . الحرب ؟ انسه ضدها بالطبع : ، لكن اذا كان الاميركان يريدون ان يشترها فليس العامل الفرنسي هو الذي يستطيع ان يمنعهم . العمل السياسي ؟ بلينا ؟ انه لمن العدل ان يمكن للعامل أن يفرض رأيه : ، لكن علام حصلنا منذ خمسة اعوام ؟ لقد نظاهرة منسة مرة ضد حرب اغتد الصينية ضد الحلف الاطلسي وقد اعادة تسليح ألمانيا : فما كانت النتيجة ؟ اننا عاجزون حتى عن تحقيق مطالبنا الاقتصادية : فالأسعار ترتفع والأجور ، بالرغم من جهودنا ، لا تلحق بها اهدأه . الثورة ؟ إن ميشيل كولينه يزعم ان الاجيال الجديدة تجهل معنى هذه الكلمة . هذا شيء غير قابل للتصديق كثيراً ، ولا سيما بالنسبة الى قرائه مما دام يلج بقوة ، من جهة أخرى ، الى اتساع نطاق الدعاية الشيوعية . وما يبدو اقرب الى الحقيقة هو ان موقف العمال الفرنسيين قد تغير تغيراً عميقاً خلال نصف القرن هذا . كان كثيرون من العمال ، قبل الحرب العالمية الأولى ، يعتقدون بأنهم قريبون من الهدف : كلوا على ثقة من انهم معرون ، الاضراب العام ، . وقد خيبت الحرب وسياسة القادة الاشتراكيين آمال الجماهير ، لكن أيام اكتوبر اعادت اليها الثقة : لقد تكومت الامية الثالثة في جو من رؤيا يوحنا<sup>11</sup> : إن الثورة ستبدأ في ألمانيا وستمتد الى أوروبا قاطبة . واليوم يقال لعامل ١٩٥٢ ويكرر على مسامعه ، يطاح شبه مشوه ، انه سيرى هيبة الاشتراكية : ، ليس أولاداً

١٠ - الكتاب الأخير من « العهد الجديد » مؤلف من سبع رؤى ، وفيه شيئاً للقيس يوحنا بانتصار المسيحية بعد الحجاز اعداد السبع . - ٥٦ -

ثم وحدهم الذين سيتفقون بالإشراكية إنما استمع بها نحن أنفسنا<sup>(١)</sup> . لفظته على وجه التعديد ما عاد يؤمن بذلك : إنه يعلم أن دكتاورية البروليتاريا لن تقوم غداً . هل هذا معناه أنه انتقل إلى الإصلاحية؟ على الإطلاق . إن الأزمات يتقدم بها العهد ، وازداد العمل بالقون على مالتوسية<sup>(٢)</sup> ، وصناعتنا مختلفة ، وإعادة التسلح والحروب الاستعمارية لضرر بالاقتصاد القومي<sup>(٣)</sup> . وتكفي هذه صغيرة حتى تنهار الآلة المرفعة مئة مرة : وفي مثل هذه الشروط - وحسين لا يكون المطلوب سوى تحسين وضع العامل فورياً - كيف يمكنه أن يثق بعمل بطيء ، معطل ، قديمي ، ونسويات ؟ إنه إذا كان يريد أن يحقق أبسط إصلاح فلا بد أن يقبل كل شيء رأساً على عقب ، يبدأ من السياسة الخارجية إلى المفاهيم الاقتصادية : ذلك إن كل شيء يكن في هذه الحزمة السيئة الربط . إنه يعرف ذلك ويتفهمه بوضوح ، فهل نطلق صفة « الثورية » على هذه القناعة - وإن المهمة - بأنه ينبغي الانطلاق من الكتل إلى الأجزاء ومن التغيرات في البنية إلى الإصلاحات في التفاصيل ؟ قد لا نسميها كذلك : فهي تشير الحاسة في العمى لكنها تثبط الفهم في فقرات التوقف . وعلى كل حال ، فإنها مذهب جندي . وتضاف إلى هذا بالنسبة إلى البروليتاريا الفرنسية دوافع حقد خاصة جديداً : فقد وثقت مرة واحدة في تاريخها ، مرة واحدة لا غير ، في أرباب عملها ، وبالطبع ضدها هؤلاء . كان ذلك في الوقت الذي حاول فيه أرباب العمل أن يغلثوا في فرنسا مناهجاً ملأها « الثورة الصناعية الثانية » : فقد جردوا المقاومة النقابية من سلاحها إذ عبدوا باستخدام التقنيات الجديدة لزيادة الإنتاج . وقيل المال أنصاف الاختصاصيين يتعب إضافي بأهل رفيع مستوى حياتهم . من يدري؟ لو لم ينكث أرباب العمل بوعدهم ، لو لدت وزدعرت نزعة إصلاحية جديدة . إعياء في المصنع ورفاه في البيت : لقد كان هذا النظام ، في الولايات المتحدة

١ - خطاب لوكور حول المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفياتي ، في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٩ .  
٢ - كتب هذا المقال عام ١٩٥٩ .

الأميركية ، غير مساعد لأرباب العمل . أما أرباب العمل الفرنسيون فقد فضلوا أن يتصوا الكاليفهم ويحافظوا على مستوى أعمارهم ؛ ومن أجل أن يستتب النظام يلتجئون إلى الطرق القديمة الصالحة ، أي إلى طلاقات البناتق . انهم يعمون اليوم بوقاحة مستأدة ، كما يحصل للتفيد الكسلان طرطوره ، والزواج المدعوم قرينه ، اللقب الذي اطلقه عليهم الأميركيان ، والرأسماليون الأكثر تحلقاً في العالم . أما العامل فإن عهد لا يقل شظفاً عن عهد ريفيه الأميركي ، لكن اجرته الواقعية اقل من اجرته عام ١٩٣٨ ، ولا تكاد تزيد على اجرته عام ١٩٢٠ . انه لوضع ملتبس : فهو ينهك نفسه في أداء مهمته لكنه يجرى الاضطهاد . وليست المسألة في نظره مسألة فضل قيمة وعمل يهدد الخ فحسب ، فهذه الأصل مفاهيم صعبة لا تعني شيئاً بالنسبة إليه دوماً ؛ لكنه يعرف ان شروط العمل التي تفرض عليه توازي في مجتمعات وأحوال أخرى ، مثل البلدان الاسكندنافية والولايات المتحدة الأميركية ، قدرة شرائية أعلى من قدرته هو ؛ وعلى هذا فإنه مسروق مرتين . ولهذا السبب يحدد ألا يحدته أحد عمن تعاون الطبقات وتقامها وقضاهم الرأسمال والعمل . ولا شك في ان ديكتاتور غير بقوة عن رأي ناخبيه العمال عندما قال ان مثل هذا الاتحاد سيكون « الحساد القادرين والفقورين » . وبالأصل ، كانت نتيجة هذا « التفتين » ، زيادته عدد غير المحترفين وبصفتهم آخر بني البروليتاريا الداخلية<sup>(١)</sup> ، تكويم الجماهير وإبعادها عن تأثير « النخبة » العمالية وتحريكها إلى مادة عديدة الشكل نسبياً ومتجانسة كل التجانس . وهذه طريقة مؤثوقة لدفعها نحو الجذبية ؛ فقد كتبت عن أن تكون موجهة من قبل « ارستقراطية » معتدلة نسبياً ، وهي الآن تشهر وجهة نظرها الخاصة ، أي المطالب المشهجة أكثر من أي مطالب أخرى ، المطالب التي لا تتفق البتة مع استقرار نظامنا الاجتماعي .

ولهذه الأسباب كلها - ولأسباب أخرى أيضاً - حافظ العامل الفرنسي على

١ - طر سبيل المثال تلك الأوف المألفة من الأنظمة الشمسية ، عمال ميلامون بيديروت حول عامل غنص .

تصلب شبه استثنائي . لعله لا يعرف ما هي الثورة : لكن كيف سلكسون ذلك العنف الجامع ، وذلك الازدراء بالانتهازية ، وذلك التقاليد البيروقراطية ، وذلك النعيب الأماوي الذي يضع أمه في انقلاب أكثر مما يضعه في تقدم غير محدود ؟ التي أرى في هذا ، من جهتي ، الملامح الرئيسية لموقف ثوري .

لكن على وجه التحديد : من المواقف ؟ حمل ما تكاد تسم ملامحه الأولى حتى يتوقف . وإذا لم يعبر عن نفسه في الفعل ، وإذا لم يتدمج بممارسة جماعية ، وإذا لم يتحرف في الأشياء ، فما يبقى منه ؟ لا شيء : مجرد استعداد سلبي . والمستقبل اليوم مسدود بسور دمار . والعامل قطع على وقائه لمعتقداته ولتقاليدته لكنه ثوري بلا ثورة . انه لا يزعم ان هذه الثورة لن تحدث أبداً ولا انها استطورة ، شأن الاضراب العام في نظر سورييل<sup>(١)</sup> . كأنه لا يجعل منها قيمة او فصيلة . لكنه لا يتوصل الى ان يرى فيها النهاية الضرورية ( ما قبل التاريخ ) ، ولا واقع البروليتاريا بوجه خاص : انها في نظره حدث عارض جزئياً لا بد ان يقع في تاريخ غير معلوم لكن حتماً بعد موته . وسوف يقوم بها آخرون يسامدون الانطلاق من نقطة الصفر : وعامل ١٩٥٣ فقد حتى الشعور بأنه يهد فهم الطريق . إن في التاريخ ، بين حين وآخر ، انقطاعات في التيار ، فيوقف كل شيء . ولا تنتج اي نتيجة عما نعلمه طالما ان التيار لم يصل من جديد : لقد ولد عاملنا ولا بد انهاء العطب . وإذا ما حدث له ان قال في نفسه وهو ينظر الى بعض الاطفال : دهم ميرونها - وليس انا ، فهذه على الاخص طريقة في التفكير بوجه ، شأن صاحب الدكان الذي يحلم : ان لن نذهب الى القمر لكن اطفالنا سيذهبون . وفي التحفظات الخاصة من التأريخ العمالي لم تكن الثورة لا حدثاً مستقبلاً ولا معتقداً ، بل كانت حركة البروليتاريا بالذات ، الممارسة اليومية للجموع والفراد . لا نهاية تكنية لقاهرة ما ، بل كانت محض القدرة على صنع التاريخ . لا لحظة مستقبلة ، بل كانت الاكتشاف الباعث لمستقبل بالنسبة الى

١ - جورج سورييل : علم اجتماع فرنسي ، مؤلف « أعمال في العنف » ، كان من المصنفين للاشتراكية القماشية ( ١٩٥٧ - ١٩٦٤ ) . - ص ٢٠٥



اولئك الرجال الثقيين في حاضر غير قابل لان يعيش فيه الانسان . لقد كانت الثورة مهمة ، مهمة البروليتاريا اللامتناهية ، وكانت تحرير المطالب الفردية والبعد الشمولي لكل سلوك خاص ، واختصار كلت صفة مستعرة بسين الفرد والطبقة ، بين الخاص والعام . وكانت لكل مرحلة من مراحل النضال دلالة مزدوجة ، تكتيكية وسفرائجية ، وكانت ترجع الى نظام مزدوج من الاحالات : فغير الهدف المباشر كان يفتح الهدف البعيد . اما بالنسبة الى العامل المعاصر فإن الرابطة بين هاتين الدالتين هي التي انقطعت : انه ما يزال يستطيع ان يدافع عن مصالحه ، وان يطالب ، وأن يحصل على زيادة في أجرته ، لكنه لا يقع اى علاقة بين هذا الانتصار اليومي الصغير وبين مصير البروليتاريا ، ولا يدركه المدى الثوري ، لطالباته : انما يميل اليه ، على العكس ، انه فقد المبادرة ، انه يدافع عن نفسه شيهاً فشيهاً ضد الرجعية . وبالمقابل ، وسواء ألبس ام لم يلبس الأوامر السياسية ، وقام ام لم يتم بالأضراب ضد حرب فيتنام او ضد الحلف الأطلسي ، فإن هذه المظاهرات لها في نظره نوع من اللاواقعية . ان السلام في الهند الصينية سيخدم مصالح البروليتاريا ، إنه متأكد من ذلك . بل لقد يرى صلة ما بين السلم العالمي وهي الاشتراكية . لكن اعماله تبدو له ملطخة باللاعابلية : لقد فقد سيطرته على التاريخ وهو لا يستطيع ان يغير مجراه .

أما الدوافع التي كان يتدور بها قبل الضراب ، حزبان ليبرال رفضه الاشتراك فيه ، فقد قلت انه لم تكن بينها دوافع عامة . وهذا غير صحيح تماماً . فحين وآخر يصدر لصريح يمكن ان يعتبر تقريباََ عاماً للموقف : إن العامل يعترف بأنه شاق نوعاً وعل . لكن مم ؟ أمن الحزب الشيوعي ؟ أمن الاتحاد العام للشغل ؟ أمن موسكو ؟ كلا : من السياسة . وليست هي سياسة الحزب الشيوعي التي تفرقه بل كل نوع من انواع السياسة . اننا نسبح اليوم عمالاً يقولون : « السياسة وحب رأس » او نساء يظنن لأرواجهن : « غير لك ألاتهم والسياسة : فما الفائدة منها ؟ » . ما الفائدة منها ، طلقاً انه لن يتغير شيء ؟ وليس هو النشاط السياسي بشكل عام الذي يوجه اليه اللوم : فقد يكون معقولاً في بسدان اخرى او في

آونة أخرى أو بالنسبة إلى رجال آخرين . أما عام ١٩٥٣ الفرنسيون فمحرّم عليهم ، السياسة لم تخلق للصغار ، . ومثل هذه الانقلاب لا تجرئها في الوقت الزمان إلا على أئمة النساء - وبعض الرجال - لكن هذا لا يمنع أنها علامة ، فإضراب حزب كان يجب أن يكون أولاً لتطاهرة لقاضين لا متناورة : كان على الطبقة العاملة أن تتجمع حول قادتها المهديين . وفي اليوم الذي سيطلق فيه العمال اسم « السياسة » على كل ما يتجاوز أطارات مصلحتهم المباشرة « ستكون نهاية البروليتاريا . ان الطبقة العاملة » في الأوقات التي لمي فيها قوتها ، لا يتخطر لها أن تضع حدوداً لعملها . بسبل على العكس : إن أبسط شعارات وأصفيها نطاقاً يأخذ من نلقاه نفسه طامساً جديراً « والعمل المهني يعيبه خلق الحركة في مجموعها . لكن حين يقتصر العمال على الدفاع عن الأجور كل يوم بيومه ، يتركون المبادرة لأرباب العمل ، ويتخذون موقفاً دفاعياً صرفاً ، ويتخلون عن فكرة الربح حتى لا يجازفوا بالمسارعة ، ونظراً إلى أنهم لا يؤثرون على جميع عوامل الحياة الاجتماعية مجتمعة ، فإنهم قد ينعوت الخفاض الأجور الأسمى ولكنهم لا ينعون ارتفاع الأسعار . وهذا فإن الحد الحقيقي « الحد الوحيد الذي يعترف به العامل لأفساله هو حد فعاليتها : فهو إذا كنت يحمس نفسه اليوم في مصلحته الشخصية فهذا لأنهم ينعونه من الخروج منها ، وإذا كان قد أمسى لا يريد أن يشتغل « في السياسة « فليس ذلك طاعة منه لتصور نظري عن العقابية : إنما بكل بساطة لأنه ما عاد يريد أن يشتغل فيها . وأن تقتصر البروجوازية فهذا شيء طبيعي . لكنني أوجه مرة أخرى إلى جميع أولئك الذين يزعمون أنهم ماركسيون ومعادون للشيوعية معاً والذين الشرححت صدورهم اليوم لأن الطبقة العاملة « في ميلها إلى الافتراق عن الحزب الشيوعي » ، وأفسحهم بعبارة ماركس التي قرأوها وأعادوا فرادتها وشروحها مئة مرة : «ان البروليتاريا لا تستطيع أن تتصرف كطبقة إلا إذا كونت نفسها في حزب سياسي متين » ، وأسألهم ان يستخلصوا منها النتائج : فيها يمكن تفكيرهم به « السائليين » ، وحتى لو كانوا يرون ان الجماهير تفتك أو مخدوعة ، لما الذي يقضي على السجائما ،

وما الذي يضمن فعالية عملها إن لم يكن الحزب الشيوعي عينه؟ و « البروليتاريا  
المكونة نفسها في حزب سياسي متين » ما هي ؟ في فرنسا اليوم ، إن لم تكن  
مجموع الشغية المنظمين من قبل الحزب الشيوعي ؟ إذا كانت الطبقة العاملة تريد  
أن تفرق عن الحزب ، فإنها لا تملك سوى وسيلة واحدة : أن تتبدد هباء .

والسيد روبيني لم يحمي انتصار البروليتاريا ، لتبعه فيما بعد الصحافة كلها ،  
إلا ليخلي عن الجماهير هذه الخليفة الثقلة . إنه احتياطي جدير بالاعجاب ؛  
قالهامل ، بشرائه ، بيري بريس ، لو ، فرانس سوار ، في حزيران ، يطلع على  
وأي الطبقة العاملة : لقد قدرت هذه الطبقة ان الاضراب معاكس لمصالحها  
الطبيعية وتبرأت من قادتها . و يضع الصحيفة جانباً وهو متشعب ، ويتساءل اذا كان  
قد فكر بهذا كذ يوم ، حزيران : انه يتذكر مع ذلك انه لم يرفض الاضراب  
حقاً ولم يصدر سكتاً على سياسة الحزب الشيوعي ، وانه آثر مصلحته الخاصة  
لأنه لم يستطع ان يعرف ويؤثر مصالح طبقته ، وأنه عباد الى بيته متردداً ، لا  
فضولاً كثيراً ولا سعياً كثيراً . والحال ما هي ذي الاجترارات تتحول ، وقد  
تضاعفت ، وتصبح حكماً مقدماً أصدرته البروليتاريا . ألا ميا الحزب قضية  
الاحتماليات : ان استنكاف العمال البيكارديين والبروقانسين يكشف له عن  
دلالة استنكافه التوحيد الصغير . لقد كان يعتقد بكل بساطة انه تهرب ، وكان  
موضوعياً يشارك في استفتاء . انه يتأمل بدعشة في هذا الرأي الذي علم به  
لنوء ، والذي هو رأيه ورأي الجميع في آن واحد . ولعله قد أخذ يفكر  
بالموقف الواجب المتخذة ازاء ، حزب تتبرأ منه الطبقة العاملة . لكن لا : انه  
لن يسر . لقد بدأ يشك في أنهم يريدونه ان يحسب القناويل الخائسة مصابيح  
ساطعة وكثة اللامضرين غير المنظمة تلك الجماهير المنظمة التي ينبغي ان تكونها  
البروليتاريا .

إننا نضع اصبعنا هذه المرة على المشكلة : إذا كان يتوجب على الطبقة  
ان تستطيع التبرؤ من الحزب ، ينبغي ان تستطيع إعادة بنسأه وحدتها خارجاً  
عنه وضده . فهل هذا ممكن ؟ حسب الجواب الذي سنعطيه لهذا السؤال ؟

سيكون الحزب الشيوعي قابلاً للاستبدال بغيره أو غير قابل لذلك ، وستكون سلطته مشروعة أو مفتتحة . إن الوقائع لم تسمح باكتشاف حضور واقع جماعي في قضية ؛ حزيران . بل أكثر من ذلك : فمن لم تر الطبقة تنتصب في وجه الحزب فحسب ، بل تستطيع أيضاً أن تبين أن مثل هذه المعارضة غير قابلة حتى للتصور . إنه ما من أحد قد عاد بؤم بالبروليتاريا - الصنم ، ذلك الكيان الميتافيزيقي الذي هو بمثابة استلاب العمال . إن هناك بشراً ، وحيوانات ، وأشياء . والمشاركات والتمية وفريدة تشكل جزءاً من مجموعات تاريخية ، وغير قابلة للتشبيه لا بدورات ولا بتجليات عضوية ما . أم متحدثون ؟ متفلسون ؟ الشيطان دعا . فلا وجود لاتصال لا يكون تخطاً من انقطاع الحضور ولا لرابطة مما تكن صميمية لا تنطوي على غياب سرّي . وإذا كنت الطبقة موجودة ، فوجودها أشبه بتجاوز جديد بسين الفرد والجموع ، بنمط حضور يتخلق من خلال القوى الانتصالية وضدها : انها تتخلق وحيطة العمال وسلطة مذهب عداة الشيوعية تكن في انه يلجأ الى طرفين متناقضين : فمن يجرّد الشيوعيين من فضل توحيد الجماهير يبدأ بتحويل الطبقة الى فرج من رحسدة سليبة ، ثم ينسب الى هذه الطبقة عفوية غامضة مرسية حتى يعرضها عليهم . أعتقد إذن أنه من الضروري ان أد أكثر بعض الحقائق التي كانت معروفة من الجميع والتي تبدو وكأنها منسوبة بما فيه الكفاية . وقد رأيتني لا أطمع الى وضع أو إعادة وضع نظرية عن البروليتاريا : إنما أريد فقط ان أبين أن الوحدة الطبقية لا يمكن لا ان تُكتسب سلبياً ولا ان تولد عنوياً .

١٦ - لا يمكن ان تُكتسب سلبياً .

إن وحدة العمال لا يمكن ان تولد ميكانيكياً بدمسج تشابه المصالح أو الشروط .

والمسألة بدائية بالنسبة الى المصالح : فتشابهها يولد المنافسة والتنازعات . اما بالنسبة الى الشروط فالمسألة تختلف . ولما كنت لا اضع هنا نظريات ، فليفسد

أخذت هذه الكفة لأشير بها بصورة عمامة إلى نط العمل وتوضيحه ، وإلى نوع الحياة ومستواها ، وإلى العلاقات الاجتماعية . إن هذه المنايع كافية في الممارسة اليومية : اني قادر على تحديد وضع هذا الفاعل الجديد اذا ما قيل لي كم يكسب وماذا يفعل . لكن هل هذا كافٍ اذا كان المطلوب تحديد انزائه الطبقي ؟

إن عمامة الاجتماع يكتفي بذلك . انه لا يريد إلا الوقائع . ثم انه لا يقبل بها جميعاً . فقد كانت أيام حزيران ١٩٤٨ ، والكومونة ، واضراب فيكاريل وقائع : لكنه ان يأخذها بمعنى الاعتبار . أوقع فيها قتلى ؟ ثم ماذا ؟ هل الموت من اجل الطبقة دليل على وجودها ؟ اذا كتلت البروليتاريا موجودة فلا بد ان يكون لوجودها موضوعية علمية كاملة ولا بد ان توجد كموضوع هامد ينظر اليه العمال من الخارج . واذا كنتم تستطيعون ان تلبسوا البرهان على ان بعض العوامل الموضوعية تعدد شرط العمال اليديويين ، وإذا كان هذا الشرط واحداً بالنسبة الى الجميع ، وإذا كان كل فرد يتصرف فيه تصرفات متشابهة ، تكونون قد أنتمت الدليل على واقعية البروليتاريا . العوامل نفسها ، الأوضاع نفسها ، ودور الفعل نفسها : هذه هي الطبقة .

وبعد هذا سيثبت البعض ، بالطبع ، ان هناك طبقات ( د ) نظراً الى اننا اقننا الدليل بتمايز صارمة عن الصفات النوعية للطبقة العامة ، فنحن نعلمون فما بقيمة الشيء الواقعي ( هـ ) . وسيثبت البعض الآخر انه لا وجود لطبقات ( د ) نظراً الى ان الاستقصاء الجدي الصارم لم يسمح باكتشاف صفات موضوعية خاصة بالطبقة العامة المزعومة ، فخلص إلى القول بأنها وهم ( و ) . اني لا أؤيد رأي كلا الطرفين ، لمجادلاتها الجماعية لحقي تواطؤاً حقيقياً ؛ فالبعض يزعم ان البروليتاريا شيء واقعي ، والآخرون يزعمون انها شيء متخيل ، والطرفان متفقان على هـ الشيء هـ . والنهج الأكثر مرادة هو المنهج الذي يعلن عالياً عن وجودها ليقلصه قسياً بعد إلى وجود كئيب من البطاطا . خذوا أخبارهم : لقد تنازلوا للشككة دونما افكار مسبقة ولجأوا الى الاحصائيات البعدوا تجريبياً الصفات العلمية . اننا سلاحظ ان البروليتاري ، حتى اذا ما استلثنا النشاطات المفروضة

من قبل الانتاج ، وحتى في الحالات التي يبدو وكأنه يتمتع فيها باستقلال نسبي ، يتميز عن سائر البشر بحالته . فشرطه يعطيه طبيعة ، أي « عادة لول » . وبعبارة هاركية : الانتاج ينتج للتحج . ان الدراسة المغارة للحيوانات على سبيل المثال تسلط الضوء على بعض ظواهر<sup>11</sup> نوعية في الاستهلاك العمالي . وينتهي الأمر بالقائمين بالاستقصاء ، عندما يدون أبحاثهم الى نطاق اللغة والتشكيل الأيماني والجنس الخ ، الى ان يقرروا بصراحة علنية وضعية ... ما ينبغي الى العميون وثياً . ولقروا الآن هذه الثابتات من بعض الثابتات الاجتماعية ، وليتموا علاقات وظيفية بين هذه وتلك ، بل ليذهبوا الى ابعد من ذلك فيلتفتوا من السكوني الى الديناميكي . ويسلطوا الضوء على انعكاس الصعوبات الاجتماعية التي في سبيلها الى التطور على صعوبات البروليتاري . فهل يكونون قد اكتشفوا اخيراً الطبقة ؟ انهم يقولون ذلك لكني اعتقد بالأحرى انهم يكونون قد حولوا البروليتاريا الى نوع حيواني . وإذا كانوا يعاملون اعضاء فصيلة اجتماعية كالو انهم نتائج سالية قابلة للاستبدال فيما بينها لعوامل عامة ، وإذا بدأوا باستبعاد جميع التأثيرات التي يمكن طؤلاء الافراد ان يارسوها على بعضهم البعض ، فإذا يأملون ان يحدوا في النهاية ، غير النوع ، تلك العزلة التي يسلا أمل والمكررة دوماً ؟ كنا نعتقد اننا امام عداء اجتماع . لكننا كنا نخطئين : فإهم إلا اعضاء حشرات . ولقد سبق ان عرفت بعضاً من عداء الحشرات . ولا سيما واحداً منهم ولفظ نفسه على سراطين البحر . كان يحصل التمردات التي لا تهم غير السراطين نفسها ، وكذلك علاقات السرطان بالسرطان . ومن هنا كان يخلص الى القول دوماً جيد بالتشابه الطلق بين جميع مثل النوع . وبعد ذلك ، كان يصنع أجهزة محركية ليدرس تأثير تغييرات التناوبية على الآلية التنفسية للسرطان الأزلي . وكيف تأخذنا الدعشة من ذلك طالما انه حكم على قطعه البالغ عددها ثمانية عشر ألفاً بالا تكون سوى ثمانية عشر ألف نسخة من النموذج واحد ؟

والأمر مقبول أيضاً لو ان المسألة كانت مسألة سراطين بحرية فقط : لكننا

ستكون أقل تشابهاً تجاه أولئك الذين يطبقون النهج نفسه على بشر مستقرين  
 والذين يستبدلون جنود وحدة مقاتلة بتناجيات هامة لعوامل موضوعية . ولقد  
 بدأت أرتاب في ان علماء الاجتماعيين قد ضلوا بعض الشيء : فقد استبدلوا كل  
 تصور يفهم - يبدل يشبه ويثبت بدقة عكس ما يزعم هذا التصور انه يقدم  
 الدليل عليه . وباسم الموضوعية استبعدوا جميع البراهين التي تثبت وجود ممارسة  
 عمالية ، ووضعوا محل هذه الممارسة احدائاً كاذبة تسقط هباء اذا ما سها المرء ،  
 كما ان الوحدة الخادعة لمعدلاتهم الوسيطة تحجب عن الانظار التثقت اللامتناهي  
 للحوادث العارضة التي يدخلونها فيها . ان العامل يستعمل كثيراً من اللحم ! ومن  
 نوعية رديئة ! لكن ماذا ؟ قد لا انكر ان نكس القطع الرديئة من اللحم تظهر  
 يوماً على المواقد في فيرري وسان - دولي ، لكن شيئاً سلسون ال اقتاعي بأن  
 هذه الوجبات الألف حدث جماعي : فأنتم لا تفعلون شيئاً سوى انكم تفكسون  
 ردود أفعال متوحدة قد يرجع سببها الى ضرورة موضوعية واحدة ، لكنها  
 لتثقت في غبار الضواحي الصناعية كألف قطرة من غيبة واحدة . انكم  
 تزعمون انكم ترونها وقائع انسانية وتقدسون مكانها وقائع فيزيائية . تقولون ان  
 العامل البدوي ، المحروم من الترفافة ، المنفي من حضن المجتمع السطاب ،  
 المتكلم على تبعية الطبيعة بفعل التعب والحالات الأولية ، يسئل إلى التفضيل  
 الكمية على النوعية . حسناً ، ماذا تكونون قد فعلتم ؟ لقد عرقتم بشراً بعة  
 ثانية وبسمل الحاجة الميكانيكي . فلماذا انكم تعطوننا وصلة لصنعهم .

هل يقال ان التحليل غير جدي ؟ انهم يعددون لنا حشداً من عطل لا رابط  
 بينها ، وانهم لا يحيطون العامل بنظام الانتاج ؟ ماذا صحيح . لكن ليست  
 المسألة مسألة تغيير العوامل : الفأبيلغي تفيع الموقف السابق . انظروا : إليكم  
 تعريفاً لبروغاربن وقعت عليه في كتاب السيد غولدمان<sup>11</sup> : « أنت الطبيعة  
 الاجتماعية جماعية من الأشخاص يلعبون الدور نفسه في الانتاج ويلعبون علاقات  
 انتاج متباينة مع أشخاص آخرين يساهمون في عملية الانتاج » . ان الهمجة مركزة

١ - ل . غولدمان : « العلوم الانسانية والفلسفة » .

هذه المرة على الإنتاج، لكن ماذا استفدنا؟ وزيادة القول ان التعريف غبي وليس فيه من الماركسية إلا الشيء القليل، فهو يريد بالفعل ان يعرف الطبقة بتشابه الأشخاص، فهم يلعبون الدور نفسه، ويلعبون العلاقات نفسها مع الأشخاص الآخرين. فهل يكفي ان نسميهم «جماعية» حتى يشكلوا فيما بينهم طبقة؟ لكن هذه الجماعية إما ان تكون حشداً، وأتذكر ان يكون قد عدنا الى النوع، وإما ان تكون كلية، لكن كان ينبغي في مثل هذه الحال ان يتضمن التعريف نفسه المبدأ المولد. اجل، لقد قال ماركس ان الإنتاج ينتج المنتج، لكن حين تحول العمومية الانتاجية الى عملة وحيدة فإساحة نتج منه ألف تجسيد للقيمة العمالية فإن وحدة العملية لن تستطيع ان تضمن وحدة النتائج التركيبية. وإذا لم تكن البروليتاريا تجسّد نقاية التصنيع الحامدة، فإنها ستنتشر وتلبدها آثار من جزئيات مثقلة. ان الوحدة الحية لـ «العمومية» الرأسمالية يمكن ان تسميها العمال الذين تحلقهم، فهي بالكسرها في وسط هامد غير متناسق تضاعف وتصبح تشابه النوع الشكلي؛ إن الأمر لا يستطيع ان يوجد الأمواج، وتشتت الأمواج هو الذي يفسد الآثار على البحر كد. وغلاصة القول التي لم اعرض بخارين لثقي: تعريفه ميكانيكي القزعة شأنه شأن تعريف السادة سوروكين ولغورفيلش وهالفاكس.

لقد وعدنا جميع هؤلاء العلماء بأن يروا وحدة طبقة «أزروا» تشابه قطع مجردة من المجموعات. والحال ان الوحدة والتشابه ميدان متضادان يعقد أولها روابط عملية بين الأشخاص، ويعقد الثاني روابط مجردة بين الحالات. وهكذا فإن منهجهم، بزعمه انه يعيد بناء البروليتاريا، يهدم كل إمكانية علاقة واقعية بين أعضائها؛ فتشابه المعية يتطلب، حتى يظل غير مشوه، الانفصال المطلق بين الوجودات. لو كان عامل لانس وعامل إيمانس يستطيعان ان يتعارفا، ولو كان كل منهما يصنع الآخر إذ يصنع نفسه، وإختصار لو كانا يساهمان في امركة نفسها، لكان كل منهما يرتبط، في واقعة الحي، بالآخر ولتضام التشابه بينهما كلما تلاها في اتحادهما. وإنما في شركة العمل لا في العزلة يصبح كل منهما



شخصاً ولا تبقى أمام عالم الاجتماع لا الوسيطة ولا التريفة ليُدرس المسالك الفردية  
كلاً منها على حدة باعتبار أنها ترجع كلها في مثل هذه الحال إلى الشروع الجماعي  
وتتحدده به<sup>11</sup> . وإذا كان على العكس قد استبدل وحدة الطبقة بتشابه الشرط<sup>12</sup>  
فهذا يلتزمنا بأن العمل الجماعي علم مستحيل . فإذا كان العمل مصنوعاً قبل  
الحدوث ، فإن الاتحاد لن يعود قادراً على صنعهم . فتحة عوامل خارجية قد  
أعطتهم طبيعة . ومهما تكن علاقاتهم الانسانية فإنها تتسبب من الآن فصاعداً  
عليهم من غير أن تترك أراً فيهم . ولقد كتب هنا بالذات في الشهر الماضي  
بروليتاري ما يلي عن البروليتاري : « إنه قابل لأن يُعرف بين ألف . فكل ما  
فيه شيز ، الفقة ، المشية ، الحركات ، الظل للتندر ، طريقة الأكل والشرب  
والنظي والحب والكرامية » . وهذا ما يبرز احصائياتكم<sup>13</sup> ، لكن مع تحفظ  
واحد : ان العامل الموصوف لنا ينس ناهياً . وهذا ما اردت ان اصل اليه : ان  
علم اجتماعكم لا ينطبق على العامل إلا اذا أُلنى به اليأس الى احضان اليأس ، وهو  
انما يُرجع اليه استسلامه ، سلبته ، هجرته ، وهذا أيضاً ما يريد السيد روبينه<sup>14</sup>  
العالم الاجتماعي عن غير علم منه ان يعكسه لبروليتاري . فتلك الطبقة المتشجرة  
التي حياها بيرة ، انما كانت حشداً من حالات اليأس والعزلة . وما صورته لنا  
على انه رد فعل جماعي انما كان المعدل الواسطي لحالات فتور الهمة . وما كان  
متشاكياً لدى جميع هؤلاء البشر التبهكين هو لرادتهم عدم الاتحاد . إن السيد  
روبينه قد أعطى الطبقة العامة حق ابداء الرأي حتى يتمكنها أن تظن جهاراً انها  
غير موجودة .

والواقع ماذا يضع الفيفارو ان تعترف لعمل هذا النوع من الانسجام السليبي  
الذي يتسببه تشابه الشرط : فالصحافة البورجوازية قد قررت منذ زمن طويل  
انه ليس هناك وحدة معطاة . إن الهود غياب روابط ، أي قابلية لامتناعية  
للقسمة : فلا يبد من العدد ، ورمم الخطوط ، والسعي باستمرار إلى المحافظة على

١١ - ما جعل الأشياء مشبوهة أكثر أيضاً هو أن علم اجتماع البيدالين يوماً يتجس من هذه  
الناخذ . فهو انما يدور بموجبات دالة طبيعية .

اتصال عناصر غير متلاصحة في سبيلها الى الاتصال . وغلاصة القول ان الوحدة ليست إلا الوجه المعكوس للعمل التوحيدى . انظروا اليها عن قرب اكثر ، تلك الطبقة ، التي يثنها السيد روبييه : انها لتفسخ . وماذا تجدون مكانها : دوامات جزئية ، تعدد من ردهد العمال لامتناهية الصغر تشد من أزر بعضها بعضاً او لتتألف ومحصلتها قوة فيزيائية اكثر منها انسانية . انها الكتلة . الكتلة ، اي بالضبط الطبقة المتلية : فالكتلة خارجية إعتبار ان المعنويات التي تنتجها تكن عتيا دوماً خارجياً عنها فيوفرة متلازمة من المسالك الصغيرة المتناهية ، ولا يمكن أن تكون لها حاجات ولا مشاعر ولا إرادة ولا مسالك : فذلك ان الأفراد ، يترجم أمرهم كلاً لذاته ، لم يتوقفوا ولم يريدوا النتيجة العامة لإرادتهم الخاصة المثة ألف . انها جزء من الطبيعة وأخر في حضي مجتمعاتها . وبالطبع انها لا تعرف غير الجسم : فالبقاء يتطلب على الأتمل وحدة المنظمة او الشروع إن لم يتطلب وحدة الشخص . وهي الغير تتألف من عناصر غير مسؤولة : والحق ان العمال لا يعرفون ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ما يفعلونه مما دامت افعالهم المتفرقة تسدح لتنتج بعيداً ، ولتضاف الى اعمال مجهولة ، وتعود اليهم في النهاية تحت شكل عواصف حقاء . الأيام الثورية ؟ انها ليست سوى لحظات زهر شعيد : فالجوع او الخوف يطردان الحيوانات من جصورها ، فتقوم في المدينة ، والحطم ، والحرق ، والتهيب ، ثم تعود من حيث أنت . الحسد الطبلي ؟ متكيف يمكن لهذا السدح من الجزئيات ان يجب او يتكوه ؟ كل ما هنالك انت حالته الميكانيكية ونفسه الدائم يبدان بأن يعملان ترى عسوداً للاتسان حيث لا يكون هناك سوى طبيعة ميكانيكية في قلب الطبيعة المتأداة .

انهم يريدوننا ان نحسب رد الفعل العمالي على اضطراب ، حزيران إدانة طبقية . لكن السيد روبييه مقتنع ، في اعماق نفسه ، بأن المسألة لا تعدو ان تكون اكثر من زعر جهائيري . فجميع الصفات المميزة لهذا الزعر ماثلة : فالنتائج في مجموعها لم يتوقفها الأفراد ولم يثمنوها ، وهي ذات طابع ملهي ، ولا تعبر عن أية لية جماعية ، ولم تؤد الى تقارب العمال بسبل زادت على العكس من عزلتهم ومن

المسافات التي تفصل بينهم . فما معنى هذا ؟ أمعناهُ ان الطبقة غير موجودة ؟ هذا بالتأكيد ما يراد لنا ان نعتده . لكننا نعلم حق العلم ان العالم العمالي ليس رقصة ذرات صاخبة ؛ فحق في ا حيز بران غاض العمال عملاً مشغراً بضده نقاط اخرى كثيرة واهداف اخرى . ان ما نعلمناه هو ان الكتلة حالة قصوى من الوحدة والعزلة والمجران ؛ فقد لا يكون العامل سقط فيها قط ؛ لكنه يقرب منها في كل مرة يخرج فيها على الانضباط وعلى منظفاته . ان الشرط الموضوعي البسيط للنتج يحدد الانسان العيني وحاجاته ومشكلاته الحيوية واتجاه فكره وطبيعة علاقته مع الغير ؛ لكنه لا يبت في أمر انثائه الطبقي . ولو انقطع وقت التضامن لبقى العامل منتجاً ؛ كادساً بدوياً ؛ اجيراً ؛ ليستتبع كيف عن ان يكون بروليتارياً بكل معنى الكلمة ؛ اي عضواً فعالاً في البروليتاريا . ان الطبقات غير كائنة ؛ بل هي تُصنع صنعاً .

من يصنعها ؟ يقول البورجوازي : لست انا . وهذا صحيح . فلي ظل العهد القديم كانت الارستقراطية والملكية مما التين تحافظان على نظام الطوائف والمراتب ؛ وكانت الطبقات مؤسسات رحيمة لها انظمتها الصارمة . وليس نسبة شيء اوضح من هذا ؛ فصاحب الامتياز يتمسك بتسلط هرمي يعمل من شأنه ؛ والمضطهد يريد ان يفسد الأسوار التي تحبس عليه اقتضاه . لكن صاحب الامتياز هو الذي يتلف اليوم ؛ عن طريق انقلاب عمالي ؛ الطبقات ؛ والمضطهد هو الذي يتمسك بالاعلان عن وجودها . ان البورجوازية لم تفكر قط بفرض نظام طبقي صارم على العمال ؛ بل عمل حقوقها على العكس على تطهير القوانين والداستور بسرعة من كل ما يمكن ان يشبه لامساواة مبدئية . يقول الميخاري : « ان المجتمع اللاطبقي الحقيقي هو المجتمع الرأسمالي » . واني لأعتقد ؛ بالفعل ؛ ان المثل الأعلى البورجوازي هو مجتمع لاطبقي واضطهادي - اي مجتمع يسبل فيه المضطهد بالاضطهاد . والعملية التي تتابها البورجوازية منذ مئتي عام ؛ معتمدة في ذلك على موارد لامتناهية ؛ اتسا هدفها منع العامل من ان يصبح بروليتارياً بتجريدته من الوسائل التي تمكنه من ان يكون انساناً ؛ وهي تسعى في

سبيل ذلك الى ابقاء الأفراد في حالة عزلة والجموع العامة في حالة تسيّب، طالما ان الأضطهاد يمس الى ان يصبح برهان نفسه والى ان يجعل من المضطهدين صنائع ليس لها من وظيفة إلا ان تجرّ: ولهذا يتوجب ان تنهم البورجوازية بمحاولة دائمة دائية لتحويل العمال الى كتلة متسببة. وبالتقابل، انفسا ضد هذه المحاولة تكون الطبقة العامة نفسها وتعيد تكوينها باستمرار: انها حركة عمل، ودرجة اندماجها تقاس بشدة النضال الذي تخوضه ضد الثورة البورجوازية. ان الطبقة التي هي وحدة واقعية للجموع والجماعات التاريخية، تتجلى عن طريق عملية منطلقة من تاريخ محدد وترجع الى نسبة. انها غير قابلة البتة للتصل عن الإرادة العينية التي تثبت فيها الحياة ولا عن الغايات التي تنشدها. ان البروليتاريا تصنع انفسها بنفسها بعملها اليومي. فهي دوماً في حالة فعل بل هي فعل. ولو توقفت عن العمل لتفسخت.

ألا أقول شيئاً جديداً: فما ذكرته موجود لدى ماركس. فقد لزم وشرح بأن تشابه الحاجات يعارض الأفراد بعضهم ببعض: « ان تنظيم البروليتاريين في طبقة... يحطمه في كل لحظة... تنافس العمال فيما بينهم... وما يسمح للعمال بالتغلب على تناقضاتهم انفسا هو النضال ضد أرباب العمل: « إن البروليتاريا تمر بعدة مراحل من التطور، ونضالها ضد البورجوازية يبدأ مع وجودها بالذات. وفي البدء يخوض النضال عمال منعزلون... وفي هذه المرحلة يشكل العمال كتلة متنازلة في طول البلاد وعرضها ومنقسمة بسبب التنافس... فلفافاً يستطيع ماركس، في هذا النص، ان يتكلم دولياً لتفريق عن البروليتاريا وعن الكتلة... المنقسمة المتنازلة، ليشير الى موضوع واحد؟ هذا لأنه محدد لدى العمال تجارواً للوضع المين لهم وكفاحية متفرض بالضرورة الى التحامهم. ان العامل يجعل من نفسه بروليتارياً بقدر ما يرفض حالته. وأولئك الذين يبلون ان الخنوع يجعل الجوع والانهك والظروف، يعاملهم ماركس بكلمات بالغة القسوة: فهم « بداء » و « بشر موت ». لكنه لا يلومهم ولا يدينهم: بل يصدر عليهم حكماً واقعياً. إن العامل انسان دون عندما يقبل بأن يصحرف.

ما هو كائن عليه - أي عندما يحد نفسه بذلك النتائج المفض للنتاج . وهذا  
الإنسان بدون أن يصبح إنساناً إلا عندما « يعي السائتة بدون » . إنش  
قواقمة الإنساني لا يمكن في ما هو كائن عليه بل يمكن في رفضه أن يكون كذلك ،  
أي في « تمرد على الانهطاط » . أنه يستطيع « بلا ريب » أن يحاول الإفلات  
من شرطه بواسطة الخاصة « وعبور الخط والاندماج بالبورجوازية . وبذلك  
يصبح من زمرة الخائنين لطبقتهم . ووجود أمثال هؤلاء الخونة هو الذي يقود  
ماركس إلى أن يجدد بأن التمرد يجب أن يشتمل على مبدأ اتحاد: فما البروليتاري  
إلا العامل الذي يريد الحصول على تغيير لنفسه كما لجميع أقرانه على حد سواء .  
وإنما أشد فقط « شكوك مهمته الواقعية قلب شروط وجوده » . وبدءاً من  
هنا تختلط مراحل النضال بفترات التوحيد . فالبروليتاريا « في حالة حركة دائمة  
بفعل نتائج أعمالها » . والحركة هي التي تحافظ على ترابط العناصر المنفصلة . وما  
الطبقة إلا نظام متحرك : إذا توقفت ارتد الأفراد إلى عطلتهم وعزلتهم . وهذه  
الحركة الموجبة والقصدية والعملية تتطلب تنظيمها . ولهذا أمكن لماركس أن  
يتكلم عن « تنظيم طبقي » « وهي صيغة تقودنا بعيداً عن تعريف بورخاوين .  
فالطبقة هي أولاً شيء ينظم . لا تنتج بنفسها بل لتبلغ أهدافاً معينة . أن  
التعريف الذي يعطيه ماركس عنن الشيوعية يمكن أن ينطبق أيضاً على  
البروليتاريا : « أنها ليست حالة مستقرة » ليست مثلاً أعلى يتوجب على الواقع  
أن يتلامم معه . . . بل هي الحركة الواقعية التي تلهم حالة الأشياء الرائنة » .  
ويمكننا بدءاً من هنا أن نفهم لماذا يجدد ماركس على حين ثورة الطبقة بممارستها:  
« البروليتاريا ستكون ثورية لو أن تكون » « ولماذا يرفض في النهاية أن يميز  
بين العمل وكتابة العوامل والجهاز الذي يجمع بينهما : « لا تستطيع البروليتاريا  
أن تتصرف كطبقة إلا إذا كونت نفسها في حزب سياسي متميز ، يقيناً » أن  
نظام الانتاج هو الشرط اللازم لوجود الطبقة . والتطور التاريخي بأكمله  
وصورة الأعمال ودور العوامل في المجتمع البورجوازي هي التي ستتمسح

البروليتاريا من ان تكون حشداً اغنيابياً من الأفراد . لكن هذا الشرط غير  
 كافياً : إذ لا بد من الممارسة . ومن غير المهم ان تولد هذه الممارسة الديالكتيكياً او  
 بصورة ديالكتيكية من الشرط البروليتاري : فخاصة الديالكتيك انت فتراته  
 تتجاوز وتحفظ في نفسها الفترات السابقة . والعامل ، بالجزء مهمته الواقعية ،  
 يظهر البروليتاريا ويجعل من نفسه بروليتارياً : وانه لما يسرعى الاقتناء انت  
 ماركس حين يقدم نوعاً من وصف فينومينولوجي للعامل المتكافح بعد له خصائص  
 جديدة كلياً تولد على وجه التحديد من تضال : فالبروليتاريون « يعترفون من  
 نشاطهم الثوري أعظم أفراح حياتهم » ، وعالم الاقتصاد يخطئ خطأ فادحاً  
 إذا مسأ ظن أن العامل يحسب حساب كلفة الاضراب : « ( يكون بذلك قد  
 تجاهل ) ان قلوب العمال سخية ... » . وهذا يعني انهم يضعون واقفهم الإنساني  
 في الممارسة الجماعية أكثر مما يضعونه في حاجاتهم الشخصية . « حين يجتمع العمال  
 الشيوعيون فإن هدفهم الأول اللذيق والدعاية الخ . لكنهم يخلعون لأنفسهم من  
 هنا بالذات حاجة جديدة ، حاجة الاجتهاد ، وما كان يبدو وسيلة أصبح هدفاً .  
 والعامل بالتقاله من الكتلة الى الطبقة يبدل جلده : فإذا ما قاده ضغط الظروف  
 او الهزيمة او الانهالك الى أن يولي مصالحه من جديد الأهمية الأولى ، سقط من  
 جديد خارج الطبقة وعاد ما سبق ان كانه . تقولون ان الطبقة العامة أظهرت  
 للحزب الشيوعي استهجانها . فمن أي طبقة تحدثون ؟ عن تلك البروليتاريا  
 التي عرفها ماركس ثوره ، بإطاراتها وجهازها وتنظيماتها وحرزها ؟ لو كان هذا  
 صحيحاً لكان توجب ان تؤكد وحدتها ضد الشيوعيين ، وان تتكشف كطبقة  
 من خلال تفرؤها من الحزب الشيوعي . لكن من أين لها القادة والمشورات  
 والشعارات ؟ ومن أين تستمد ذلك الانضباط وتلك القوة التي يميزان طبقة  
 متكافئة ؟ وهل يتصور أحد الطاقة التي مستحاجها منظمات سرية حتى تحسن  
 أداء هذه المهمة وحتى تخرج جميع الشخبة « من ليل الى مائتون » على قادتهم ؟  
 إن جزء الجماهير ، الى التبرؤ الجماعي من الحزب الشيوعي عملية ضخمة لا

يستطيع ان يقوم بها غير الحزب الشيوعي نفسه<sup>(١)</sup> .

### ٣ - وحدة العمال لا تولد عفويا

« بالتأكيد . لو جاء هذا التبرؤ نتيجة تحريض ، تضاميل سرورنا به . فما حاجتنا الى تظاهرات موجبة وموحى بها ؟ اننا لا نتمنى ان نضع على رأس الجماهير طغاة جدد ، لقا نتمنى ان نعيد اليها الحرية : إن رد فعلنا حزينان ليست له في نظرا تلك الأهمية الكبيرة إلا لأنه كان عفويا » .  
ثمة شائعة تقول ان عدو الشيوعية امريك هدفه : فنذ دموج روسو والعفوية لخطى بتأييد مسبق : فالحركة الأولى هي الصالحة ، والانتطباع الأول هو الانتطباع الذي يظل سائداً . ويأتي كبرياء صبيانية طائشة نظير أكثر حقائقنا سرية لأنظار جميع الناس : « أجل انني انا ، وهذا من فاعلي أنا ، هذا انا ، انني هكذا » . وفي هذا الزرع من الطبيعة والحرية تخضع الحرية الطبيعية : فالره يتكر نفسه على ما هو كائن عليه ، والاندفاع العفوية المتطورة الصلة بالمادات والاصول ، والمتلافة مع الظروف من غير ان تكون محددة بها ، هي بداية ، هي بداية ، لحظة ، لكنها تعكس لنا ما هيئتنا المتفردة . وهذا معناه ربط العمل بالكيثونة ، الفعل بالماطنة ، التطور بالامنطور . وانسان ، التقظة الأولى ، يفقت من تلك الضرورة القاسية التي تحتم عليه ان يرحل باستمرار ما يفكر به وما يحبه وما يفقد : فوحدة شخصه سابقة الوجود ، وهي تفتح كوردة في الدجاجير ، والمؤرخون سيكشفون في أفعالها وحدة اتجاه سرية . وبدلاً من ان يصنع نفسه ، يترع عنها أوراقتها ويتشققها . وهذا يكفي : فالذات قد أوحى بأدب بالغ الأهمية ، والرجوع اليه قد يشير الاشمزاز لكنه مشر .

(١) - في تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٥٤ ، ضد الاستفتاء المعلق بالانتداب المسمم ، حدثت معارفات . لكنها لم تكن فعالة وجامعة إلا في المصانع التي لا يوجد فيها نظير ادم للاعداد العام لشغل ( النقابات المسيحية - الخ ) .

والجديد - ليس جديداً للغاية : قرن واحد - هو ان العفوية تستخدم لأغراض سياسية . ولقد تم ذلك تلقائياً . فقد كانت الوقائع الاجتماعية تعامل كأشياء ، فأصبحت تعامل كأناس : فإذا بالجماهير تصبح من قوات القوة الأولى : ان عفوية الجماهير ، الخيرة ، العادلة ، الأصيلة ، تسال عطف جميع الناس ، وحكمها لا استئناف فيه كحكم الكلاب والأطفال . والحكومة التي ستعاقبها هي حكومة مجنونة وشريرة حقاً . انظروا : لو ثبت في تونس ، هذا اذا لم نشأ ان تأتي بحال من بلد أبعد ، لو ثبت ان السكان يشنون عفوية وحيلناه لما من شك في ان رأيكم سيكون الرحيل فوراً . لكن الحقيقة المرة هي ان الاضطرابات قد اشتعلت . ولتتم المحاكمة العقلية : إن التنظيم يفتق اندفاعات التلب المرة ، الان فالعفوية الحقيقية لا تشمل ان تكون منظمة . الان فالمعصيان لا يمكن ان يكون غريباً : على وجه التحديد لأنه لا وجود لمعصيان بلا رئيس . تسألون ما العفوي ؟ انه واضح : القيول الحر بالاستطهاد . والإك والاعتقاد ، بالأصل ، ان الأحزاب الجماهيرية تفكر على غير هذا النحو : فما تفقد ، في هذا النظام من الافكار ، هو العفوية المرسية . وهي لا تارعد في ان تصور المظاهرات المدة ، المأطرة ، الخالية من المفاجآت وكأنها سبيل هانج . لكن ما تبغضه ، على سبيل المثال ، هو اللامتوقع وجميع تلك القووات العفوية التي تتجاوز الزمام وتفرقهم : ان مثل هذه القووات النا يفتعلها الخصم . وإلى اليوم أيضاً ما يزال الناس يعيدون بمرح قراءة صحف تونز ١٩٣٦ : كانت الجماهير ما تزال تحتفل بانتصار الجبهة الشعبية ، فخطر لها ان تحتل المصانع . ونظر كل الى نفسه وتساءل : من الذي يشد الخيوط ؟ وقسال أرباب العمل : انهم الشيوعيون . وقال عامل شيوعي لسيون ويل<sup>١١</sup> : انهم أرباب العمل . ولقد تحدث الناس أيضاً عن هتلر والطاير الخامس . كلت الجرم في نظر صحيفة « لو تان » تونز ، وفي نظر تونز ترونسكي . لكن ما كان ليخطر ببال أحد

١ - كاتبة قرالية كرست حياتها وكتابتها لخدمة الاجتاعية ( ١٩٠٩ - ١٩٤٣ ) .





كثة . ولو كان علينا ألا نأخذ بعين الاعتبار سوى افعال الوعي ومضامينه ،  
 فلألم سيؤول اندفاع البروليتاريا الثوري ؟ وما المصير الذي ينتهي إليه  
 كفاحيتها ؟ هل رأينا قط من بروليتاريا يسلا كفاحية ؟ ألم يكن ماركس يقول  
 أنها إما أن تكون ثورية أو لا تكون . والحال أنها كانت ، وواجب عليها أن  
 تكون ، وإلا فقد الماركسيون المعادون للشهوية أملهم ومبرر وجودهم . إذن  
 فلا بد أن يوجد فيها اندفاع ما ، وإن كانت مخدوعاً ومضللاً ومزيفاً من قبل  
 الأشرار . أليس ثمة أثر من هذا الاندفاع ؟ حسناً لأنه ليس يتناول حواسنا  
 مباشرة . ويكفي أن توجه صيغة ماركس نحو التحليل النفسي : إن الوعي  
 كذب ، وأكاذيب هي أسباب العمل التي يعطيا لنفسه : فتعليل الانعزال  
 ودلائها الذاتية يرجع إلى العقوبة العنيفة التي هي مصدرها . وإذا لم تقبلها هذه  
 العقوبة ، امتنعتم بكل بساطة إن استنكاف العيال وعدمهم وشكوكهم لتسير  
 عن حائل إنهاكهم الموضوعية . لكن إذا مسأ بدأنم بالتفكير بأن البروليتاريا  
 يجب أن يكون في كل زمان ومكان ثورياً وإذا ما فهمت موقفه على ضوء رسالته  
 التاريخية، فصدفها لا يمكن لغزوة الغمة والجهول الذين يرمن عليها أن يكونا سوى  
 المظهر السطحي والكاذب لاندفاع حقيق . فطالما أنه فعال بالضرورة ، طالت  
 سلبته هي شكل العمل الذي اختاره لأنها متلازمة مع الظروف ، وفي لغة العلوية  
 يصبح الاستنكاف نوعاً . وفي نظر الماركسي العامي الثاقبة لا يمكن لممارسة  
 الجماهير الثورية أن تختلط بالثورات التي تنفذها تحت قيادة الحزب الشيوعي .  
 ولما كانت الجماهير لا تنفذ من عمل غير هذه الثورات فإن عارستها الحقيقية  
 تتجلى عن طريق ما لا تفعله . ولقد رأينا ثوراً الحربة تختلط بالطبيعة ، كذلك  
 يتأرجح هذا الموضوعي والثاني ويظهر في النهاية واقع غريب هو في آن واحد  
 وحدة الجماهير الموضوعية التي لا تقع تحت الحسوس باعتبار أنها تستنج من  
 نشأتها ، واندفاعها الذاتي اللاعنظور باعتبار أنه يستخلص من سكنها الوقت .  
 وهذا المفهوم اللبئس للتناقض يفترج علينا قسماً بعد باسم الطبقة . فكل شيء  
 يجري كالو أنهم يطلقون اسم طبقة على علوية الجماهير الذاتية المقهومة من الخارج

على أنها وحدتها الموضوعية . ولما كانت العفوية تلف خلف الوجدانات الفردية فإن الوحدة الموضوعية ستلف خلف تشتت هذه الوجدانات . والتجربة بالطبع تتابع بلا كلل تقدم الفيار نفسه لنا . لكن لا أهمية لهذا : فالطبقة باعتبارها صلة تصورية ، واختياراً سابقاً على التجربة ، ومطلقاً متعمداً ، ووحدة بالقوة والحق التعدد ، ومبدأً ثانياً يتفوق المادة الخامدة ، هي التي تنتج وليس البشر الذين ينتجونها . وبذلك يكون الهدف قد أحرک .

ذلك ان هذا ما كانه الهدف . لمدة مدة من الزمن كتب السيد لوروا<sup>(1)</sup> بذلك السذاجة التي يوجد بها الحقد أحياناً : « انا ما عزلنا القادة الشيوعيين عن الناس الشرفاء ، وإذا ما قطعنا صلتهم عن جيل الأمة والطبقة العامة ، تكون قد اسقطنا في بدم بسرعة وحسنا عليهم بالعجز ، واهتلم أعداء الشيوعية برارة : « قطع الصلة » هذا تسرع في القول : اعطونا أولاً السكين ، . والحال ما هم الناس الشرفاء ينتصرون عن الحزب بفعل عزات صغيرة : ان تسلطه على الأرواح بأية من موافقتها، ويكفي ان رسم اشارة الصليب حتى يضطر الى الحرب الى الجمع من جديد .

على رسلكم . لكن حذار من ان تبهتوا بالعبث على ضرورة الحزب الشيوعي . تصوروا هذا : إن الطبقة العامة فيها من الشيطان الرجيع ، فتسطره الروح الشريرة ، وفي اللحظة التي يطير فيها شيطانها تفتح عينها وتنحطم شر تحطم ! فهل تتخيلوننا بلا بوليتاريا ؟ الحق ان هذا الاحتمال لا يخيف الجناح البعبي من أعداء الشيوعية الذي لا يني عن التردد بأن العامل مجنون بحسب نفسه بوليتارياً ، لكن الجناح اليساري لا يستطيع حتى ان يتحمل فكرة ذلك : فالاركسي غير المتألم ، مع اعتفاء مهقته الجسيمة العدية الشفلة ، يفتقد كل شيء وأولاً شرفه في ان يظل وقياً بلا أمل . وانسا لاستعماله الخاص وضع هذا اليوم التخوري : الطبقة - الاندفاع . فلو نظرتم الى العالم من هذا المنظار ، لرأيتم الطبقة في كل مكان وحتى لو كانت البروليتاريا

١ - لوروا : « من الكومنتون الى الكومينفورم » .

منفتحة شريقتي . وطالما ان المطلوب تجريد الحزب من فضل تحقيق وحسنة العمل العمالي ، فسوف يتم وضع البدأ السحري لهذا التوحيد في مكان ما بين نظام الانتاج الموضوعي وذاتية المنتج ، كما وضع الطبوية الفرعية بين الكينونة والفعل ، والقييدو الفردي بين الجسد والوعي الصاعي . وهذه التجريداتلوا بالطاطية ، القوة بمرونتها ، استطيع ان تتطاول من غير ان تنقطع أو ان تتكلم من غير ان تتهازل ، انها تتمدد وتترق ، وتساب عسير فرجات قلبها ، وتتجمع في الخارج او تضغط وتحرر وتختزل فطبان الجهاز وتذهب لتستعيد حجبها الطبيعي بعيداً ، بين اصداقها الحقيقين .

ان هذا القور يرضي التفاؤل الاشراقي كما كانت اليهوانيات حول الطبيعة الطيبة ، يرضي التفاؤل البورجوازي ، وهذا سبب آخر من الأسباب التي تدعونا الى الشك فيه ، ذلك ان التفاؤل والقشائم وجهان لتضليل واحد . فعين يرفع نسبة الموت الاختياري ، فيل ترضي لنا اصاب و ارادة الانتصار القومية ، من تصلب ؟ وحين تضفض ، فيل يبغي ان يسيء انفسنا على تصلب غريزة الحياة القومية ؟ لا تقولوا لي ان الطبقة موجودة وأن الأمة ليست إلا تصوراً من تصورات العقل ، لأن هذا هو على وجه التحديد المطلوب اقامة البرهان عليه . ذلك انكم تعتمدون على تماثل الطبقة ( أي على تماثل الشروط ) تبرهنوا على عفويتها ، وعلى عفويتها لتبرهنوا الدليل على وحدتها . لكن دعونا من هنا ، ولنقبل بأرت استكلافات ، حزين ان تعبر عنن تجرد جماعي ، ولننظر أين يقودنا هذا .

افتح صحيفة رولسكية تعلق على الاحداث الأخيرة<sup>(١)</sup> . ان اصل الاستياء العمالي ، في نظر أحد محرريها وهو السيد جيهان ، يعود الى عام ١٩١١ : فيين التحرير ونهاية عام ١٩١٥ اتبعت للجهاجير عدة قرص لاستلام السلطة ، لكنها ارتحمت على اضاحة قرصتها . وعلى هذا فإن قادة الحزب الشيوعي قد مارسوا العنف على غريزة ملايين المناضلين وديناميكتهم الثورية . - ترى هل كانت

١ - حليفة العمال - - تشرين الأول ١٩٥١ .

ويقول سبحانه الطبقة العاملة ؟ بالرة : هذا ما يجيب به السيد جبرمان الذي  
 يذكرنا به شلل البورجوازية التام ، يوم التحرير . وبالاصل لم يكن المطلوب  
 إقامة دكتاتورية البروليتاريا ، انما كان المطلوب سير غور ، القدرة الشعبية على  
 التصير ... وخلق وتطوير بقدر سلطة جديدة شكلتها الجماهير بالاصل من ثلثاء  
 نفسها ( لجان التحرير ، لجان المصانع الخ ) . ولم يستطع المكتب السياسي  
 للحزب الشيوعي الفرنسي ان يقطف الثمر حين جاءت مساعته لأن ستاين ضحي  
 بمعال أوروبا على حساب رغبته في التعاون مع الرأسمالية الأمير كية .  
 ان هذا التفسير يساري اي تفسير آخر . لكن لتلاحظ على كل حال انه ليس  
 فيه من الماركسية شيء . والحق ان الفرونتسكية تعسافي بالرغم عنها من المصير  
 المشترك لجميع الماركسات : ان الحزب الحاكم والقوي المذهب باعتباره انه يؤكد  
 ويؤمن انه يثبت ان الواقمي هو وحده الممكن ، وان السياسة الوحيدة الممكنة  
 البناء هي السياسة التي ينتهجها . اما المعارض فيصرح انه كانت هناك سياسة  
 أخرى واحدة على الأقل والتي على وجه التحديد هي الأحسن من هذا ما يُكرهه  
 ولما عن كل شيء ، عن اتخاذ موقف مصبور بالمثابرة ان كثيراً وان قليلاً :  
 فهناك إمكانات لا تتحقق ، والصيرورة الواقعية تكلف عن ان تكون قياساً  
 الانسان ، باعتبار انما هو غير كائن اقرب ال الصحة وأجمع واكثر تلاؤماً مع  
 المصالح العامة ما هو كائن ، والتحليل التهدي للوقائع يقود الى اللاكينونة ( ما  
 لم يحدث ) وفي النهاية يرد لتفسير التاريخ باستمرار ال فرض ضائعة ليس لها من  
 وجود إلا لأنها مفكروها . وهذا ينطبق على الحالة التي ندرسها هنا كل الانطباع .  
 فعين يكتب السيد ويكاف : « الحزب الشيوعي ... يعني انه لم يفكر اي إمكانية

١ - ربيع كلاسيكي ، ففي نهاية الحرب الأولى تحت الاقضية في الاتحاد العام لشلل بالارة على  
 الاكثية لأنها شملت مصانع الطبقة العاملة على حساب مصانع الأمة . وكتب غريغوريه ، وكانت  
 البورجوازية تعتمد بأنها ملازمة القول بتضحيات ثرية لصالح البروليتاريا ... لكنها سرعان ما  
 انكبت نفسها والتصوت « ( شباط ١٩٢٠ ) . وكتب مولوسو في نيسان ١٩٢٠ : « ان  
 الطبقة العاملة هنا . وتمش ... لكن عمراً اياً والمخرج من مبدأ التعاون : فالأمة في  
 خطر ... »

تاريخية نقلت منه ... ولو صار ... في غير الطريق الذي صار فيسه ، لا يمكن  
للغاشي ديفول ان يأخذ من ذلك ذريعة ليهنئ ، بمساعدة الأمير كان ، الطبقة  
العامة<sup>١١</sup> ... ، يسأل عن السيد جبر مان أن يسخر منه : ذريعة ؟ ما معنى  
ذلك ؟ ان الطبقات الاجتماعية في نظر الماركسي لا تبني سلوكها على دوافع ،  
بل لبعاً لمصالحها وعلاقات القوة التي تسمح بتفوق هذه المصالح ، ومع ذلك فإن  
فيكون بظن أكثر وفاء لروح الماركسية من جبر مان : فماركس بعيد عن نفي  
وجود الممكن ، لكنه يقصد به لحظات العمل المستقل كما تجعل لنا أثناء الإعداد  
له . وواجب على القاعة والمضامين معاً ان يتمكنوا من القول وهم يلتفتون نحو  
الماضي : « لقد فعلنا كل ما كان ممكناً ( أي لقد امتد علمنا الى أقصى ما سمحت  
له بسنة الظروف ) - ولم يكن من شيء ممكن غير مسا فلتنا ( فالقول التي  
استعملناها ثبتت الحجت انها لم تكن عملية ) » . ان هذا الموقف يتجه الى توحيد  
الواقع والعمل . فكل ما هو واقعي ممارسة ، وكل ما هو ممارسة واقعي . وهذه  
هي ، بلا ادنى ريب ، المسألة التي استلهمها أيضاً فروتسكية . لكن السيد  
جبر مان ، بصفته معارضاً ، يتطلع الى تثبيت الحقائق التي تنقضي : ٦ - كانت  
امام الجماهير في فرنسا امكانية مباشرة لاستلام السلطة : وهذه الامكانية كانت  
أكثر الامكانيات السجماً مع مصالحها وأقصر الطرق الى الثورة العالية وبالخصار  
كانت الامكانية التي للنفس في ذاتها أكبر قدرة من الواقعية والفعالية ، ولهذا  
فإنها الامكانية التي لم تتحقق . ٦ - لو استولت الجماهير على السلطة لما كانت  
البورجوازية تحركت . إن موقف السيد جبر مان وسط بين موقفه المتفائل الذي  
يجهل الوضع الراهن ونسب عليه الفرار الواجب أخفاه ، وبين موقف النظري  
الذي يستخلص دلالة الأحداث الماضية . وضحیح انه يحق لأول ان يقوم بحرد  
الامكانيات ، لكن تحليل خاضع لضغط اللحظة ، مهتد بضوء الأحداث ، معدل  
به الصيرورة التاريخية ، مفروم باستمرار من قبيل التجربة ، وهو أخيراً يختبر  
صحته في الممارسة نفسها . وبالتقابل يستطيع النظري ان يزعم انه يسلطنا حقيقة

موتوفة بشرط الانقصار على ما هو كائن وعدم الشطوع الى ما كان يمكن ان يكون<sup>11</sup>. ان السيد جبرمان يبني رأيه على واقع ميت . وهو لا يستطيع ان يزعم انه لا ينطق إلا باليقين في الوقت الذي يحاول فيه ان يبين النتائج الممكنة لما لم يكن . اما هدف بحثه الذي لم يتفتح بوجود فعل ، فإنه سيكون موضوعاً مجرداً للفكرة من الافكار . وبكلفة واحدة : انه سيكون لأنه مفكر بسـه . وهكذا يتخلى السيد جبرمان عن القسط الاركسي الصرف لطباب زاعة مثالية احتمالية المنعب لتسند استدلالاتها في غالب الأحيان الى محض تعميمات جريئة . وبالأسفل ماذا يبغي ان تلم من هذه الكلفة للتنبؤ ، الممكن ، ؟ كان في الممكن الطبعة العامة ان تقتصر : ليكون الكن بأي شروط ؟ كانت علاقات القوة في صالحها ، وكانت مصالحها تدفعها الى استلام السلطة لكن زعماءها منوعها . لتقبل بذلك : لكن هل كان في امكانهم ألا يفعلوا ذلك ؟ ما الذي تمنعهم على ما هم كانوا عليه ؟ أخضعوم للكتيب السياسي ؟ لكنكم تقتضون هذا الموضوع منذ سنوات كثيرات . بل ان هذا الارتباط بوسكو هو الذي يميز في رأيكم الحزب الشيوعي الفرنسي . فهل كان في امكانه ان يبدل بنتية الأساسية عمام ١٩٤٤ ؟ وما معنى هذا ؟ اعرف انكم فيزون - لا اقول انكم على خطأ - تياراً يسارياً في الحزب وانكم تقولون بذلك النظرية المازرة عن وجود حزب شيوعي ثوري ، لكن كيف كان في مقدور اليسار ان يفرض نفسه قيادة التحرير ، يوم كان كل شيء ينظر من الاتحاد السوفياتي ، يوم كانت البورجوازية تبدو وكأن الأمر أسقط في يدها ، يوم كان الكثيرون ما يزالون يؤمنون بالزعمة السلبية الامبريكية ، اذا كان صحيحاً ، كما تقولون ، ان قيادة الحزب ما تزال ترجع الى اليوم ، حتى وهي في فتروة ثقافتها ، في فرض الصحة على لدمرات الفسادة ؟ سياسة الاتحاد السوفياتي اذن ؟ هل ستقولون ان النخب يقع عليها ؟ ربما : لكن في اي الاوقات كان تغييرها ممكناً ؟ أليست هي انعكاساً لمجتمع محدد ،

١ - انكم عن الموضع الاركسي لا عن الموضع البورجوازي الذي توقع تصوره النظرية بين اللزوم والدمج اللزوم ، بين الحرية والاختيارية على حد سواء .

ببناء الاقتصادية والسياسية ، بقائه الاجتماعية وتراعاه الداخلية ؟ هل ينبغي ان يرجع القهري الى فرغ موت لينين ؟ ان البعض يميل ذلك ، فالقضية في رأيه قد نلت واصبحت يحكم الحاشرة منذ ١٩٢٣ - ١٩٢٤ : ففي حريف ١٩٢٤ ، بعد هزيمة البروليتاريا الألمانية ، تكلم ستالين للمرة الأولى عن الاشتراكية في بلد واحد<sup>١</sup> . وفي ذلك اليوم بكت اللائحة . فلماذا عدنا ان الخطيئة الأصلية وال مناقشات لا يتر مع آراء الأكبر<sup>٢</sup> حول القهري : انت ستالين يصبح آدم الآب الصغير العصر الذي . وهذه النظرية مقبولة ، إذ من الممكن ان نقبل بان الظروف التاريخية تتوافق احساناً لكن بصورة لقوة للغاية بحيث تسمح بعمل الساتي فعال بقرر مصير الاتجاه التاريخي . وانا كنت القرض غير متوفرة ، فمن الممكن العصر عشرين عاماً ، بل ربما نصف قرن ، حتى تعود هذه القرض . وعلى هذا ستكون الترواسكية فن التطار . لكن إلامَ نؤول آنذا ؟ إمكانية ١٩٤٤ : كانت اللعبة قد نلت بومذاك واصبح مستحلباً على الإرادة ان تتدخل . وانا امكن لبعض التحسين ان يتفقوا بأنهم سيفقدون الطبقة العاسية الى النصر ، لهذا أنهم رأوا تفاصيل الموقف من غير ان ينظروا اليه في مجموعه . ويذهب آخرون على العكس - ولعل السيد بيرمان منهم - انه من الممكن ، حتى لو كانت القارة فترة ثورة منعقدة ، ممارسة تأثير متواصل على مجرى العالم بشرط ان يظل المرء مستعداً للاستفادة من جميع تناقضاته . وعم في موقفهم هذا يظنون الدعم من ماركس والفعل الذين كلاً يقبلان باستجابة التفاصيل<sup>٣</sup> . ومن لينين الذي كان يرفض ان يطبق على دراسة التاريخ القومي المباني ، والمتسارع

١ - معروف ان لأخذ الأكبر الترواسكيين عن استجابة هو لمرها بنظرية الاشتراكية في بلد واحد ، ويظهر حول كغالب هذه النظرية مبدأ الثورة العالمية .  
 ٢ - لاموني فرنسي تابع عن الجائليين ضد اليسوعيين [ ١٩١٩ - ١٩٢٤ ] ، ص ٤٠٢ .  
 ٣ - اي تعين صارو لكن طرفي للواقعة الخاصة . وليس من ظم ان تقضي هذه الترفيقتع الخاصة فيا بعد وان يشهد مجرى التاريخ . الذي آخر او حول خطية - الجامعة العالم . لكن يظل واضحاً بأن نفس الخاص بالخاص ، وليس لسك الحقل في ان ليعتدوا الواقعة ان مكانها في التاريخ العام عالم الفكر الفرحا كماله من خلال خصوصيتها .



التي كانت تقدمه في حل ألقاض المجموعات الكبرى من التاريخ العالمي . وسموح  
 لهم ان يعتقدوا ان دياجير التاريخ الصغير وفارجهاته متشاكلان امام نظرة  
 التاريخ القليل . ولعلنا مستمكن ذات يوم من رؤية مكان ودور الأحداث  
 الزاخرة . ولعلنا ستدرك آنذاك انها كانت الوحيدة الممكنة . لكن طالما ان  
 التاريخ لم يكتمل ، وطالما التاريخ الحاضر من خلال منظور خاص ، فإننا لا  
 نستطيع ان نفسر تفاصيل سياسة من السياسات والرجوع دونما لوسطات إلى  
 الاعتبارات العامة . وإذا كان العالم صيرورة دياكتيكية كل حركة من حركاتها  
 المحلية على صواب في حركة المجموع ، فمستطيع التروتسكيون ان يفهموا سياسة  
 ستالين ، لكن كيف سيفعلون حتى يدبونها ؟ فهي ستكون على أساس هذا  
 العرض في كل زمان وفي كل ظرف ما كان عليها وما كانت تستطيع ان تكون ،  
 لا أكثر ولا أقل . ولعلنا سيوجب آنذاك ان نلاحظ ان ورق اللعب جرى  
 توزيعه بصورة تجعل الاشتراكية مستحبة من البداية . او على العكس ، كما يقول  
 ميرلوثوتشي : « ان الطريق الذي يبدو لنا متعرجاً قد يظهر بعد ان تدور عجلة  
 الزمان وبعد ان يتكشف التاريخ الشامل على حقيقته انه كان الوحيد الممكن  
 بل أيضاً أفضل طريق يمكن » . وعلى كل الأحوال يقف الحزب الشيوعي  
 الفرنسي بعيداً عن قنص الأتهام . ولا وجود ولا يمكن ان يكون هناك وجود  
 لممكنات غير متحققة حتى على صعيد ذلك التاريخ التراجع الذي تسأل في  
 الأحداث يوماً متأخرة او متقدمة على الموعد ، وتظل ألقاضها غير قابلة للحك  
 جزئياً ، والذي يمكن فيه لزراع من الزااعات أن يظل ، إذا لم تتوفر له عنة  
 موجبة ، دقيقاً مطبوعاً مدة طويلة من الزمن كقنبلة تأخر انفجارها ، مها يمكن  
 محقق أسبابه . والزراع في الحالة المدروسة هنا موجود : انه صراع الطبقات ،  
 وميزان القوى محدد : ففي عام ١٩٤٤ كانت امسكالية عينية لاستلام السلطة  
 متاحة للطبقة العامة . فما الناقص إذن ؟ العلة الموجبة : التجاهل آخر لسياسة  
 الشيوعية .

كل ما هنالك ان المعارض الماركسي يقف متوزع النفس بين اطروحتين :

فحق يبرهن له « الستالينيين » عن أخطائهم أو أكاذيبهم يريد أن يأتي بدليل لا  
 يدحض : لذا فهو يستخدم مناهج واعتبارات التاريخ الديالكتيكي العريض ،  
 وحتى يثبت على العكس أنه كانت هناك امكانية لعمل آخر في هذا الطرف أو  
 ذلك بلجأ الى الاستدلالات الاحتمالية المذهب . فحين يرفض السيد ديكلوان  
 « بدم قريعة » للفتح ، يتهم السيد جيرمان : قريعة ؟ « منذ متى ينتظر  
 الفاشيون ذرائع ليضربوا الحركة العامة ؟ » . وخلاصة القول ان الحزب الشيوعي  
 يبرهن على سذاجته إذ يعتقد انه كان ممكناً ان يقول ان يتصرف على غير الصورة  
 التي تصرف بها ، وان هذا العمل لم يتحقق نظراً لأنه لم تتوفر له المناسبة !  
 ويحيب السيد جيرمان : « عندما تكون علاقات القوة متعددة ، فمن السهل  
 دوماً إيجاد « قريعة » مناسبة » . انظروا كيف تقوم الشاعة : ان يقول  
 يتضاهل حجماً بشكل شبه مليون ويقتد ملاحه الخاصة ، وفي البدء يصبح  
 الفاشي - وما الفاشي إلا الاستخدام التام للسلطات التي يملكها لصالح الصالح  
 التي يخدمها . ثم يدوب في طيبته فإذا بنظراً يعانق البورجوازية نفسها . لم لا  
 تضرب الحركة العامة ؟ لأنها لا تملك القوة التي تشكلها من ذلك . ان كل قوة قيل ،  
 من تلقاء نفسها ، إلى إظهار أقصى حد من مفعولها الخدأ بتسخير الاعتبار القوي  
 الأخرى التي تقاوم قاطعتها على التلطة نفسها : والحديث « حصلة القوى الثابتة »  
 هو دوماً كل ما يمكنه ان يكونه . اما عوامل التاريخ المحلي فقد تبخرت  
 واستبعدت : أصل وطابع الجهاز الحاكم ، البنية الواقعية البورجوازية عمام  
 ١٩٤٤ ، الصالح الخاصة ، الآراء المسبقة ، المعتقدات ، الأيديولوجيات ، ضرورة  
 السياسة اليومية . ان يقول يعتبر فاشياً عام ١٩٥٣ ، إذن فقد كان فاشياً ايضاً  
 عام ١٩٤٤ . فويل كان في وسع هذا الجنرال ، القليل التأيد بالتأكيد للجمهورية  
 لكن الذي وعد بإعادة توطينها ، ان يترك نفسه في تلك الفترة بتناقضات  
 شخصية ؟ ان هذا شيء لا تسأل له على عمري الأشياء . وهل كانت في وسع  
 البورجوازية « إعادة احتلال بالغ الضرر » ان ترى ان من الأفضل لها التواني  
 وعدم الجوء إلى العنف مع بقائها دوماً على استعداد لاستخدامه ؟ لا أهمية لهذا .

فطالما ان الطبقة البيروقراطية قد فعلت ما فعلته ، فهذا معناه انها ما كانت تستطيع ان تفعل غير ما فعلت . حسناً .

التي تطبق هذه الابداء ، على الطبقة العاملة : فبأننا لم يصل الى علمي انها استلست السلطة لكن يقال لي - واعتقد ذلك - انه كانت لها مصلحة في استلامها وان علاقات القوة كانت في صالحها : اذن فلا بد انها استفنتها من غير ان يعرف أحد بذلك . يقول السيد جيرمان : على الاطلاق ا كان في وسعها ان تستلمها ، لكنهم قادتها الذين منعوها من ذلك . عجباً ! ومن هم هؤلاء القادة ؟ و انهم من بين قادة الحزب الشيوعي الفرنسي اولئك الذين يتسكون با تسمية بالامتالية البيروقراطية ، أي أولئك الذين هم دوماً على استعداد للانجساح بيننا أو يبدأ قبعاً لحاجات دبلوماسية الكرملين والذين هم على استعداد للتضحية بمصالح الجماهير الجوهرية لحساب هذه الحاجات<sup>11</sup> . بالاضمار ! لكن ما السبب في انهم هكذا ؟ لقد فهمت لتوي ان الفاشي هو التعبير الصرف عن طبقتك وادائها الفعيل . كما انني انهم ان « البيروقراطية » السوفياتية ، عندما قرأ تروفسكي أو « الخليفة » انما تعبر عن مصالح بعض الفئات الاجتماعية ، وانها مشروطة بالمجتمع لتبسط عنه بالذات . بل انني أعظ الملاحظة التالية التي وردت في « الثورة المدورة<sup>12</sup> » : « إن المجتمع السوفياتي الراهن لا يستطيع ان يستغني عن السلطة ولا حتى - الى حد ما - عن البيروقراطية . وليست هي بقايا الماضي البائسة التي تخلق هذا الوضع بل هي ميول الحاضر القوية . » والسبب ما يطمئني تماماً بصدده المكتب السياسي : إن شخصية اعضائه او ارادتهم الخاصة ليس لها من اهمية. انما هو الاتحاد السوفياتي ذاته الذي يعطي نفسه بهم ومن خلالها الجهاز الذي هو بحاجة اليه في المرحلة الراهنة<sup>13</sup> . لكن بيروقراطية الحزب الشيوعي

١ - اقتبست هذا التعريف من مقال السيد فرائك .

٢ - كتاب مشهور تروفسكي فوضع فيه البيروقراطية السوفياتية .

٣ - لا يهم السيد جيرمان - لتكن عادلين - انه كان ينبغي استلام السلطة : « قلني هذا مقاسرة » . انما يقول ان الطبقة العاملة كانت تلك القوة والاندفاع اللذين للاستيلاء عليها . لكنه لو كان قائداً ، فبما أي شيء كان يبذلها بعد ان يتكون قد جرعاً الى هذا الطريق ؟

الفرنسي من أين تأتي ؟ انها لا تستند الى الجماهير طالما انكم تهتمون بالكتيب السياسي ، بتضحية مصالحها الجمهورية وبممارسة العنف على غوايتها الثورية ، ولا الى بلية مجتمعنا طالما انه مجتمع بورجوازي والحزب الشيوعي لا يلعب فيه دور حزب حاكم ، ولا الى ميزان القوى طالما ان الميزان كان ، في نظركم ، في صالح العمل ؟ اما عن التسمية للاتحاد السوفياتي ، فواحد من امرين : إما ان تبيّنوا انها لازمة اليوم لحزب ثوري - وأنته يفتقري كل ، يمكن ، ولكي يكون قد ربطتم بأيديكم مصير البروليتاريين بتصور الجمهوريات السوفياتية - وإما ان تقولوا ، كما فعل بروديه ، انه من الممكن التملص من هذه الغيمنة : وفي مثل هذه الحال يتنصر حول الحزب الشيوعي بأخطاه فردية وبعدم تفهم الموقف وبعبوب في الطباخ ( انتشالية ، جين ، الخ ) . وذلك الذي تتميزون له<sup>1</sup> قد كتب : وان الثورة لا يمكن ان تترجم بمرسوم ، اما يمكن فقط اعطاء قواها الداخلية تصبيراً سياسياً<sup>2</sup> ، ومع ذلك ثقبان بأنه قد امكن لجم الطبقة العاملة وهي في قروة اتداعها بفعل التأثير الفردي لقادتها . وخلاصة القول انكم لتكثرون على البورجوازية الاسباب السببية وتسلطون بها البروليتاريا . وذلك لسبب واحد ، ألا وهو ان الإثم هو بالضرورة مسبب ( Occasionnelle ) فقد كان يتهدد أمره بشكل أو آخر مع قدرة المصور القديمة ، لكنه مرغم ، مع ضرورة المحدثين على الاختفاء : والحال انكم بحاجة الى ملتب<sup>3</sup> .

ومن هذه التسوية الوسطية بين الضرورة والاحتمال ، بين الحتمية واللاتميين ، بين الكينونة ووجوب الكينونة ، ولد تصوركم عن العفوية ، و « الفرزة الثورية » التي تقرون بها الجماهير ليس لها سوى وظيفة واحدة : ان تشير في المطلق الى ما

١ - بلغد روسكي . ص ٢٥٥ .

٢ - الثورة الثالثة - ص ٣١٦ .

٣ - ان السيد مورنو الرابض الجالس عند نفعه الجاهل : انه الاستطفاة ( من قبيل الديمقراطية الروسية بالطبع ) الذي خلق في فرنسا « نموذجاً من الانسان يجمع بين صفات المرحب الحظ وقياسي لبرقاني الرابع والخطيب القوي الشعبي ومرغم الجماهير الحزوب » . وبالطبع ان هذا النموذج يتجسد في القيادي الشيوعي . ألا ما أتد هذا الكلام !

كان يمكن ان يكون . وانتم على استعداد لأن قلبوا حتى بوجود قانون صارم ستر  
بحري الأحداث منذ تشرين الاول ١٩١٧ ، ومن يدري ، ربما منذ الخطبة  
الاصليه الاولى ، اذا ما سلم لكم الآخرون بأن الفرقة الثورية تظل ، بين هذا  
القدر الكبير من التقلبات ، ثابتة لا تتزعزع . ان من الواجب ان تظل في ايمان  
القلب ، شعوراً ابدياً تظلي الظروف من حوله عجائباً ، لكنها لا تستطيع لا ان  
تدمره ولا ان تخلقه ، ذلك لأن هذه الفرقة هي الواقع العميق للبروليتاري ،  
والحكم الذي تصدره الرأسمالية على نفسها ، وبإختصار مطلب لا يرحم بتقريع  
موضوعياً في ضغط مارس على الحزب والقضاة وليس له من موضوع غير الثورة  
الدائفة . وانتم في الوقت الذي توجدون فيه البروليتاريا بفرقة ثورية ، تتلقون  
فيها عدوى معارضتكم . وبالفعل اعتبرتم العمل السياسي للحزب الشيوعي غير  
عادل وغير مناسب ، وزعمتم انه كان من الممكن والواجب انتهاز عمل آخر .  
لكنكم لم تكتشفوا ، وانتم تنظرون من حولكم ، إلا علاقات قوة ومصالح  
وأفعال ، أي ، بإختصار كينونات ووقائع . ولم تكتشفوا قط وجوب كهنوتية .  
والغالبات الواجب لشداها ، أولاً ، من الذي يطرحها ؟ انكم غير مؤهلين ،  
بصفتكم القومية ، لتوم الحزب الشيوعي على تحليه عن الأهداف الثورية ، إنما  
يلبغى إيدائه باسم الجماهير . لكن مما الذي يثبت أنكم تتكفون باسمها ، أنتم  
الذين لا تجدون طريقاً إليها ؟ وهذا على وجه التحديد لأنكم تتصرفون على حل  
ألغاز وسائل فرقتها الثورية وان كنتم لا تريدون ان تحققوا لها معادتها بالرغم  
عنها . ولم كانت هذه الفرقة موجودة ، لكانت المطلب الذي يحدد أهداف  
وسيلة الوصول إلى الجماهير : وهي بالفعل لا تتكشف كمطلب إلا إذا تجلت  
كممارسة . فلجماهير قدرة عفوية على الخلق والتنظيم نتيجةها الاسراع بيجي ،  
البروليتاريا : وهكذا أوجدت من تلقاء نفسها عام ١٩١٤ جان التحرير ولجان  
الصنع : وكانت هذه الخطوات الأولى لتحديد الطريق ، ولم يكن على الحزب  
الشيوعي إلا ان يتابع الحركة . وطالما ان هذه الخطوات العفوية كانت تشير إلى  
الاتجاه الواجب السير فيه ، فأنتم تستطيعون ان تدبوا القادة الذين لم يسعوا

فيه فالقرينة الشعبية تظهر ما كان يتوجب فعله ، وما كان سيفعل لو توفر قادة آخرون . إن القرينة تؤكد المكتنات : فالجماعير بتصلبها ونضاليتها وحيدة مطالبتها هي التي تخلق امكانية اسلام السلطة ، والاستعانة إننا تأتي من القادة . لكن ليس للقادة من أهمية ، إذ يبدو أنه يمكن تغييرهم على الفور . أما الجماعير فهي كل شيء ، فحاولوا إذن أن تغيروها ، إن عفويتها لها صرامة الديالكتيك التي لا تلبث لها قناعة ، طالما ان الانتاج هو الذي ينتج المنتج . وهي في الوقت نفسه حرة طالما انها تعبر عن الماهية المتحركة للبروليتاريا . انها مثل المرة الثانية في التاريخ - في وجه الخطيئة الأصلية التي أورثنا إياها جميعاً - الطبيعة المدعومة بالنعمة . ويلبني ان تقروا أيها التروتسكيون بأن هذه النعمة تنفدكم . يبدونها أراكم واقعين في الأرباك : ماذا يحدث لو كانت ديماسيكية ، الجماعير حنوفة بعوامل خارجية ؟ افترضوا أنها تتمثل تبعاً لحالة القوى ودرجة إنهاد المكافحين وفكرى النشاطات القديمة والمهاجج المتوقعة وسياسة القادة<sup>١١</sup> . افترضوا أن عمل الجماعير العموري لا يبدو ان يكون أكثر من عاقبة من عواقب الماضي بدلاً من أن يستهدف المستقبل . افترضوا ان مطالبها حشة سريعة العطب كالحلم بدلاً من أن تكون قياس قوتها . افترضوا ان هذه المطالب تملق بتعويضها وبأمل كآف : السلام عندئذ على التيق الجماعي المتواضع ، السلام على العمورية . وسوف يظل في وسعكم أن تعارضوا ستالين باركس ، لكن لن تستطيعوا استدعاء البروليتاريا الى الحركة للشهد ضد قادتها : سياسة القادة ومزاج الجمهور فأبعسان كلامها ، في هذه الفرضية ، الظروف خارجية . وأخير ألمان كلاً منها يؤثر على الآخر ويعدله ويتلام مع ، وفي النهاية يتحقق التوازن والتطابق التبادل وتطير المكتنات : فعل شيء القادة يكون الجمهور ، وعلى شيء الجمهور يكون القادة . مصير البروليتاريا ، لعل المنتج الماركسي سيسمح لكم بالتكهن به ، لكن لا يصنع :

١ - بره الحزب الشيوعي بصواب كبير ان الجماعير كانت تتجاهلها تيارات قومية قريبة لقلبها وتوجهها لسطورة ، ويقول زعيم القادة « - والله كان من الواجب في البداية القيام بعملية واسعة لإبطال سحر التخلييل .

مشككون عرفين . وعلى كل الأحوال تكون قد سقطت عنكم كل أهمية :  
ستقولون : « لكن هذا التصور ليس ديككتيكياً » . ( لا ؟ ) انه على كل حال  
تصور الخبز : « التاريخ يتم بصورة تكون منها النتيجة النهائية منوطاً بالزراع  
بين العديد من الارادات الفردية التي تتحدد كل منها بكنية معينة من الشروط  
الخاصة : إذن فهناك قوى عديدة تتصالي « ومجموعة لامتناهية من تنازلات  
الأصلاح » والحصة « أي الواقعة التاريخية » يمكن أن تعتبر نتاج قوة تعمل « في  
مجموعها » بلا وعي ولا إرادة . ومسا يريد كل فرد يقاوم من قبل الآخرين «  
فتكون النتيجة شيئاً لم يرده أحد » . ومن خلال هذا المنظر يبدو لنا « القوة  
اللاواعية والارادية » وهما مناسباً « اما العفوية فما من أثر لها .

الظروا : انكم تتوجهون اليوم الى الحزب الشيوعي وتلقونه أمر اقتراح  
وحدة العمل على القادة الاشتراكيين . ان هذه التصيغة السياسية هي - في الوقت  
الراهن - معقولة تماماً ولاغية تماماً . معقولة : لأنه من المؤكد انها لو لبست  
لتغيرت فرنسا واوروبا ولتباعدت الحرب . ولاغية : لأنكم تعرفون ان الحزب  
الشيوعي ان يقوم بهذه الخطوة ( خطاب لو كور يشهد على الانتصار المؤقت الذي  
يريدون أن يقوه معزولاً ) « وحتى لو ارادها لرفض الاشتراكيون رفضاً قاطعاً .  
تقولون : لكن فشل هذه المحاولة سيفتح عبون مناقض الحزب الاشتراكي : وانتم  
هذا تدلون على سوء معرفتكم بهم وعلى سوء تفكيركم للعقد الذي يكونه الحزب  
الشيوعي : انهم لن يتركوا حزبهم ، وسوف يتنون القادة على إيجابتهم المتأخرة .  
ولو وضعت نصب أميتكم ما يمكن ان يحدث حقاً « ليست لكم نصيحتكم امينة  
ورعة لا أهمية لها وبلا اساس من الصحة . لكنكم للعون على العكس : ان هذه  
« الجبهة المشتركة ... ليست لا طوبالية ولا مشهورة . لماذا ؟ » لأن هناك ملايين  
العامل والموظفين والصناع وسفار التجار وصغار الفلاحين ممن يريدون ان يتبدل  
وضع الأشياء هذا<sup>(١)</sup> . « وبكلمة واحدة نقول ان الحائسة العقلية الفرنسية

---

١ - هذا صحيح ، لهم يريدون هذا التصيح لكنكم لتبطلون لتدبر الاضرار في احتيا وجدة  
علاء الشيوعية في صفوفهم .

تجدد حياتها الموضوعية في ارادة الجماهير . ان كل فكرة حقيقية يجب ان تكون  
 ، في نظر لماركس ، عملية طالما ان الحقيقة عمل . والفكرة الثروتسكية تستل  
 تجربداً صرفاً لا تلب فيه حياة ، واحتمالاً لا متوقفاً مثالياً - لأنها لا تنتج مفرداً  
 من تلقاء نفسها ، لأنها تشير الى طريق تعرف هي انه لن يُنتج - اذالم تتكفل  
 الجماهير ، بسبلها ومطالبها ، بإعطاء هذه القامح الذاتية الخالصة بداية تحقيق .  
 وليس ذلك لأن الفكرة ، تزو عليها : إذ ان هناك تنجماً سبقاً . ان الثروتسكي  
 يقرر ان خطابه هو التعبير القمطي عن العفوية الجماعية . انه يلق في جبهه  
 والبروليتاريا في الجهة الخائبة : انها لا يقابلان الكلام مطلقاً ، لكن بين نظام  
 الأول الفكري والاندفاع الذي يمر الثانية الى تجاوز شرطها البأس ، يقوم  
 اتفاق عميق وحمي بصورة القرافية من وراء ظهر المسائل الشيوعي الذي  
 يكفي ، هو : بغاطبة العمال حفاً وينتجيه حركتهم فعلياً . إن غلبان الجماهير  
 الحيوي وغير القابل للرقابة هو ضمانته تضيض عاجز ، او ان الثروتسكية اذا  
 شئتاً لتتبدد منعب ممارضة عقلياً مجرداً على منعب فواتمي غير عقلائي . والنصح  
 بالطبع ان الصبوات العفوية للجماهير الكادحة لا تجتد هنا إلا لتنتهك . وبذلك  
 تعود الى المخطط الذي سبق ان وصفناه : ان صفة العفوية تطلق على التومسري  
 الذي توجه فئة ما الى الفسادة الذين اختارهم لنفسها ، وعلى التواطؤ الصامت  
 لمجتمع مندمج مع المارطيين الذين تقام .

تعد الى ، حزيران : هل هي العفوية المعالية التي ثرات من الحزب الشيوعي ؟  
 اشك في ذلك غاية الشك . فلا ماركس ولا لينين أولاً آمنسا بدوام و العفوية  
 الثورية ، لدى الجماهير . امسا ثروتسكي<sup>11</sup> فهو يلج على العكس على زرعها  
 المحافظة الصيفة ، التي تسدوله عاملاً من عوامسب الاستقرار الاجتماعي ،  
 و لتحرير المستأجرين من ضيق الفكر المحالط وجر الجماهير الى التمرد و لا يجد من  
 زفر ظروف استثنائية . وفي هذه الحال تكون عاطفة الجماهير سلبية صرفاً :

١ - الذي ضرب لكار على كل حال مثلاً والذي اعاد بناء الثورة الروسية نظرياً بطور حركة  
 الجماهير العفوية كدامل اساس في التاريخ . لكن الصورة يظل الغرض واحد بما لا يخفى من انصروف .



فالقيادة لديهم خطط وبرامج ، لكن الجماهير تشعر فقط بأنها « ما عادت تطبق  
نير النظام القديم » . والناس عندما يجرها الحدث فقط تقوم بتجربتها الثورية  
« مهتدية بنهج التقريبات المتتامة » ومتجهة نحو اليسار أكثر فأكثر دوماً .  
وعندما يتحطم اندفاعها على صخرة « عقبات موضوعية » ينسأ الجزر الذي  
يقضي إلى الرجعية : « إن الهزائم الكبيرة مشيطة للهمم لمدة طويلة من الزمن .  
وتلقد العناصر سلطتها على الجمهور . وتعاود الصعود إلى سطح وهي هذا الجمهور  
آراء مسيئة وخرافات لم تجر تصليتها جديراً . وأثناء ذلك يفرق القادمون الجدد  
من الأرياف ، وهم كتلة جامعة الصلوف العالية » . وبكلمة واحدة : إن الجماهير  
تكون ثورية حين تكون شروط الثورة متوفرة . ومن الواجب تقييد اندفاعها  
وطاقتها على أساس شروط الموقف المعينة ، بدلاً من تقويم هذه الامكانيات على  
أساس قوة « الديناميكية » الثورية . وإذا كانت « غريزتها » المزعومة « توجه  
خاص » هي من نتاج الظروف ، فإن عقلها ليس دليلاً على أن طاعتها واجبة .  
وتروتسكي هو الذي يكتب أيضاً : « إن الجماهير تتدخل في الأحداث لا تبعاً  
لتعليمات المنهيين بل وفقاً لقوانين تطورها السياسي الذاتي . لقد كانت القيادة  
البيولشفية ... تدرك بوضوح أنه يتوجب عليها أن تعطي القوى الاحتياطية  
الضخمة الوقت اللازم لاستخلاص نتائجها من الغامرة ... لكن الفئات المتقدمة  
كانت تزحف نحو الشارع ... والحال أن التجربة كان يمكن أن تتحول ، بفضل  
التنظر عن إرادة الجماهير ، إلى معركة حاسمة » وبالتالي إلى هزيمة حاسمة . وأمام  
هذا الموقف كان الحزب يفضل أن يبقى خارج المعركة ... ولقد كان « يقيناً »  
على حزب الجماهير هذا أن يقبع الجماهير إلى الأرض التي وقفت عليها حتى يبذل  
لها المساعدة ، لكن من غير أن يشاطرها في أي حال من الأحوال الوهاهاها » .  
وتروتسكي نفسه يطالب الحزب بحسب تقييد « الديناميكية » الشعبية على ضوء  
الموقف العام ، وهو لا يتردد ، في بعض الحالات ، في إطلاق اسم « أوهام » على  
دوافع هذا الهيجان والأنفلات المبالغ - والسيد جيومان ، التروتسكي ، يلوم  
الحزب الشيوعي على عدم ثقته بفرزة الشعب . أنه سيقول : هذا لأن الموقف

كان مختلفاً . هذا صحيح : لكن إذا رفضنا الأيمان بمعصومية الجماهير ، فما ينبغي ؟ تصور " مذهبان - تصور الحزب الشيوعي الإيطالي وتصور الحزب الشيوعي الفرنسي - وطريقتان في التفكير وتفسيران " عليان " الموقف .

ولنفترض ان ثيرو ، حزران ، هذا الذي يتخذون منه نارة وثيقة وطوراً شهادة ، لتفترض انه موجود وانه يقتلي وراء نصب العمال ومهتهم الشيطة . قبل تكون قد تقدمنا ؟ وما الذي جرى التصرف منه ؟ أمباردة ٢٨ ايار التعمية ؟ أساسية الحزب الشيوعي الفرنسي منذ عام ١٩٢٨ ؟ منذ ١٩٤٤ ؟ منذ مؤتمر تور ؟ ام البيروقراطية ؟ التبعية لوسكو ؟ السياسة السوفياتية ؟ ولم لا نقول الماركسية بالذات ؟ من التي سيطر ذلك ؟ تقولون ان هذا كله وارد : فحين يكون القوم منصباً بصراحة على جانب تفصيلي ليس إلا ، يكون التسلسل صارماً بشكل ي طرح معه كل شيء على بساط البحث . لكن هذا غير صحيح : فحين امام مسألة تتعلق بالتاريخ المحلي واليومي ، الفتنح ، الاحتمالي جزئياً ، والصلة بين الحدود ليست وثيقة الى درجة يستحيل معها تتويع بعضها ضمن نطاق معين من دون ان يطرأ بالضرورة تعديل على سائر الحدود . لقد كنت اقرأ ، بالأمس القريب ، ان البروليتاري ضائق ذرعاً بتدخل الحكام السوفيت في شؤونه الداخلية . وكان المقال يقول : ليس ذلك لأنه يدين مباشرة هذا التدخل : فهو في الواقع لا يشعر به ولا يابه له ، لكنه ما عساه يطبق " بيروقراطية " الحزب الشيوعي التي هي النتيجة الواضحة لهذا التدخل الذي يستهجنه البروليتاري . لكني لست متشككاً : فحق اقتنع ، كان ينبغي ان يثبت في أولاً انه لا يمكن مكافحة هذه البيروقراطية إلا ان قطعت الصلة أولاً بالاتحاد السوفياتي ، وان يثبت في ثانياً ، وبالتقابل ، ان الحزب الثوري غير التابع للاتحاد السوفياتي غير مهده اليوم بأن تجرد ظروف التضال الى مهالك البيروقراطية . ونظراً الى عدم توفر هذه الأيضاحات ، لست ادري كيف أحسن مدى هذا القوم المقترح . انني مدرك ان الحزب الشيوعي يعترف بأنه لا تقترف غلطة ومدرك أيضاً انه يحصرها في اللحظات التي سبقت الاضراب مباشرة :

هذا لأنه يريد ان يخرج منها بأفضل خسارة ممكنة . كما اني ارى بورجوازيين مفتنعين بأن الجماهير قد ادانت ماركس : هذا لأنهم معادون للماركسية .

اذن فانا اجعل دافع الادانة . لكنني « كما لو ان هذا لا يكفي » هأنسأ لا اعرف أيضاً القاضي الذي اسدرها . ذلك اني التقيت نوعين من العلوم : العلوم الذي توجهه طبقة ثورية باسم الثورة الى القادة الذين يريدون ان يوقفوها والعلوم الذي توجهه طبقة متنهزمة « معطلة » خائفة « باسم ايدولوجية الطبقة المنتصرة » الى الثوريين الذين يريدون ان يحرروها في مقامات جديدة . في الحالة الأولى « انما هي ذات التاريخ التي تدن خائفاً والادانة لتسجل في التاريخ الذي تصنعه . وفي الحالة الثانية « انما هي طبقة لشعر بأنها تعود لا كانت كتلة » وبأنها ترجع « مع اغلالها القديمة » الى « آرائها المبقة والى خرافاتها التي لم يجر تصفيتها جندياً » « وتستخدم هذه الآراء والخرافات لتدن مجدها الذاتي . فأمام أي من القاضيين اقف ؟ الثورولسكيون يؤكدون انه الثوري :

« لقد جرت التضحية ... بالطبقة العاملة الفرنسية ... وبالرغم من جميع التبريرات تقفز هذه الغلظة المجرمة الى عيون الجميع . وفي المناسبة القليلة لمن يكررها أي عامل » .

كيف اسدقهم « اللهم إلا انما محضت ثقتي بقوة العامل غير القابلة للتمسح . ثم انني « بكلمة واحدة » اجد ردود افعال هذا الثوري هزينة بعض الشيء : فقلد جرت تضحية طبقتي « وهو يعرف ذلك » ومع هذا كان ثأره الوحيد انه قاطع اضراباً جاء في غير حينه ؟ إن نظر الانسان لا بد ان يكون حديداً قاناً حتى يرى فيضاميكوتته ، ولا بد ان يكون القوي ايضاً حتى يكتشف ضعفاً مازسته الجماهير في أحداث « حزينات » .

انما في نظر الصحف المحترمة « فلم يعد » على العكس « ثمة وجود للثوريين . بل أهم وأجدوا قط ؟ ان التاريخ لم يفعل شيئاً سوى انه قام بالفرز الذي كانت يفرض نفسه : فوضع الاضواء الى يساره والناس الصالحين الى يمينه . واستنكاف العامل انما ينفي نسبة ال « حكيته » اي الى قعدة الميساديء الصالحة على التقليل

والانتفاع : لقد شجع من أعمال العنف اللاعنفية تلك ، وهو لا يطلب إلا ان يعمل في سلام ، ولا يرى الحياة سهلة جداً بالأصل حتى يبدؤ المأل في حركات . وزيادة الكلام انها البيورجوازية التي لتبرأ ، من خلاله ، من الحزب . واترك لكم ان تحمكوا بأنفسكم إن كان ارباب العمل راضين مسرورين : فصليتهم المعامل الطيب قد شقي أخيراً ، وكل شيء يدل على انه قد تم نهائياً ترفيف العمل للثكر الذي كان يمزج بينماعتنا الحديثة . الطبقات ؟ لم تكن إلا كلاً : لو منح لقب البيورجوازي ، كالمثلي المنطق ، إلى كل فرد يشكل جزءاً من مجتمع بيورجوازي ، لما عاد هناك غير بيورجوازيين في القرب ، بعضهم بالنس والبعض الآخر غريب ستاء كثيراً .

لو كان هذا صحيحاً ، لأمكننا التكهون بأن الحزب الشيوعي الفرنسي ستأخذها دعشة عميقة من لامبالاة الجماهير . لكن حبيبات لبرؤها متفركة في مثل هذه الحال بارداً .



ان عدو الشيوعية ينظر في عند المنعطف : « إننا فالجماهير لا تستطيع أن تحمك على الجهاز ؟ » . وأنا أجيب بأنه يحدث لها ، عندما تكون قائمة ، ان تدفع بقادتها أمامها<sup>111</sup> . لصفته يماود السؤال : « لكنها في تخير تلك الاتحيان لا تستطيع ان تحمك عليه ؟ » . آه يا سقراط ، اني عندك ابن تجرقي . على رحلك ، اني أقر : انها تحمك على قادتها حين يقعونها لكن ليس عندما لا تبعيم . ويتصر سقراط : « انت مدين البيورجوازية بحرية الكتابة » وتستخدمها مع ذلك لتسنع عن الشعب حرية التفكير . وهكذا يكون الحكم قد صدر : ازدراد الشعب ، مزاج مستطاني ، تعلق غير بأشكال الحكم الأوتوقراطية . وعلاوة على ذلك

١ - تذكروا على حيل المثال اضراب ايار ١٩١٤ في تركة رينو : لقد ضف العمال ضد الدوليين عن نقابة الصائدات التابعة للإمام العام لتفعل لأهيم . وقررا في وجه العمل الطلاب . وسرعان ما فهم الحزب الشيوعي الفرنسي .

اعطى الحزب الشيوعي ، من قبيل الشطط في المهانة والندامة ، اكثر بكثير مما طلب على مر الزمن : انه يزعم انه هندي برأي الجماهير ، ولا يبالي بتبرير المهينة اللطافة التي فرضها عليها ، بل يخفيها .

حين أستم ، اتنى من قبيل الشطط في التازوخية ان يكون ذلك لأسباب معقولة . اذن فسوف اقول ماذا اسباب عدو الشيوعية ودينه .

اما اولاً لا اهتم بما يمكن ان يكون مرجوآ ولا بالعلاقات المثلث التي يليهما الحزب - في - ذاته مع البروليتاريا الحادثة . لاني أسعى إلى فهم ما يجري في فرنسا ، اليوم على مرأى منا . لقد اراد اصدقاء طيبون أن يلتفتوا لقلبي إلى وجود نقابات النكلو - ساكسونية وسكتندافية : وفي زعمهم ان هذه الأجهزة هي « من اكثر من زاوية » اكثر تلاؤماً من اتحاد العمال للشغل مع الأشكال المتقدمة للرأسمالية (١) .

جائز : لكن ماذا يثبت هذا ؟ أوجب الأسف على اننا لم نخلق سويديين ، التي

١ - هل كل ما قلته في هذه الأثناء العزلة ؟ هل ثبتت انت الإعمار البلدان « المتقدمة » لا يقوم على يد من الآخرين ؟ وهل هذه الجهات سودا - مسكوك إليه ، ام هي المستفيد من الاستمارة الزائفة ؟ زعمون أن تقموني بحدود الفرضية الأولى لكنكم لا تبرهنون عليها ، وعلى كل حال لو كانت صحيحة فليس لنا ما يدعو إلى المشرعكم ، لغو وقت النقابات الاميركية واجباتها السياسية . حلقات انت تضع العواقب في وجه مسيحي الحزب بدلاً من ان ترسل إلى الفرنسيين الجوانسي وعلماني الدفاعية . ولما ما حدث واطلق للتاريخ ذات يوم على الحكومة الامع كية لقب « حرم حوب » الذي لكنني حتى الآن باطلاقة على الآخرين ، فلنني انشي أن يعتبر العمال الامع كيون « المثلثون من قبل نقابهم » للتقدمة « ، متواطئين معها عن غير ارادة منهم كما كانت البروليتاريا الالمانية - المتحدة او المسوقفة - متواطئة مع الامبراطور هشام ١٩١٤ ، ومع الشايفين عام ١٩١٩ .

لكن هل يستطيع ان المكريك - فالتهذيب يجب ان يتبادل بتهديب مسائل - بأن البشرية اعلمة است في حالة سوء نظرية ؟ ولذا كان ضرورياً - من قبيل الصدفة - ان يطرح عامل الهند او دوما فالمر العم حتى يستطيع الصناعات الاميركية ان يتعاطف على مستوى أجهزة الرقمنة فإن حقيقة وضعنا الراهن ان تكون مصانع فورد او كليرد بسنل المروج الذي يحتاج العالم . وفي هذه الحال ليست حقيقة الممارسة للثعب الاصلاحي العائق لمران حسني لتقلية لكن « مبدلين » . بسبب العمل للشيك ويصل دعابة لا لنكل ولا تي ، بل ستكون النشاط الثوري .

أرجع إلى بلدي الذي لم يشتهر بأنه من بين أكثر الديمقراطيات البورجوازية  
« لقدماً » . وأجد ان ارباب العمل الفرنسيين قد أصبحوا انضوفاً الصوامع : لو  
طبقتنا مثلهم حتى النهاية ، لرأينا أن لدينا الصراع الطبقي الذي نحتاجه .

اذن فالشروط المفروضة على العامل في فرنسا ، اليوم طالما ان الثقة واجبة ،  
تخطر عليه استخدام الحقوقي الشكلية المسلم له بها . وانتم تعلمون ذلك ، انتم الذين  
عملوا على ألا يكون في مقدوره استخدامها في إطار مؤسساتنا : فلم يثور غيظكم  
حين يتغلب عن هذه الأسرية ليناضل ؟ وانتم الذين تتامرون بالويل والثبور حين  
يُروى لكم ان أحد الانتخبات النفاية قد تم برفع الأصابع ، قد زورت القانون  
لتحكموا بالصمت على تلك الهيئة النافية . تهيمون الحزب الشيوعي بأنه يدافع  
ويهاجم والنسواب الحريات الديمقراطية حسب مصلحته الآنية ، لكن هل  
تتلمذون انتم شيئاً آخر ؟ حين يكون القصد انتقاء الشيوعيين لثابون العامل  
بالحريات كاملة ، اما حين يستهدف انتقادكم فتجربونه منها .

ليس هذا لي المشكك : فلو أمعنا النظر في المسألة لرأينا ان حريتنا قد  
جرت تصورها من قبل بورجوازيين ولبورجوازيين ، وان الصاعل لا يمكنه ان  
يشتمع بها إلا إذا أصبح بورجوازية بدوره . ان هذه الحريات لا معنى لها إلا في  
نظام يقوم على الملكية الفردية ، ولا نعدو أن تكون أفضل من احتياطات  
يتخذها مالك الثروات ضد تعسف الجماعة . إذن فهي تفترض ان الجماعة موجودة  
سلفاً . والواقع ان البورجوازية قبلنا منذ متى عظام برويلستة<sup>1</sup> اسمها  
« المذهب البري الاجتماعي » . لكن هذا إذا تفضل الطبقات الصغيرة :  
فالبورجوازية تشكل في حد ذاتها جماعة قوية الاندماج تستغل تلك الطبقات .  
يقال أننا نولد أحراراً ومتوحدين ؟ واننا نكون المجتمع بارئباطنا تعاقداً ؟  
واننا نهب حريتنا كي نعدا إليها منة ضعف من غير ان تتغلب كل الشغل عمن  
وحديتنا البدئية ؟ فلتنظر الى أنفسنا الأخرى : ألحسن متوحدين ؟ من تتهد

١ - نسبة الى روبنسون كروزو ، توضح الفرد البورجوازي الذي هو أشبه ببقعة تدور في  
مدارها من غير ارتباط بالذات الأخرى . « ص ١٠٠ »

الى الوحدة إن لم يكن ذلك أثناء وجودها بصيغة الفع ؟ أحرار ؟ أجبل :

أحرار في ان فارس بعض النشاطات العينية للفاية التي استمد منها ، بصورة عامة ، من قدرتنا الاقتصادية او من وظائفنا الاجتماعية . حرّ هو الصناعي الذي يستطيع أن يصرّح وقتاً مبرور ربع جهازه حرّ هو الجفرا ل الذي يستطيع ان يقرر شن هجوم ميت . وحرّ هو الحاكم الذي يستطيع ان يفتار الرأفة أو التسوء . ان الحرية البيورجوازية الحقيقية ، الحرية الإيجابية ، هي قدرة الإنسان على الانسان . والجمع بيت في أمرها قبل ولافتنا : إنه يحدد مسبقاً طاقاتها والزماتها ، وباختصار يحدد مكانها ووضعها . وبذلك يربطها بالآخرين : فأنه حركتها وأبسط سمات طبيعتها في الواقع أفعال تركيبية تخلف في ظروف خاصة وحيدة الطبقة البيورجوازية . وكل منسلك من مسالكنا يظهر اهتمامنا الى هذه القضية او تلك من الفصائل العائلية أو المهنية ، ويساهم في اندماجنا فيها أكثر فأكثر<sup>١١</sup> .

الإمّ تؤمّي بعد هذه تلك الحقوق السالبة التلبية التي تزعم الديموقراطية البيورجوازية انها تحيطها بأكبر رعاية ؟ إذا كانت لا تقينا تقريباً ، فهي لا تهدد بأن تغرق . إنها مثل فقط كفاءة قدراتنا العينية . فهي تقع بين كل واحد منا وبين الجماعة مسافة طفيفة ، ولتحول بيننا وبين ان نموت اشتقاقاً . لكن واضح ان الواقع البيورجوازي يسقط خارجاً عنها . فصناعيتنا لا يفكر بأن يحدد نفسه بالحقوق التي يتقاسمها مع الجميع ، إننا يريد ان يحدد نفسه بالقوة التي لا يارسيها

---

١١ - نقول ان هذا الصناعي مستبد . لكن ما الاستبداد ؟ أمرحة من حسن الطباع ؟ كلا . أو ليس مبالغة على الأقل . انه أولاً حتى عيني : فالصناعي يملك معداً ، وينتقل منسبة عامل . ويستطيع أيام هذه العمل ان يطلب منهم بعض المسالك . وعازمة هذا الحق عمل ، انه يصرّح ، ويستمر ، المنتج . والعمل لشكره يصبح كرامة . « انه الرجل الذي نتجابه ، لقبته حديدية » . وأخيراً يتوحد هذا كله في قسم نفسه نفسه : « ماكون رأياً » . وبعبارة كده أيضاً يعني ان يقيني حساباه الحساس . وان وجد بالفعل علاقة الرأسمال والعمل المبردة ، أي استقلال الانسان من قبل الانسان . ان استبداده لا يقع في نفس من فصوص عناقته . إننا هو في الخارج ، في الأنياد ، وكل ما هنالك انه يتكفي باستبداده .

أحد غيره . ان Habeas Corpus ؟ انه لا يباي به تقريباً : فما من أحد يخطر  
باعتقاله ، وحرثه الخفية نظر البحر : انها الآلة التي اشترطها من الولايات  
المتحدة الأمريكية . السياسية ؟ انه يستطيع أن يسلي نفسه بالتصويت  
للراديكاليين ، ثم يجرم الى « الحركة الجمهورية الشعبية » ، ثم يرجع إليهم :  
إنه لن يشوه مائة شخصه . وشخصه إذا هو مصنعه « أسون » « مشاريعه . إن  
الرباط السياسي في مجتمعاتنا - في الأيام العادية - أوهي الروابط وأكثرها  
مشاكسة : فهو يتقطع عند أبسط هزة . وليس ما يدعش إذا انتقدت الأحزاب  
بحرية : فالانتقاد تراجع ، وقوف خارج الجماعة او النظام ، والنظر إليها  
كأشياء . والحال إننا حتى لو كنا أعضاء في تشكيلة سياسية فإننا لا نصور في  
داخلها أبداً . لكن رب مملككم « مديركم » رئيس مكتبكم « فصل اتفقدوه قط  
مواجهة وجهاراً ؟ ولا غرو فأنتم تشكلون جزءاً من التسرع ، ومتدهون به :  
إذا طردتم منه « تقدمتم وسائل عيشكم وسلطتكم وهدف حياتكم في آن واحد .  
ولا بأس إن غير الإنسان عن رأيه في السياسة بحرية لأنها تبدو وكأنها ترجع الى  
نشاط شكلي خالص . والحكومة السبعالية تشبه « مطعماً » مبدأ الهوية :  
انها تسمح لكل فرد بان يكون ما هو كلن « وبأن يملك ما هو مالكه . لكن  
عندما تكون المسألة مسألة شغل ، مسألة عارمة ، واغتصاص مسألة نشاط  
ركيبي فلهذه جماعة متدججة ، فالسلام على حرية التفكير . والحال ان السياسة  
البورجوازية هي أيضاً عمل ركيبي ، عمل طبقي . وفي أوقات الأزمة ، حين  
تكون البورجوازية مهددة من قبل الشعب ، تسرع هذه السياسة عن وجهها  
الطبيقي : قد « تزلات » « التواب لم يكن لها من هدف غير نسبية الجمهور  
وانقسامهم المزعومة إننا كانت تخفي وراءها حزياً أوحده « حزياً طبقياً ، لا  
يقبل استبداداً وضراعة عن الحزب الشيوعي « أجهزة هي البوليس والادارة  
والجيش ، ووظيفته سحق مقاومة الفراء . وفي مثل هذه الحالات لا يفر  
البورجوازي فرار حتى يلقى الى البالوعة بحرية لتفكيره . إذما حاجته إليها ؟  
انها ساعة لسيان الانقسامات ، ومصير الهلاك إذا لم يفتصر كسائر الناس .



الانتقاد ؟ انه ليس مبنياً الى هذا الحد : فالنقد يحدد بثبات وحدة الصف ، ويأجرح عمل الحكومي . وهكذا يتخلل عين حقوقه الفريق من التفتين يضمنون له بالتقابل سلطانه الحقيقية وأملاكه .

لكن السياسة لا يمكن ان تكون « بالنسبة الى العامل » نشاطاً متزافاً : انها دفاعه الوحيد والوسيلة الوحيدة التي يملكها للتندماج بمجتمع ما ، ان البورجوازي مندفع أولاً ، وحزبه ليست إلا نوعاً من الطرافة والدلال . اما العامل فوحيد أولاً ، والسياسة هي حاجته . الأول إنسان يدعم حزباً ليأمن حقه كموطن ، والثاني « إنسان مون » يدخل الى حزب ليصبح إنساناً . الأول يرى بالفتح واقع السياسة ، أي صراع الطبقات ، والثاني يتفعل أولاً بصراع الطبقات ، ويعتاق منه كموضوع له ، ويخامر الشعور أحياناً بأن في مقدوره ان يأمرس العمل بدوره . بالنسبة الى البورجوازي ، كل شيء موجود خارج السياسة . اما بالنسبة الى العامل ، فلا وجود لشيء خارجها ، لا شيء سوى تلك « الكتابة العالمة » التي يقول ناقيل ان العمل هو السبيل الوحيد للخروج منها . الكتابة ، أي الوحدة . لكن لا نستطيع ان هذه الوحدة طبيعية : وحتى يقتنا البورجوازيون بذلك اشكروا ومذهبهم الفري الاجتماعي . « لكن يكفي » حتى تفهم معنى كل هذه الفلسفة ، ان نرجع الى الاسباب الموجبة لقانون لوشاويليه عين « مصالح العمال المشتركة المزعومة » . كلا : إن وحدة العامل لا تأتي من الطبيعة . انها هي نتيجة إنتاج . إن العمل والتعب والبؤس ورعاية البورجوازية الصالحة قد خلقت العمال ، اذا جرؤت على القول ، « حالة طبيعية » اصطلاحية . وهي ما يسمى بالكتابة . وما انفصل فيما بعد طرائق التحويل الى كتلة . والمهم هنا هو ان هذه الطرائق تهدف جميعاً الى فرض الوحدة - لا الاستثناء الكامل للعلاقات الاجتماعية بل نحوها الى علاقات ميكانيكية . والحقوق الديمقراطية ، في هذه العملية ، هو اساسي : فلقد رأينا انها لا تثل إلا فوائد ومزايا بالنسبة الى بورجوازية مندجة ، اما بالنسبة الى التوحدين « المضطهدين باستمرار بقوى الانحلال » ، فطرائق الشكلية الغلال وقبود . انظروا الى العقد الحمر ، وهو قطعة اساسية في

هذه الميكانيكا : لكم هو موفق في الجمع بين تهديد الموت وحرية العمل أو العامل  
 إنسان يرفع بحرية تحت طائلة الموت . وفي هذه المثلية من الضرورة والاستقلال ،  
 تمتع لضرورة العامل الأجير من المجادة في أجره ، وتجعله الحرية مسؤولاً عن  
 الأجر المفروض عليه . فبأي حق يشكو : كان في وسعه ان يرفض . والمقد  
 الحر ، بصورة عامة ، يرغب العامل على ان يلبس لحسابه الصغير الذي يُصنع له .  
 ان يرتضي مصيره ويسلم به : أهو رب العمل الذي سعى إليه ؟ أم يسع بنفسه  
 الى التعاقد ؟ أم يقبل بتمام اضافية ، ألا يحاول ان يحسن مرفوق انتاجه ؟ ألا  
 يزيد بإرادته من انتطار المرض أو الحوادث المؤسفة ؟ أليس هو الذي أنقص  
 مطالبه ، بصورة بخرمة ، حتى يسرق مكان جاره ؟ وبعد هذا ، من يجرؤ على  
 الكلام عن التضامن : انا هو قانون القاب . صراع طبقات ؟ بالرة : انا صراع  
 من أجل الحياة . وزيادة الكلام انه هو الذي فعل كل شيء ، هو المثلث المسؤول  
 عن كل شيء ، هو الذي يطالب باليؤس والوحدة والعمل التسري . قبل التعاقد  
 كان ضحية ليس إلا ، وبعد التوقيع اصبح متواطئاً . وبعثاً بالأصل يقيد نفسه  
 بالأغلال : فما من أحد مدين له بشيء . وبعد ان ينتجز العمل ويتم الدفع ، يعود  
 المتعاقدان حريين كما كانا . كلنا يجهلان بعضها بعضاً بالأسس ، ولن يعرف احدهما  
 الآخر في القيد . ويتكفي أن يسجل الخفاض في وول سكرت<sup>1</sup> أو تحدث هزة  
 صغيرة حتى يسرح الجهاز . إن العقد الحر يحول العامل الى جزئية قابلة دوماً  
 للفصل . وحين خطر البرلمان الانكليزي ، في أواسط القرن التاسع عشر ، ان  
 يذبح على أول القوانين العاقلة ، تعالت في كل مكان صيحة واحدة : احسوا  
 النساء والأطفال ، اذا كنتم تصرّون على فلسك ، لكن ليس الرجال ! فهم  
 والشون ، عاقلون ، احرار ، في وسعهم ان يحسوا أنفسهم بفردهم . صلاه هي  
 الكلمة المهمة : بفردهم . ان حرية العامل هي وحدته . وما من أحد يستطيع  
 ان يتدخل لصالحه من غير ان يعارّف بأسواقه ، والحكومة مستكفل حرية  
 العمل بصورة أحسن كلما عملت على حماية العمال من كل حاية ، ولو كانت حاية

١ - شارع المال في نيويورك . - ع.م.ع.

تدابيرها الخاصة .

وسألي حق الانتخاب لينتهي المسألة : ان العامل لا يحدد في عمليات الجمع الكميائية تلك التي تسمى بالانتخابات اي أثر من التضامن الذي يشده . انما المطلوب منه ان يصرح ، على حدة ، على برنامج ليس هو واضعه ، اطلع عليه في العزلة ، والغلبة الفاهي لعدد الأكبر من العزلات ، تحت اسم الغالبية . لكن الفكرة الفائرة لا توجد البتة : انها متشابهة في كل فرد ولدى الجميع . وتشابه الرأي لا يقرب بين الناس . فهل سياتركهم يقتنعونه بأن السياسة كلها تتردد ان هذه اللعبة الجماعية ؟ إن البيروقراطية ، بحجة فتح سبيل الثقافة اليه ، ستمدحه بالمذهب الفردي ، ومع حرية الفكر والتعبير ستجرعه مذهب الاحتمال والتسامح والريبية والموضوعية : ان جميع الآراء أهل الاحترام ، وكلها تقاتل في القيمة . فلم يختار هذا بدلاً من ذلك ؟ وهكذا يجري تضييعه . والحريات الديمقراطية تضلني سنة شرعية على عملية التحويل الى كتلة وتعطي العامل حالة كتلوية حقوقية . وهكذا يصبح الانعزال الواقعي عزلة بالحق<sup>(١)</sup>

حرية النقد والشك والانتخاب والموت جوعاً : ألتصدفون ان هذا ما يشده ؟ لو كان هذا صحيحاً ، لكان مجنوناً حقاً ؟ ان يفرض في العزلة في الوقت الذي لا يريد فيه شيئاً غير الاندماج ؟ ان ينفصل عن الرفاق ، ويترامع ليتند العالم في الوقت الذي لا يريد فيه سوى ان يتحد معهم في جو من الثقة ؟ وما حاجته الى الريبية التي تشوش الأفكار وتبيد دالات العالم في الوقت الذي يشكو فيه على وجه التحليل من عبث الواقع اليومي وفي الوقت الذي يتمنى فيه بجرارة ان يكون للحياة والموت معنى ما ؟ ان للشك واللايقين هما ، على ما يبدو ، صفتان فكريتان ، لكن عليه ان يناضل ليغير شرطه ، وهاتان الوهتان

١ - قياً بعد ، ويبدو ان يتدمج بالطبيعة . سيطلب بنفس هذه الحريات ليؤدي عمل الطبقي . لكن هذا بالضبط في الوقت الذي سترديه فيه البيروقراطية ان تقنيا . وانما كان يتطلب حساً ، بالأصل . فلما غاب الشاغل ان فيه ، لحساب عضو الحزب العالي ، لا لحساب الانسان العزول الذي كتبه .

العقلتان لا يمكن إلا أن تشالا العمل : أسأله ان يطرح على مساط البحث من جديد القضية التي يقدسها ، أو أن يوثق من أجلها ، لكن لا تسأله كلا الشئين في آن واحد معاً . ان عماله بعض الاهمية يتطلب قيادة موحدة . وهو بالضبط بحاجة الى الايمان بأن هناك حقيقة . لكن لما كان لا يستطيع ان يفردها بفرده ، فلا بد أن يكون في وسعه الوثوق بما فيه الكفاية من العمق بقدرة الطبقيين حتى يرضى بتلقيها منهم . وخلاصة القول انه يستطيع ، عند اول مناسبة ، هذه الحريات التي تخلفه : وليس ذلك لأنه لا يريد قوة الطبقة العامة واستقلالها ، لكنه يطمع هذه القوة وهذا الاستقلال في الجماعة . انه لا يفكر بممارستها إلا بصفته بروليتزياً .

لكن ماذا يستطيع ؟ لا شيء : لا يستطيع حتى ان يتصور تلك الجماعة الكفاحية التي يفترض انه سيأخذ مكانه فيها . ان يمكنه ان يهد ، هو المسوق من قبل القوى البرجوازية ، المرفق بشعوره ، بجزء ، المنفى ، بسيرة تلك العفوية التي كنتم تسمونها اليه لنؤكد ؟ ان العمل يستطيع ان يأخذه ، ان يقبله رأساً على عقب ، أن يغير حاله ، لكن من ان سيولد العمل ؟ ان السألة ليست بالنسبة اليه مسألة انتقال تدريجي من القليل الى الكثير ، فالمره لا يصبح لورياً إلا عن طريق ثورة باطنية ، وهو لن يصبح انساناً آخر إلا عن طريق نوع من انقلاب . وهذا الظهور المفاجيء لعالم آخر ولأنا أخرى ، ذات التاريخ ، لا يمكن ان يشعر به طالما انه مسوق على مسطرقه : كيف يمكن التسلية ان تتحول الايجابية ؟ ليس من الصعب ان يكون المرء بورجوازياً ، يكفي أن يضمن اختيار رحم الأم حتى يوصله هذا الى أميته . وليس اصعب بالمقابل من ان يكون بروليتزياً ، لأنه لا يؤكد نفسه إلا بعمل جاحد واثق ، متجاوزاً التعب والجوع ، مزهقاً حياته ليولد من جديد . وحتى يكون العمل ممكناً في كل لحظة ، فلا بد ان توجد الممارسة في اعماق الجماهير بالذات كئداء ، كنوع من التصور لما يمكن ان يكون . وباختصار ، لا بد من تنظيم يكون تجسداً خالصاً للممارسة . ستولون : حسناً ، لم لا يكون هذا التنظيم التفاضلي ؟ سوف أتبين السبب في القسم الثالث من هذه الدراسة . لكن المهم الآن ان المنظمة التي ترمم الخطط

وتتخذ ولجميع وتوزع المهام - سواء أكانت نقابية أم لم تكن ، وسواء أكانت نقابية  
قوية أم حزبية أم الاثنين معاً - لا تستطيع ان تعقل نفسها ، بفعل ضرورة  
الموقف بالذات ، إلا كسلطة . انها بعيدة عن ان تكون النتائج المرغوبة للمقويصة  
العملية ، بل هي تفرض نفسها على كل فرد كآمر . انها بمثابة قطع يفرض النظام  
ويصدر الأوامر . اما الكرم ، والحماسة فيأثيان فيما بعد ، هذا إن أتيا ؛ لكن  
الحزب يمثل أولاً بالنسبة الى كل فرد الاخلاق الأكثر زمناً : لأنه وسيلة للمرء الى  
حياة جديدة بعد ان يتجرد من شخصيته الزائفة . واذا كان متعباً ، أمر بأن  
يتعب أكثر ايضاً . واذا كان عاجزاً ، أمر بأن يلقي بنفسه مطأطئاً  
الرأس على سور صخري . وطالمسا انه في الخارج ، قارب الممارسة ، اي  
المدخل الى الطبقة ، تتعطل له تحت شكل واجب . لكن اذا كان لا يسد من  
تجبر وجود جهاز أمر وكثير الطالب دوماً ، فانهي سأرجع الى ضرورته  
أكثر مني إلى أصله ومنشأه : فهو انه كان عفويًا ما كان له هذا القدر من السلطة  
والهيبة ثم من ثبت لنا ان غير الاندفاعات هي أوائلها ؟ وبالغالب فإن الحزب ،  
مهما يكن منشؤه ، يستمد شرعيته من كونه يلي أولاً حاجة . فيدونه لا وحدة  
ولا عمل ولا طبقة . بينما ، إن الغالبية التكبرى من العمال لا تدخل اليه : هل  
النضال يمكن بعد عشر ساعات من العمل في المصنع ؟ لكنهم يولدون الطبقة  
عندما يطعمون جميعهم أوامر القادة . ومقابل الانضباط الذي يتقيدون به ،  
يحقق لهم ألا قبلهم بعد اليوم ، الثروات ، - المعادن نقابيان ، حزبان عماليان  
أو ثلاثة ؛ وكل منها يضعف الآخر . وحين لا يكون العامل منتسباً إلى أي منها ،  
فكيف يحزم أمره ؟ وبالتالي يبقى في الخارج . زعمون ان الجماهير لا تتطلب  
الحزب الأوحده ؟ معكم حق : فالجماهير لا تتطلب شيئاً البتة لأنها ليست سوى  
تشتت . اما الحزب هو الذي يتطلب من الجماهير ان تتجمع في طبقة تحت قيادته .  
وشعار ، الحزب الأوحده ، لم يطلقه الحزب الشيوعي الفرنسي ولا حتى لينين .  
بل طرح من قبل بلانكيين - خارج نطاق الماركسية بالذات - من امثال فايان .  
وكان المؤتمر القومي الأول للحركات الاشتراكية قد حدد لنفسه هدفاً ، عمام

١٩٩٩ ، هو تحقيق « التنظح السياسي والاقتصادي للبروليتاريا في حزب طبقي  
للإسبلاء على السلطة » .

وإذا لم تكن الطبقة لا مجموع المتكلمين ولا الاندفاع البرغسوفي الذي  
يجرهم ، فمن أين يريدون أن تنبع إن لم يكن من العمل الذي يارسه البشر على  
انفسهم ؟ ان وحدة البروليتاريا الما هي صلتها يباثر طبقات المجتمع ، وبمصلحة  
واحدة لصلها . لكن هذا النضال لا معنى له ، بالتقابل ، إلا بالوحدة . فبمثل  
عامل يدافع عن نفسه ، من خلال الطبقة ، ضد المجتمع كله الذي يسحقه ،  
وبالتقابل تظهر الطبقة الى الوجود عن طريق هذا النضال . ان وحدة الطبقة  
العامية اذن هي صلتها التاريخية والمتحركة بالمجاهدة من حيث أن هذه الصلة  
تتحقق بفعل توحيد تركيبي بتعريف بالضرورة عن الكتلة تميز العمل الصريف عن  
الغوى . وعندما لا تكون المسألة سوى مسألة لتحويل التعارض والمزاوجة الى  
جداعة من المصالح المشتركة فإن هذا يتطلب ، اللهم الا اذا افترضنا ان التعممة  
متحل على جميع الشفبة معاً ، وجود مبدأ رابط ياروس عمله في عدة تقاطع في  
آن واحد ويضمن الفرد صدق المجموع . وهذا لا يعني بالطبع ان المتقابل لا  
يخرج من الكتلة : لكنه اذا ما خرج منها تميز عنها . وهذا من حيث ان امتسان  
الكتلة ما يزال مثلاً بمصالحه الخاصة ، ولا يسد من فمها عنها ، ولا يد لجهاز  
الربط من ان يكون عملاً صرفاً . ولو احتفظ هذا الجهاز بأبسط بتطور الانقسام ،  
ولو ظل مشتتاً على شيء من السلبية - لتساقل ، مصالح ، آراء متباينة - فمن  
سيوجد آتت هذا الجهاز الواحد ؟ والمثل الأعلى هو ان يكون هذا الجهاز علاقة  
خالصة ، رابطة تلبس ايها المجتمع عاملان معاً <sup>(١)</sup> . وبكلمة واحدة ، ان  
الحزب هو الحركة التي توحد العمال إذ تجرهم الى استلام السلطة . فكيف يريدون  
اذن ان تتبرأ الطبقة العامة من الحزب الشيوعي ؟ صحيح انه ليس شيئاً خارجياً

١ - القول المثل الاعلى . والواقع ان هناك بدور انقسام في الحزب كما في كل مكان والأصل ،  
ولمن يعرف النضال الشاق الذي يقتره باستمرار ضد العمل « الاقتصادي » ، وسوف يرجع فيها  
بعد الى كل هذا التحليل .

عنها ، لكنه إذا ما اغتنى تساقطت هباء .

هل ينبغي ان نفهم ان العامل سلمي ؟ الأمر بالمعكس قاعاً . انه يتحول إلى عمل عندما يدخل في الطبقة ولا يستطيع ان يؤكد حرته إلا في العمل . لكن هذه الحرية قدرة عقلية وإيجابية : القدرة على الابتكار ، على الأفعال التي ما هو أبعد ، على المبادرة ، على اقتراح حلول . وهذه الحرية لا يستطيع ان يفهم إلا بتجاوزها الموقف باتجاه حركة المجموع . أما حرية الفرد ، على العكس ، فإنها لا تجعل قائد الحلية او السدود الثنائي وحدهما يقطبان الموجب : فكل واحد يخاف منها لدى الآخرين ، وهي تذكر بالحرية السابقة والشقاق . وتفهم على كل حال ان الانتقادات ، حين يكون مسموحاً بها ، لا تصدر عن عقوبة او « حرمة » تورية : فالعامل ، الذي حوالة التنظيم الى ذات ، يجد واقعه العملي بدءاً من تحوله . ومما فكر او فعل ، فإنما يفعل ذلك بدءاً من انقلابه . وهذا الانقلاب يحدث بدوره في الأطارات الحالية لسياسة الحزب . ان حرته ، التي هي عرض قدرته على تجاوز المعطى - وبعبارة أخرى ، قدرته على المعسل - تجعله إذن في قلب ذلك الواقع المعطى الذي هو التنظيم . فهو يكون أفكاره يصعد المشاكل التي يطرحها الحزب عليه وانطلاقاً من المبادئ التي يعطيه إياها الحزب . وغالباً القول انه لا يمكن على الحزب باسم سياسة يقال إن مبادئها منقوشة في لا شعوره ، واتجاهه عن رد فعله العقوي او عن تساقط المجتمع اليورجوازي : ان حرته ، هو الذي عزيمه الحزب وكونه ورفعه فوق ذاته ، ليست إلا قدرته على ان يتجاوز الأفعال ، داخل التنظيم بالذات واتجاه الهدف المشترك ، كل موقف خاص . ولتكن الحزب ، بكلفة واحدة ، حرته . ان العامل لا يستطيع ، في فرنسا اليوم ، أن يعبر عن نفسه ويحقق ذلك إلا في عمل طبقي موجسه من الحزب الشيوعي . والمحالات العقلية للحزب الشيوعي وايدولوجيته ومبادئه هي التي تكونته . ولو أراد ان يقلبها ضد السياسة الشيوعية ، لو احس من تلقاء نفسها تبررها . وإذا انفرد شطراً فادعياً او قمعاً على حرية قاسية ، فإنه لا يملك من أدوات لفهم معناها ولا احساسات يشككون به .

وكل ما هنالك انه يخفي الزمام ، ويتحطم مجوده ، ويعاود السقوط في حقل  
الجدائية البورجوازية . وبذلك تنفت الطبقة . لكن عندما يسقط ، فهذه لا  
يسقط إلا ليجد من جديد ، تحت تأثير القوى المدوة ، بأسه وجهته وشعوره  
بالمعجز . اما الحزب فيكون قد تكون بعيداً عنه ، وبات عصي التال ، كآمر  
لا يهاكم ، كما يشعر المرء بمساعدة انه القسي من العزم ولا انساني ، بالمعنى الذي  
يمكن به ان يقال عن اخلاق ، كانت ، انها لا انسانية . وهذا يعدل القول بأن  
كل عمل طبقي قد أصبح مستعبداً .

يقول عضو الشيوعية : « باختصار ، قلنا إن الطبقة العامة تبرأت من الحزب .  
اما انت فتقول انه أسلم العمال إلى اليأس . وليس عندما مزاج متابعة هذه  
الناقشات البيزنطية ونحن نصرح انك ستلت لنا بكل ما كنا نطلبه . »

انتي لا أسلم بشيء . إنما لاحظ ، كسائر الناس ، فتور همه الجماهير ، لكنني  
لست أدري بعد ان كانت سياسة الحزب الشيوعي هي المسؤولة عن ذلك . ثم  
انتي أرى بين تعليقتنا هوة . واذا كنتم لم تجدوا بينها سوى اختلاف لفظي ،  
فهذا لأنكم تسخرون من الطبقة العامة . فلو ان بروليتاريا طبقة معادية كالعين ،  
لحده طرية ، تبرأت من الحزب الشيوعي وشكلت على الفور حزياً جديداً ( المتم  
تعلون ، فانا أقصد ذلك الحزب الشيوعي المشهور الفرنسي حقاً الذي سيتبرهن  
الحزب الشيوعي الفرنسي باستقلاله والذي سيعلمن عن طابعه القومي بعينه الانمية  
الطليقية ) ، ولو ان مثل هذه البروليتاريا كانت موجودة ، فلا بد من أن تؤخذ  
ارادتها بعين الاعتبار : هل هناك أحد غيرها في مثل هذه الحال يستطيع ان  
يقرب ؟ ولو أن البروليتاريا عادت الى الدرجة الطبيعية من الزعة الثورية ، وإن  
ظلت تقسلي وعن استعداد دائم لإعادة تكوين نفسها ولاستئناف النضال ،  
فستطيعون ، بحصر الأمر ، أن تأملوا في بيدها مضاعفكم الرديئة ، بل ان تقدموا  
لها ، من يدري ، حزياً بديلاً . لكنكم تعلمون حتى العلم ان البروليتاريا تهازل ،  
انها تقيس مدى عجزها ، وانها تجازف بأن تلم رجائها الملايين بدون حماية الى  
مطارق البورجوازية . وتعرفون ان كل شيء سيستخدم في الشهور القادمة لزيادة



العزلة والاستسلام والمسافات بين البشر لتحويل البروليتاريا الى ارخبيل، وعندما يحضرون العمال قد وصلوا الى الدرك الاسفل من المرارة والاشمئزاز، قبل ان يتقدموا حقاً انه سيملككم ان لجمعهم بأخضون بشعواتكم ؟ لقد قلت لكم : اذا زالت لغتهم بالحزب الشيوعي ، فسيأتهم سيرابون في كل سياسة وسيرابون في طبقتهم ، وسيصبح العالم كله بروجولزياً . واذا كنتم تأمنون في اننا يصعدوا المنحدر من جديد ، فاعلموا ان الحزب الشيوعي هو وحده الذي يستطيع ان يساعدكم على ذلك . واذا ما استعاضوا بالعامه ، فإننا لنتجمعوا حول الحزب الشيوعي . واذا ما استرجعوا كفايتهم ، فإننا ليطيعوا أوامره . وهأنذا اصبح من الآن محكم : ه أنت مجنون ؟ أنتنى يساراً مستقلاً ومرتبلاً بالحزب ؟ أتريد انن ان يسارجع تفوقه على الجماهير ؟ ومع الأمور على ما هي عليه ، ومع التفسخ يتابع عمله : وذات يوم سينتجهر الحزب ويتظاهر . ان الأمور لم تصل الى هذا الحد الحسن الخط ، لكن حتى عندما مستهزور وتخط الى الدرك الاسفل وتكونون انتم الحضم الصلب للحزب ، فإنسى لا أستطيع أن أمنع نفسي من احتقار اولئك الذين ينتظرون التفسخ الشيوعي من بأس العامل . يقال لي إن العامل سيهلك نفسه ، والتي أسهل قدرة البروليتاريا القوية على الانتفاض . إن وجهها ، واج الحق ، سيكون سيكولوجياً ، فهي قد عرفت بسياستها التنوير المتبوع ببقطات مباغثة . انظر بالأحرى الى ١٨٤٨ ، ١٨٧٠ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ . انسى انظر : لكني لا اكتشف في هذه المعارك افعال عطف ناجمة عن مزاج النيجاري بقدر ما اكتشف تأثير عوامل محددة . وفي « السبات » الذي تلاها ارى تأثير القرينة والارهاب . فالقوة العمالية قد أريدت في كل مرة ، واقتضى الأمر منها سنوات طويلة حتى تعيد لتكون نفسها . ولو صدقناكم لما كان علينا ان نقلق للربياً . فلي مسدى عشرين عاماً ، في مدى الحين عاماً ، سنشهد من جديد ظهور بروتيتاريا جميلة طرية العود . وما علينا إلا ان نصبر : فالحيياة بعد كل شيء ليست سينة للنهاية ونزعة عداة الشيوعية نزعة واجبة .

على رسلكم . سننتظر انن . عشرين عاماً ، اذا شئتم . المهم الا اذا اندلعت

الحرب العالمية الثالثة في مدى ستة أشهر . وإذا ما وقع هذا فإننا نجازف بالآ  
نرى أحداثاً عند الموعد : لا اتم ولا انا : ولا البروليتاريا الناجية : ولا فرنسا .

### ٣ - الأسباب

لقد بينت ان فتور حمة العمال لا يمكن ان يعتبر اوانسة ولو ضمنية لسياسة  
الشيوعية . يبقى ان نعرف السبب . وهذا هو الهدف الذي أخذته على عاتقي  
اليوم<sup>(١)</sup> .

من الممكن ان نعالج المسألة بطريقتين نتمسك ان كلناهما على السفسطة نفسها .  
فعدو الشيوعية « اليساري » لا يريد حتى ان يسمع لي كلام عن تعيب العمال  
ومأمهم : فهو يظهر لنا بروليتاريا فولاذية حارقة حتى رأسها في الجيفة  
البورجوازية . اما عدو الشيوعية « اليميني » فيرىنا البورجوازية تحت إهتاب  
مادة غنية تحمل بين ذراعها بروليتاريا هتفزة . والقصد « في كلنا الحالين »  
التفاضي عما يمكن ان يشبه عملية شرط متبادل « أي باختصار نفي الصراع  
الطبيعي .

ان عدو الشيوعية « اليساري » يتردد على البورجوازيين الفرنسيين . وهو  
يقر عن طواعية بأن سماتهم القومية قد اتجنها الظروف . اما البروليتاريا  
الفرنسية بالمقابل « فإنه ينفي بكل بساطة وجودها : اما الموجود فقط بروليتاريا

---

١ - هل يقال ان فتور الحمة هذا عارض؟ التي في استبعاد الملاحظة عن ذلك عن طواعية.  
لما اذا اذم ان تصيخوا ان الثورات آت ١٩٥٦ ، تشير نقطة الطبيعة المادية « فادارحكم بانتي  
ست وانما بذلك مشكك . ان الثورات الموعود لك تسفرني الانباء بإسعادها . وما اضفر عليها  
حمة بلغة هو انها كانت متماثلة للثوارب الفرنسيين في صعيد القاعدة . لكنها لم تكن الصناعات الكبيرة  
الحاسنة . أمر تعريباً . ثم ان قادة « الاتحاد الفرنسي العمال المسيحيين » و « القوة العاملة » قد  
لموعها واسطرها حتى لا يرفعوا عن تخليق وحدة العمل مع الاتحاد العام للشغل . التي امالككم  
صيراً وألا تنهملوا بالتفوق والتوقف عند استنتاجات سلبية . فلما لا انوي ان اسرد محض عجز  
بل الطلوع الى ان ثبت ان الجبهة الشعبية هي وسعدنا القادرة على إعادة الحركة العمالية الى سابق  
قوتها .

في ذاتها تفلن عن نفسها في جميع الأسمالية في آتت واحد . كيف يمكن مثل هذه البروليتاريا ان تشب ؟ وأي علاقة تزيد ان تكون لها ، هي النتائج التصوري للأسمالية في ذاتها ، مع بروجوليتنا التي هي مع الأسف البالسج تجريبية ؟ لقد تكونت البورجوازية رويداً رويداً تحت تأثير عوامل عارضة وبالكافي قابلية للأعمال ( ومنها على سبيل المثال ثورة ١٧٨٩ ) . أما تاريخ البروليتاريا المتحددة بتناقضات الأسمالية لا غير ، فيمكنني بمكس التحولات المتتابعة التي تطرأ على الصناعة الكبيرة . إن بروجوليتنا نذعر وبطيش صوابها ثم تسترد شجاعتها ، تحطمه ثم تصحح أخطاها ، تستر أعمالها بصورة حسنة او رديئة . أما البروليتاريا فلا تريح المعركة أبداً ولا تخسرهما ، لا تقترف أخطاء أبداً ولا تكشف أبداً حقيقة خاصة . انها في حالة نضج دائم ، عديم التقلية ، هي التي لا تقارم ، لا تقبل الضغط ، لا تقري . انها ألد اعداء الأسمالية - في - ذاتها . أما الضرر الذي يمكن ان تلحقه بالبورجوازية الفرنسية فلا وجود له : انها لن تلتقي بها أبداً .

كان يمكن هذا التصور ان يعنى عن تفسير تاريخي - وربما عن كل تفسير - لو لم يضع أنصاره في رؤوسهم فكرة نضج جرائم الحزب الشيوعي خلاوة على ذلك . فلو الحزب الشيوعي لما عرفت البروليتاريا الفرنسية تاريخياً تجريبية : لحسن الحزب أرقام في الطبقة العامة كما أقامت حبة الرمل في سنانة كرومويل . ما الأمر إذن ؟ أمرض اصاب البروليتاريا - في - ذاتها ؟ سوف يجيبونك بأن البروليتاريا - في - ذاتها خالية من المرض : فهي لا تستطيع لا أن تعرقل ولا تسرع الحركة - في - ذاتها التي تبعث فيها الحياة . كلا : ان مصائبها تأتيها من تحائل تاريخي عرضي لها . فلو ان قلب ستالين كان أصغر حباتاً ، لكان تغير وجه العالم . ولا تسألوا كيف يمكن لشاغل الحزب الشيوعي التجريبيين أن يحطموا بوليب البروليتاريا التصورية : تصدقوا الشيوعية مرغم ، ما دام قصد بدأ بطرد التاريخ ، على إعادة إدخاله في النهاية تحت أشد أشكاله حيناً ، كسلسلة من الصدق ، ليضر التباين الذي يفصل الواقع عن حساباته .

أما أنا فأعتبر أن تطور الرأسمال ، التطور إليه في عمومته ، يفسر المظاهر  
 اشتراك بين الحركات العمالية كافة . لكن هذه الاعتبارات المبدئية لن تقصر  
 أبداً وحدها السبب الخاصة الصراع الطبقي في فرنسا أو في إنكلترا في هذا  
 التاريخ أو ذاك . إن كل واقعة عملية هي ، على طبيعتها ، نتيجتها المنبثقة عن  
 العلاقات العامة . لكن لا يمكن أن تقصر في تفرداتها إلا بأسباب متفرقة :  
 والإنسان يصبح وقتها وجهه إذا أراد أن يستلها من معرفة مطلقة لحسن  
 طارئة أو من مبدأ تطور شخصي . فالحقيقة إن هناك ديكريجات ، وهي كاتبة  
 في الواقع ، وعليها نحن أن نستلها لا أن نضعها بها . لقد تكلمت عن تطور  
 الأمة : فإذا أردتم أن تبرهنوا على أنني مخطئ ، يجب أن تقيموا الدليل  
 بالشهادات على أن العمال قد استغلوا به كفايتهم . وحتى لو أثبتتم ذلك  
 فستظل هذه الشجاعة المحفوظة آفة عامة وستتطلب تفسيراً خاصاً شأنها شأن  
 تطور الأمة . إن البروليتاريا الفرنسية واقسع تاريخي تجتلي تفرد ، في الأنواع  
 الأخيرة ، غير موقف معين : وليس على أن أبحث عن مفتاح هذا الموقف في  
 حركة المجتمعات العامة ، بل في حركة المجتمع الفرنسي ، أي في تاريخ فرنسا .

ويصل أعداء الشيوعية ، اليمينيون ، إلى النتائج نفسها عن طريق محاكمة  
 عقلية معكوسة : فهم يعارضون العمال الذين من لحم وعظم بفرنسا الحائلة ، أنهم  
 تعرفوا ، تلك التي اشتهرت بانفاساتها الرائحة الجمال ، تلك التي يتفخها دوماً  
 في اللحظة الأخيرة رجل أرسلته النيابة الإلهية . فرنسا الفاتنة ، الجيدة ،  
 الرشيدة ، الفشيطة دوماً ، السامية دوماً ، الشبيهة بالاندلون<sup>1</sup> . ففرسان  
 الضائقة<sup>2</sup> والنجار والبير ومرايطون والريفيون وجميع الناس يفنون ، وجميعهم  
 يشاركون في الضياع . ثقل واحد ميت : البروليتاريا . وتلفت فرنسا قلقة :  
 من ذا الذي يمنع عمالي من السير ورائي ؟ . ومن تريدون أن يكون ألبم إلا

١ - ألقية شمية كان يشتدوا الجارة فقرسيون في الحرب العالمية الأولى . « حرد »

٢ - قرمان الضائقة كتابية ، في الفرنسية ، عن الألمان والمختلن . ورائع لفضل سارور من

الحزب الشيوعي ؟ فطالما أنه بعد عدة هزات ، فلا تدعشوا إن كان قد شرع في تبييد العامل الفرنسي . وبقيت ، إن هذا العامل لم يقع ضحية الخداع نهائياً : فهو بين القينة والغبنة يستره حس آهانه السلع ويفهم أن مصالحه متضامنة مع مصالح أرباب العمل . والحقيقة أنه ما كان ليطلب سوى أن يعمل ليأخذ حصته العادلة من الدخل القومي . لكن الشيوعيين شوشوا أفكاره : وإذا كانوا يخفون في إقارته على سامته الصالحين ، إلا أنهم أقوياء بما فيه الكفاية ليحولوا بينه وبين الانضمام إليهم . وهكذا يحدد عند نوع من الكزاز<sup>(1)</sup> لتوزعه بين الرتبة التي يرحس بها إليه رب عمله . ألا أي تقدم كنا سنحلقه ، وفي أي نسج كنا سنعيش لولا أن جرئومة الستالينية الراشحة قد سرت أن طبلتنا البروليتارية !

إيتا الجرفان الحبية ، هل تأملون في أن تجمعون تصدق إن فرنسا خالدة ؟ هل تعتقدون أنكم ستكتفون عنا مدة طويلة من الزمن كونها تختصر ؟ إن الداء الذي يشل البروليتاريا قد بدأ بالسريان إلى المجتمع قاطبة . وانتم ، يا من تهذبون ، هل أنتم أحياء إلى هذا الحد ؟ إن ذنبكم ما يزال يتحرك عندما تذكر أمامكم كلمة « الشيوعية » ، لكن جسمكم رخو وخامد الحركة . وهو يزاد موهناً يوماً بعد يوم . والآخرون ؟ جميع الآخرين ؟ أين آمالنا الكبار ، أين مطامعنا العظام ، أين مشاريعنا الضخام ؟ إن الفلاح يلبس الأرض بيديه ، والصناعي في سبيله إلى الأنتان ، والصارف يتحول إلى صناديق ادخار . إننا نحيا حياة وديئة ، وديئة للغاية : فنصف الفرنسيين لا يتجاوز أجرهم الحسد الأدنى الجبوي ، والشيوية تختنق أو تهاجر زاعمة أنه ليس في فرنسا ما يفعل . والحكومة ؟ هل تحكم ؟ تسمية الشفاق بالأكاذيب ، تزوير القانون الانتخابي ، حبس المعارضين ، منع إبتائهم من دخول المدارس العالية ، أشادة دكتاتورية الضعف الرأبئية ذات الوجوه على الانتقاعات ، بذل الوعود لعمال الدولة والموظفين ثم الخنث بها ، سحق البلاد تحت وطأة نظام ضرائبي متهاون سخيف : أيمن أن يثير هذا كله سياسة داخلية ؟ غطف الزعماء المدافشرين بالطائرة لإفناهم من السماء على أسطحة

قرائم ، احراق القيتاميين والنابالم وتخريب الفينام ، خوزفسة التوسيع على  
 زجاجات ، اطلاق النار على العمال المغاربة : أيمكن ان يعتبر هذا كله سياسة  
 كولونيالية لتبذير المليارات في حرب معروف سلفاً انها خاسرة ، حرب تتابع  
 لعدم توفر الجرأة على وضع حد لها ، وعدواها تسري من وزارة الى وزارة  
 كالمصري ، والتساجرة بالسيادة الفرنسية ، والقبول بسيطرة الولايات المتحدة  
 على نصف العالم والهيمنة الالمانية في أوروبا ، أيمكن ان يعتبر هذا سياسة خارجية ؟  
 أم رجال دولة أولئك الكاثوليكيون الذي تشبه اصحابهم اصحاب النساء والذين  
 يلبس عليهم فسوق الخير ، وينتسحرون تحت طاولات المسآب ، ويحسون  
 انفسهم ريشيليو لأن ايديهم مطلقة بالدم ، واولئك الاشتراكيون الذين يأمررون  
 بإطلاق النار على عمال المناجم المضربين ؟ واولئك الوطنيون الكبار الذين لا  
 يتورعون عن بيع الوطن بقرش واحد ؟ وللك الوفرة من الخدم الجبهة المشتحين  
 المستعدين موماً للحس الاحذية أو للكشف عن مؤخراتهم بشرط ان يقبضوا  
 اثنين ؟ اذا كان هؤلاء الناس ما يزالون في سدة الحكم فهذا لأنه ما من احد في  
 فرنسا البروجوازية يبالي اليوم بالسياسة : تذكروا كيف ان الصحف عام 1952  
 راحت تهلج بالنصر لأنه لم يمحى في الانتظابات سوى خمسة ملايين مستكشف .  
 انكم تتحدثون عن الفرق بين يقاطع العمال مظاهرة : فاما ستقولون عندما  
 يقاطع الناضبون الصناديق ؟ ان الطبقة العاملة هي وحدها التي تملك اليسوم في  
 فرنسا مذهباً ، هي وحدها التي تتسجم ، خصوصيتها ، لسان الانسجام مع  
 مصالح الأمة . وقت حزب كبير يفتلها وهو وحده الذي ادراج في برنامجها مبدأ  
 الحفاظ على المؤسسات الديموقراطية واعادة توطيد السيادة القومية والدفاع عن  
 السلم ، وهو وحده الذي يتم بالالبعات الاقتصادي ويزيادة القدرة الشرائية ،  
 وهو وحده أخيراً الذي يحمي ، الذي تنبض عروقها بالحياة ببطا تنبض عروق  
 الآخرين والديدان : ثم لتسالون عن الهجرة التي تفسح للعمال الى السير وراء  
 معظم شعاراته ؟ اما لما فاطرح السؤال العاكس ، واتساءل عما يتمهم من السير  
 وراءها موماً . ولا مجال للشك في الجواب : اذا كانت تصدر عن البروليتاريا

أمارات الانهالك فهذا لأن عدوى فقر الدم قد انتقلت إليها من الأمة . والتضال ضد الداء الفرنسي - فذلك الداء الذي يصفوه أوتناً كلنا جميعاً - لا يكفئ ان تكف مجالب الطبقة العاملة : انما ينبغي أن نعرف المرض من اسبابه . والا نترك فرنسا الخالدة المشتبكة في صراع مع البروليتاريا - في ذاتها ، وانطلق الى تفسير بعض الأحداث المحددة لتجديداً صارماً في الزمان والمكان ببنية اقتصادية للتفردة المحددة بدورها ببعض أحداث تاريخنا المحلي .

\* \* \*

اننا نعيش عيشة ضنك لأننا ننتج قليلاً وبأسعار مرتفعة . تسألون : الغلظة غلظة من ؟ عن روسيا ، انما غلظة الألماني الذي اعلن علينا حربين مدمرتين ، غلظة الروسي الذي يعرقل من موسكو اعادة البناء غلظة المستعبلين من الولادة الذين يحرموننا من زياتهم القادمين بأياهم الولادة ، غلظة الفلاحين المتأخرين الذين لا يعززون أرمم على الاختفاء ، واخيراً غلظة باطن الأرض الذي ظلت فرنسا إذ خارت اقتسامها . واختصار ، ان جميع الناس مذنبون باستثناء الطبقة الحاكمة .

وهذا بالضبط ما يعجزني : خوثة كثيرون ! ومثل هذا القدر من العمل التي لم تربط فيما بينها ربطاً حسناً انما يسمى القاق صدف . فهل تختصر فرنسا من قبيل الصدفة ؟ انما سنعود إلى العامل الموسكوفي لتدرس حالتها بتعمق وقلق . لكن كيف تصور ان الحرب العالمية تحصلان مسؤولية جموداً ؟ بين ١٩١٣ و ١٩٢٩ ، وبالرغم من اثنين وخمسين شهراً من الاجتياح والتخريب ، ازدهار الانتاج الفرنسي ٣٠٪ . ثم مجد حق يوماً هذا ، أي طوال ربع قرن من الزمن : وفي تلك الفترة نفسها زادت انتاجها بنسبة ٥٠٪<sup>١١</sup> . بذلك لنا اننا نزوج في مكاننا منذ عام ١٩٢٩ : لكن منها تكون الأمداء التي رجعنا ، أفليس من القوي لساطل البحث عن سببها في آفة سابقة بمشرة اعوام على أول نظاهرات

- طروجه التعديد من عام ١٩٢٩ الى ١٩٥٢ .

أعراضها ؟ ان مثل هذا التدهور المتواصل لا بد ان يكون مشلواً واجمماً الى عيب في الحياة .

أهو باطن الأرض اذن ؟ فلتدعه لعطائه وطيوائت الثعالب . نحوها باللائحة على القمم ، نحوها باللائحة على التبول ، نحوها باللائحة على المادون غير الحديدية لأنها لأدت بكلف البلدان الأجنبية راضية بصرها كرواوس اموال ميتلة في حين ان استحقاقنا كانت توجب عليها ان تدفن تحت مواطنه اقدامنا ؛ فلن نكفروا قد تقدم . الطبيعة نحونا ؟ هذا مؤسف . لكنها نحون في الوقت نفسه أوروبا قاطبة ومع ذلك انظروا : بالرغم من الساري في الحياة يعيش البيجيكويوت والويسويوت والسكنديون غيراً منا . امسا الانكليز ، فعند نهاية الحرب الأولى اتاحت لهم فرصة جيدة ليصبحوا : اقتبسوا على الخائن اإذ بيديا كانوا يدبرون ظهورهم هجرهم زبائنهم الجاحدون الناكرون للجميل ، وراحوا يشفرون القمم الأميركي ولقطن الياباني والفولاذ الألماني . ولو فطنت انكليزنا آنذاك ما فعله اليوم ، فطلت قابضة في منزلها لتشهد خرابها الذاتي ولتلقبأ به لكن من غير ان رفع اصعبها لتلافيه . كانت فاع جميع الأعداء : كانت صناعتها القديمة الماجدة تبدو وكأنها هيكل الأمة العظمي ، فهل يمكن للمرء ان يغير عظامه ؟ ومع ذلك حطمتها : فطلما أنت الأسي القديمة لتفوقها الصناعي قد تحريت ، فهي تريد ان تتغير ليس هي هي وان تحافظ على توازنها بطلبها انتاجها رأساً على عقب . وهكذا رأيناها تبدل في مئتي عشرين عاماً تشرحبها وفيزولوجيتها ، وتقلب التيارات الديموغرافية ، وتعيد تصنيف وتوزيع يدنها العاملة ، وتغير آبار مناجمها لتصنع المنتجات العالية الاختصاص . فهل تختلف معضلتنا عنها اختلافاً كبيراً ؟ كان علينا ، نحن أيضاً ، ان نلف حول صعوبة ما كان في مقدورنا ان نواجهها من الأمام ، وان نزيد انتاجنا عن طريق تفويض اقتصادنا . لكن لة دعابة ملهمة لتفعلنا بأن نكوننا غير قابل لتبديل لتجعلنا نعمل مثلاً عن محاولة تغييره : فمعظم فرنسا رخوة ومصابة بمرض بوت<sup>(1)</sup> . وعليها يوجه

١ - جراح الإنكليزي الشهير بالجملة عن مرض العمود الفقري ، يعرف باسم « مرض بوت » .



خاص ان نظل راقدة : فنجد اقل جهد يبذله المريض لتحطم فقراته . وباختصار يراد لنا ان نطن الحية قبة والطبيعة قدراً . لكن لا تصدقوا شيئاً من هذا : فالطبيعة تخطط الورق وتوزعه ، لكنها لا تحدد طريقة القب به . انها تطرح الاسئلة لكنها تجهل الاجوبة . توجه الاقتصاد لكنها لا تسمعه . ببل اكثر من ذلك : ان الاقتصاد هو الذي يصنع الطبيعة بقدر ما تصنع الطبيعة الاقتصاد . ويمكن للتصنيع ان يأخذ اشكالا شتى ، وندرة الموارد الطبيعية لا تسلبها جميعاً قليلاً : فقد كان معروفاً سلفاً ان فرنسا ، بخلاف انكلترا المنتصرة ، لا تستطيع حتى ان تحاول مجرد محاولة إلحاق إنتاجها بكماله بصناعاتها الاستخراجية ، فهل كان عسراً عليها ان تشجع صناعتها التحويلية ؟ أما كلف في وسعها ان تخصص ؟ وأن تلمي معاً وبالتفاعل استيراد الموارد الخام وتصدير المنتجات المستوردة ؟ لقد تم الاعلان بسرعة عن ان المشكلة لا حل لها ، لكن ماذا نعرف عنها طالما اننا لم نكتشف الثقب منها حتى الآونة الأخيرة ؟ اننا نستطيع ان نجرى ساحة عالم الجهاد : فهم بشر الذين صنعوا الاقتصاد الفرنسي ويصنونه يوماً . والمحافظان الزاهن ، شأن عظمتنا الماضية ، مفاخرة انسانية ، ونحن في آن واحد ضحاياها وصانعوها .

ماذا لو ألقينا بكل شيء على كاهل المستهلك ؟ ماذا لو زعمنا أن سبق سوقنا الداخلية يجبس الانتاج ضمن نطاق معين لا يعود بعسده لتصرف المنتجات مضموناً ؟ فكرة جيدة ! وميزتها الرئيسية انها ترجعنا الى المحسوس البشري . ثم إن الفلاح يستهلك قليلاً ، هذه حقيقة واقعة : على الأقل في النصف الجنوبي من البلاد . لكن كل ما هنالك هو التي لا اري كيف يمكننا ان نعتبر ضيق اسواقنا حجة اولي القهم إلا اذا آمننا بفرنسا الحاملة وبغلود ، الصفة ، القرابية . أنكون امه شحيحة ؟ انتم ولا شك تهزلون . واذا كان الزارعون لا يؤمنون ، واجههم الاجتماعي كمشارين ، على الوجه المرام ، أفليس السبب بالأحرى كونهم يعيشون من منتجات أراضيهم ؟ وما يرغمهم على ذلك ؟ انه ، واضح الحق ، الانخفاض المستمر لتدريتهم الشرائية . وهذا الافتقار التدريجي ، أو يدون ان تعرفوا

مصدره بدوره ؟ ان مصدره ، بكل بساطة ، هو ان اعمال الحقل مساعات  
تدبر . وهكذا نكون قد رجعنا من الاستهلاك الى الانتاج . هل يتقنون انما  
غلظتهم وانهم يشيخون برويتهم بدلاً من ان يشفروا جرارات ؟ هذا صحيح .  
لكن عمليات الشراط في المجتمعات ، كما في نظام الآلات الارتكاسية ، تكونت  
معلولاً وعبءاً معاً او عبءاً هي في الوقت نفسه معلول معلليها . ولنفكر باتجاه  
عقارب الساعة : مبيع الجرارات قليل ، إذن فانتاجها قليل ، ولما كانت الأسواق  
سبقة لا تقضي نفقات إعادة التجهيز فإن مصانع الآلات الزراعية لا مصلحة لها  
في تجديد نفسها . والنتيجة : الجرارات تباع بسعر مرتفع لأن الملاحين يقاطعون  
المكننة . إن هذه الحلقة المغلقة صحيحة ، وكيفية علاوة على ذلك بتشجيع  
المهود والمطالة الى حد معين : اذا اخترتم مرة واحدة ونهائية المزارع كتحول  
مستقل تكونون قد جردتم الفسك فرضاً من كل وسيلة لتأثير عليه . ونسبي  
عابرين هذا التال الجميل من التشاؤم الرجعي : الشح والروتين هما من الطبيعة  
الفلاحية بالذات ، إذن فاقنصادة لن يتغير ابداً .

ولنفكر الآن بالاتجاه العاكس : طالما ان نسبة الأسعار الصناعية ستظل أعلى  
من نسبة الأسعار الزراعية ، فلن تتوفر للمستثمرين الرابين الصغار وسائل تجديد  
استثمارهم وتحديثها . وإذا كانوا يقاطعون المكننة ، فهذا لأنهم هي نفسها  
تقاطعونهم ، ولا أمل في قهر روليتهم قبل ان توضع الآلات في متناولهم . وهذه  
النتيجة الثانية ، التي لا تقل مشروعية وقبراً عن الأولى ، تدبر علاوة على ذلك  
يكونها عملية : انما تفتح المخرج الذي سدته الأولى . لكنكم يتقنون : ألا  
يتضابق الفلاح نفسه من اختناق السوق الزراعية ؟ بل ، بالتأكيد . لكننا نتسبي  
من جديد ، على هذا الصعيد ، بتداخل المعاليل والمعلل نفسه . ففي اتجاه عقارب  
الساعة يقال : لا يمكن تصريف القلال ، إذن فقرننا نتجج من الفصح كميات أكثر  
من اللازم . وفي الاتجاه العاكس يسأل : الفريسيون على مستوى منخفض من  
التعليمة ، إذن فهي لا تنتج ما فيه الكفاية من الفصح . إذن فطالما ان الدوران  
واجب ، فلتدبر . لكن من أين نبدأ ؟ هل الأولى للعرض ام للطلب ؟ هل

مسألة تتعلق بما نعنيه بكلمة « مستهلك » . هل يفكر منتجوا برون الأوس لم برون القيد ؟ ومن هم أولئك الشراء المزعجون الذين يتفرون من واجبههم : الأغنياء يفكرون أم فقراء لا يفكرون على الدفع ؟ في القرن الماضي كان صاحب العمل يياهي بأنه يخلق الحاجات ليلبيها ، وكان يقول : « في نظام المراحة ، يزداد الإنتاج لإنقاص التكاليف . وضيق الأسواق ليس إلا حدثاً عارضاً : فالسوق تفتح أو تُغلق . وطالما إن هناك ١٠ مليوناً من الفرنسيين ، إذن فلدينا ١٠ مليون برون . صحيح إن معظمهم مستهلكون عن غير علم منهم ، لكن لا أهمية لهذا : أننا سنجعل منهم شراء عشرين . وسنذهب عند الحاجة للبحث عنهم في منازلهم ، ومهما كانت قدرتهم على الدفع زهيدة ، فنسطلب منهم أقل أيضاً » ، وباختصار ، يخيل لنا أنه لسمعنا أن الإنتاج كان منوطاً بالآلات ، وكانت بشرط الاستهلاك ، وكان الطلب يتبدل تبعاً للعرض . وانما على المهتمه الأمة التواصل كانت الرأسمالية تقع تفررها الوحيد ، اسطورة تقدم الكبيرة . وفي البدايات الأخرى وجدت حركة الاقتصاد التزاهي نهايتها المنطقية في الإنتاج المتسلسل الذي يستهدف عامة الزبائن والذي تختلط السوق بالنسبة إليه ، نظرياً ، بجموع الأمة<sup>١٩</sup> .

حسناً . لكن ماذا يقولون اليوم ؟ إن الطلب في فرنسا ١٩٥١ يشترط العرض ؟ كان هذا صحيحاً أيام الحملات الصليبية : فقد كان هناك مجتمع طبقي متحجر تهيمن على اقتصاده الزراعة ، يقدم زبائن ثابتين ووالدين لصناع كثيراً يعملون وفق طرائق متوارثة . فهل تزيدون أن تقولوا أننا قد عدنا من جديد إلى ذلك العهد ؟ وهل سبب ذلك أن أرباب العمل عدداً ما عادوا يؤمنون بالتقدم ؟ وفي مثل هذه الحال ، ما سبيلهم إلى تغيير امتيازاتهم في نظر أنفسهم ؟ إنهم يشكون شكوياً ، وعند خمسة وعشرين عاماً ، من أن الاستهلاك ثابت جازم .

١٩ - صحيح أنه يك من لقاء نفسه عبده : فالحد الاقل من الإنتاج لا يتطابق مع الحد الاقل من الربح . والمراحة تعني عدم التفاهات . لكن مسنده القلومية « مما تكن شارة » لا تشبه في شيء ما الترويجي .

ما أجمل من عطر : إننا نعيش على ما هو موجود ! لكن يوم سيضنا الجوع يتأيه  
 جميعاً ، فكيف سيكفنا ان نأكل أكثر طالما ان كمية الطعام لا تزداد ؟ صحيح  
 ان الأطفال لن يناموا الجوع التي سكنها الآباء . لكن أين يريدون ان يذهبوا  
 طالما ان البناء متوقف ؟ ليس القدر ولا الطبيعة الإنسانية مسؤولين عن اختناق  
 السوق . والانتاج ، مهما بُدِّل عنه ، لا يكف عن تنظيم الاستهلاك : لكنه بدلاً  
 من ان يدفع به الى امام عندنا يضع في وجهه العراقيل . لقد سمع الجميع عن تلك  
 اللاهي القليلة التي تكلف فيها الشماليات بؤس العين لأن الإدارة تريد ان  
 تصطفي زياتها . وحالة فرنسا اليوم شبيهة بهذه اللاهي : فالنخبة هي التي  
 تستهلك والأسعار مدروسة بإمعان حتى لا يندس بيننا غريب . لا يحسن لمن لا  
 سكن لهم ، ولا طعام لمن يفتسون جوعاً ، ولا أحذية للحفاة . وتقرّب مسو  
 اليوم الذي يتعلق فيه هذه الافة على الوجهات الخار : الياس اللائق ضروري  
 لشراء الخبز . هذه هي الحقيقة : حتى عندما يستقلب الاستهلاك ، نصف  
 الخنق ، على الإنتاج ليخلفه بدوره ، فإن الانتاج هو الذي يبدأ أولاً . وإنما فيه  
 يمكن العيب التكويني لاقتصادنا .

\* \* \*

إن هذا العيب ينفأ العيون ، لكن بشرط أن نبحث عنه حيث هو موجود :  
 انه يدعى التشتت . ففي الولايات المتحدة كانت المعامل التي يعمل فيها أكثر من  
 ٢٥٠ عاملاً قتل ، منذ عام ١٩٣٠ ، ١٤ من مجموع المصانع واستوعب أكثر من  
 نصف اليد العاملة . أما عندنا فإن الاستثمارات التي تعطى للعمل لأكثر من ١٠٠  
 عامل لا تستوعب سوى ١٤٦ من اليد العاملة ولا تقتل إلا واحداً بالمئة من الصناعة  
 الفرنسية . وحول عدد زهيست من المصانع الضخمة ترسل المصانع اللامتناهية  
 الصغر : ففي باريس ، وفي صناعة المادون التحويلية وحدها ، يوجد ١٨٠٠٠٠  
 مشروع تضم ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ عامل . وفي التجارة يستفحل التشتت : فالمؤسسات  
 التي تستخدم أكثر من ١٠٠ عامل تستوعب ١٢ من المهتاز وتقتل ١٠١ من

المجموع . وهذه الوقائع معروفة من الجميع . ومنها يستنتج ان فرنسا قطعة من  
 متحف ، معاصرة لأيام الأضواء بالغاز : وهذه الميكانيكا التشابكية الفوليب  
 سيلي على قيد الحياة بفضل ثروة من تروات التاريخ وستستمر في امتثالها  
 لتواين القرن الماضي . وفي هذا الصدد يقرر البعض اننا صنعنا من مصر أئينا ،  
 والبعض الآخر ان الله فرنسي . وجميعهم خطئون : فاقصادة ابن عصره والقرن  
 التاسع عشر عاجز عن إنتاج اقتصاد شبيه به . والوسائل القوية التي نملكها اليوم  
 هي وحدها القادرة على إعطائه حضوره وسيادة اليالية . بقينا ، ولوثة الأولى ،  
 نذكرها المشاريع الفرنسية البالغ عددها ٥٠٠٠٠٠٠ مع عمالها الذين يفراوح  
 عددهم بين ٨ و ١٠ ملايين ، بصر البيروالية الجميل . لكن هذه لا تعدو أن  
 تكون أكثر من صورة خادمة . فالاقتصاد البيروالي يتحدد بنظام المزاخمة الذي  
 يفضي عادة الى التركز أكثر بكثير مما يتحدد بثقلته . إذن فتح نحافظ على  
 الثقلات البياتي نحازتنا ومصانعنا ، كان لا بد ان نلقي المزاخمة : فالاستثمارات  
 الصغيرة لا يمكن ان تظل على قيد الحياة إلا إذا امتنعت الصناعة الكبيرة  
 والتجارة العكسوية عن ابتلاعها . وغلاصة القول ان الكبار قبلوا بأن يبيعوا  
 بأسعار لا تفل لارتفاعاً عن أسعار الصغار . وخطر التنافس في الوقت نفسه على  
 الصغار : فقد فرضت عليهم حدسية غير عدة الأجل كما فرض عليهم التجاوز  
 والتعايش السلمي . ومن شكرك إلى مسائون تخضع الأسعار لرقابة روابط  
 متفاوتة السرعة تجمع عدداً كبيراً من سفار التجار وصغار المصنعة حول بعض  
 المؤسسات الضخمة . ولو أراد أرباب العمل أن يدفعوا بتناقضهم الصغار الى  
 الافلاس ، لما احتاجوا الى أكثر من زيادة الإنتاج قليلاً . لمصنعه يتمتعون عين  
 ذلك ، وإذا كانوا يبيعون أحياناً بتجديد آلتهم ، فليس ذلك ليزيدوا الإنتاج  
 وليبيعوا بأسعار أرخص ، بل ليزيدوا أرباحهم بتخفيضهم سعر الكلفة .

ومما لكن الرعية التي يبنونها ليرفقا بغير انهم ، فإنهم لا يكونون قد  
 فعلوا شيئاً إذا لم يحومهم بصورة ناجمة من الأزمات : لأنهم عند أول نجحة  
 سينهارون . إذن فسوف يلقونهم كاللحم الطير صفارها ، وعلى حساب المستهلك :

ففي ليون على سبيل المثال لا مجال للشك في ان العمل له ان يخفض بشكل محسوس تكاليفه بعبءه بأشغال النسيج والقزل الآلي التي الورشات التابعة له \* بل هو يفضل ان يمهّد بها الى معامل متناثرة مشققة غير قادرة على الانتشار بالأصل يدونه . وهذا لا يكفي ايضاً : لنا ينبغي ان نسام الدولة في هذه الاعمال الخيرية \* وان تخفف اعباء الضرائب وتزيد في الاعيادات وتعزز الرقابة الحكومية . الدولة \* اي المكلف \* وبكلمة واحدة فرنسا قاطبة . ان المهمة الرئيسية لتنظيم الضرائب هي اعادة توزيع المداخيل : لكن اعادة التوزيع هذه تخدم عندما مصالح المشاريع التي استلجتها للزراعة وحركتها الحرة . ان الفرنسي يدفع الضرائب ليستطيع ان يشتري بأبسط الأسعار منتجاته القومية . وعن المال الذي يتبقى له - هذا اذا ما تبقى لديه مال بعد كل هذه الاقتطاعات والضرائب - تسهر عناية الهبة خاصة . وكما كان ملاك كلونيل يبعد بلا كلل بروجر الشاب عن روبرغ الشاب<sup>١٩</sup> ليضعها في فرائس رجل مسن \* كذلك لا يكتف ملاك المالتوسية عن تحويل مجرى التوظيفات الجديدة نحو القدم المشاريع واكثرها بل . حاولوا \* على سبيل التجربة \* ان تقولوا شركة في سبيلها الى التكون \* وسوف يجدونكم قددمون على عناكم : \* ماذا ترمعون ؟ المساعدة في تطوير القوى المنتجة ؟ لكن من سألكم ذلك ؟ هل تريدون تطوير الانتاج في الوقت الذي لا تجرؤ فيه الصناعة الكبيرة على الحركة خوفاً ان تسحق الصغيرة ؟ من حسن الحظ ان ادوات الانتاج تكلف غالباً جداً : وهذا طبيعي طالما ان تكاليف انتاجها كبيرة . والفضل مما يفعل هو ترميع الآلات القديمة : فلقد شهدت ولادتنا وما يزال في امكانها ان نخدم \* . وإذا اصروتم تدخلت المصارف : احبوا اليها مدخراتكم \* فتعطيها للدولة التي تستدقها في الدين العام \* . واختصاراً : انهم لا يكتفون بسرقة مال الفقراء بل يعقبون ايضاً مال الأغنياء . وبدءاً من هنا يستتب النظام : الادوات بالية \* وتكاليف الانتاج مرتفعة \* وابعار الصناعة في صعود دائم ، والزبائن الزراعيون يجرعون السوق . وتكاليف

١ - من ابطال مسرحية « حذاء الحرير » ليون كلونيل . ص ٢٠٥ .

الانتاج عند الريفيين يدورهم مرافعة نظراً الى استخدامهم أدوات قديمة رثة ، وارتفاع الأسعار الزراعية يحرم الزراعة من زبائن المدن . أو أياً من الخلفه المدعشة وكيف ان المايل تميز العطل : فهذا الفرع من فروع الصناعة يختصر نشاطه الانتاجي ويحرم بعض المشاريع من عمالات تصريفها الطبيعية وبسبب التالي انكماش السوق . والمشاريع التي خلقها الاذى ستتكشف بدورها حتى تتمكن من الاستمرار ، الشيء الذي يؤدي إلى انكشاشات جديدة . وهذا الانهطاط الدوار يترد في النهاية إلى نقطة انطلاقه ، فمشاريع انكشاشات جديدة على المعالم التي كانت السبب فيه . وهكذا يتلامم الاستهلاك مع الانتاج ، ليتعدل الانتاج من ثم وفقاً للاستهلاك . إذن فالهرك يدور بشكل دائري ، لكن هناك مشكلاً واحداً : انه يتباطأ مع كل دورة وسيتنهي به الأمر الى التوقف .



حين ينال نظام من الأنظمة الاجتماعية مثل هذا القدر من الرعاية ويتطلب مثل هذا القدر من التصحيحات ، فهل يمكن الزعم بأنه لرة الصدفة ؟ كانت الميكانيكا الثقبية ستصاب بالخلل منذ زمن طويل لولا ان هناك من يسهر عليها ، وكانت اجهزتها الوفيرة المشابكة المتلبط مع الاستعمال لولا ان هناك يدأ غير منظورة تتدخل . وبعبارة أخرى ، ان ثلثت مشاريعنا والموتج ، بفقرى وحدة نية ووحدة سياسة ، اي توحيداً حقياً لاقتصاصة . وفي فرنسا كما في الولايات المتحدة تشرف الصناعة الكبيرة على جميع قطاعات الحياة القومية . والفرق ان الاميركان قتلوا ارباب العمل الصغار والتسا بقى على ارباب عملنا في القيود والاخلال . انهم يعيشون ، لكن كدافاً ، ووداعتهم مضمولة لأنهم أقتعوا بأنهم بالأصل اموات وبأنهم سينهارون . ويتقننون إذا لم يمده في أجسل اجازتهم الحياتية . ولهذا السبب يشبه نظامنا الاقتصادي بعض الشيء نظام الاقطاع . فهناك وفرة متزايدة باستمرار من صفار التجار وصفار الباعة تبحث عن الحماية ضد المزاوجة التي لاداد قسوة يوماً بعد يوم ، ووضد الازمات وضد وحشية

البارونات . وقد انتهى الأمر بهم الى تدعيم املاكهم للكبار من ارباب المعمل الذين ارجعوا اليهم تحت شكل إعانات ثابتة لهم بعد ان وضحوا بمسئلتهم . واليوم لم يبق لهم غير حق الانتفاع بخازنهم ومعاملهم . ام ستقولون عنهم انهم ملاك ؟ هؤلاء النبلاء الذين يحتلون اولى مراتب النبالة والذين يكذبون ويتشكرون ؟ ولا يكادون يسدون لنفسائهم ؟ والذين هم اجراء انفسهم ؟ ماذا يستطيعون ان يفعلوا ؟ ان يكبروا ؟ ان يمددوا تجهيزهم ؟ ان يتجوا او يبيعوا اكثر ؟ لا شيء من هذا البتة . ومع ذلك فإن هؤلاء المولى المرجأ لتقيد حكم الاعدام فيهم هم ؟ الزلام ؟ كبار سادة الصناعة : فقابل الحماية التي تحول بينهم وبين سقوطهم بدورهم الى مرتبة البروليتاريا يطالبون بأن يقدموا خدمات ذات طبيعة خاصة جداً : ان مهمتهم هي ان يتفقدوا مظاهر الرأسمالية التنافسية بتقطيعهم الاحتكارات . ترى هل اقتصادنا اقتصاد بالرفاهة وفنائه ؟ قولوا بالآخرى انه شاذ : فهذا النظام الذي خلق بشكل مضطرب والسفر بقتل رعاية رأسمالنا الكبير يهدف الى دفع القوى المنتجة : لكنه يستبدل التركيز التكتيكي بتمركز الاجهزة القيادية الحتمي .

\* \* \*

يقين ان تعرف لم يماند قطاعيون الضيق في قديم فرنسا . لاحظوا ان لديهم جوارباً جاهزاً فهم يقولون : « ذلك حتى نحدد من مدى الاضرار . المقتضوا ان العمل ، غلط ونجح ورشات نسج : انه سيخضع مشتقة في انقلابها حين تأتي الأزمة . وبالمقابل من السهولة تكان التخلى عن الممولين : ان ارباب المعمل الضيق هم الضحايا القادمة للدفاع المطاطي » . ان هذا الكلام لا يقدم ولا يؤخر . هل هناك سداية اكبر من هذه السداية في الاعتراف بأنهم يقولون بأنفسهم في الماء خوف الليل ؟ ولو اندلعت أزمة حادة لترك التطويق بعض الحرية في التساورة للاستثمارات الكبيرة ، لسكن إذا كانت الظروف مناسبة حرم عليها الاستفادة منها . وإذا ما تزايد الطلب في القدي عجزت المشاريع الصغيرة عن تلبية : راقا



هذه المشاريع ربطت الصناعة الكبيرة بصغيرها. إن سائق السيارة ، حين يراجه  
 متحدرًا عمودياً ، يسير بحركة بالسرعة الأولى : كذلك فإن منتجياً الألبان  
 يتخلون من آلات الإنتاج بالذات اعادة لمرقلته خوف جموحه . إن التسكين في  
 نظرم حافل بالوعيد لا يواعد : مستدفع الزمات ، والزمات اخرى ، ثم الكارثة ،  
 فالطوفان . وإذا كانوا ينكثون على انفسهم ، فهذا لكيلا لا يفرسوا الكارثة  
 جهالاً عريضاً . زيادة الدخل القومي ؟ انهم يترأون بذلك : انهم لا يفسخون  
 بزيادة دخلهم بالذات بقدر ما يفسخون في الحيولة بينه وبين الانخفاض . لقد  
 اختاروا سياسة أسوأ الاحتمالات . ومعروف كيف تفسر المركزية تضخم  
 الانتاج والأزمات السورية : ففي نظام المزارحة تتحول الأرباح الموقفة إلى  
 وسائل إنتاج متنامية بينما يتدهور استهلاك الاجراء . ترى هل قرأ رأسماليو  
 الحصار ، الرأسمال ؟ فحق يتجنبوا الأزمات ، فقوا عنق المزارحة ، ونظمو  
 الانتاج الدون ، وهم يبيدون توظيف اربابهم في البلاد الأجنبية . وهكذا جعلوا  
 من اقتصادنا اقتصاداً منحطاً خوف الخطا .

والعملية مدينة بنجاحها لمساعدة أرباب العمل الصغار . فهم يتفون حسن  
 المستهلك مائتوية الأوساط العليا . ولما كانوا مرتعنين عن دفع أجور بخسة وعلى  
 بيع منتجاتهم بأسعار باعطة ، فأمامهم أحد حيلين : إما ان يقطعوا وإما ان  
 يفرروا بأنفسهم الأسعار والأجور . ولو زعمت الحكومة انها تنظم السوق ،  
 لكفت جرة قلم من قبل أحد البيروقراطيين حتى تظير المشاريع الخمسة ألف .  
 وعلى كل ، فإن صغار التجار هؤلاء يتعمنون برشات قوية : لو تجسراً وزير على  
 فرض الضرائب عليهم ، لصاحوا بجل . اقوامهم انه قائل . ولو طالب موظفوم  
 بزيادة الأجر لأثبتوا بالأرقام انه ليس في طاقتهم تلبية هذا المطلب . وهم لا  
 يكتفون في ذلك كلياً طالما انهم عرماً على شفا الافلاس . لا حديث إلا عنهم ،  
 ولا وجود إلا لهم ، فكان شغل الأمة الوحيد ان تهتم بهم : إن هؤلاء المعتضرين  
 الثيرين الضجة والحبية يصفعلونا برميأ بدليلهم عن استحالة تبديل أي شيء . كان  
 في فرنسا تحت طائلة انهار كل شيء . وخلال ذلك يقوم رب العمل الكبير ،

الخصي بهم ، ينتج مبادئ تنظيمياً علياً ؛ لو أراد ان يشتمل الآلة بكل ما في طاقاتها ، لتدهورت الأسعار على الفور ، لكنه يرى ان من صالحه ان يضمن لنفسه ربحاً لا يجازفه فيه بزيادة ان الخصي حد الثباين بين تكاليفه وبين أسعار السوق<sup>(١)</sup> . ولما كان هذا يتطلب الإبقاء على قسم كبير من الصناعة الفرنسية في مستوى منخفض من الانتاجية ، فإن رب العمل الكبير يعترف جهاراً للمستثمرين الصغار بملكيتهم الاحية لمشاريعهم ، أي انه يفسد عزمه وتقت مواردها . وبالمقابل يؤدي صغار الكسبة على الرجة المطلوب منهم التي هي الانتاج القليل بتكاليف كبيرة ؛ فان لهذا الفيض غير المرغوب من الربح هو بمثابة خدعة تؤمها الصناعة الكبيرة للصغيرة .

وهكذا تتم جز بجز جزويتنا ؛ انها تترك الرقباء والاستقرار على زيادة أرباحها اللاحقة . واقطاعها الكبار هم بكل بساطة اصحاب دخول . لكن لا بد من تسريح هذه النزعة المحافظة . فهل من الممكن ان نوجع ربيتنا بالمستقبل ان اطرف من الامارات المبهمة لا بد ، بالتأكيد ، من ان تضع نظورتها في الاطار الأوروبي ؛ والحال ان مرحلة الأرمعار قد انتهت ، وأوروبا تحسر اسواقها الواحدة نحو الأخرى ، وفي كل مكان يلاحظ الميل الى تحويل الربح الى دخل . لكن ماذا استفعل هذا الانكشاف العام ان هذا الحد عندما ؟ ثم يمكن ان نفسر هاهنا السلب الماتوسمي هذا الذي سنقضي لهنا به ؟ اعتقد ان تاريخنا سيقدم الجواب .



إن التاريخ يتقدم ونحن وجهه قناع: ونحن يسفر عمن وجهه يدمع المتكلمين والشهود الى الأبد. اننا لم نعلم قط من ، دقيقتي الحظيفة ، التي عرفتها فرنسا

١ - قد يمتد ان تقل الصناعة الكبيرة ببيع أسهم أو قديلا من الأجر التي تسلمها الصناعة الصغيرة . وهذه طريقة لإظهار حسن نيتها تجاه العمال وإظهار قربها تجاه أرباب العمل الصغار .

في القرن التاسع عشر، بورجوازيتنا تلعب اليوم لعب من هو واثق من الحضارة لأنها رأته وجهها الحقيقي في ١٨٤٨ و ١٨٧١ .

في ظل ملكية لفسوز<sup>١٧</sup>، كان السكان القرويون يتألفون من بورجوازيين ومن حيوانات . كانت الملك بورجوازيًا وكان البورجوازي ملكيًا ، كان البورجوازي إنسانًا وكان الإنسان بورجوازيًا . وكان الحيوان حيوانًا ، وكان يفرد بالآلات . وكان الجوع ، في غالب الأحيان ، يطرده عبر الشوارع . وكانت تتم هدمته بإطلاق الكلاب . ثم تبدل كل شيء ذات يوم . كان ذلك في حزيران ١٨٤٨ ، وكانت الحكومة قد سمعت شائعات وأطلقت برأسها من النافذة : وبدلاً من أن ترى المشية المألوفة شاهدت جيشاً . فقد انفتحت البروليتاريا التاريخ الرسمي وشكلت أول معركة نظامية لها . باعنا من هزة : ان تلك الحيوانات تتقاتل كالإنسان ، ولقد فعل الجميع بالتلاحم الجسدي لناوراتها . باختصار اصطفت المالكون الإنسان تجاههم في نوع كان غريباً عنهم . وكان هذا مصدر خوفهم الكبير : طالما ان الآخر يزعم انه يصبح انساناً ، فسان الانساني قاطبة يصبح آخر ، والبورجوازي يتعرف نفسه في عين الآخر شيئاً آخر غير الإنسان . واذا كان البائسون يشكون جزءاً من النوع الإنساني ، فالبورجوازي لا يتعيز عنهم إلا بأعمال العنف التي يجعلهم يكابدون منها . وهكذا أصبح البورجوازي يتعده على حين غرة برفضه : كان قد رسم لذاته حدوده الذاتية عندما اوعى لنفسه الحق في رسم حدود لنوعه ، واذا ما حدث واتخذ المستبعدون يسدورهم من انفسهم قياساً للإنسان ، فإنه سيتعرف انسانيته لدى الآخرين كقوة هدامة . وبأدراكها طرحت المسألة يمثل هذه الصورة الواضحة : لقد تسرب بشر هويت ان النوع الإنساني ، ولا يد من طردهم . فكيف السبيل الى ذلك ؟ يشق المرضين ؟ هذا لا يكفي : فالبورجوازية قد فقدت قناعاتها الرائدة المطننة ، ولن تستعيدوها الا اذا وجدت نفسها من جديد وحيدة في العالم . ثم اذا مسا بدت الجزرة فمن الخطر ألا تتابع حتى النهاية : فالجزائرون لن يستحصلوا على

١ - من ملكية لوي - فيليب الذي تصم العرش بعد ثورة لوز ١٨٣٠ . - ١٥٥٥ -



أسراهم - تلك العيون الشاحصة التي كانت القرساويات <sup>(1)</sup> الجيولات يمشون على فئتها بطرف مظللتين - الحقيقة التي لا نطاق التي جعلت الآباء مستكئين .  
وأبعوا المذبحة المظلة : واعلمت البورجوازية الفرنسية العالم عن طريق العشرين ألف معدوم والثلاثة عشر ألف أسير الذين ماتت قتلاة آلاف منهم في السجن ،  
إنها قد حسنت لفتياتها في الآونة .

لكنها ، بالرغم من تحطيتها ، عاودت الوقوع في نفس خطأ ١٨٤٨ ، للمرة الثانية لوقفت ذراعها قبل الأوان : ونظراً إلى أنها لم تكن الحطم عن يكرة أبيه ، فإنها لم تريح سوى معركة وبليت تحازف بخسارة الحرب الفروس الشهكة الطوية الأمد . بيد أن أوروبا راحت لتنظر إليها بدهول : فقيا يتعلق باستقلال الإنسان يساوينا لرباب العمل الأجانب أو يتقدمون علينا . لكنهم - من قبيل البراعة أو التسامح ؟ - تجنبوا اللجوء إلى السلاح : إذ الرأسماليين الإنكليز لم يقبلوا قط بأن يفتنوا العامل بأيديهم . إنما كانوا يكتفون بتقليدهم ، ويفركون الفرانسين الطبيعية «كزدي عملها» . وإذا ما انتهك العمال حرمتها تركت له مهمة عقابهم . ولم يغفر هؤلاء الناس لفرنسا كشتها عن طبيعة الرأسمالية وتحولها الصراع الطبيعي إلى حرب أهلية . وإزاء ازدهارهم شعرت بورجوازياتنا بأنها وحيدة : فهي تشعر بينها وبين نفسها بالفرز لأنها نفذت في مدى خمسة وعشرين عاماً اجمل جزر تين في التاريخ المعاصر ، لكن طهراني المنيا وانكلترا يعاملونها كشاة جرياء . ونحن راحت لتصبح لهم : «التوحيد قضيتنا» . ابتعدوا وهم يهزون برؤوسهم . والإنكلي من ذلك أنه كان عليها أن تحيا يوماً بجوار ضحاياها : وكانت الضحايا تتحدر على نحو غريب بفضل المساعي الحيرة التي قسام بها أمثال كلينيك <sup>(2)</sup> وغاليفيه <sup>(3)</sup> .

- 
- ١ - يتحدث مارغريتا عن ثورة الكومونة عام ١٨٧١ . وهي أول ثورة بوليتاوية في التاريخ . وبعد سقوطها حدثت مجزرة وحشية قهر عند الضحايا يتلوه القاع من العمال قام بتفويض الجنود النظاميين التابعون لحكومة لير في فرنسا .  
« ٢٠٠٥ »
  - ٢ - لوي بوجين كلينيك : جنرال فرنسي ، شغل منصب حاكم الجزائر ، ثم رئيس السلطة التنفيذية عام ١٨٦٥ . واقع لره حزينان من العام نفسه .  
« ٢٠٥ »
  - ٣ - غاستون دي غاليفيه : جنرال فرنسي قتل قمع الكومونة بقسوة بالغة . ( ١٨٣٠ -  
« ٢٠٥ » ) .

فقبل حسين عامساً كان العمال يتوسلون الى رب العمل ليرى ان يؤسهم \* لثقتهم من انه يكفئ المره ان يرى اوجاعهم حتى يتغش لهم البره منها . وفي عام ١٨٤٨ كانوا ما يزالون يصدقون الامرين حين كان يحدثهم عن « سوء التصامم الماسوي الذي يفرق بين الطبقات » . وبعد ١٨٧١ هموا . وكان ذلك من سوء طالع البورجوازيين . لقد عرف السادة في البلاد الاخرى كيف يقون خافين عمن الانظار \* وكيف يتوارون امام مسايسونه وضروراته القاسية للاقتصاد الليبرالي \* . ولهذا السبب لم ينكرهم العامل حقاً - وهل يستن كرهه مسا هو مجرد ايا كرهها مجرداً ؟ - وحتى لو كرههم لاشتعلت كراهيته في ذاتها على تجاوزها : انه يعرف انهم يستبرونه حيواناً يطمح الى دخول الانسانية ويتوجب لجه ذوماً ، لكنه يعتبرهم « هو » بشرأ يجهلون انفسهم أو يريدون ان يتجاهلونها . ومما يمكن حثف الثورة التي يتطلع اليها \* إلا انه لم ينكر قط بزيادة اعدائه الطبقيين : فتصلي البورجوازية يجب ان تحرر البورجوازيين من جهلم وتجريدم البورجوازي لتعيد اليهم انسانيتهم . وليس ما يفضه فيهم هو الانسان ، انما القهوم الحرمانى عن الانسان وفقى الانسان : طالما ان الصراع محصور في المجال الاقتصادي ، فإن كراهية العامل ليهي ضمن نطاق العمومية<sup>(١)</sup> .

أما في ١٨٤٨ و ١٨٧١ \* فقدت أسفرت البورجوازية الفرنسية عن وجهها \* وضربت بقوة . والرأسمالية بالطبع \* شأنها شأن كل اضطهاد \* تستمر بالعرف : لكنها لم تكن تطلب لا ذلك العنف ولا تلك الوحشية في القمع : ففي ١٨٤٨ لم يوجد قرد البلوس تهديداً جدياً الى أرباب العمل \* وفي ١٨٧١ كانت قد بدأت مفاوضات ولم تعضن المصالحة مستحبة : واذا كان الفرنسيون قد رفضوا كل شيء \* ، وانما كانوا اول من يهدو الى الهجوم \* فهذا لأنهم كانوا يريدون ان يفتلوا . وبمسئلة واحدة \* أظهروا لثانياً . إن بورجوازيئنا لم تمانع في ان تتميز بوقاحة ضباطها وقسوتهم \* وبفلاظة قلب اللاك وأصحاب المعامل \* وبالارهاب الذي

١ - قد ينكره بعض ارباب العمل الشيورين بقسوتهم . لكن هذا لا يعدد ان يكون اكثر من مظهر عرضي ونال من مظاهر الصراع الطبقي .

الذي ظهرته في البداية ، ثم بالتفصيل اللحم الذي ظهرته صحافتها المحترمة  
وتساؤها التبريفات بمسد التصرف . ولقد تحنت الفعالة وجهها : فتجدت على  
حقيقتها . وعلى الفور نجد الحقد العمالي يدوره : انه لم يعد منصباً على التجريد  
الرأسمالي ، وبات العميل ينفذون في اليورجوازي الفرنسي الأناست ،  
إنسان اللحم والمعظم الذي تحقق بشروعه التاريخي . إن اليورجوازي هو  
نتاج الرأسمال في نظر جميع عمال العالم ، لكنه في نظر عمالنا إن أعماله ،  
أي قائله ، وسيبقى كذلك لمدة طويلة من الزمن . ولقد ترعرع الجيل العمالي  
الجديد في صمت الامبراطورية الثانية الخائفة ، وشهد عاجزاً متذبح المصنوعة .  
وحين أنهى تعريبه ، كان الصراع الطبقي قد انتقل إلى الميدان الاقتصادي .  
لكن هؤلاء القادمين الجدد لن يلبسوا أبداً ما رأوه : فهم حين يريدون ان  
يتوقعوا ردهم أفعال أرباب العمل ، يتذكرون تيير وغاليفيه وشتايدر<sup>١١</sup> ،  
ويستندون إلى ذكريات غير قابلة للتدنار ليحكموا على أرباب العمل القادمين على  
كل شيء . انهم يتوقعون يوماً ان يتحول النزاع الاجتماعي الذي بدأ يندم إلى  
حرب أهلية ، أو ان الحرب الأهلية تبدو لهم بالأحرى حقيقة الصراع الطبقي .  
وسوف يكون هؤلاء الشباب في نظر اليورجوازيين أعداء ألداء : لأنهم أولي  
الناس بمعرفة ان كل طبقة تقصد موت الأخرى ولأنهم على الأخص قد تعرضوا  
للأذى . وبالأسفل ان الطبقة العارمة للجوع في كل مكان ، إلا في فرنسا حيث  
تسلك دماؤها . ان برويتاري ١٨٨٦ يبيع قوة عمله للناس الذين قتلوا أباء أو  
أشقاء البصر . ومن هنا كان موقفه منهم مزيجاً غريباً جداً من الحقد المكبوت  
والصلابة الباردة والازدراء والخوف والعنف الانفجاري . وفي غير فرنسا نحل  
القادة العماليون بصورة مكشوفة ان كثيراً وان قليلاً عن العمل الثوري ليستغلوا  
ان أقصى مدى مزاي الانتخاب العام : سيحسون للطبقات الكادحة نشورها في  
البرلمان . وهذا معناه انهم اختاروا الاندماج : انهم يقبلون بواقعة الرأسمالية

١ - وجين شتايدر صناعي وسياسي فرنسي ، رئيس اللجنة التشريعية في عهد الامبراطورية  
الثانية ( ١٨٥٥ - ١٨٧٥ ) . ٥٢٠٥ .

ويبدون عن مصالح المجتمع القومي ليتوصلوا بالمقابل إلى تحسين القوانين الأجنبية . ويظن أن أرباب العمل مشاركتهم وقد عادت الاطمئنان إليهم . وهم لن ينفقوا من التمرکز العالي طالما ان حظههم شاء ان يظلوا يروا لثباتا متدججة . وكانت الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية تؤدي دور الرهينة والوسيط . وكان التباسها بالقات<sup>1</sup> يسمح لها بأن تضمن على الدوام تروابط الرأسمال والعمل . وكان محض وجودها يمنع الانفصال العالي . وحين يختار المصطهدون مضطهدين ليخبروا عن شكائهم ، فإن النظام يكون مستتباً ، والتواصل قساقاً ، والوحدة الوطنية موطدة . ثم في اللحظة التي يلجأون فيها إلى استخدام القوة ، فإن القوة قد تستخدم في الضليلهم . وإذا عندما يلزمون الصمت يصبحون تخيفين .

وفي فرنسا كانوا يلزمون الصمت ، فلقد نشفت البروليتاريا . إذ ان هذه الطبقة المهانة المجرمة بقتلها المصلت عن الأمة وشكلت مجسماً في قلب المجتمع . لها جميع الانتخاب العام ! انها تمتد نفسها أولى الناس بمعرفة ان الأصدقاء الانتخائيين هم في غالب الأحيان أعداء طبيقيون . وهي التي أعطت بعد كل شيء ، الضارين بسببها قوتهم . ان الدولة - سواء أكانت ديمقراطية أم لم تكن - هي ، الخلاصة للكثافة لأرباب العمل ، وقد رفعت إلى أقصى درجات قوتها . ولهذا السبب وحده ان تستطيع البروليتاريا ان تقبل بالمشاركة في تسيير الشؤون العامة حتى لو توفرت لها الفرصة للتأثير على مجرى المناقشات . يرسل مثليون إلى البرلمان ؟ ومن يمكنه أن يثبثها ؟ انها تنظر إلى اليمين واليسار نظرة ازدراء واحسدة . وجميع الساسة في نظرها يورجوازيون : أيكن ليورجوازي ، مما تكن اللقطة التي يرقعها ، أنت بدافع عن مصالح العمال ضد مصالح سائر اليورجوازيين ؟ لقد كتبت فرنسا ، في نهاية القرن الماضي ، السب الوعيد الذي تنتشر فيه الاشتراكية - الديمقراطية إلى اسس عملية . ان العامل يصوت ، هذا صحيح ، لكن برضاوة ومن قبيل ثبوتة الدعوة ، ومن غير ان يرتبط

١ - قربان الاشتراكيون يورجوازيون ومتأسفة يظنهم في الشعب . وهم يرون في الدولة يورجوازية جهاز استبداد ومع ذلك يساهمون في تسيير الشؤون العامة .



بين وظائفه كمنحجب وبين نشاطه الطائفي : انه يؤدي الأولى بصفته فرداً منفكاً ، مواظباً مجرداً ضائعاً بين جموع سائر المواطنين المجرمة ، ويغرس الثاني بصفته عضواً عضوياً في جماعة متغلقة . وخلاصة القول ان الطبقة العاملة ، المحبوسة بين اسوار عزلتها التوحشة ، ما عادت تعتمد على غير نفسها : انها تنكر الميوراوية<sup>14</sup> وتدين القوانين الاجنبية حين يكون البرلمانيون هم اصحاب المبادرة في طرحها للتصويت . وقادتها لا يتوكلون فرصة لتوكيد استقلال الحركة العامة وللضج التناحر بين النقابات والحزب . وحيناً يصغر الحزب الاشتراكي الفرنسي من العروض . فكل ما يقبده منها هو اتهامه ، بتفريق حرمة الاستقلال النقابي . والراء هذه « الثروات » وهذه « الوثائقيات » وتفترق البروليتاريا ، من غير ما تحبوه سوى تجرئتها ، طريقها الخاص ، وتقتل الصراع ان المبدلات الوحيد المتوفر لها : ميدان العمل . والتفافية الثورية ان هي الا البروليتاريا نفسها وقد التقت بعزلتها وانعزلت بجزائها : طالما ان الفلاحين خالوها ، والبورجوازيين الضغار خالوها مرتين ، فقد قررت ان تخرج كل شيء . - حتى القيم الاخلاقية - من كيسها الخاص . وهكذا عاش العمال لحظة خاصة للغاية من تاريخهم : لحظة الانفصال . ففي 1871 نظم المجتمع القومي : فبينوا منقاهم وحولوا السلطة الى ايداعية . وما سمي احياناً بالامبرالية النقابية او التوتاليتارية العمالية ان هو الا الانقلاب المدعش لطائفة من الليونيين : ما كانوا يسمنون الا ان يكونوا شيئاً ما ، لكن طالما انه يقضي عليهم بالآ يكونوا شيئاً فسوف يطالبون بأن يكونوا كل شيء<sup>15</sup> .

١ - نسبة الى ميوران - الاشتراكي - الديموقراطي الفرنسي ، الذي تقل وزارة الحربية عام 1911 ثم رئاسة الجمهورية ( 1889 - 1913 ) . ص ٥٠٥ .  
 ٥ - ان تكون البروليتاريا حاملة لقب نسائية ، فهذا أمر لا مجال للشك فيه ، كما تطالب به نفسها لا بد ان تطالب به الجميع . وان تكون الحاملة الوحيدة لقب الفلاح ، فهذا أيضاً مقبول . لكننا نأخذ على سوريول خطئه والع ان الطبقة العاملة هي وحدها الوافقة للاسناد مع فكرة ان هذه الطبقة حاملة لرسالة فريدة وغير قابلة للابصار فهو بذلك قد حول المذهب الاتسالي البلشفي :

ان بورجوازيتنا يقولون نعتهم من الخوف : فطالما ان البروليتاريا تتبرأ من  
 محاميتها الزمومين ، فالجسور كافة قد قطعت ، وقامت ارض مزروعة السلاح  
 معمورة بالبحث لتفصل العمال عن ارباب العمل . ولم يعد في وسع البورجوازية  
 حتى ان تعتبر هذه الجموع الصامتة قطعياً من الحيوانات : فطالما ان البروليتاريين  
 اختلفوا الهزينة بالقوات النظامية ، فهم اذن بشر . لكن ليس قاسماً : اذا كانت  
 البورجوازية لا تريد ان يصعبوا قضاة ، فمن الواجب ألا يكفوا عن ان يكونوا  
 حيوانات . اذن كان البروليتاري ، الانسان والنعمة معاً ، يبدو شفافاً وقتياً في  
 آن واحد : كان يضع الذكاء والطاقة والشجاعة في خدمة طيبة حيوانية  
 غامضة والجزء مستقلة عن الفهم . وكلت ارباب العمل يسحرون هذه الكتلة  
 المهمة ولا يكتشفون فيها سوى انعكاس عنفهم هم . وما كانوا على خطأ على كل  
 الأحوال : فسر الطبقة العامة هو انها تعتبر البورجوازية الفرنسية عصاية الشقياء  
 ومجرمين . وما ارادت تخيلنا ان نرد صلاحية هؤلاء القضاة اليكم ، اكدت الحكم  
 الذي اصدروه : فأهل النظية والأمانة ، يتابعهم المجازر بعد التصر مدة طويلة  
 من الزمن ، ما كانوا يستطيعون ان يندفعوا بالدفاح الشروع ، وبالتالي كان عليهم  
 ان يبرهنوا على ان ضحاياهم يستحقون الموت بطبيعتهم . ولقد بدلوا في الثبات  
 ذلك قضاوي جهنم ، وكفوا يقولون : ليس البروليتاري بإنسان او بحيوان ،  
 فلو كان انساناً لاحترمناه ، ولو كان حيواناً لوضعناه في القفص من غير ان نلحق  
 به اذى ، لكنه حيوان انساني ، اي حيوان يهاجم الانسان وبوسائل انسانية ،  
 او اذا شتم انسان تجرء القوى التي لا تقاسوم الى الشر دوماً . انه حر بما فيه  
 الكفاية حتى يحضرون لنا الحق في معاقبته ، وعيد لطبيعتهم بما فيه الكفاية حتى  
 يكون لنا الحق في اليأس من إنقاذه . وباختصار ، يجب ألا يقب نظرية عنه  
 وان نكون على استعداد دائم لصرعه بدون التردد . وهكذا اعطت البورجوازية

---

البروليتاري الى ملعب خصيصي ، وارجع البروليتاريا الى ما هي عليه اليوم ورفض ان يأخذ  
 حركتها بسبب الاعتبار . ان عبء العبء من التواشيتاريا السوفيتية تشبه لحظاً الزمنية لدى  
 الأنواء المستور .

لنفسها الحق ، حتى تغسل عنها الجريمة ، في ان تردد ذكر هذه الجريمة بسبل اراحتها . وقد يحسب البعض انها واقعت بظاهر من رشد وزعمت ان الحق والحرف اطاشا بصوابها وانها لم تكن مذنبه إلا يعامل الصدفة . لكن لا زلتا تريد ان تبرد غلظتها ، وتبرجها ابعاد لتبدل وتصبح مجردة لزوع طريزي فيها .

أما رب العمل الشاب الذي حل حوالي عام ١٩٩٠ محل رب العمل القديم ، فيبدو للوهلة الأولى انه لا يمكن ان يلام على شيء ، انه ابن قافل ، هذا أمر لا شك فيه ، لكن منه الصغيرة لم تكن لهذه المشاركة في الأعدامات التي نفذت بالجملة ، والدم المنفوخ من قبل الأهل لا يعني أن تسقط تيمته على كامل الأولاد . إذن قدره الخيار ، وهو يستطيع ، حسبما يحول له ، ان يتبرأ من أبيه او ان يعالنه . ولقد اختار ، كما هو معروف ، المناد ، وهذا لأنه زرع في الحقد والشبه على الكره : لقد علموه ان قلت الضحية حتى ينموه من إدانة الجلاد . انه سيرث عن الأهل كل شيء ، ما لهم وما عليهم ، المعامل والجرائم . وبالتالي سيبرئ نفسه من المسؤولية ، عندما دخلت الصنع ، وجدت الحقد ولم أكن قد فعلت شيئاً لأحركه . علام ألام ؟ اننا ، نحن أرواب العمل الشبان ، لم تقتل أحداً ، كإله ما من أحد ، على حد علمي ، قد قتل بعد بين العيال الشبان ، . المسألة إذن لا تحتاج الى برهان : طالما ان البورجوازي الشاب لم يبرأ بعد رغبة العامل فإن حقد هذا الأخير غير مبرر ، ولا يعدو ان يكون أكثر من موقف قبلي ، علاقة أساسية مسبقة بين المعامل ورب عمله . والمعامل حقد بطبيعته ، والبورجوازي هو الضحية التجربة لبعضه . يا البورجوازي المسكين ! ما تفعل ، فإن الأخير هو الباطني ، دعوا : ألا يقول لنا ان العيال يشدون موته وهذه الحجة ما يزال يستخدمها الى اليوم الصحفيون الرجعيون : ان عمرها أكثر من ستين عاماً ومع ذلك لم يظهر عليها غضن واحد .

منذ ١٩٩٠ وما من رب عمل صغير لا يوحده نفسه بالتمتع البورجوازي . أيطالبونه بزيادة ؟ إذن فهم يريدون أن يقطعوا الرابطة القومي . أينده مؤثرون من

التوترات الثنائية بأرأسالية ؟ إننا نعلم بريدون قطع عنده واغتصاب بئانه .  
ويطلق هذه الشهوة منحت البيوجوليزية نفسها ، في أواخر القرن الماضي ،  
حقاً إضافياً يمكن ان يسمى بحق الدفاع المشروع الدائم . ان هذه الطبقة الثرية  
تتدفع بالدم الذي سحبه لتتخيل انها في حالة حصار ، مطوقة من قبل الوحش  
البشري ، وان كل عضو من أعضائها مهدد ، من المهدد الى القعد ، يخطر الموت  
الدائم . ويكلفه واحدة ، إن أولاد فرساي يفضون العمال الفرنسيين من كل  
قوتهم ، كما كان البارونات الألمان ، بعد ثلاثين عاماً من حرب الفلاحين ، مسا  
يزالون حاققين على أبناء وأحفاد الأشرار الذين عظيم آلامهم . ومن قتل سيقتل .  
ويدخل الميدان جيل ثالث من الجزائر ، ويحدد فيه فيار الجيادين السابقين وآفزر  
فضائلها . ويقتل هؤلاء الصغار في السن مسا في وسعهم ليعطوا الصراخ الطبيعي  
طابع لتأثر التبادل . فهم يظهرون حقدهم حتى يظهر العمال حقدهم بدورهم :  
وهكذا تتميززكي حبيبية بالأخرى . والخلاصة انهم يحسألون ان يبقوا التوتر  
الاجتماعي في أعلى درجاته بحيث يمكن لأبسط حادث ان يشعل شرارة المصيابة  
والقبح الدامي<sup>11</sup> . والأسلحة مشحونة والتجربوات في تناول اليد : انت هذه  
الثيبية الرسيمة تمت لنفسها مستقبلاً وغداً سعيداً . واننا لتتسامل عن العجزوة  
الي أقلتت الجيوليتاريا من مذهبة جديدة ماثلة للمذهبة سان بارلعي .

١ - الأسباب الاجتماعية والايديولوجية القوسرية معروفة بما فيه الكفاية . ويذيعي اننا  
نضيف اليها فيما يتعلق بفرسا عاملاً تاريخياً : أيام ١٩١٤ الدامية . ان الذعب الارعاني القوسوي  
يستمد ازيرة البيبيكولوجي من الجاوار السابقة . ان حركة إضرابات يضمن ان لتتأ عن وضع  
اقتصادي معين . لكن لتسبب جوية قتل فلا بد من جوية أخرى . لو على كل حال لا بد من  
ظروف متفرقة مرتبطة بزم معين : فلما كان أمثال راجاستول ( قوسوي فرنسي - ١٩١٤ )  
يعلمون بين صفة الصن الشريف ورجل المعاداة : انهم يقتلون من يقتل . ويكتسبا القول بان لكل  
منهم مبررات عامة وايديولوجية ( او المصنع ) هو هذا أو ذلك . و١٩ الرأسمال وولد هذا الوضع  
أو ذلك ) ويزرعاً حقيقياً مهدداً : الانتقام لشعبا القوماريين . ولستطيع ان نلاحظ كيف امت  
القوسرية الايطالية قد تلبت عن قرب مذهبة العمال السيلانيين وانقسمت بالحكم بقوت هو اميرال  
الأول ويستفيد هذا الحكم فيه . ان هذه الظاهرة لا مقابل لها في اقلها وانكفرا لأن الصراخ  
الطبيعي فيها المحسر بصورة عامة . وبالرغم من شدته . في الميدان الاقتصادي .

أي معجزة ؟ أنها بكل بساطة ه الثورة الصناعية الثانية ه فقد ولدت في الولايات المتحدة وانتشرت الى أوروبا وفرنسا. إن بورجوازيتنا الكبيرة على حدة خمسة وعشرين عاماً من الحفريات السان ستضاعف انتاجنا من الحديد الصلب ضعفين وانتاجنا من التولاد ثلاثة اضعاف . وهذا ما يدهو بالطبع الى العظمة لكن ليس من دون فكرة مسبقة : فالشكل مع الرأسمالية هو أنها تدر معها حفاري قبورها وهام حفارو القبور قد بدأوا يتكاثرون . فالطبقة العامة لا تنمو وتزيد عدداً باستمرار بل تضل وقد الرضا فحسب ه يسأل هي ايضاً - في مراكز التجمع المدنية - أكثر الطبقات تحياً للأولاد . ان احصائيات ١٩٠٦ تظهر الحقيقة الحقيقة : إن كل مئة مستخدم خارج يتجيبون ٣٩٩ ولداً ه وكل مئة رب عمل يتجيبون ٣٥٨ ولداً ه وكل مئة عامل يتجيبون ٣٩٥ ولداً . ويلقي ان تضيف أيضاً ان الدعاية النبوغا لتوسيع التي قام بها النقابيون القوضيون قد أثرت في الثالث العليا ه من البروليتاريا : فالعمال غير المخصين هم أكثر فئات البروليتاريا تحياً . ومنذ ١٩٩٩ لاحظ أوروبا بروليو مجزون : إن العمال الذين يحتنون الصقوف الأخيرة ه أولئك الذين يؤمنون الخلط الأعمال وأشغتها وانها تعويضاً يستمرون في تكوين الأسر الكبيرة نظراً الى عدم فهمهم مصلحتهم او الى استعادة العفة . والنتيجة إن الطبقة العامة كانت قتل ٣٨٪ من السكان في مستهل الامبراطورية الثانية و ٣٥٪ في مستهل القرن العشرين . واذا كان يتوجب ان تعطي اسماً للمعجزة التي انقضت البروليتاريا سوف أحياها تكافؤ حفاري القبور . ويشترك الدهر أرباب العمل : فالسياسة التطبيقية لفرنسا تتعدل ه ففي ١٨٥٠ كان فرنسي من سبعة يقطن في مدينة تعدادها ٥٠٠٠ ساكن واكثر ه وفي ١٩٠٠ بات كل فرنسي من أصل سبعة يقطن مدينة تعدادها أكثر من ١٠٠٠٠٠ ساكن . والحال إن ه الزيفين ه هم الذين ساعدوا الفرماويين هسام ١٨٧١ في اعمالهم الكبيرة الخادفة الى تصحيح الأوضاع . وكانت البورجوازية ه المتسدة على الريف ه والثقة من قدرتها على أن لسحق ه عند أول شطط ه الاقلية العمالية : فالجندي بعد كل شيء فلاح . لكن ما يحدث لو انعكست العلاقة ؟ من بألي دوره في التضييق إن

الحقد لسري عدواه بسرعة . والقادمون الجسد ، سواء أولئك أم لم يولدوا من الطبقة العامة ، يجرى ذكرهم ويقتنون لحسابهم الآم الالهائيين<sup>١١١</sup> . وأثناء ذلك عادت باريس ، بالتاكيد ، إلى سابق صحتها : فالمرء يقطن فيها بصورة يروجوازية ، وينتخب بتقليد ، ولا تسمع إلا مع الأخيار من الفقراء . لكن حين يوقع سكان «باصي»<sup>١١٢</sup> رؤوسهم ، يخيل إليهم أن وسواسهم القتل للسيط عليهم قد تجدد : حشد ضخم يتكلس عند أبواب المدينة ولا يكف عن التضخم : والعاصمة تواجه حالة حصار . ويقتفي سادتنا فوق التحصينات : انها البروليتاريا على مد البصر ، البروليتاريا التي لا نهاية لها والتي تملأ الزيف وتدمس بأقدامها خلال الحصار . وأثناء ذلك ، ومن أرجاء فرنسا الأربعة ، يأخذ الباشون بالتحرك لينضموا إلى جيش حطاري الثبور . إن الفرسان ليسوا لم يقتلوا سوى حفنة من الأشخاص . وعلى حين فرقة يتكلسف أولادهم أن هؤلاء القتل قريبة لا يحصى لها عدد . ولا بد من وضع حد لهذا .

كيف ؟ ان الكلام يدور من الآن عن دمج الطبقة العامة : لكن في هذا الكلام تسرعاً . فالدمج معناه لزعة أوبية واعدامات ١٨٧١ قد مزقت الأوبية شر تزيق . في الشمال تقوم «الشركة» بالدمج بصورة جماعية وسريعة : لكن هذا لأنها تعمل في دائرة مغلقة . ففي تلك المحافظات المغلقة التي لا يدخل إليها أحد ولا يخرج منها أحد ، لا تطرح مسألة الإسكان ، وكل شيء في متناول اليد : فالسكان يعبرون المهنة من غير أن يبدلوا تقريباً مكان الإقامة ، وإذا طامروا قرىهم فإنما يقبضوا في المدينة العمالية المثبتة بمخارباها : فهم يحصدون فيها اطارات وتقاليد وتسللاً اقتصادياً كانوا فيه عمدة سلفاً . ويكتفوا واحدة تتم «فهرتك» البروليتاريين باقتطاع كميات محسوبة من الرقيقين . لكن في ضواحي باريس ، في ضواحي ليون ؟ كيف يمكن توجيه تحول الفلاح إلى عامل ؟ إن مت المصانع تبيعس باستمرار من الأرض وينقل غيرها أبوابه . ومطالب السوق

١ - جنود الحكومة عام ١٨٧١ . ٢٢ . ٥٥

٢ - ضاحية من ضواحي باريس . ٢٢ . ٥٥

تستقر باستمرار لتعديل تقنية الانتاج ، وتخرج هذه التغيرات في عدم استقرار دائم للوظائف ، والعمل غير مرتبطين جغرافياً لئلا يكون عملهم . فهي لوفالوا - بيريه ، وفي شارلوت ، يفتخر السكان الشيطون كل مساء وبشتون . ويحل محلهم آخرون قادمون من اى كان . أهيبقى السعي وراء انصاف البشر هؤلاء ؟ ومن أين يؤتى بهم ؟ وكيف السبيل الى تحييدهم ؟ وأي تأسيير تنبغي تمارسه عليهم ؟ إن المزاخمة تعارض الأبرسة : فهي التي تعدل باستمرار سياد الضواحي ، ويصحبها فتراج هذه الأكادس من البشر باستمرار بفصل الحركات التذبذبية التي لحاق ميكانيكياً تحول الربيع الى برولينارين . انما ما العمل ؟ تخفيف التمرکز ؟ أجزلة هذه الكتلة الضخمة التي تتعاطم فيها ادنى طبقة لتصبح رعداً ؟ إن هذا الحلم ليس بالجميد ولقد كان ينال إعجاب أرباب العمل . قبل الثورة الفرنسية بئد طويلاً عندما كانوا يهدون بالعمل الى فلاحين يعيشون خارج الأسواق حتى يتصلصوا من الانظمة الحرفية . تخفيف التمرکز وتخفيف المركزية وتخفيف الاحتقان ، واستبدال الكتلة الكبيرة للتمتع على الرقابة بد كتل صغيرة ، متنازلة في طول البلاد وعرضها ، لتسهيل الرقابة عليها ؛ لكن الأوان لسوء الحظ غير مناسب ، ثم لا بد لذلك من وجود تقام وخطة موجبة: وهذا ما تضع المزاخمة أيضاً في وجهه المراقيل بتفورها الشفافي مسين أرباب العمل .

انما ؟ كيف السبيل الى الحيلولة دون صعود البرولينارين الخيف من التسيير على كل حال اطلاق النار على الأكادس دولساً تيز . قنينة الآداة تناسب فترات البطالة . وفي ١٨٤٨ كانت مغلوبة وحكيمة : أم تكن اليورجوزيا على صواب حين أنتت بالسلاح اناساً يكلفون من غير ان يفتكوا؟ وعلى كل حال وقعت على عاتق الاقتصاد السيم الى ، تلك الآلة المدعشة ، مهجة إعادة التوازن يحمض وسائله الخاصة . ولم يكن بحاجة إلا الى بعض المساعدة ، ولا يستطيع أحد ان يلوم اولئك الذين اعلموا العمال ليحولوا بينهم وبين الموت جوعاً إلا اذا كانت سيء النية . لكن هذه الأسباب لتسها تنبع في مرحلة الازدهار ، عرقلة التطور

الحر القوى الاقتصادية . ومما يمكن أن نرى في السكان العاملين ، فإن عرض اليد العاملة  
 يظل دون مستوى الطلب ، وإطلاق النار على الإنسان في الوقت الذي يساوي  
 فيه لنا غالباً ، إذا هو تذبذب . ومن حين إلى آخر تستطيع الحكومة أن تسبح  
 نفسها ، كما في فورمي ، بتطوير عمل القوى العاملة ، لكن لا يد أيضاً من الحذر  
 والاحتراس ، فالوحيث الطبقة العاملة ، لو قمت خسارة قدر الملايين ، إن تبن  
 وربنا بتصحات بالجموع إلى قوى المائتوية الاجتماعية التي تعمل جهدهم والتي لا  
 تظهر نتائجها في البداية لبيان نظراً إلى بطئها الشديد . وطالما أن العامل ليس  
 المحنص ، كما بين ذلك لوروا بوليو ، يجعل مصالحة الحقيقية ( التي تأمره بالطبع  
 بأن يغطس بأسرع ما يمكن ومن دون أن يخلق نظرية ) ، فلا بأس أن جرت  
 عبارة لفتح عينيه . وعلى هذا فعلى حكومتنا أن تأخذ على عاتقها مهمتين :  
 تهيئة الفلاح في أرضه وتسهيل طفة الفقير . وتشن حملة خطابات . ولتقدم في  
 جنيات البرلمان ومجلس الشيوخ والأكاديمية سيحة واحدة : « الأرض لسوت »  
 الأرض ماتت ، تسمى الأرض ، وينوه الخطاب بأي من فقد تكثرت فرنسا  
 حتى اليوم من تحقيق التوازن بين زراعتها وضاعتها : وأما في هذا التوازن  
 الزايع لقوى النتيجة يجب أن تبحث عن سر سعادتنا وفضلنا . إيانا ومن هذا  
 التوازن ، إيانا ولجريد الآله الرجوع من رغبته في أن يكون فرنساياً . وهذا معناه  
 بالطبع : نسبق على التفوق العمودي الفرنسيين على العمال . كتب السيد سوري :  
 « حين نحارس الطبقة السائدة السلطة المطلقة ، نكون من نصائر نحو السكان ...  
 وحين يحصل المودون لسبب أو لآخر على حقوق ، ونقع بالتالي على السائمين  
 وأحيات ، يتغير مظهر المسألة ... فطالما أن السيطرة لم تعد مطلقة ، فإن لحدوده  
 عدد الرواديات يصبح مفيداً إن لم يكن لازماً وضرورياً » .

كان الأب يقتل العمال المشطين . واليوم يجري إتساع الابن والحياة  
 بينهم وبين التراث . إنها نصيحة متارة ، لكن لا بد من أن تكون هناك  
 إمكانية للأخذ بها ، هي فترة الانطلاق الصناعي يتقدم تكاثر العمال  
 مصالح الاتساع ، وفي مستقبل هذا القرن كان البروليتاريون يعنون على



الحرف لأن عدمه كان أكبر مما يبغي . لكن المصدر الحقيقي لسلطنتهم التقنية هو أن عدمه لم يكن كلياً بعد . ان تطلب اليد العاملة يعنى من شأنهم ، وسيب ارتفاع الأجور ، ويعد من الحقوق الواقعة لأرباب العمل : بين 1871 و 1910 ارتفع العدد السنوي للأضرابات من 267 الى 1073 ، وأرجعت نسبة نجاحها بين 55 و 70] . ان المصطفيين يشتمون بزايا العدد والتدرة في آت واحد ، وإذا كان الفوضويون قد انضموا الى أرباب العمل على صعيد الدعاية لتسع الحمل ، فهذا لأنهم اتخذوا من المالتوسية سلاحاً في الصراع الطبقي .

إن الرأسماليين الفرنسيين يتعرضون للضيقة من قبل وأعماليتهم بالذات ، فهذا النظام العبودي يفرض عليهم ان يارسلوا سلطة مطلقة على الجماهير ، لكنه يجعل هذه المهمة مستحبة عليهم في الوقت نفسه بزيادة باستمرار حاجتهم الى اليد العاملة . ويطلب أرباب العمل متورعين بين متطلبات السيطرة والريح المتناقضة ، يشتمون شعورهم : كيف السبيل الى الحفاظ على الأرباح بدون زيادة الإنتاج ؟ كيف السبيل الى طمئع البروليتاريا من غير أن يؤدي ذلك الى ارتفاع الاجور ؟ كيف السبيل الى تحويل فرنسا الى أمة صناعية كبيرة مع الأبقاء على طابعها الديموقراطي كبلد زراعي ؟

إن الأجوبة في الأسئلة ، لكن وأعماليتنا ، الواقفين بين طرفي كثرة الحرف وإجراء الریح ، يترددون في البحث عنها : ولهذا السبب نجد في فرنسا 1914 ثيارين ، أحدهما يؤيد نمو السكان والثاني مالتوسي ، وكل منهما يتجاوب مع احد حدود التناقض . ومطالعاً كانت الفلحة في النهاية لمذهب نمو السكان : فقد أخذت منه الحكومة مذهباً رسمياً لها . لكن المسألة لا تعدو ان تكون أكثر من التقليل ، ففحاربة فاقة الولايات هاربة حقيقية ، لا يسد من البدء بتخفيض تكاليف الحياة . ولا كان كل العزم ، على العكس ، هو منع هذا التخفيض بكل الوسائل ، فإن « السياسة الديموقراطية ، لوؤرثنا لا تعدو ان تكون أكثر من لفظ فارغ وقشائير لا حول لها ولا قوة<sup>(1)</sup> . والمقابل يدل كل شيء على ان البيروقراطية قد

1 - هو ذا الذي يؤيد نمو السكان ؟ الصناعيون ؟ العباد بالذات ؟ فقد وجدوا في المالتوسية -

اختارت سراً الحل الآخر . وما قد يفاخنا هو انها اختارته لهاها ، فاستكارت  
 الصواحي المياغت يبدو وكأنه بسبب داخل الاسوار انتماراً في نسبة التولات .  
 فلنكأن الاغنياء ، المعجزم عن خصي الفقراء ، قد خصوا أنفسهم : إن القسم  
 البورجوازي يشبه إلى ابعاد الحدود ملوك انسان فاشل <sup>١١</sup> . واصبحت العاصمة  
 غير العريق . وفي الوقت نفسه قامت ، بلغة معامل الصور ، بإجراء الولي تجارب  
 المالتوية الاقتصادية مع تباعبها في الآن نفسه بتابعة ، التقدم العطس للسنوات  
 السابقة ، ان كل شيء في عهد : وفي عام ١٩٦٦ . لم يكن قد تبقئ من محمل  
 سوى بناء الآلة الجهانية التي ستربط عن طريق شرط متبادل بين المكائد المجهضة  
 للصناعة والسكائد المجهضة للأسرة البورجوازية . وكانت الزعارج الكبيرة التي  
 شهدتها الحرب وحلبة ما بعد الحرب هي القل المطلوب لانفاج ارباب العمل وحلهم  
 على حزم . وتبينت النطبة ان الحضارات قانية : يا لهراسا المسكينة ، الفسة

الاقصادية وسية لتحقيق التوازن بين عرض اليد العاملة وطلبها . كلا : انهم لئلا المديون  
 والمسكرون والكنهة . ان هؤلاء المشأخون ما زالون يمشون القسم يمشون في ظل العهدة  
 القديم ، في العصر الذي كان فيه لامورالديع ينصح الحكام ، يضاقة عند الرعاع والجرولات ، .  
 ولم يلاحظوا ان البورجوازية انفس سلطانها كفا الواحدة لفر الآلوي وانها دخلت في مرحلة  
السيطرة النسبية . لكن الصناعة الكبيرة تطيب خاطرم في كل حال ، لتدعيم المقاصب القتال  
 بنمو السكان ميدان الرماء في العيون حول امحاطة السوية وما تحت الأرضية لتقليل السكان .  
 - موقف طروب . فالمكائد البورجوازية ( بلنشاه ملك التي انشي ان ارماسا بنية )  
 تاريس حامة لحدود التسل يختلف اشكائه نا في ذلك الاجهاض . لكن هذه البورجوازية عينها  
 تدعو في الانتخبات حكومة تعاقب بالسجن ( واهيافاً بالأعدام ) لتدابع السياسة للعمل .  
 والتناقض يبدو كبيراً انما لم نلقه في ان نشاء البورجوازيات لهدراً ما يقفن في القفص بتهمسة  
 الاجهاض ، فمن لا ترى تعريباً في القفص سوى مستخدمات بسيطتان او عاملات . ان كل شيء  
 يجري ظاهراً كما لو ان الطبقة السائدة المالتوية بالنسبة الى قانيا ومؤيدة للعب لفر السكان بالنسبة  
 ان الطبقات السوداء . والحال ان هذا غير صحيح ، فقد كان مفروضاً فيها ان تطور الاستقام  
 نفسه وبقيام الأطفال ، والحال اننا نعلم انها مستخدم للبحث عن الأطفال حتى في بطون الأمهات  
 لتزكيم قيا بعد بطشون كالتالي . ان ارباب العمل لا يمتنون ان يكون هناك عمال كثيرون .  
 انما يمتنون فقط ان يتزاخوا من البروليتاريا لوجبه لسلها حتى يفرم التوازن بين طلب اليد العاملة  
 وعرضها آتياً من نطاق الآلية الجهانية التي ركبوها .

سفك دعما . ماذا سيعمل الكون بدونها ؟ . وما كان الكون ليأبه حيا ، كما هو  
 معروف . لكن تلك المراتي الاكاديمية كانت تخفي رهبة حقيقية ؛ ولم يحسن  
 الموضوع موضوع حرب او قمع . فبين ١٩١٧ كان ارباب العمل قد اقتنعوا بان  
 النصر النهائي سيكون لبروليتاريا . وقد لا يسألني هذا النصر اليوم أو غدا ،  
 لكنه سيأتي حتما ، ببطء ، بتصميم ... وعاش ارباب العمل تحت مظلة هذه  
 البداة القاسية الفظة : اجلس ، اجل ، ان اولئك الاثقال سيتصرون ! ان  
 البروجوازية لم تعلم شيئا ولم تفس شيئا منذ سبعين عاما ، وجميع تطور الجزيرة  
 العربية لم تتمكن من غسل دم يديها ؛ وهكذا وجدت نفسها من جديد كما كانت  
 عام ١٨٤٨ ، وكما كانت عام ١٨٧١ ، يراجعه البشر المقسم ، قتل الكومونة ،  
 الذين سيتوجب عليها ان تلجهم للمرة الثالثة بلا جدوى . لكن الغلبة ستكون  
 لهم هذه المرة ، ولن يشفق عليها احد لأنها لم تشفق على احد في ساعة مجدها .  
 ورأى ارباب عملنا انفسهم هالكين ، وبساعات فرنسا البروجوازية تتكلم عن  
 نفسها باللسان منقعة مؤثرة . عن نفسها ، أي عن النوع الانساني لأنه لا فرق  
 عندها بين التليق بنهاية العالم او بنهاية الزمان : قطالما ان التعامل لا يعدو ان  
 يكون اكثر من حيوان ، فان مصير الانسان بين أرجل التعل ، وحين سقطتولي  
 عشائيات الاجنحة المجانية هذه على السلطة فسوف تخسر املاكنا وحيواناتنا  
 وكرامتنا وكل تلك التعميمات التي كانت تستاهل بالأمس الموت من أجلها .  
 وسوف يقدمنا السادة الجده طعاما للعث ، ويفور ملكوت الانسان في الماضي .  
 ولا نضعه على التاريخ لينصفنا ولو بعد ان يلحق بنا الحيف ؛ فالتعل سيجسد  
 كتابته . ان مستقبلنا مسرود بتلك الكارثة المرعبة التي ستتابع تدعيمها بعد  
 موتنا والتي تجعلنا مثقالا ، في نظر انفسنا ، امواتا اجياد ، لو على احسن  
 الاحوال اخطاء مفسرة ومصححة .

وفي الوقت نفسه ، وفي القارة نفسها ، كان الحلق والحرف يولدان في كل  
 مكان الانظمة القاسية ؛ كانت هذه الأنظمة ، لذا تجرأت على القول ، رد الفعل  
 « السلام » ؛ افا كان الايطاليون والالمان قد عاودوا ، مع تأخير قدره قرن

من الزمن ، مذهبة سان بارثلمى ، فهذا دليل على انهم يؤمنون بالنصر والرأسمال .  
 ووسط هؤلاء الجانسين كانت البورجوازية الفرنسية المعجزة ، الثالثة بالشين  
 والجرائم ، تظهر بظهور داعية الانهزامية ، باليون الثالث ، المهار ، معسكرات  
 الموت البطيء ، انما تعرف كل شيء ، وتستطيع ان تقول ، في النهاية ، ان هذا  
 لا يجدي قليلاً . إن الرأسمالية فتحت موتها بنفسها . والبروليتاريا تشبه شيان  
 ليون<sup>11</sup> : كلما قطع لها رأس نبت عشرة مكانه . ان فلأحدر ألا تقطع عليه  
 الرؤوس المتكاثرة المرفسة ، والأحسن ان يُبحت عن رسيه لجعلها توت جميعها  
 نصف ميتة . ونحن كان بورجوازيو الجنوب والشرق يصبحون : « الى السلاح »  
 كان البورجوازيون الفرنسيون يحيون : « فلترجي » . ونحن كانت الاضحي  
 يصرخ : « انهوا واقتلوا انهوا » كان بورجوازيو يتقون : « اتصوا القناه » .  
 أجيل ، اما في ذلك العصر ركبت عندما الآلة التي تدور على نفسها : طالما ان تقدم  
 الرأسمالية يفوردها الى ملاكها ، فسوف يوقف التقدم . وطالما ان تراث هذا العالم  
 منتقل اجلاً ام عاجلاً الى ايدي أخرى ، فسوف لتدور بورجوازيولنا امرها التنتج  
 ما هو ضروري ، واستهلك كل ما تنتجه . وطالما انهم يتسابقون لنا يفسق الإنسان  
 فسوف تعطيل في أمد الموت إذ تطلق له اقتصاداً قسبياً . وطالما ان المراحة تحت  
 على زيادة الإنتاج ، فسوف يوقف تطور المراحة . وطالما ان الضواحي تأتي ، في  
 ايام الفتنة ، لتحتل شوارع باريس ، فسوف توضح العراقل في وجه التمرركز التكنيكي  
 لإبطاء التمرركز الاجتماعي . وزيادة الكلام ان المطلوب هو إيقاف التاريخ . لحظة  
 من الزمن . لحظة صغيرة من الزمن . إن ارباب عملنا يريدون ان يؤخروا التكاثر  
 بضعة عقود عن إنتاج علم الوقت الموت في سلام . وليس في هذا من صعبية  
 بشرط ان يهيل الرء بدمار البلاد : ذلك انه ليس المطلوب اكتساب قسوى  
 جديدة ، بل ان نعرف كيف تستخدم نقاط ضعفنا ونعزز كل منها بالأخرى ،  
 السوق قبل الى الانتكاس ؟ حسناً ، سوف يجهزون عليها خفياً برفع الاسعار .  
 الاسعار قبل الى الارتفاع ؟ اذن فسوف يدعون هذا الميل بتخليص الانتاج .

11 شيان خرافي كانت له رسيه رؤوس ، كلما قطع احدنا نبت غيره . . . . .

المواد الأولية مفلوذة ؟ انزف فهذا سبب ممتاز للخضوع لسيطرة الاجنبي .  
 الاطفال نامرون ؟ اذن فسوف يزيدون في ثورتهم يدفعهم بالأهل الى اليأس .  
 والحق ان الماتتورية الاقتصادية تعتمد على الماتتورية الاجتماعية وتعمل بها :  
 فالطفل بحاجة الى ما يتفق عليه قبل ان يصبح قادراً على الكسب ، اذن فهو  
 مشروع جديد يتطلب توظيفات جديدة . وعين تفر فرنسا بكاملها من تجديد  
 ادواتها ، فلا مبرر لتخلي بتجديد المادة البشرية بلا ضرورة . وأين العجب في  
 هذا بالأصل ؟ فالنهضات الاقتصادية غالباً ما تفرق باضطرابات ديموغرافية :  
 والآباء لا يريدون الابناء إلا أنهم يساهمون في مشروع جماعي يفرض في هؤلاء  
 الابناء انهم سيرون نتيجة بأمر عينهم . لكننا لا نتشقر سوى الطوفان : فنادا  
 نجيب اعطالاً سيترضون الفرق ؟ فلتقع العامل بالآخرى بأن فرنسا ستوت ،  
 وبأن مصير الأبن سيكون اسوأ من مصير الأب : فهذه احسن وسيلة لتسح  
 عيبيه على مصالحه . وهكذا نظمت يورجوازينا ، وسط اللجينة الفاشية ،  
 استحقاقاً طبياً قد يمتد نصف قرن من الزمن . لقد كان رد فعلها الأول ، في  
 مواجهة التهديد ، سلوك انسان فاشل . ثم عادت الى هذا السلوك وحولته الى  
 استراتيجية دفاعية . كانت تلعب لعبة من هو واتسق من الحسارة ، اذن فسوف  
 تلعب على اساس ان من يخسر يربح . واقتصاد الدوار سيدور بصورة ابطأ أكثر  
 فأكثر ، وذات يوم يصبح سيكلف عن الفوران : لكننا سنكون آنسذاك في  
 عداد الاموات . واذا ما عن يبال الروس يمدك ارت يضعوا يدهم على فرنسا  
 الجميلة ، فلن يمدوا سوى حيلة وسلسري اليهم عدواها . ان الماتتورية الفرنسية  
 هي بالنسبة الى شقيقتها الابطالية - الالمانية ، اقصد الفاشية ، ما هو الدفاع  
 بالنسبة الى الهجوم ، والمقاومة السلبية بالنسبة الى الفعل ، والانتوثة بالنسبة الى  
 الذكورة ، والشاؤم بالنسبة الى التفاؤل ، وبكلمة واحدة السلبية بالنسبة الى  
 الايجابية . وفي كلتا الحالتين لا يتطلع الحكام إلا الى فرض السيطرة المطلقة من  
 جديد على المحكومين : لكن النازيين كانوا يريدون ان يقيموا قوتهم على جهروت  
 جهازهم القومي ، واليورجوازي الفرنسي يستمد سلطته من لا حركية منحة

تحكم بالعجز عن عبء الطبقي .

لقد رأينا حيرة ارباب العمل واضطرابهم امام التور العدي لبروليتاريا :  
« اذا استمرت في التور أكتنا . واذا حدث وتناقصت » فقد تفقد الصناعة  
ذراعها . « والمالتوسية لجعل هذه المهارف باطة : فلانتاج بأمن في الوقت  
الذي قيل فيه الانتاجية الى التور » وشروط البطالة التكنولوجية متوفرة  
ومشتمة ، اذن فكيف جماع الطبقة العاملة يبدو مرجواً من مختلف وجهات  
النظر . والمالتوسية بالأصل هي التي تقدم أيضاً وسائل لتحقيق هذا الكبح .  
إن البروليتاريا تتور فواً مفرطاً لأن العمال يتعبون كثيراً ولأن الروليسين  
يجرون الأرض بأعداد كبيرة . ومنهجه الجود الاقتصادي سيسمح بتعديل  
هذا العامل وذلك .

الولادات أولاً : فبدأ من 1935 وراح ارباب العمل يكسبون عن طسول  
الحط . ولم تكن أي وسيلة قد نجحت قبلاً ، فقد كان أولئك الفلاحون الاجلاف  
يشبون في الاحتفاظ بمخصب الحيوانات . لكن كفت بضع سنوات من الاقتصاد  
التراجمي لانقاص نسبة التوالد العمالي : فهذه المرة فهموا « ولتفقوا شأن  
البورجوازيين فاعماً . ولقد أراد البعض ان يجد سبب هذا التور المباحث الى  
الطرائق المالتوسية في تطور البروليتاريا الداخلي . وليس هذا خطأ : فقد  
أصبحت الطبقة المنتجة أكثر تجانساً وابتداء العمال فيها أكثر عدداً من ابتداء  
الفلاحين . لكن اذا كان الاوائل أقل إنتاجياً من الآخرين ، فهذا لأنهم كابدوا من  
عنة يؤس المدن والياس زعناً أطول . ونحن نسلم بالطبع بأن ملاحظتهم كنتاج  
لذلك العام التنكيسي الذي ينتجونه لناكد يوماً بعد يوم أكثر فأكثر وبأنهم  
يتعلمون شيئاً فشيئاً تقنيات الحياة والموت : كان الآباء خاضعين لخصيات الجسم ،  
اما الابناء فيعرفون كيف يوجهونه . لكن تحديد النسل ليس إلا وسيلة ويمكن  
ان يتخذ لحايات متباينة جداً . انه لا يستطيع ان يفسر وحده العمق الفاجيء  
والعنيد للأجيال الجديدة : إذ لا يكفي ان يعرف الانسان بالطرائق المالتوسية ،  
اذا ينبغي أيضاً ان يريد استخدامها . فهل نتحدث عن عة هذا الاستكشاف

في المطالب اللاتسانية للانتاج بالجملة ؟ لا ممانع لها شئنا . لكن التفسير : تحت  
هذا الشكل ، يظل ناقصاً لأن نسبة تناقص الولادات ليست واحدة في بلدان  
الراحيالية المتقدمة . ان عمل العامل نصف المخصص شاق فربما . ونحن بصبح  
منهكاً لا يطاق ، فلا بد ان تطبق المعايير الجديدة في اطار اقتضاء المعطاي .  
اسأوا بالاحرى العائلات الغالية : لماذا لا تنجب الأولاد . إن الجواب لا يحتل  
الشك : « اننا نعرف الآمنيا ولا نريد ان نسبها لغيرنا » . انهم لا يتصورون  
هم المحكوم عليهم بان يعيشوا في عالم التكرار ، من مستقبل آخر لأبنائهم غير  
ماضهم بالذات . ومن تجربة تتحول بوجوازيتنا الى قابلية قارس الاجهاض ؟  
وتتابع بظرافتها الحاسة عمل آياتها : فبدلاً من ان تدفع لرغم المصم على قبح  
نفسه بنفسه .

ثم الحجرة الزئبقية : فمن الواجب ابطاؤها او موازنتها او كلا الشئين معاً .  
ولا أسهل من ذلك اليوم : معروف ان الفسلاح لا يجدهه انواء المدن الغالية ،  
لكنه يدفع اليها وينهاكك عليها من فرط يؤسه . اذن فلتكفل له يؤساً لا شطط  
فيه . ان هجرات القرن التاسع عشر الكبيرة لثية بالدروس . فالهجرة الأولى  
التي حدثت حوالي عام ١٨٦٠ ، يرجع سببها الى تركز الأراضي وما نجم عنه  
من تحولات في الزراعة : فقد اخراج بعض الصناعيين السوق الفلاحية ، وضغوا  
وباعوا محاربت واحدة كبلوية ، فزاد مردود الأرض ولها ، وتناقص الطلب  
على اليد العاملة ، ووجد آلاف وآلاف العمال الزراعيين اليابوسين انفسهم على  
قارعة الطريق ، ولبعهم آخرون اقل يؤساً بعد ان تلاش كل عمل لهم في ارض  
يصحوا ملاقاً . ولم يضع الدروس هيأة : فالمسالتيوية تعرفل مكتبة التقنيات  
الزراعية لتبني على تجزؤ الملكية . ومعروف ان عمليات النقل تشغل اكثر من  
نصف الوقت المخصص للزراعة . حسناً : اذن فسوف يشتمل الزراعون بعطف  
خاص جداً بإستعداد الجمرات بعيداً عن متناولهم وبالحفاظ لهم على ٨٠٠٠٠٠٠  
كيلومتر من الطرق الوعرة . فليذهبوا على اقدامهم ، وليحرفوا القشرة الأرضية  
بأهوائهم القدية ، ولجزعوا بأيديهم العارية : فهذه أحسن ضمانة لاستقرار

الاجتماعي . ولما كانت الوقائع الاجتماعية متداخلة ، فإن تجربة المكثبات هي التي تؤثر أيضاً مكتبة التنبؤات : فالاستنتاجات أصغر حجماً من ان تنفيذها قريباً افادة كبيرة من المكتبة . وهكذا نجد ما لتربية الصناعة لبرورها في فترة الطلب<sup>١١</sup> . لكن اذا ما شارك الفلاحون ، اذا ما خطر لهم ان يشارفوا الجرارات بالشارك ؟ يقول الاختصاصيون : « بدون التشارك لا يمكن فعل شيء في هذا الميدان » . لكن العهد على وجه التحديد لا يريد ان يفعل شيئاً : فبقية كل التداعي الخوف من التحويلات الاجتماعية التي قد تسببها الآلات على الأرياف . ومن حسن الحظ ان هناك الزوطين : ان فلاحينا لم يفتروا من مرحلة التظام . والعهد يولي للزعتهم الخصوصية لكنه يرحبها ويحبها من طرف خفي . والدولة تفعل كل ما في وسعها ان تقعد للحفاظ على الجسمل الفلاحي الثمين : ففي عام ١٩٤٩ تلقت وزارة الزراعة ٤٧١ مليوناً من اجل التطلع الزراعي مقابل ١٤ ملياراً لوزارة التربية من اجل التطلع الفني والتدريب المهني . والنتيجة هي اقتتارها الى ١٥٠.٠٠٠ مدرس زراعي . وبفضل هذا العجز الخروس بتأية ، لا تتجاوز نسبة المستقرين الزراعيين الذين يشغلهم التسويجيه التكنيكي عندما ار ٣٠ ، بينما توقع هذه النسبة في الداتوك الى ٩٥ . هالحن قارنتع في بمبوحة الاطمئنان : ان الضالين انفسهم هم الذين سيطلبون بالنظام الخليل . وهكذا تدور الآلة على نفسها .

والهجرة الثانية الكبيرة في القرن الماضي - هجرة ١٨٨٠ - كانت نتيجة للزراعة الأجنبية . كان اقتصادنا الزراعي نصف مطلق . وجاء تطور المواصلات ليضع اميركا على أبوابنا ، وأغرق العالم الجديد اسواقنا بتنتاجاته الغذائية . فتدهورت الانتاج : وإنما بزارعينا يحدون أنفسهم على قساعة الطريق من جديد . وهجر الأرض حوالي مليون انسان . وحتى تلحق الدولة الآخرين بالقاء

١ - حتى في هذا الأمان ( أي في فرنسا ) ان نسبة مزدوية الجرارات هي ١٥ مكثراً ) ، فإن حاجتنا من الجرارات ستكون حوالي ٥٥٠٠٠٠٠ . والحل اننا لا نملك سوى ١٣٠٠٠٠٠٠ .



في مكابهم ، لجأت بسرعة الى تدابير الحماية . لكن فيما بعد ؟ كيف السبيل الى تجنب عودة الكارثة ؟ ازيادة الرمود ؟ هذا يتطلب مسكنة : لكننا نكون في هذه الحال قد طرفنا التقدم بيد تلميذ إدغاله باليد الأخرى . والبعولة دون هجرة كهجرة ١٨٨٠ تمتد العدة لهجرة كهجرة ١٨٩٠ . إذ ان سنسليد من النتاج للتخصص في الزراعة المتفرقة كما تخصصت الكتلرا في الصناعة الرقبة النوعية ؟ مستحيل : فالتخصص في الزراعة يعني تكييف المزارع . كما ان هذا التخصص سيؤدي حتماً الى ما تريد ان نتجنب : الهجرة . وللوصول الى الاسواق الخارجية ، لا بد من الكنتنة والتحديث وزيادة الرمود وتخفيض اليد العاملة ، وعندها سيرك الفلاحون قراهم . يا للفلاحين الملاحين : فعند ايسر تقدم يعاودون الهجرة او من حسن الحظ ان المسالتوسية توفر وسية تثبيتهم : فطالما ان التقدم هو الذي يطردهم ، اذن فمن الواجب حمايتهم من التقدم . فليتجروا القمح ، والقمح ايضاً ، القمح دوماً ، بأعلى سعر ، وأجهد عمل ، وبأكثر الكفريات تخلفاً : ان الطلب على اليد العاملة سيتعاطم كلها وضعت انتاجية كل عامل<sup>١١</sup> . وضد المزاومة الخارجية يشاه سور أطلسي ، ولعزل فرنسا عن الاسواق العالمية . اما بالنسبة الى المزاومة الداخلية فالأمر ايسر ايضاً ، إذ يكفي اقدم والتدمير . وطالما ان مستعمرى الشمال والغرب لا يستطيعون عرقلة الانتاج بالمير نفسه الذي يمرقه به الصناعيون ، فإن الحكومة سلساعدتم : فهي مستعمرى منهم النتاج الفاتس لتحرقة . وباختصار ، ان فرنسا تضرم في خلالها نار القرح ، وكل فرنسي يدفع مائلاً ليتفرج على البضخان وهو خاوي المعدة . ان فرنسا تنفق الملياتر في التخطيط لكنها تبلغ هدفها : فالخيز عندنا أقل

١ - زادت انتامية العامل الزراعي في الولايات المتحدة في الأعوام العشرة الأخيرة ١٩٥٥ . سنوية . وانه ما حقلت فرنسا في الأعوام العشرين القادمة زيادة سنوية بنفس النسبة ، فإن دخل الانتاج الزراعي سيقع من ٢٥٠٠ الى ٣٥٠٠ مليار لكن عدد العمال سينتقص بنسبة ٥٠ في المائة تقريباً .

خيز في العالم<sup>١١</sup> ، والمزارع عندما اقل المزارعين مثلاً<sup>١٢</sup> . وهذا ما كلفه المذهب ، لا يخامرة الشك في ذلك : فالالتوسية بثقيتها اسعارها الزراعية فوق الاسعار العالمية واسعارها الصناعية فوق اسعارها الزراعية ، تركت وتحفظ في كل لحظة ، عن طريق خلق متواصل ، الفلاح الفرنسي ، ذلك الوحش الأحمق الأليم الذي يريد النهاية المفروضة ان تصوره حكيماً عاقلاً ، والذي يهتق نفسه في العمل كيلا يبيع شيئاً ، والذي يعتقد انه يملك ارضاً لا يمتنع حتى يحق الانتفاع بها ، والذي يدافع عن مصالح السلاك الكبار ويصوت مرة كل خمس سنوات ليؤمده خوف المزيد من البؤس . ان الانسان الطبيعة هذا يجهل انه نتاج مصطنع وان مصيره يفكر في المدن شأن مصير العمال : لكنهم يعرضونه على المدن بتذكيره بأن مدنيته يفتنون فيها ، ولا سيما على العمال بالإيهام اليه بأن مطالبهم تؤدي إلى ارتفاع الاسعار الصناعية . ولو نزع الفلاح زيادة الانتاج وتكاليف أقل ، ولو طالب بمدد متعاطف من الجارات بأسعار متناقصة ، فكريا اندرك ذات يوم ان مصالحه ومصالح العمال الصناعيين مشتركاً : وهذا على وجه التحديد ما هو غير مرغوب فيه . فالاستقرار يقتضي ان تفصل الطبقات السكادحة عن بعضها بعضاً بمواجز من الكراهية وعدم التقوى : ان ارباب العمل الكبار ، للفتين يبدأ فرق سد ، يرعون ويولون على حسابنا جماعة من المتوحشين الطبيعيين في الأرباح لخفض سياستهم دعمها الانتخابي .

لكن عليهم ألا يلهثوا في مطالبهم : فصحح ان اللاتوسية تعوقل هجرة الريفيين الزمته ، لكنها لا تفيها . وبين كل ١٠٠٠ شغيل كانت هناك في عام ١٩٠٥ ما يقارب ٤٨٠ مزارعاً. وفي عام ١٩٣٠ انخفض عددهم إلى ٣٧٠ مزارعاً. وفي عام ١٩٥٣ الى ٣٢٩ مزارعاً فقط : اذن فالهجرة مستمرة ، لكنها بدلت طبيعتها واتجهت نحو الوظائف الادارية الصغيرة . وهذه أيضاً إحدى نتائج

١ - في ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، تكلف ١٥٥٠٠ حورية ١٠٠٠٠٠ فرنك في ألمانيا .  
 و ٩٩٠٠٠٠ فرنك في فرنسا .  
 ٢ - ان المردود الخام خمس مزارعنا لا يتجاوز ٣٠٠٠٠٠٠ فرنك سنوياً .

الاقتصاد الخطاطمي : فالفلاح الفارقي في النيون حتى عتقه ، والبيت جوعاً في أرض مرهونة ، يريد الأمن لأبنته . إذن فسوف يعمل منه موهفماً . ثم ان التقدم التكنيكي على الاخص بولد أو بطور طبقة جديدة سيوازن نوعاً سريع لسو البروليتاريا ثم يوقفه ويتجاوزة ، وهذه الطبقة هي الطبقة المتوسطة للأجورة . ونحن نعرف ان كولن كلارك أثبت ان هناك رابطاً احصائياً ، بالنسبة الى معظم البلدان الصناعية ، بين الدخل القومي الفردي وبين نسبة الاجراء غير التتجيين ( أو المتتجيين بصورة غير مباشرة ) في السكان الماطلين . وإذا أخذنا بمصطلحاته فنقول ان الزمرة الثانية والزمرة الثالثة<sup>١١</sup> لنا معاً وبنسبة واحدة حتى الحرب العالمية الأولى . وكان ذلك في العصر الذي كوشت فيه الصناعة الرأسمالية اطارها وكتلتها من اليد العاملة معاً . وبعد ١٩١٨ تسارع نمو الزمرة الثالثة بينما تباطأ نمو الزمرة الثانية . والتطور العام للمكاتب والادارة يتجاوب مع جهود المشاريع لإعادة تنظيم نفسها تبعاً للتقدم التكنيكي والتمركز الصناعي . وهكذا تفرض مبدأ المركزية على الخدمات ، و « دجت » مختلف قطاعات الاستتار ، وأمنت سرعة التنقلات ، وكلفت الاجهزة المختصة بإعداد المهام وتوزيعها ، وبترصد الظروف وتأويلها ، وتوقع تقلبات السوق وتنظيم التوزيع ؛ ويهدف هذا كله زيادة الانتاجية عن طريق مراقبة الانتاج . والحال ان مخطط كلارك ينطبق على فرنسا . مع فرق واحد هو انه يصبح كلريكولوجياً . فالانتاج عندما قد جد عند حد معين يبدأ من عام ١٩٢٩ ، وقو البروليتاريا العددي توقف بغتة عام ١٩٣١ بينما لم يكف لتضخم القطاع الثالث عن التناقص<sup>١٢</sup> . وللمك هي

- ١ - لنذكر هنا بأن السكان العاملين يتوزعون في رأي كلارك ، الى ثلاثة قطاعات :
  - القطاع الأول ( صيد ، غلات ، زراعة ) .
  - القطاع الثاني ( الصناعات الاستخراجية وصناعات الطاقة والتحويل ) .
  - القطاع الثالث ( المواصلات والنقل ، التجارة ، المصارف ، شركات التأمين ، الادارات ، الخدمات الخاصة ) .
- ٢ - في عام ١٩٥٦ كانت الصناعة التحويلية تضم ١٠ مستخدمين مقابل كل ٢٤ عاملاً . وفي عام ١٩٥٨ أصبحت تضم ١٠ مقابل ١٤ .

النتيجة المباشرة الاقتصادية : فصاحب العمل لا يتم زيادة عدد العاملين لديه لأنه لا يفكر بزيادة الإنتاج . وهو يزيد في عدد موظفيه الأعماليين لأنه يريد أن يفلح مشروعاً ليلتج بشكل أقل . والنتيجة : فائض قدره ٥٠٠.٠٠٠ شخص عامل في القطاع الثالث وتقص حقيقي في الاستخدام . وإذا أردنا على العكس أن نلبي اليوم مجموع حاجات الأمة ، فلا بد من رفع الإنتاج بنسبة ٤٦ ٪ وبديهي أن هذا مستحيل لكن أولاً بسبب فاقة اليد العاملة . فمن أين يأتى بالمهال لبناء ملايين المساكن التي تحتاج إليها ؟ وإذا ما أعطينا أنفسنا مهلة عشر سنوات أو عشرين سنة ، فكيف نسد الثغرات في القطاع الثاني اللهم إلا على حساب القطاع الأول والثالث ؟ لكن أرباب العمل حريصون على الانتفاع من مثل هذا العمل : أنهم يزعمون نصف بطاقة في الخدمات ، ويطلبون على قرنتنا في حالة قفصة دم مزمنة ليعرفوا تطور القوى العمالية . ولم تقتل مساعي الاقتصادية : زراعة متأخرة ، وقطاع ثالث متضخم ، وبيروقراطية متدافعة ، والاستقرار الاجتماعي والثبات مضمون ، وأرباب العمل بالطبع في مأمن : فالإنتاج المتزايد يؤدي إلى الاستهلاك المتزايد ، أي إلى انكماش السوق الذي يسير بدوره الإنتاج المتزايد . وكل شيء يسير على أحسن ما يرام بشرط أن يفرك قسم من السكان يوت برءاً في الشتاء وجوعاً طوال أيام السنة .

ولقد رأينا أن الحكومة التي تريد أن تزيد نسبة التوظيف الإنتاجية يتوجب عليها أن تخفف احتقان التضخم القطاع الثالث . لكن أرباب العمل مطمئنون قام الاطمئنان : فذلك شيء لن يتحقق بسرعة ، وهذا القصد ، الممكن نظرياً ، محط عملياً بسبب الماومات الاجتماعية التي سيثيرها . ومع ذلك فإن القطاع الثالث يشتمل على عدد من أصحاب الدخل المحدود يعامل أجراً في أحسن الأحوال أجر عامل بدوي : ويحتم لنا أن نتوقع ألا يبدي صفار الكسبة هؤلاء الذين يقفون عند حدود القطاع الثالث ، مقاومة تذكر إذا ما دعت الحاجة إلى التناغم إلى قطاع آخر . لكن لا : فالاستخدام يتكيف الاستخدام كما يتكيف الثوب الرطب ، وسبب ان السائغ المتحول يتت بصلة قريص إلى الأجير المنتج

من حيث قدرته الشرائية ، لكنه يتميز عنه لأنه لا يفتح . وعمل ضاربة الآلة  
الكتابة بشكل جزءاً لا يتجزأ من نشاطات الإدارة ، ومن هنا فإنها تعتبر نفسها  
متندجة بالطبقات السائدة . والحق ان وظائفها لا تبعدها عن العامل بالقدر الذي  
نظن . بينما انها لا تنصح ، لكنها هي التي تعطي أخيراً مضموناً مادياً للرموز  
المرسومة في الكتاب ، فهي بالتالي ، ومن هنا بالذات ، قريبة كل القرب من عامل  
الطباعة الذي هو شغل يسدوي . والحلقة البيروقراطية في الفكر هي لحظة  
صياغة المفاهيم : فالفكر ينفي واقع الأشياء وواقعه الدلالي ، والمفهوم تنفي وجود  
الموضوع المسمى ، كذلك فإن البيروقراطي يقف عند مستوى الأحصائيات  
والمسكنات والأفكار الواضحة ، أي الأفكار التي لا تشتمل على تجاوز نفسها  
بنفسها . والفكر لن يستعيد حقه إلا اذا استعاد ماديته . ولما كان لا يتجاوز  
قط غير المواضيع فهو لن يتجاوز نفسه إلا إذا تلقى من الخارج صفة الموضوع .  
ان ضاربة الآلة الكتابة حين تضرب بلاغياً ، تحول الفكرة الى شيء ، وتحقق  
تجاوز الرمز عن طريق ماديته وتجاوز المادة عن طريق رمزها . إذت فهي عملها  
كما في عمل المستخدمين في المكاتب مظهر من مظاهر الانتاجية . لكن هذا المظهر  
على وجه التحديد هو الذي يزعم المستخدمون في المحلات التجارية أنهم يتفوهون :  
فهم يعتقدون أنهم يساهمون في رسم الأوامر والمهام ويفضون عيونهم عن وظائفهم  
الحقيقية التي هي تحويل هذه الأوامر والمهام عن طريق تسجيلها في الواقع . ان  
الضعفاء اقتصادياً ، من القطاع الثالث يزعمون ، يسالكهم ومطاعهم ، أنهم  
يظهرون اهتمامهم للطبقات العليا التي تضطهدهم . لكنهم لا يفعلون شيئاً سوى  
أنهم يقدون أرباب عملهم وما تحقيه مواقفهم هو رفضهم العنادات يشبهوا  
بالأجراء المتجنين . ان واقعهم الاجتماعي سلبى محض لأنهم ليسوا ما يزعمون أنهم  
كانوه ولأنهم يرفضون كل تضامن مع أكثر الناس شبهاً بهم . ولقد كفى ان  
تنتطح بعض الانتطاعات من القطاعين الأول والثاني حتى يتقدم البلوس على نفسه  
ويبرز الى الوجود تلك البروليتاريا التي تليس فصائلاً منشأة وتكره البروليتاريين  
الحقيقيين لأن الشرط العيالي يشر اشترازها وتقورها . وفي إطار اقتصاد مزدوج

ما كان الضرر ليكون كبيراً الى هذا الحد : فحق لو امتدحت ، الخدمات ،  
 في مجموعها في النمو ، لنتت الجماعير العمالية هي الأخرى ، ولسام غير  
 الدخل القومي وطلب اليد العاملة في إعادة القطاع المنتج الى سابق مكانته وقيمته  
 ولشجما الانتقال من قطاع الى آخر كما في الولايات المتحدة حيث تفرص كميّات  
 واسعة مفرجة عند طرفي الحدود وتلقف دوماً على استعداد لتخطيها لتغزو  
 القطاع الثالث أو نصب في القطاع الثاني وذلك حسب الطرف . لكن مذهب  
 المجهود الاقتصادي يستتبع مذهب المجهود الاجتماعي : فينب كل سنة ان عامل  
 ولدوا منذ ربع قرن من الزمن ، بقي ٥٥ منهم عمالاً في الصناعة الكبيرة  
 والمتوسطة ، وعاد ٦٠ منهم الى الأرض ليعملوا كعمال زراعيين ، وعبر الخط  
 ٣٥ انتم ٢١ منهم الى صفوف البروليتاريا ذات القمصان المقتاة . وبعبارة  
 أخرى ، كان لأن العامل الشاب في عام ١٩٣٠ ، ٦٥ خطأ من سنة في ان يظل  
 عاملاً ، و ١٦ خطأ من سنة في ألا يقامر صفوف الطبقات المحرومة . وإذا أضفنا  
 الى هذا ان الهجرة الزيفية تباطأت ، وانه من المستحيل تقريباً على مستغني  
 المحلات التجارية الأداة ان يرتفعوا الى المراكز البورجوازية ، وأن أرباب العمل  
 الصغار هميون ومثبتون في مواقعهم من قبل الدولة والصناعة الكبيرة ، فلا بد  
 ان نستنتج ان اقتصاداً الاجتماعي قد فصل بين الفئات الاجتماعية بمواجز ثابتة  
 وجعل من فرنسا مجتمعاً أخذاً بالنعيج إن لم تقل نظاماً مقسماً الى طوائف .  
 والفائدة من ذلك واضحة : فالالتوسية لا تكفي لتقليص البروليتاريا ، بل  
 تنجز أيضاً انزاعها تالياً . بينما ، ما يزال الدخل اليها يمتكناً ، بل حتى  
 الخروج منها اجباراً ، لكن الرء يولد ويموت فيها عاملاً بنسبة زداد اطراداً .  
 ولا يكفي ان توقف هذه الطبقة الخطرة عند حدودها ، بل لا بد أيضاً من  
 تطويقها . ففي القرن الماضي كانت البورجوازية تعيش في حالة حصار ، واليوم  
 هي التي تعمل على حصار الزمرة العمالية . وكل فرد ينشئ بكائه ، بما يعتقد انه  
 امتياز : الفلاح بأرضه المهونة ، ورب العمل الصغير بشروعه البائس ،  
 والمستخدم المرؤوس بوظيفته التي لا تنفي ولا تسمن من جوع . والكبار يسكنون

ببالب كل شيء . ولكفي إشارة منهم حتى بفلس الصغار ، لكنهم لا يفكرون بذلك ، فالصغار حقاؤهم وجنودهم . وهؤلاء الناس الذي يظنون عن بعضهم بعضاً في كل شيء ، يجمع بينهم كره مشترك : كره البروليتاريا . ولولا صغره البروليتاريا ، لأدرك رب العمل الصغير انه ضحية معاقبة الصناعة وفريستها المتواطئة ، ولأدرك الفلاح ان أرضه تهرب منه وتسيل من بين أصابعه كالساء ، ولأدرك المستخدم انه مستغل من قبل مستخدمه . لكنهم لا يرون شيئاً : لا شيء سوى المطالب العالية التي تسبب ارتفاع الأسعار الصناعية وتزيد من الفلاح وتضع التاجر الصغير على شفا الأفلاس ، لا شيء سوى الهوة الطاعة التي تجتثهم وتسير نفوسهم . ان أرباب العمل الفرنسيين يعتمدون على ثلثي الأمة ليستقروا في يد الثلث الثالث .

إنهم ما عادوا يسعون الى التطويق بالهजार ، إنما يعملون على ان يضعفوا من الداخل طائفة العمال الكفاحية . وهم لا يترددون في حيس البروليتاريا في وضع لا يخرج له وعسك التركيب بصورة تحتق معها أو لتمزق إرباً إذا حاولت الخروج منه . والتطويق الذي تحدثت عنه لتوي إن هو أيضاً إلا نجاح خارجي قاعاً . وهناك ما هو أدهى : فطالما ان الإنتاج يبتلع العامل وطالما ان المالتوسية هي الصفة السائدة في إنتاجنا ، فإن البروليتاريا الفرنسية ضحيها وإنتاجها في آن واحد : وسوف ترى كيف انها مشروطة في نظامها والذات بالذات الذي عليها أن تناضل ضده .

٦ - يقول آبلونا لسا إن فرنسا عرفت بروليتاريتها الطبيعية بسين ١٨٩٠ و ١٩١١ . والقمل لا بد ان نعترف ان الطبقة العاملة قد شنت أكثر من ١٨٠.٠٠٠ إضراب خلال تلك السنوات الواحدة والعشرين . وإذا ما أحصيناها بالنسبة الى كل سنة على حدة ميزنا فيها حدوداً عليا وحدوداً دنيا . لاحظنا سلاحاً أيضاً ان هذه الحدود وتلك كانت تتقدم باستمرار : فالحدود الدنيا ترتفع من ٢٦٦ الى ١٠٢٥ ، والحدود العليا من ٢٦٧ الى ١٥٢٥ . كما ان نسبة الإضرابات التاجحة لا تكلف هي الأخرى عن الارتفاع : فقد كانت ٥٣٪ في نهاية القرن الماضي ،

وأصبحت في ١٩٦٢ عام ١٩١٠ . ولقد انتهت هذا العصر المبارك مع الحرب العالمية ،  
 فصحيح ان الاضرابات ما بعد الحرب زادت هتدداً من حيث المعدل الوسطي ،  
 لكن حتى عام ١٩٢٦ تراجمت الحدود الدنيا والحدود العليا بصورة مستمرة ،  
 وسقطت نسبة التراجع بشكل خاص من ٧٠٪ في عام ١٩١٩ الى ٣٥٪ في الأعوام  
 ١٩٣٠ - ١٩٣٥ . وبعد مد ١٩٣٦ سيطر عدد الاضرابات مرتفعاً للغاية لكن  
 الميل الى التراجع سيظهر من جديد وسيستد : وهو ما يزال قائماً حتى يومنا هذا ،  
 وأصب التراجع هي دون الوسط . فهل ينبغي ان نعتقد حقاً ان الميل كلفوا أكثر  
 شجاعة في زمن التقاية الثورية وان قائمتهم كلفوا أكثر ذكراً وتقانياً ؟ وما  
 سيكون ؟ هل أساس هذا القرض ؟ سبب التغير ؟ ان الشراح البروجواريين  
 يختلفون عند هذا السؤال : « السبب » يا روجي « السبب » ؟ . ليس هناك  
 سوى سبب واحد : لاحظوا صعود البروليتاريا المنتصر حتى عام ١٩١٩ ، العام  
 المبارك الذي مسا كان فيه على العامل إلا ان يدي أمنية حتى ليس فوراً ،  
 وانظروا ما حدث فيما بعد : ارتفاع نسبة الاخفاق ، عودة البؤس ، التدهور .  
 ١٩٢٠ او العام الحاسم . ولم ١٩٢٠ ؟ لأنه عام مؤلفو تور والاشفاق العمالي .  
 ان البروليتاريا ، يبدأ من هذا العام ، قد باتت تحمل معها سرطانها .

انه لمن القباء أن تصور ان العامل قد شجاعته لأن السرطان الشيوعي  
 بدأ كذ . لكن بما لا شك في صحته إن عمل قد ومن بعض الشيء . نلجج أدن  
 الى الوقائع ونقرأ ما نقوله . اننا نلاحظ أولاً ان العدد السنوي للاضرابات  
 وأصبه نجاحها الزداد حتى عام ١٩١٢ مع التصنيع . وقد لاحظنا من جهة أخرى  
 ان هذا المنحنى الصاعد يشمل على بعض التجاريف : فأحياناً يقل عدد  
 الاضرابات وتتضائل فرص نجاح كل واحد منها إفرادياً . والمنحنى العام للأسعار  
 يقدم المظهر نفسه : قلادة الازدهار لا تخلو من بعض الأزمات الزهيدة . واقام  
 قارنا المنحنيين أدركنا فوراً ان الحدود الدنيا لكل منها تتناسب بدقة . وسن  
 ١٩١٩ و ١٩٣٥ ينمكس الميل لكن العلاقة لا تتغير<sup>١١</sup> : فالاضرابات تزيد مع

١ - مع لفظ واحد متفرقة فيما بعد .



ارتفاع الأسعار وتتناقص مع انخفاضها . ومعزى هذا واضح : ففي فترات الانطلاق بتغير وضع العامل في المجتمع ، يصبح موضع طلب ، وهذا يعني أن الدخل القومي في أوج النمو وإن طلب اليد العاملة يكفي لتسيب ارتفاع الأجور . وإذا ما حاولت الطبقة العاملة أن تزيد نسبة هذا الارتفاع عن طريق الآتية الاجتماعية ، فهذا لأنها تطالب بالمشاركة في الأكتفاء الجماعي . وبعبارة أخرى ، تنتقل البروليتاريا إلى الهجوم وتستمد دعواتها من الطرف التاريخي . وعلى كل ، يسمح نظام الراحة الشغلة بتدهور انتصاراتهم : فالتنازلات التي انتزعوها من رب العمل ، لا يستطيع هذا الأخير أن يبردهم منها من جديد ، فإذا ما أراد أن يعرض عن ارتفاع الأجور يرفع الأسعار كان مصيره الهلاك : إذ فعليه إما أن يتخلى عن أرباحه أو يزيد الإنتاج . وعلى هذا فالممارسة مرسومة مسبقاً في حركة الاقتصاد : فالعامل الذي تتجاوزه تيارات تلقى به في قلب الحركة ، يجد نفسه فاعلاً من غير أن يكون قد قرر ذلك ، وفاعلية أفعاله متناسبة طرماً مع قوة لزعيم صناعتها . إن البروليتاريا تفصل لنفسها مستقبلاً في مستقبل الرأسمالية . ونحن نعرف الآن أن تلك الحقبة السعيدة كان لا بد أن تنتهي مع سنة ١٩١٨ . لكن الممارسة تخلق تصورها عن نفسها بنفسها بإسقاطها في اللامتناهي المستقبل المباشر الذي يولدها : فالعمال وأرباب العمل ، مجرد تجاوز الحد الرسوم ، طرحوا أمامهم أسطورة التقدم والوهم الإصلاحية . وكان يكفي أن تتابع البروليتاريا فتوحاتها ، فبذلك كانت سرطهم الرأسمالية على زيادة الإنتاج باستمرار ، ومستقرهم باستمرار من لحظة استلام السلطة . وهذا مساعبر عنه جوريس عام ١٩٢٠ بعبارة تبدو لنا اليوم جارية لكنها كانت تعبر فعلاً آنذاك عن الرجاء المشترك :

« يستحيل على الثقات أن تنظم ، أن تتوسع ، أن ترسخ دعائها ، من دون أن تدخل سرباً في سير المجتمع الرأسمالي ... وفي اليوم الذي ستتدخل فيه الثقات المالية ، ولو عن طريق التفتيش ، ولو عن طريق الرقابة ، في طريقة استخدام الآلات ، وفي اليوم الذي ستصح فيه أرباب العمل وتعرض عليهم هذه

الآلة أو تلك وهذا الجهاز التكتيكي أو ذلك ، تكون قد تعارفت ، شامت أم أبت ، مع ارتباط العمل في قيادة الآلة الرأسمالية . وأما بالطبع لا ألتف على البروليتاريا لهذا التعاون الذي هو بداية التملك .

وهكذا كان المستقبل الحتمي لكن المحدود للرأسمالية الليبرالية يتبدد كسراب خادع حتى اللاهية ، وكان العامل يعتبره مستحيله هو الذات . وكان هذا التطور الكاذب يوح الكفاحية العمالية مع دفعه بالتنقل ، عن طريق سراب الإصلاحية إلى التعاون مع مستغليه . ولم يكن العمال قد نسوا مجازر سان بارثي القديسة ، لكن كما كان العالم البروجوازي يستلم لعلمهم ، كان شعار النقابية الثورية يتحول إلى محض لفظة ميتة . ولم يعد التعارض قائماً بين الثوريين والإصلاحيين إلا على صعيد اللغة وحدها تقريباً : فحين تدير الثورة ، وكأنها نهاية تقدم متضل ، لما الذي يميزها عن محض تطور بسيط ؟ كانت البروليتاريا قد ظلت معادية للسياسيين والبرامج ، لكنها كانت قبيل أن الخروج من متفاتها الاختياري ، وإلى التسلل إلى معسكر العدو ، وإلى اثبات وجودها . وكانت قد تعلمت أن الواقعة الاجتماعية ، كما يقول ماركس ، هي واقعة كلية . لكن الحقيقة الموضوعية لتضامها هي أن هذا التضال كان يزيد يوماً بعد يوم في اندماجها بالمتجمع الرأسمالي ، وسيتم في النهاية حل تضامها النقابية أن تصبح ملحقة بالدولة .

أما في زمن التراجع والأزمات ، على العكس ، فإن البروليتاريا تقتاتل متفجرة ، ترى هل ثلاثت شجاعتهما ؟ بالتأكيد لا . لكن إذا قمنا كفاحيتهما بعدد المعارك الشنتونة ، فلا بد أن نعرف بأننا رحت ، وهذا لأن الاضطراب قد فاعلته ، وأصبح العاطلون عن العمل يشكون احتياطياً لا يتوالى وب العمل عن النهل منه . ثم إذا كان الحل لا يدر رجحاً بذكر ، فإن صاحبه يستفزع بالتأزعات الاجتماعية لإخلاقه . بالأمس كان العامل يقول كلمته بعصه كل شيء . واليوم إذا ما احتج وجد نفسه مطلقاً به على قارعة الطريق . ومعينه فهو إن لم يفصل من غير أن يكون قد قال شيئاً . بالأمس كان يشكل جزءاً لا يتجزأ من المنتج ، واليوم يحفل إليه أنه مقبول فيه على مفض . وبالطبع ليس هو الذي

يعاني من هذا التدهور في القيمة ، إما هي قوة عمله . لكن هذا لا يتبع انه يحس  
 بأنه مصاب في واقعه كإنسان . كان يظن نفسه لا غنى عنه ، والآن يرددون  
 على مسامحة بأن الحظ وحده أو طيبة قلب رب العمل هما اللذان يتيحان له ان  
 يظل في عمله ، وبأن هناك نوعاً من الظلم إذ يقدم له رب العمل عملاً في الوقت  
 الذي يظن به على كثيرين غيره . ومن كثرة ما يسمع الشغيل ان حظه شاء له ألا  
 يكون عاطلاً ، يتزعج الى ان يعتبر نفسه عاطلاً وإتاه الحظ : وزيادة القول ان  
 البطالة ، في زمن الأزمة ، هي التي تعطى العمل معناها . والحال ان العاطل نتاج  
 للاختلال ، مواطن سلبى فرضت عليه الإقامة بعيداً عن مركز المجتمع ، والنقص  
 له وسائل الوجود بتقدير مع انه لا يعمل شيئاً حتى لا يقال انه ترك بيوت جوعاً .  
 والشغيل ، العاطل بالقوة والعاطل بالحقيقة ، يشعر بأنه فاقض عن الحاجة : ان  
 الأزمة تجرده من سلطاته ومن مسؤولياته معاً . كان يشوم انه ، يتعاون ، مع  
 الرأسمالية : وهو يدرك الآن عجزه ، وما عاد يكفي ان ينقذ بمقنة بنود عقد  
 العمل : اذا كان يريد ان يحتفظ بوظيفته ، بل لا بد أيضاً ان يستحقه ، وان  
 يصحح ما يسميه رؤساء الورديات وأرباب العمل عاملاً « صالحاً » . وعلى كفى ،  
 يستفيد المستخدمون من المناسبة ليضطفوا جهازهم : سوف يسهلون الرؤوس  
 العنيدة ، والنسجين الى النقاية والناضلين ، ويحتفظون بالآخرين ، أي بأولئك  
 الذين اقلعوا عن الاحتجاج بدافع من استسلامهم وقبحهم وإهانتهم العائلية .  
 وهكذا يتم تطهير الطبقة العاملة : فأخبار الناضلين يحتفون ، وقد تقوا من هذه  
 الـ No man's land التي هي البطالة ، ويفقدون وسائل علمهم والناس مع الجماعير  
 في آن واحد . وبين الذين يظنون قادرين ، رغم عجزهم النسبي ، على ممارسة  
 الضغط على أرباب العمل ، زيد نسبة المسلفين . لقد فقد الشغيل وهم التعاون  
 مع الرأسمال : قبلاً لمس أيضاً كان يسام بمعط المطالب في الزدهار الصناعة ا  
 واليوم يعاني من نتائج الانكسار من غير ان يكون قادراً على وضع حد له : كان  
 الدماجية التدريجي يفوده الى ان يتقاسم المسؤوليات مع مستغليه ، والمنفى الآن  
 يجره لكنه يمزله ، فيفقد كل ناس مع المجتمع الذي أقصاه ، وهذا مما يجعله

شديد العدا للظواهر السياسية . كتب لينين : « إن الوعي الطبقي العربي لا يمكن أن يكون وعياً سياسياً حقيقياً إذا لم يتعود العمال على الرد على جميع أنواع سوء الاستغلال » ، وعلى جميع لظواهر التمسك بها تكن الطبقات التي تلعب ضحيتها ، على الرد من وجهة النظر الاشتراكية - الديمقراطية على وجه التحديد<sup>١</sup> . « إنه على حق بلا منس ريب لكن من الأصلح بنا لا يقاس و أنت تطرح الشعارات السياسية على الجماهير » في فترات الانطلاق الصناعي منها في أيام الأزمات ؛ ففي أيام الأزمات تقترضي الروابط بين الجماهير والطبقات الحاكمة ، بما في ذلك ، وعلى الأخص ، رابطة الصراع الاجتماعي . وينزع التناسخ إلى إخلاء مكانة لعلاقة تقوم على التعاضد المحض<sup>٢</sup> . ولا تسرع إلى الاستنتاج بأن البروليتاريا ليست ذكوى مهتها اللامتناهية ؛ والحقيقة هي ان الطرف يجرهما من كل مستقبل يارطهما على اللثب بصالحها البائنة وعندما : كانت تقابل تناقض ، وهي تقابل الآن لتعطف . ومع ذلك لم يسبق قط لحقيقة أنت تجلت بثل هذا الوضع ؛ فكل طبقة تشهد صوت الأخرى ، وإذا ارادت الرأسمالية أن تحافظ على مصالحها ، فعليها أن تبقي البروليتاريا تحت الحد الأدنى الحيوي . إن أكثر المطالبات لولتاً تهدد بدفع الصناعة إلى الدمار بدلاً من أن تدفع بها إلى الأنتاج . والواقع ان الأزمة اذا ما استعصت ، فست تؤدي إلى الثورة ، أي إلى انفجار اقتصاد مخزونه لتفاضاته الداخلية . لكن هذا التطور بالذات يعرفصل العمل التقني ، فحين لا تكون الظروف مؤالية للحركات الكبيرة ، يجازف الاضراب المحلي بأن يُدفع بالقوة أو بأن يدمر الشروع .

ان الدرس ان يدعب هباء ؛ فأرواب العمل يعتمدون على الملاحظات السابقة ليحلقوا بصورة مصطنعة الشروط الموضوعية لتضييط عمه العمال . عمده الأضراب

١ - المؤلفات المختارة - طبعة موسكو - المجلد ٦ ص ٢٢ .

٢ - المبدأ بطبيع العلاقة الاجتماعية ؛ فالرابطة الاقتصادية على الاستقلال . اما ذلكم التلاحق المحض فلا ينبغي ان نعده كلمة حقيقية ودالة بأرواب فصل بسبل كاشكل مؤقت يتخلده الصراع الطبقي حين ليل الكفاحية العربية إلى الاقتراب من نقطة الصفر .

بنمو مع الانتاج ؟ ان فسوف يحولون بين الانتاج وبين النمو . وإذا تدور إلى  
عاديون مستوى معين ، فقد يخشى من اضطرابات قادمة ؟ ان فسوف يميلون  
على ألا يشعروا أيضاً . يمكن ان يُقروا الاقتصاد القومي في حالة أزمة جنينية .  
واحد من النتائج الغريبة لما يسمى بالقانون الحديدية هي ان الطبقات تنعكس في  
بعضها بعضاً ؛ بروليتاريا مقابل طبقة تقدمية من ارباب العمل ، وبروليتاريا  
عنيكة القوى مقابل طبقة كسول متوانية من ارباب العمل . وحتى بجمدة صناعية  
الوعي العمالي الشناروا ان يعيشوا حياة القنار . وهم يأملون في ان تعيش  
البروليتاريا من الداخل من الالات انتاج تحت شكل فاقدة دم مستشرية . وبالعمل ،  
وبفضل هذه الطرائق ، تواجه البروليتاريا الفرنسية نفساً في العدد وايضاً طبقة  
فيه في آن واحد . فعددها ليس كالمسا بالنسبة إلى اقتصاد يطمح الى ان يلي  
بالانتاج الكثيف جميع حاجات الأمة ؛ وعلى هذا فإن اللاتوسية تلضي عليها  
بنقص التطور . لكن بالنسبة الى اقتصاد يزعم انه حول نفسه إلى اقتصاد منقطع ،  
تجازف الطبقة العامة بأن يكون عددها أكبر مما يلغي ؛ والواقع ان الأزمة هي  
منظورة الوحيد والخوف من الأزمة بشرط كل شيء . والصناعة الكبيسة ،  
بإحاطتها نفسها بشاريع صغيرة بصفة صمام أمان ، زعمي بأن الكارثة على ارباب  
والدولة ، يبالغها في احتياطاتها ، تثبت عندنا هذه الصناعة ؛ لا مجال لتسلافي  
للك كارثة ، لكن من الممكن ارجاؤها بفضل الحيلة الدائنة . إذن فأملنا الوحيد  
هو ازالة أمد الجمود . بلينا ، هناك عمل للجميع ، لكن هذا لأن الأمة تقرض  
على نفسها تضحيات قاسية لتصنع البطالة . وسيكون العامل أول ضحية عندما  
سيطر طرف غير مناسب . إذن فهو المستفيد الأول من الرعاية الحكومية . إذ  
يمكن ان تكف عن سد الطرق في وجه المنتجات الأجنبية ، حتى يحد نفسه  
على التجارة . وحتى عندما تسمح بدخول المواد الغذائية وحدها ، فيجعل  
الدمار يزرعنا . وسيأخذ الملاحون طريقهم من جديد إلى المدن ، ويأتون  
ليضمخوا صفوف البروليتاريا في الوقت الذي ستكابد فيه الأسواق الصناعية من  
نتائج تدور الأسعار الزراعية . وليس هذا كل شيء ؛ بل ان الاجراء ما كثرنا

ليجدوا عملاً لولا طيبة قلب رب العمل . ولو جأ دونها مراعاة لوجوه من إلى استخدام اليد العاملة الأجنبية أو التكنولوجيا ، لتعرضت الطبقة العاملة إلى خطر الانقسام نتيجة الشقاق والمزاجية . ولو حسن طرائق الانتاج من غير أن يزيد ، لتعرضت البروليتاريا إلى خطر البطالة التكنولوجية . إن العامل الفرنسي عاطل بالهونة ، وإذا لم يكن كذلك في الواقع ، فهذا بفضل حماية السلطات العامة والرأسمال الكبير . إذن لسوف يفهمونه أنت اقتصاداً سيندفع عند أبسط لسة . ويلضرب إذا شاء : فقد أعثر من انذر ، ولا مجال للشك في أنه سيخسر كل شيء .

يبلى ان يفنوه ، بأنه لن يربح شيئاً . ولقد أتت الماتريسية بالمعجزات في هذا الصدد . ولقد تم وضع التهج عام ١٩٣٦ وهو ما يزال يستخدم إلى اليوم . لقد جاء في التقارير مالميلين<sup>١١</sup> ان « الأجور الواقعية يمكن أن تعدل تبعاً لسلع متناقص يبدأ بـ ١٥٪ بالنسبة إلى الأجور الأقل ارتفاعاً ويتزل حتى ٧٪ بالنسبة إلى الأجور الأكثر ارتفاعاً » . والواقع انه ليس من المستحيل أن واقع الزيادة الكلية ، تحت ضغط الجماهير ، إلى ٢٠٪ . ولقد اقترحت الحكومة والتقانات على أصحاب العمال ان يعوضوا عن زيادة الاعياء بزيادة الانتاج ، لكن أرباب العمل أصروا آذانهم . ورفضوا عمن عمد الأسعار معتمدين على صراح صغار النفوس من التجار وشكوكهم من الفقر . وبين أيار وتشرين التالي ١٩٣٦ ارتفعت نسبة أسعار المنتجات الصناعية وحدها ٣٦٪ . وقد استمر هذا الارتفاع طويلاً لجزية بلوم . وقد ظل دوماً أعلى من ارتفاع الأجور . وفي شباط ١٩٣٧ صرح ليون بلوم نفسه في خطابه إلى الموظفين : « إن ارتفاع تكاليف الحياة مثل قنينة شهور يحمل الأسرة المهذوبة الأجر اعياء أكبر من المكاسب التي أمكن للتدبير المتشددة في صالحها ان تكفلها لها » .

ومسء ذلك الخلفت الدائرة ونظمت « دورة الأسعار والأجور الجهنية » .

١١ - في التقارير التي طبعت في ٦ حزيران ١٩٣٦ بين أرباب العمل الفرنسيين وبين اتحاد عام لتسقل . ص ١٠٥ .

ويجب لهم سيصرون لنا هذه الدورة وكأنها قانون صارم للاقتصاد. لكن هذا  
كذاب محض ، ولا وجود هنا لا لقانون ولا لدورة . ولا لهم . والحقيقة هي ان  
هنا كثرة الدخيل الدالة للاستهلاك ، لا يمكن أن تزداد ما لم يتم الانتاج : معروف  
ان آلاسك الثلوج لم تكن احدأ قط . اذن فتصحيح وضع الاجور لا يؤدي إلا  
الى ثقل المداخيل : يبقى ان نقرر على حساب من سيتم إعادة التوزيع هذه .  
لقد رأينا أن على رب العمل ، في النظام الليبرالي ، أن يقبل بلا مقاومة بالأعباء  
الجديدة . أما في نظام الاحتكارات ، فسوف يبقى حساً على عائق المستهلك .  
والمكسب هنا مزدوج : فالطبقات المتوسطة تُعرض على البروليتاريا ، ويتحقق  
مبدأ فرق تسد . كذلك فإن العامل يُضلل : فهو يمكن ارتفاع الاجور الاسمية  
فإن القدرة الشرائية لا تتبدل في الواقع . كل شيء يتغير ولا شيء يتغير ، وما  
ينح باليمنى الى الاجراء ، تسرده اليسرى من جيوبهم . وبعد انتصار ١٩٣٦  
الشمعي ، لم ينتج أرباب العمل الى أكثر من عامين ليعيدوا القدرة الشرائية لساعة  
العمل الى سابق مستواها عام ١٩٣٩ . ولقد تعددت اكثر ايضاً في ظل  
الاحتلال ، واليوم بعد عشرة اعوام من التحرير لم ترجع الى مستواها عام ١٩٣٨ :  
إذ منذ ربيع قرن من الزمن ، وبالرغم من الله والجزر والمتارعات الاجتماعية  
الحادة ، لم تتحرك اجرة العامل الواقعية : فقد كفت عن النمو مع الدخل  
القمري ، ولن تستأنف إلا معه . هذا هو الخطب الذي يسبب حيرة الشفيلة ولا  
اعتقد اني اعينهم اذا شبهتهم بتلك الثيران العارمة بالشجاعة والتي تلتصق عشر  
مرات على طيلسان مصارعها وتتوقف على حين فجأة وقد غاب أملها لأنها لم تلق  
سوى خديعة . إن العامل يفعل كل ما يوسعه ، ويجعل نفسه حرمانات كثيرة  
ليكسب معركة الاشراب ، ويصل الى النصر منهك القوى ، فإذا به يشهد  
ارتفاعاً عامساً في الأسعار يعيد الامور كما كانت . انهم لا يتكوت وسبب إلا  
ويستخدمونها لإقناعه بأنه أشاع جهده وتعبه سدى : بل إن الرقاعة تبلغ بعض  
أصحاب العامل حداً لا يتورعون معه عن رفع اسعار المقتصد الملحق بالعمل  
بسرعة حتى يشكوا من تطبيق التعرفة الجديدة في اليوم نفسه الذي حصل فيه

الاجراء على زيادتهم . وهكذا ، وبمثل ملح البصر ، يكونون قد قبلوا الموقف .  
 وبلا أزمة وبلا مجازر استغل أرباب العمل الكفاحية العمالية ؛ فليقد القائل كل  
 أمل في الانتصار ، وليعمل اذا شاء على زيادة الاجور ، لكنه لا يكون قد فعل  
 شيئاً اذا لم يجاهر الأسعار ويوقها عند حددها . بيد انه يعرف انه لن يوقف  
 الأسعار عند حددها إلا اذا استلم السلطة ، والطبقات الاخرى تبدو مصممة كل  
 التصمغ على الحيولة بينه وبين استلامها . فهل ينبغي ان تقول ان البروليتاريا  
 مقطوعة ، كما في ازمان الأزمات ، عن مستقبلها ؟ كلا ؛ لكننا رأينا ان هذا  
 المستقبل هو أولاً مستقبل الرأسمالية<sup>١١</sup> . والحال ان مذبح الجور الاحتطاطي  
 هو الذي يعطي الزمن عندنا صفته المتناقضتين : التكرار والتراجع . والتكرار  
 هو الظاهر المباشر ؛ فالأيام تتوالى والشباب ، وطوال ثلاثة قرون تفرق للأبناء  
 ما كل ومسكن بفضل الماكل والسكن الذين تفرق للأباء لكن لا شيء يتغير منذ  
 خمسة وعشرين عاماً ، وكية الطيرات المحصنة للتظام لا تزداد . وانما كان هناك  
 اناس يعيشون حياة أفضل فهذا لأن هناك آخرين يعيشون حياة أسوأ . إن لورودا  
 بتكاملها نصفاً بالتح ؛ وهذا اليوم لا يمكن بالطبع ان يصيب البروليتاريا التي لا  
 تلك الوسائل ، على كل الأحوال ، لتكون نجيحة . لكنه لا يخص أيضاً الطبقات  
 المتوسطة ؛ فالشح كامن في النظام ، ولا ينبغي ان نرى فيه صلة قومية ، بل  
 ينبغي ان نعتبره موقفاً عاماً فرضه علينا سادتنا . ان البطل ، في بلدات  
 الرأسمالية المتقدمة ، حامت قروي عرضي لتفانفبه حركة الابدالات ، لكن  
 مالتوسيتا تثبط حمة التوظيفات ، وقال عندنا بلعب دوراً محافظاً للعباسة ؛  
 فطالما انه لا يوظف في المشاريع الجديدة ، فإنه يجرأ في اعتباره نحو اقدم المشاريع  
 ونحن نخاف من المجازفات لأنه يجمال بيننا وبين ركبها ، فيبقي بنا الأمر الى  
 كره كل ما هو جديد . صحيح اننا نحافظ على كل شيء ، ونتمسك به ؛ لكن هذا  
 لأنهم ، يفهم كون ، لنا مستقبلاً هو نسخة طبق الأصل عن ماضينا . ان الامير كان

١١ - بكل بساطة لأن التصريح القروي . شأن التصريح الاملاسي ، يتطور ضمن اطار  
 رأسمالية الزمن .



يرمون بالشيء فيسبل ان يستعملوه : ففسداً ستكون المنتجات الفضل وبأسعار  
أرخص . اما عندما فالبطاعة لا تقع لوجهها ، انا سترداد كلفتها ، هذا كل شيء ،  
فكيف ندعش بعد هذا إن وجدنا السكن الفرنسي يشبه عشي العفوق السراق ؟  
فصاين امراس ، ذات مهارة ، قبمات بالية ، قنان فارغة ، شرائط مزققة ،  
علب مهشمة ، شريط : إن في شرائطنا ما فيه الكفاية من الآثار لإعادة احياء  
تاريخ نصف القرن الأخير<sup>١١</sup> . ويبدو اننا نريد بأي ثمن ان نملك باهر يتفخ:  
لكن هذا لأننا خائفون من الغد .

ان هذه العودة الأبديسة لخطي الخطايا متصلاً : فصل شيء يجريء ولا  
نستبدله بغيره إلا بتغير شديد ، وتلجأ مما أمكننا الى رثته ورفته . والبلاد  
تتعفن من أساساتها : دور قديمة في مدن قديمة ، أجهزة بالية في مصانع قديمة ،  
أراض قديمة وروثيات قديمة ، سكان نسبتهم العظمى من المسنين ، وأطفال  
يشيخون قبل الأوان ، أطفال مسنين . وأثناء ذلك ، تصيب البلدان الأخرى ،  
الندفعة في مغارة هائلة ، أسوارها الفولاذية من حولنا .

ان هذه الأسوار هي التي ترتفع بالطبع : لكن كل شيء يجري كما لو أننا نحن  
الذين نهيط . نحن بتغير كل شيء ، فلا بد ان تتغير حتى نفوسنا كما نحسن :  
واقصداً برغبتنا في البعادية في ألا يتغير بولد موته الخاص ، وهذا الموت هو الذي  
يصبح مستقبلنا : فهم يكررون على مسامعنا بربما ان عظمتنا تقف ورائنا واننا  
نبتعد عنها باطراد بربما ، أن عظمتنا تقف ورائنا واننا نبتعد عنها باطراد بربما ،  
ويتفقون بما لست أنجزي أي حياة غريبة لم تعرفها ، وربما عرفها آباءنا حين كانت  
الآلات جديدة . اننا نعيش زمن اللامة والحسرة . وما فرنسا إلا حنة المجنونة<sup>١٢</sup>  
المنقلبة فوق زوجها الجميل المنق . لقد سقط الفكر البورجوازي في الزهفة  
التشوية . فهو يجيبه ان يتكلم عن أوروبا بـ « أقطار القدر » وبتشبا بالطرفان<sup>١٣</sup>

١ - يوم راحة الاب . يع ( لكن كرس حياته خدمة العمال والفقراء - ١٩٠٥ م ) .  
٢ - روز على حين فجأة حظام معجب ، بطقيات ، أجهزة لعتة ، ملابس قديمة - قبح .  
٣ - ملكة لثلاث بين ١٩٠٤ و ١٩٥٥ . زوجة الارشيدوق النمساوي فيليب الجميل .  
وأم شارل الخامس . - ١٩٠٥ م .

لعنن ليست هذه سوى طريقة لتغطية رغبتنا في الموت بسلام : الطوفان ،  
أجل ، لكن من بعدنا ، لذا نجس الشيطان ، ونفحص حالة الموقف : انها  
متصدد حتى الأرواح النهائي .

ان الطبقة العامة لعمل ومحارب في هذا الجو الوهن التباطؤ المعزاتم . انها  
ليست بالسهلة ، والشغية لم تسر اليهم عموى الرغبة الهزبية في الموت بسلام لانهم  
مخربون من الحياة بسلام . لكن كيف يتكلمهم الا يروا مستقبلهم الخاص في  
هذا المستقبل الثقيل الرطب ، اللقيء بالتفكر الذي يعد لفرنسا اليوم ؟ لقد كان عالم  
العقل البيومي عالم التكرار دوماً ان كثير أو ان قليلاً . ولقد كان العامل يحافظ  
على الأمل ، في فترة الازدهار ، على الأمل في تحسين مصيره . وكان البسوس  
والحقق يدفعان به على الأمل ، في فترة الأزمة الحادة ، الى اطراح الحمل الذي  
ينوء تحتة وإلى محاولة الثورة . لكن كل شيء يتأمر اليوم على إقناعه بأن مصيره  
لن يتغير مما يفعل . بل انهم يدفعون في حسن الألتفات والرفق الى حد يشرحون  
معه له الموقف عدة مرات في اليوم الواحد : ماذا ينتظر ؟ ألا يعرف ان الدخل  
القموي جاسد آمن ؟ بليناً ، ان الجميع رائعون في توزيع أعداد التغييرات ،  
وكبار ارباب العمل على استعداد ، من جيتهم ، لتسليم له ببعض الترضيحات :  
لكن هذا ما لا يمكن فعله مع الأسف بدون إلحاق الدمار بهندار ارباب العمل .  
أوليس فهم ، هم أيضاً ، حق في الحياة ؟ والنتيجة : لن يتحرك شيء ، ولا يمكن  
لشيء ان يتحرك . فما الداعي لأن تكون البروليتاريا ثورية ؟ لو فطنت ذلك  
عشرت شيئاً ما . وما الداعي لأن تكون اصلاحية ؟ انها لن تريح شيئاً . ان  
العامل لا يسقط في هذين القضيتين : لكنه لا يستطيع على كل حال ان يتبع نفسه  
من قياس مدى حيزه . لقد قلت سابقاً انه ما يزال يؤمن بالثورة : لكنه لا  
يفعل شيئاً سوى انه يؤمن بها مجرد إيمان . انها لم تعد مهمته اليومية ، ولقد فقد  
بقيته التكبير بأنه يفرط ساعته مجهوده . لقد كان في السابق يرى في العسك  
المزاييد دوماً لانتصاراته المحلية دليلاً على قدرته على العالم . لكن الماتوسية ،  
بثقلها اسلحتة ، جردته من سيطرته على الكون : لقد برهن انه لا يتحصى لا ارباب

العمل مهيباً كانوا قساة ، ولا الدولة ، ولا قوات الأمن . لكن عبوه الرئيسي  
كان بلا وجه وبلا جسم لا يتوصل إلى الإمساك به : الشعور . لقد أنشأت  
التفانيات خلال العشرين عاماً الأخيرة ، شيئاً فشيئاً ، مفهوم « الحد الأدنى  
الخيوي » ومفهوم « السلم المتحرك » : ولقد شاء البعض ان يرى في هذه الأفكار  
تقدماً أحرزته الحركة العامة . لكن هذه الأفكار لم تولد ، على العكس ، إلا من  
الالتئيمية : فيصود اقتصاداً يرغم العامل على القتال للحفاظ على رامن الأمور .  
وهذا ما يسمح لنا بأن نفهم بصورة أفضل لغوره الرامن من التظاهرات السياسية .  
ذلك أن الأهداف السياسية والاجتماعية للبروليتاريا تقدمية من حيث التعريف :  
فحين تكون البروليتاريا قادرة على فرض ارادتها في المضار الاقتصادي ، تولد  
العمل السياسي من تلقاء نفسه : فهو دلالة للتقدمات المتجزئة في النضال اليومي .  
لكن حين يشعر العمل النقابي ويروج في مكانه ، وحين يكون العامل مكرهاً  
على اتخاذ موقف دفاعي ، فإن الغايات السياسية تنفصل وتتسامى عن الغايات  
الاقتصادية ، وتجازف بأن تظل مغلقة في الهواء : وعلى وجه التحديد لأنها  
مواقف متقدمة ، يترتبها العامل من بعيد كأعمال أو امنيات ، لكنه يظل  
منطوق الصلة بها كلياً ولا يعود يجد الدروب التي يمكن ان تقره منها . انهم  
يرونه على حد نظر تكرار اعماله والعباءه . واذا ما أصر على ابقاء الثورة في  
أبعد الأفاق ، فكيف يمكنه ان يتخيل انه بعد طا العدة ؟ ان العالم يتغير وفرنسا  
لا تحرك ساكناً : فتتصامل البروليتاريا الفرنسية إن لم تكن قد سقطت خارج  
التاريخ . في الصين يشاد مجتمع جديد ، وفي الاتحاد السوفياتي يرتفع مستوى الحياة :  
والعامل عندها يطلع على هذه الأنباء بشارع خلفه معتدلة ، فهي تحرك شجاعته  
لأنها تبرهن له ان التقدم الاجتماعي ممكن ، وتخط من معنوياته لأنها تبصر وكأنها  
تشير الى أنه ساكن في مكانه لا يجهد عنه ، منفصل عن رفاهه الروس والصينيين  
بمسافة لتعاطف باستمرار ، وان الخلاص ، اذا ما جاء قط ، فسيجيء من الخارج .  
وسوف تعود الى هذا الموضوع ، لكن لتتذكر من الآن ، اذا كنا نريد ان نفهمه ،  
ما كنا نشعر به في ظل الاحتلال ، حين كنا نتظر ان يريح الحلفاء بالنيابة عنا

حرباً لم تكن نفسك الوسائل لربحها مهم<sup>١١</sup> . وهكذا تسبح الاشتراكية  
للمثوية الأرباب العمل بالمحافظة على المبادعة : فالاقتصاد الخطاطمي يتحكم من  
الخارج بالممارسة العمالية ، ويرمم لها على نحو اجوف عملياتها المكنة ، ويحسد  
صحتها ، ويهدم من مدامها ودلائها . وهو الذي يبرر أخيراً الغايات والوسائل  
النصر . وما ان يلغزم الشغل بهذا العمل ، المبرك ، سلفاً ، حتى يطبق عليه  
كاشته : فيجد نفسه حياً في نطاق مصطنع يفرض عليه طريقه وساره وآفاقه .  
وعلى هذا فإن فتور عمال البروليتاريا هو نتاج للانتاج الصناعي المون . انه يعبر  
ذاتياً عن الحدود الموضوعية التي تفرضها بنية الاقتصاد على الممارسة .

٢ - المثوية إذن تريد أن تتمكن من العامل عن طريق إرادة قرفه .  
لكن هذا غير كافٍ أيضاً : إذ ينبغي أن تفرق حتى تسود .

لقد بين مارشال ان عدد الاضرابات ، بين ١٨٩٠ و ١٩٣٦ ، يزيد او ينقص  
مع زيادة الانتاج والرخاء . لكنه كان أول من كشف النقيض عن الاستثناء  
الجدير بالاهتمام : فبدأ من عام ١٩٣٠ الخفض حصد الاضرابات ونسبة نجاحها  
المختصاً ملحوظاً . لكن اقتصاداً ظل حتى عام ١٩٣٩ في حالة ازدهار . وهذه  
الواقعة تفسر بالانشقاقات العمالية وهذا ليس بالتفسير الحاطية . لكن هذه  
الانشقاقات ، من أين جاءت ؟ سيقال لي : آه امن الحرب ، من الحياة  
الاشراكية ، من الثورة الروسية ، من كل شيء باستثناء للمثوية التي لم تتمكن  
قد وضعت موضع تنفيذ حين ظهرت تلك الانشقاقات . هنا صحيح : فتعدد  
الاتحادات النقابية سابق في التاريخ على الجمود الصناعي ، ولقد وجد عالمانيو  
البروليتاريا ملسومة الى قسمين . لكن من ثبت لنا انهم لم يستغلوا هذه الفرصة

١ - كان هناك ، بالتأكيد ، القاريون . ولا اظن احداً يتصور اني اخل من امية عليهم .  
وكانت هناك أيضاً مقاومة الجماهير السالبة للامتطورة . وهذه كلها امور توحد بين الاثتار .  
وهناك اليوم الحزب الشيوعي ومناشرو النقابات . وهناك وزن الجماهير الضخم والعمل التي تقوده  
عن بعد ، حتى لو كانت هامدة . على مختلف الأوساط الاجتماعية . لكن القارمة راست من عزيتنا  
عسكرية . والمنظمات الحاقية للبروليتاريا تستمد صفاتها الرئيسية من الجزر القومي لتغيير التريسا  
مع المثوية .

الى أقصى الحدود ولم يخلوا حالة مؤقنة بمراقبتهم الانتاج ؟  
 ان البروليناريو التسلسل هربياً في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى هي  
 نتاج الآلة البخارية . فقد حلت هذه الآلة محل العضة ، لكنها لم تكن قد حلت  
 بعد محل الهامة . كانت ما تزال بمد في حالة تبعية : كان لا يسد من رغابتها  
 وتنظيمها وتوجيهها ومراقبتها . ان الحفرط المتوازي يعني العامل عن تحريك  
 أدواته وعن وضعها على القطعة المطلوب قصها : لكن يبقى عليه ان يمد العدة  
 لعملية ، ان يثبت وضع القطعة ، وزوايا القطع ، والسرعات ، الخ . والحفرط ،  
 بتواضعه بالذات ، يحدد الحرائط : فهناك وجهه خاصة تعجز الآلة عن قصها  
 ولا يتكهن الحصول عليها إلا بالعمل اليدوي المتجز بواسطة أدوات مساعدة .  
 إذن فالعملية ، وبالتالي العامل ، يحافظان جزئياً على الصفة اليدوية . والانسان  
 الذي تتطلبه الآلة إنما يستنه المجتمع : فهو وفر له المعرفة الحرفية والخبرة الفنية  
 عن طريق تدريب يشهد عدة سنوات . ثم تصطبى المزاولة الأخيار : أي أولئك  
 الذين يدلون على البراعة والدقة والمهارة الجسمية والمبادعة . لكن تكوين عامل  
 مختص يكلف غالباً : وفي نظام الرأسمالية السيرية يقع على عاتق الأهل القسم  
 الأكبر من التكاليف . والفلاحون الذين يهجرون أرضهم وأبنساء العمال غير  
 المتحصين لا يملكون ، في غالبيتهم ، لا الوسائل ولا الرغبة في التدريب<sup>١١</sup> .

وهكذا فإن متطلبات الآلة تفرس حتى تخط العمال الواجب تجنيدهم لها :  
 فالعمال المحترفون هم أبناء عمال محترفين أو أبناء صناع . وهذه الأرستقراطية  
 تشمل على بعض حدبني النعمة ، لكن الدخول بها لا يكون بالدرجة الأولى  
 إلا عن طريق حق الولادة . يقيناً ، إن العامل المصطبى مستقل شأنه سائر  
 رفاقه : لكنه يختلف عنهم لأن كفاءته تسميه وحده لتسيير آة من الآلات .  
 إذن فهو المنتج من حيث التعريف . وما كان عاملاً رئيسياً في عملية تحويل المادة

١ - انظر جورج فليل في « أعمال » الصاعب التي كان ما يزال يلاحظها حوالي عام ١٩٢٠  
 ان العامل غير المتحصن يصبح محرفاً . فقد اضطر من الجانب من أسرته الى التجرد الى الفس حتى  
 يصيغوا عمالاً محرفين من غير ان يبروا برهنة للتدريب .

النتاج مصنوع وشاهداً رئيسياً عليها ، فإنه يمي ذاته من خلال إنشاء الشيء  
الغامد . والتدريج يمثل بالنسبة إليه شيئاً أهم بكثير من مجرد تكوين فني : فهو  
يرى فيه زيادة ثورية وطقساً انتقالياً يفتح له منفذاً إلى طائفته وإلى العالم العربي .

والآلة هي التي تضمن أيضاً وحيدة زمرة العمل ، أو تضمنها بالأحرى  
العملية المعقدة والتركيبية التي ينفذها الفني بواسطة الآلة وبمساعدة شعبة آخرين .  
وفي مطلع القرن كان العمل الميكانيكي الذي يعمل فيه فرضاً مئة عامل ، يضم  
عشرين ميكانيكياً ، اجتازوا فترة السنوات الأربع من التدريج ، ويطفون  
جهودهم على التركيب الميكانيكي ، وستين خراطاً وثقالباً وقرانصاً ، وكلهم من  
العاملين الماهرين الأكفاء لكنهم يبعدون عن التمتع بما يتمتع به الأوائل من خبرة  
وتكوين ، وأخيراً عشرين عاملاً غير مختص يعيشون بعيداً عن الآلات ولا  
يشتركون البتة في صنع المنتج . والميكانيكي يوجه آتته ورجاله في آن واحد :  
فهو يسمي العمال انصاف المختصين ، مساعديه ، و « يشغفهم » في عدة أعمال  
لحسابه . والعمال غير المختصين أيضاً يخضعون له : وهو يعهد إليهم بالأعمال الخطيرة .  
وهذا التسلسل التكتيكي مدعوم بتسلسل الأجور ، فالخبرات يكتب سبعة  
فرنكات عندها يكتب غير المختص أربعة فقط . وفي ذلك العصر كانت اسم  
« الجماهير » قد بدأ يطلق على الطبقة العاملة ولم يكن ذلك صحيحاً : فالجماهير  
متجانسة وجمعية الشكل في حين أن برولينارياً ١٩٠٠ كانت عميقة التباين ، وكان  
لتسلسل العمل والأجور يتعكس بتمامه على الصعيد الاجتماعي والسياسي . إن  
تجميع العمال غير المختصين أنفسهم لا يمكن أن يكفي لتكوين « الجماهير » وإنما من  
قريب التجريد يفتصلون عن سائر العمال ، إذ إن كل واحد منهم مرتبط برفاقه  
في الورشة أكثر من ارتباطه بسائر العمال غير المختصين في المصنع وفي المدينة .  
والحق أن الطبقة العاملة مؤلفة من عدد كبير من الأنظمة التسمية التي هي عبارة  
عن مجموعات متلاعبة البنية تدور حول آلة . ولفرق العمل هذه تتصل فيما بينها  
من فوق : إذ إن شكل الجهاز التقني عند يتكون الطبقة العاملة ، وفي عام  
١٩١٢ كانت فرنسا تضم أكثر من ستة ملايين عامل يدوي ولم يكن الالتصاق

العام للشغل يضم أكثر من ٥٠٠.٠٠٠ منسب . ومع ذلك كانت الاضرابات تقاد بصرامة ورحمة ، والضباط ، ولقد رأينا انها كانت تنجح في غالب الاحيان ، وهذا يعني ان متاضلا واحدا يكفي بشكل عام ليعبر خلقه خمسة عشر عاملا من غير المشين الى النقابية . وفي النضال المطالب يحتفظ المختصون بالحيية التي يتمتعون بها أثناء العمل . ليس جميعهم بالطبع ، باعتبار انهم ينتسبون الى النقابية بنسبة واحد الى ثلاثة : انما على وجه التحديد اختيارهم ، من كانت لهم الشهادة على ان يتفكروا انفسهم ثقافة عامة ومن يجمعون بين الارادة الثورية وبين أمضى وهي لشرط العمالي . إذن فع الآلة البخارية لتجاوب برويتاريا متسلطة تنتج بدورها نقابية تتوجه الى اطارات ، وتتخذ من الورشة قاعدة لها ، وعين المصنع ميداناً للحرب ، ومن العامل المصطفى متاضلا .

ويبدو أنه كان زماناً جيلاً : فأرواحنا الزهفة قد اكتشفت النقابية الثورية ، بعد ربع قرن من موتها ، وهي لا تكف عن إشهارها في وجهتنا كقنابل يمشى : ففي عصر مؤثر اميان الذهبي لم يكن للبيروقراطية وجود ، وكان الجهاز النقابي ينتج مباشرة عن البروليتاريا ، وبطل مقيماً فيها كجزء مبدأ باطن لتنظيم ، وكان العمال يتولون بأنفسهم حماية المصالح العمالية ، وكانوا يناضلون بدون أن يتركوا الورشة ، وبالتسالي بدون أن ينقطعوا عن الاحتكاك بمشكلات المصنع العميلة . والواقع ان قيادة أركان الاتحاد العام للشغل البرغسونية كانت تجعل من نفسها بطة المعنوية : فتارة كان يملوونهم يتفنى به ، ورابطة سرية ، تجمع بين النظرات العمالية وطورا كان غريبه يبعد ، العمل العقوي والخلق ، للنقابية الفرنسية . وخلاصة القول ان الأنا النقابية كانت تفرس جذورها في أنا البروليتاريا العميلة . وكان الصراع الطبقي ، قبل الحرب العمالية الأولى ، له طابع لا أعري ما هو .

وبالطبع كانت هذه انوالاً لا طائل تحتها : إذ ان الاندفاع الحيسوي للطبقات الشعبية كان يغني وراه دكتاتورية الشعبية المخرقة . وكانت الانلية القاعة ، تحتقر ما سمته به الجمهور ، وقتت الديموقراطية . يقول لاغاردويل :

« ليس الجمهور التليل والتخلف هو الذي سيؤدي رأيه هنا ، كما في الديموقراطية ،  
 قبل الشروع بالنضال . وما عاد العدد هو الذي يصنع التفوق . لكن قد نجية  
 قاعة لتكون « نجر بفضل رغبته الجمهور خلقها » ، وتوجهه في عروب المعركة .  
 وهذا معناه بعبارة اخرى : ان الفئة « العليا » من البروليتاريا تأخذ على عاتقها  
 العمل لتحقيق مطالبها الخاصة ومطالب الفئات « الأقل حظاً » . وهذه النخبة  
 تزعم انها وحدها المؤهلة لإدراك غير الجميع ولا تسعى الى فهم اللغزومات  
 الشعبية بقدر سمعها إلى تحطيمها . ولن اكون ظاناً فأقول إن هؤلاء المصارفين  
 المدهشين قد خالوا طبقتهم : فهم إما كانوا قد ارتبوا في رفاقهم لذلك لأنهم كانوا  
 يشكون في انهم مستترون كالغتم أكثر منهم ثورين . ولهذا كان مهم الدائب ان  
 يرقوا مصالحهم مع مصالح غير المختصين ، ومثل هذا التوفيق يمكن بالغ الصعوبة  
 في البداية على الأقل ، في بسط مزدهر يسق طريقة الى التصنيع . لكنه ازدهار  
 صعوبه ونسرة في الأحوال الأخيرة من فترة ما قبيل الحرب . فلتضال العمال  
 وجهان : فهو بالنسبة الى الأقلية القاعة تجربة عينية وامانة تحرر ، اما بالنسبة  
 الى الغالبية التي تسير في ركاب الأقلية فيظل في غالب الأحيان أمراً مجرداً .  
 وحسين يجر المناضلون العمال غير المختصين الى عمل « مطالب » ، يمكننا ان نقول ،  
 مع ارواحنا المرهفة ، ان الطبقة العاملة قد التهمت في العمل وان وحدتها تظل  
 هائلة وملزمة لها . اما في الواقع ففسد كثيرا يحدون أنفسهم مضطربون أكثر  
 فأكثر الى تضال على جهتين : ضد رفاقهم وضد أرباب التصنيع . لكننا نجد  
 مع ذلك في القمة قبضة من المناضلين يشتمون بنظرة ارحب والشغل ، ويسعون  
 انفسهم باعداد « أقلية قاعة » : لقد أخذوا هدفاً لهم حماية المصالح العسامة  
 للطبقة ضد خصوصية النخبة . لكن هذه الأقلية تسير في عكس تيار عندما  
 تحاول ان تهدي المحرفين والمختصين وتودهم الى تقاية الصناعة وإلى التركز .  
 ذلك ان الاستقرارية العسائية تظل عمدة لـ « الادارة القوضوية » ولتقاية  
 الطرف . ولقد كان من هم على شاكثة بيلوئيه ووجيه وميرهام ومونتي سيخسرون  
 المعركة لولا تحول الصناعة القاجيه .



في عام ١٨٨٤ ظهرت أولى المحولات العمليّة . وبعد عشرة أعوام باتت المحرك الكهربائي يزاحم في كل مكان الآلة الحراريّة وينتج المجال أمام انتشار المكتبة : وهكذا أدى التقدم التكنولوجي إلى تقليل حصة العامل في الصناعة شيئاً فشيئاً ، الأمر الذي أدى بدوره إلى تدهور العمل اليدوي تدريجياً . إن الحرط الجديد ينتج الخراطيم الجدد ، فهو لا يحتاج إلا إلى تدخل طفيف من طرف العامل ينتقل من تلقاء نفسه إلى آليات التنفيذ . وعلى حين غرة ، وبين العمال الميامين والعمال إنصاف المحترفين ، تم اكتشاف ذلك المجهول ، العامل نصف المهتمن التي يستلم الآلات كما لو أنه محترف والذي يؤدي عمله بسلا تقريبا<sup>(١)</sup> كعامل مياموم . والواقع أنه كان موجوداً من قبل لكن لم يلحظه أحد : فمن أين أتى ؟ من كل مكان : فهو أحياناً قروي وصل لتوه إلى المدينة ، وهو في غالب الأحيان عامل مياموم سابق في صناعة أخرى . وعند ١٩٠٠ في سانت - إيتين ، وفي بعض ورشات « ميسل الأسلحة » ، كان يوجد « إن يوجد ٥٠ ميكانيكياً بين ٢٥٠ عاملاً » ، وكان هؤلاء العمال يعملون سابقاً في المناجم أو في الحياك<sup>(٢)</sup> ، وكانت بين أيديهم آلات متقدمة تعني عن المعرفة المهنية<sup>(٣)</sup> . وكان هؤلاء القادمون الجدد ما يزالون يشعرون بالوحيل والتشيب : فهم لا يملكون لا الوقت ولا الإرادة ولا القوة لتنظيم أنفسهم بمفردهم . إنما طلبوا من تشيخة المحترفة والمناصرة مساعدتها . ففي ١٩١٢ ، وفي مؤتمر الحائفر الاتحادي ، نسب مع هام الكلام التالي لأحد عمال تطريق المعادن في منطقة الإيست : « كيف تريدوننا ، نحن عمال التطريق المساكين الذين يعودون إلى بيوتهم مساء منهكين ، أنت تهم بالثغابة ؟ وأولئك الذين يمتكثرون ان يشعروا بها ، أقصد العمال التكنيكيين ، قد أنشأوا نقابات حرفية » .

إن مطالبهم ، كإزى ، متواضعة : وإذا كانوا قد طالبوا بحق الانتساب إلى

١ - أن بعد لتدريب قصير الأمد لثغابة .  
 ٢ - كانت المكتبة متقدمة جداً منذ ذلك الحين في صناعة النسيج . والميلاام عمال الصاب خصيصاً انتقفاً من العمل في ٢٦ إلى ٢٧ أخرى .  
 ٣ - نقلاً عن كولييه : روح الثغابة - ٢٤ - ٢٥ .

القطاعات التقليدية ، إلا أنهم كانوا عازمين عزمياً كبدءاً على تعويض النخبة  
 بصلاحيتهم بأسرع ما يمكن . لكن النخبة لم تأبه بهم ، انفسا وقتت تدافع  
 بشراسة عن التقليدية الأرستقراطية وتحصنها من القادمين الجدد . ولقد آثر الحواد  
 البيكاليكيين في عام ١٩١٠ ان يترك الاتجاه المسام للشغل على الاندماج بمجال  
 التعدين والسبك لتكوين اتحاد صناعة . وفي عام ١٩٠٠ نجد ٥١ نقابة صناعة  
 مقابل ٣٤ نقابة حرفية ، وفي عام ١٩١١ نجد ١٤٣ مقابل ١١٤ : اذن قائلية لم  
 تتغير . وأثناء ذلك ، اترك العامل نصف المنص واجد بلا تجربة نقابية وبلا  
 ثقافة سياسية دعابة أرباب العمل والقطاعاتهم . وسوف استعرض السمات الرئيسية  
 لهذا البروليتاري الجديد ، الذي ولدته على حين فجأة الآلات الحديثة والتقنيات  
 المتطرفة<sup>(١)</sup> .

إن ابتعاد عهد ، العهد في المكاتب بدلالة مختلف الطبقات التي يجري تنفيذها  
 في حين نفسه في الشروع ، يفرض عليه كثافة عبوة ويسوسه من الخارج . ولا  
 يعود تبعه الى ما ينتقله من قوة عظيمة بقدر ما يعود الى نور عسي مستمر والى  
 جهد دائم لتلازم مع الشروط المحددة سلفاً . وعندما يأفل النهار ، يكون هذا  
 الشعب قد التفت بجوده ، ورافقه حتى في سباته ، ثم في يظنه . وهذا الكفيل  
 المزمع يصبح طبيعة ثانية والكيفية التي يشعر بها بحسه . أنه منقوش في وجهه ،  
 في مشيته ، بجهد من قدراته ، ويجعل منسبه ، بالمعنى الحقيقي للكلمة ، انساناً  
 ناقصاً .

ورحلة العمل تؤدي الى تدوير قبة المعرفة . فأرباب العمل لا يجنون ارت  
 يتكف العامل ، ولا ان يكون بخاسة ذكياً : فالذكاء بشر بالمرادود باعتبار ان  
 العامل نصف المنص والآلة يختلفان فيما بينهما الحاداً شديد التباين لا مفر معه  
 من تشبيه التفكير عند الأول بعبث وتلف في الثانية . يسند ان القلة الكاملة  
 مستحيلة : فالتهرب والفتيان لا يقلان ضرراً عن الفكر الصناعي . اذن فعل

١ - ينسب اننا لا نهدف هنا الى اجراء محاكمة الآلية البدائية ، لهذا امر لا طائل منه ، انما  
 يريد ان نبين ان هذه الآلية البدائية في إطار الانتاج الرأسمالي .

العامل ان يكون حاضراً ، ان يكون احتراماً بلا مشور ، وعبثاً أميراً لا يحافظ على يقظته إلا ليحذف نفسه عن نحو أفضل . لكن اذا كان العامل يكفئ رأسه من فكره ، فهذا ليسح فيه مكاناً لفكر الآخرين : فنذ ان كرس التقنين الطلاق بين التصور والتنفيذ ، والعامل يجعل معنى أفعاله . فهي تسرق منه ، وتسرط من الخارج ، وأثبتت في هدفها ومدادها بالنيابة عنه . وفي الوقت الذي يجعل فيه من نفسه فاعل الانتاج ، يحس بأنه منفعل . وفي العمق العملي ذاته ، يشعر بأنه موضوع ، انه يبذل قصارى جهده ، هو المتواطئ ، بقدر اذائه مع رب العمل ، ليس للظلم الذي تعلمه لأن المعرفة قد ترجع اليه شرطه الذي لا يطاق . ويلتجئ الى السلبية لأنه حرم من كل مبادرة . وطالما اتسه بهود من فكره ، فكيف يمكنه ان يعرف ان الافكار هي من نتاج الانسان ؟ وهو بالتالي يتود نفسه على ان يرى في النظام الذي وطده للتكنيكيون تدبيراً خارجياً هو أول ضحاياه . والتاريخ الاجتماعي التقنين يتلخص في صيغتين . ففي نهاية القرن الماضي كان تايلور يقول للعامل : « لا تحاولوا ان تفكروا » فميتول آخر وقت ذلك والنيابة عنكم . . وبعد ثلاثين عاماً كان فورده يقول عن العمال : « انهم لا يجرون ان يفكروا بالأصالة عن انفسهم » .

ان إمكانية العمل نشوه العلاقات الانسانية . فقبل ١٩١٤ كانت البروليتاريا عبارة عن قراية<sup>١١</sup> : ولم تكن هذه البنية الاسترطابية تستبعد لا التضامن ولا تراطاً بين انسان وانسان يشبه على نحو مبهم لبيعة الاقطاعي الصغير للأسيب . لكن تضامن العمل لم يمد قائماً بين العامل نصف المحتس وبين « النخبة » . فقد كان المحترف يحدد للياوم مهمته . اما مهمة العامل نصف المحتس فإنها تحدد من قبل رجل المكاتب . انه يحدد لها من بعيد والجميع ، من غير ان يرى انسانا البتة : إن العامل نصف المحتس ليس له من سلة اليوم إلا بأمانته من العمال غير المحتصين . وعلاوة على ذلك فإن الآلة تضع بينهم صلايتها : فكل واحد منهم

١ - معلوم ان القراية هي مجموعة لياوم متجانسة ومنفصلة عن بعضها بعضاً بإسكات البتة ، والشكل شكله يسمى بالرج . . . . .

يدرك وجود جبرانه تحت شكل ايقاع جماعي عليه ان يتسلم معه . والأخر  
يظهر مع التأخرات أو الاخطاء أو الاختلالات : ان الشخص في العالم الميكانيكي  
غلطة تؤدي الى نقص في الربح . والآلة نصف الآلية هي غير اداة لتنفيذ عملية  
التحويل الى كتلة : فهي تلعب بنى البروليتاريا الباطنية ، ولا تبقي إلا على  
جزئيات متجانسة منفصلة عن بعضها بعضاً بوسط حامد عادم المرونة .

إن العمل الجبراً ، يعزله العامل نصف المختص عن رفاهه ، المساء يرجعه الى  
ذاته . لكن هذا العامل لا يجد في ذاته غير مادية عامة وشكلية : المساء يتعلمه  
يستطيع كل إنسان ان يفهمه ، ان له كسائر الجميع ، ومسا وائمه الشخصي  
غير سرايب . بيد ان لغة حاجات أسرة ملعبا تعود به الى ذاتية الرغبة والآلم  
الخالصة : فالجوع والوجع والتعب تدفع به الى تفصيل ذاته لكن من غير ان  
يتبرها . لم انت لا انا ؟ - لأخي أنا - ومن انت ؟ - أما كانت . ان الذاتية  
غير القابلة للتبرير تدخل في نزاع مع قابلية الاستبدال الموضوعية . وينجم عن  
هذا النزاع على الصعيد الفردي شعور عميق بالنقص والذونية . وعلى الصعيد  
الجماعي يولي زمان الاشكال الكلاسيكية لتضاد المطالب : ظهور اولئك  
الشعبة غير المتمتعين بقيمة مادية ، والقابلين للاستبدال بغيرهم ، والتسلط عليهم  
خوف البطالة ، يهدد بأن يجعل الاضرابات معدومة الفعالية .

والفعل ان الشيء المحسوس في البداية ليس هو ارتفاع عامل مجهول يفدر ما  
هو تصفية العمال القدامى . فالميكانيكيون الذين ألفت بهم أزمة ١٩٠٤ على القارة  
لن يدعوا من جديد . وفي عام ١٩١٣ ، أثناء اضراب مصانع رينو ، حدد  
انصاف المختصين زمناً أطول من الآخرين ، فقد كانوا يعرفون انهم غير قابلين  
للاستبدال بغيرهم وأن رب العمل لا بد أن يسلم في النهاية . ولم يسلم رب العمل  
بل استبدلهم بآلات وبعيال غير مختصين بالمره . ووضع للجميع أن زمن العامل  
المحترف قد ولى . بيد ان العمال انصاف المختصين ظفروا بشكائهم بينا يفتيتانغابية  
تحيا حياة شبه خامسة ، خائفة المنوبات ، محرومة من سلاحها الرئيسي . ولم  
يعد لدى المتأصلين القدامى ما يقولونه لقولاه الرجال الجدد المتفرجين الى التقليل

والى الماضي . ثم على حين غرة ، في آب ١٩١٤ ، فتحت الحرب عيون الثقابين : فاكثفوا الجماهير . ولقد كانت المأساة مؤلمة حين رأوا هذه الجماهير تخرج من الأرض صائحة : « إلى برلين ! » . أحشرون عاماً من الدعاية لتوصلوا في النهاية الى سورة الجنون هذه ؟ وبشامل مناضل : « ما بقي من عملنا ؟ ما بقي من مهربنا ؟ لقد صد الحرب ؟ » . يقول آخر : « في فاطرة تشحن الطائرات ، ومع رجال آخرين يصرخون ، الى برلين » . أحست بإفلاس الاتحاد العام لتشل ، بإفلاس المثربين ، بإفلاس البلاد العسكري . ويقول ميرهام : « كانت الطبقة العاملة قد حركتها موجة هائلة من الفزعة الثورية » . ويقول موات : « لقد مرت الموجة وحملتنا معها » . كانت الجماهير ، المجهولة ثم المكتشفة على حين غرة ، تتطلب إنشاء نقابية جماهيرية ، وحزب جماهيري ، ودعاية وابدولوجية جديدين . واكتشفت النقابية الثورية ، المعجزة عن إيداء هذه المهام ، اكتشفت على حين فجأة انها قد أصبحت بالية ، وسقط الجهاز القديم للطبقة العاملة خارج الحركة ، وباتت الحرب القادة بدون جماهير ، والجماهير بدون حماية . ولم يكن بعد في وسع تلك الجموع الغتبية ، ضحايا الطلاق الذي يفصل نشاطها المنتج عن المضمون الواقعي لرجائها ، ان تكون بالنسبة الى ذاتها ما هي في ذاتها : فزعتها الجفورية وعدم استقرارها وهيجانها الذي سرعان ما تلاه فتور الهمة ، تعبر بكل يساطة عن واقسح ان الشرط المعالي الجميد لا يطاق . وسوف تهدم اسطورة الحرب الأخاذة لبعض الوقت صبراتها الثورية وسوف تجعلها تعي العنف النكامن فيها : لكن هذا الوعي ظل اسيراً ، مستلباً .

والما من الحرب ايضاً سيأتي بطلان مفعول الأساطير والأضاليل . من الحرب لان ظروف الانتاج . وليسوا هم القادة الثقابين الذين سيعزقون الصورة الوهمية التي فلنكها الجماهير عن ذاتها ، انما ستمزق هذه الصورة في معارك لاسوم وفردون . كتب مومولان : « حين انضممت اليهم في فردون ، كانوا حاقدين على الجميع : على الصمحين ، على الثواب ، على الاشتراكيين ، على البارسيين » . على رجال الشرك ، على القابعين في المزرعة . وكان أقوى وأوضح شعور سائس بينهم هو

الشعور بمخو الدفاع والكلب والياقة والخطأ . . .

وحين جاءت الجماهير عام ١٩١٩ ، سكري بالضب والريبة كنت شافرة .  
وفي كل مكان من أوروبا تقريبا أصبح لشوب الثورة منوطا بالتقاء الجنود  
والعمال . وفي فرنسا انضم طيوفان من الجنود المرحين الى ثلاثة أو أربعة ملايين  
عامل يعملون في المصانع . وكان هذا امتزاجا انفجاريا متفجرا : فتضخمت  
اقتارات الاتحاد العام للشغل فاضطرب جسد . وبدوا ان الثورة كانت ممكنة  
والبورجوازية مستعدة ، للقبول بأمثل التضحيات لصالح البروليتاريا . لكن  
اضراب حزيران ١٩١٩ أثبت ان الجماهير لم تكن مستعدة ، ومن أين كان سيأتيها  
الاستعداد ؟ ومن ذا الذي أعد لها وعيا لها ؟ في ٢ حزيران ترك عمال التعدين  
الباريسيون العمل . وامتد الاضراب الى ثلاث لغات في سين - اي - ولز ،  
وبلغ عدد الضربين ١٣٠.٠٠٠ وعدد الهويات النقابية الموزعة ٥٠.٠٠٠ .  
اضراب نصف سياسي ، نصف مهني : فهناك مطالب لكن هناك أيضا قلق  
كبير . . . فكرة عامة تم البروليتاريا قاطبة . . . وقد وجهت الاضراب في  
البداية ، لجنة تقام ، وهي منظمة نقابية أنشئت لتوجيه الاضراب . لكن  
جمهور النقابيين الجدد الكبار - أكثر من نصف الضربين - كان يقاتل في جميع  
المشورين ، ففرا أمكنة الاجتماعات النقابية ، واتهم بتقليده بأنهم مباحون ،  
وانتخب في النهاية لجنة عمل زعمت انها ستحل محل لجنة التقام . ولما وجدت  
لجنة التقام ان الأمر أسقط في يدنا ، فخلت عن سلطتها للاتحاد المادان الذي أخذ  
الاضراب على عاتقه . وقد اجتاحت لجنة العمل في ٢٦ حزيران مكاتب الاتحاد ،  
وطالبت بحضور الجلسات ، ووصفت القادة بأنهم غير يارعيين إلا في « حشو  
الأمسة » . بيد ان الاتحاد كان يريد الاضراب العمام . فدعا الى انشاء هيئة  
الاتحاد المهني . ورفضت الهيئة توسيع النزاع لكنها نصحت القريسيين بالآ  
يستأنفوا العمل قبل الحصول على ضمانات . والحال أن لجنة العمل بالغات كانت  
قد أصدرت أوامرها منذ ٢٦ حزيران بإنهاء الاضراب ، نظراً الى تحسبها بتقور  
العزائم حتى قبل أن يتخذ الاتحاد المهني قراره . وكان الفشل ذمعا شاملا . وعاد

العمال الى الآلات من دون أن يحصلوا على شيء . والواقع أن الجماهير وجدت نفسها متشبكة مع بيروقراطية تبطل من عزيمتها بظرائفها الحديثة وتوقعتها البعيدة المدى ، وانتخبت لجنة أضمر طريقتها وعدم كفاءتها مجزماً وعيبها . لقد كان هذا الحدث بمثابة دليل وإشارة : فالجماهير ، التي هي نتاج حديث الانتشار استخدام الآلة ، كانت بحاجة الى قيادة وإلى الضباط متلائمين مع بنيتها الأساسية . وكانت تسكر الثوابين الذين انكروها قبل الحرب ، وما كانت تقبل بأن تسلم مقاليدها إلا لسلطة حديدية تكافح بسلاكل اللاتوازن الدائم في التشكيلات الجماهيرية . وأن كان يمكن إيجاد سلطة كهذه في ١٩١٩ ؟ كل فائدة الشبهة الرئيسية من الآلية العمالية ، وهـ الاتحاد العام للشغل ، يتهمون أنفسهم ، أو يبررونها ، أو يقررون بأخطائهم . وما كانوا يتفكرون إلا عن أداة التامين الجديدة . وقد قدم لهم اضطراب حزبان ، حشيات ، جديدة لدعم الحكم الصادر عنهم : فأحدهم يتكلم عن « لجنة النسيان وعدم الانضباط » ، ويشكو آخر من أن « غرائز جمهور الشارع الذي يسرح ويسهل فسدت انتقلت الى اجتماعاتنا ... » ويتحدث ثالث عن الأمم الكبير الذي أحس به لأنه « لاقى في فرنسا موقفاً ثورياً بدون روح ثورية لدى الجماهير » . ويقول رابع في عام ١٩٢١ : « نحن نعرف ما هي الجماهير غير المنظمة ... نعرف وراء من تسير اليوم ووراء من تسير في الغد ... ومن سار وراءكم بالأمس قد يكون في الغد أول من سيهاجمكم ... إن الثورة لن تُصنع مع هذه العصابات التي تجري وراء جميع الحيول » .

ومع ذلك ، كان لا بد من التخلي عن سمنها أو صنعها مع « تلك العصابات » . أما عن عدم تنظيمها فلم يكن ثمة مجال للشك في ذلك ، لكن كان هذا عرض دليل على أنها بحاجة إلى تنظيم . ومن سوء الحظ أنها ما كانت تستطيع ان تخلق هذا التنظيم من تلقاء نفسها نظراً الى عدم وعيها حاجاتها . ترى ألم يكن الطبقة العاملة ، المتزقة بين ارسطراطية محضرة وجمهور يستهلك طاقتة على التمرد في القوضى ، من حل آخر غير العجز والتسلق ؟

كلا : فهذه التمزقات كانت تبدو مؤقتة . ولم يكن هناك بسد من تطور

الموقف : بينما « إن التنظيم لن يلبث على حين غرة من فوضوية الجماهير لكن شعار السن من مناضلي « الأتحاد العام للشغل » و « الشعبية الفرنسية من الأمية العالية » كانوا قد بدأوا يتفكرون من المعارضة الاشتراكية . ذلك ان التجارب التي اكتسبوها من الحرب قد قادتهم جميعاً الى اعادة الأمية الثالثة « فقرروا ان يضعوا انفسهم في خدمة الجماهير وأن يقدموا اليها الجهاز الذي هي بحاجة اليه .

ثم كان كل شيء يدفع إلى الافتراض بشأن حركة التمركز المستمر وستنجز تصفية الأرستقراطية العالية . وحتى يقتنع المرء بأن العمال انصاف المختصين لا بد ان يتكفروا في نهاية العالية الساحقة من البروليتاريا « كانت يكفي « في حوالي ١٩٢٥ « ان يلقي نظرة خاطفة على الإحصائيات القديمة من مؤسسات فورده <sup>(١)</sup> : ففي هذه المؤسسات كان عامل واحد فقط من أصل مئة يستحق اسم « محترف » ، وكان كل ثمانية عمال من أصل عشرة عمالاً انصاف مختصين . وكان من الممكن لهذا الأخطاط العادم الشقة ان يمت على الأستمرار : فهو قد زال جزئية مناضلي النقابية الثورية المشددين بأنفسهم الى مستوى أولئك البشر الذين يتكلم عنهم ماركس . لكنه المتبعه من جهة ثنية العامل غير المختص . واعداد على الأخص الى الحركة العالية قويا . وحين نتجه هذه « التيسو بروليتاريا « البالغة النجاح من إظهارها وصيغة للكفاح « فيصبح انجاسياً أقوى منه في أي وقت سبق « ولن تعود الوحدة العالية مجرد كلمة تقال .

\*\*\*

١ - نسبة الشعبية	١٩٢٣	١٩٢٦	١٩٢٩	١٩٣١	١٩٣٤
مدة التكوين لدى فورده	٢٥ واحد لا أكثر	٢٥ الى ثمانية أهم	٢٥ من اسبوع الى اسبوعين	٢٥ من شهر الى عام	شهر سنة احرام

وهذا الجدول مأخوذ من برابوس هيرش « المعجزة الاقتصادية الأmeric كية » . نقل عن فريدمان « المشكلات الاقتصادية العالمية » .



لكن هذه الافتراضات لم تحسب حساب التوسيعات ، فهم يؤيدونهم حركة التركز ، أرجأوا التوحيد إلى أجل غير مسمى . فالصناعة الكبيرة لا تستوعب أكثر من ١٥٪ من الشبلة ، والباقي يتوزع بين ٥٠٠,٠٠٠ مشروع . وبالطبع ليست أهم المؤسسات هي دوماً خيرها تجهيزاً : ففي صناعة السيارات يتفوق قطاع البناء تركيزاً وبقل آلية عن قطاع السيارات . كما أن المشروع المتوسط لا يملك الوسائل لاستخدام الآلية استخداماً مكثفاً . والشروع الصغير ما يزال بعد في مرحلة بدوية . وبين ٣,٦٧٧,٠٠٠ عامل في صناعة التحويل عام ١٩٤٨ ، نجد ١,٢٠٦,٠٠٠ عامل مختص ، و ١,٣٢٠,٠٠٠ عامل نصف مختص ، و ١,٠٥١,٠٠٠ عامل غير مختص . والصنفان الأولان يتعادلان تقريباً<sup>(١)</sup> . أما الصنف الثالث فكثير الشعب : ففي مؤسسة الكتاب والبناء ، حيث يتلوق المهندسون عددياً ، بنيت البنية القدية البالية للبروليتاريا على حالها : فالعامل غير المختص يعمل تحت أوامرهم . وأما في صناعة الحديد وال فولاذ والنسيج ، فإن الغلبة هي للعامل نصف المختص ، بينما يتفصل المهندسون عن الإنتاج المباشر ويشكلون فرقة الصيانة والإشراف على الآلات لا يعود لها أي تماسٍ مباشرٍ مع العمال<sup>(٢)</sup> : وعندما يشكل العمال أنصاف المهندسين وغير المهندسين صنفين شبه متجانسة ولا سيما أنه تكفي بضع ساعات أو بضعة أيام لاستبدال أولئك هؤلاء . ولا ينبغي أن نعتقد أن هذا الانقلاب يرفع البروليتاريا تجربة جديدة : والى ازدهارها القات التاريخي : فالطبقة العاملة مهددة - وما أعظم فرصة أرباب العمل بذلك - بأن تظل منقسمة إلى قسمين شبه متساويين ، ليست لها بنى واحدة ولا قيم واحدة ولا مصالح واحدة ولا تقنيات واحدة في التنظيم والكفاح .

#### أ - ثنائية القيم

بنى العامل المختص مطالبه دوماً على اختصاص عمله ونوعيته . فالمنتج

١ - ١٣٥٠٠ مقابل ١٣٥٠٩ .

٢ - إمكانية الإنتاج تقع في غالب الأحيان على بند عدة كيلومترات عن أماكن الآلات .

الحقيقي ، المصدر الأرواح لكل ثروة إذا هو . وهو الذي يحول المواد الخام الى  
 خيرات اجتماعية . وفقطرة الاضراب العام ، التي تتمتع بشعبية كبيرة قبل  
 1914 فقد ولدت من وهي الذات المتكبر هذا : للإطاحة بالمجتمع البورجوازي ،  
 يكلف العامل ان يصلب فرأيه . وإذا كان هذا العامل يطالب بلحسية أموال  
 عمله فهذا لأن وجهه القادر على استعمالها . وعلى كل ، فإن معرفته النفسية في  
 المشاريع الصغيرة نادراً ما تكون أدنى من معرفة رب العمل . والتقاسم تضم  
 الكفاءات وتعتبر نفسها بالنسبة مؤهلة لراقية الانتاج : انها ستحاول بصورة  
 طبيعية غداة الثورة الى جهاز تسيير . ولما كانت حقوق هذه الارستقراطية لتتبع  
 من جداراتها ، فهي ليست بعيدة عن اعتبار نفسها الضحية الوحيدة للرأسمالية .  
 والكلمة التالية التي ألقاها عامل ميكانيكي في المؤتمر الاتحادى عام 1903 تعتبر  
 عن الشعور العام : « إن إنكار القيمة الاختصاصية العامل إلقاء يعنى يشغل أو  
 آخر إيجاد ظروف مختلفة للاستغلال الرأسمالي » . ومن هنا يمكن لبعض النفوس  
 الحزينة ان تستنتج دوناً مشقة كبيرة ان استغلال العمال غير المختصين ليس بعد  
 كل شيء عملاً بالغ الأجرام . ولم تصطن النخبة العالية تعالي في موقفها الى هذا  
 الحد : لكن ما لا ينكر هو انها كانت تعتبر مساعدتها « أعباء ثقيلة » . هل  
 كانت تعترف فلم يخفوق ؟ هذا أمر مشكوك فيه . ولعل انها كانت ترى فيهم  
 مواضع دافئة لكرمها . وهذا الذهب الانساني القائم على العمل طئيس : فنحن  
 لا نشك في أنه يحقق تقدماً على الذهب الانساني القائم على الثروة . بيد انه لا  
 يعدو ان يكون أكثر من مرحلة . ولو توقف الرء عند هذا ، لظلت العالمية  
 مستعبدة عن الانسانية . تقولون : على الانسان ان يستحق ان يحسن انساناً .  
 لكن ماذا ستفعلون بأولئك الذين لا تتوفر لديهم الوسيلة لذلك ؟

ان البروليتاري الجديد لا يستطيع ان يعرف على أي استحقاق او جدارة  
 لأن كل شيء يستغل لإتساعه بسأنه لا يملك أي استحقاق او جدارة . بيد ان  
 التمس والبؤس يرفهاته : فإما ان يطمس او يحصل على تلبية لطالبه . لكن  
 علامة يبيع مطالبه ؟ على لا شيء على وجه التحديد . لو عليها قائماً اذا شتم :

فالحاجة تخلق الحق . لقد حدث انقلاب في الفهم مع ظهور الجماهير ، ورسخت الآلية دعائم المذهب الانساني . ولا تحسب العامل نصف المختص انساناً معتاداً بنفسه وواعياً لحقوقه : لانه هو انسان دون واع لإنسانيته الدون ، وبطالبي يحذف في ان يكون انساناً . وعلى هذا فالمذهب الانساني القائم على الحاجة هو المذهب الوحيد الذي يشهد الانسانية قاطبة موضوعاً له : فنصفية الجدارة والاستحقاق تنصف آخر حاجز كان يفصل بين البشر . لكن هذا المذهب الانساني الجديد هو مجرد ذاته حاجة : فهو معاش على نحو اجوف باعتباره معش حرمان غير مقبول . ان الانسان بالنسبة إلى العمال المختصين يضع نفسه ، ولا يقبل عليه إلا ان يعيد تنظيم المجتمع . اما بالنسبة للعمال انصاف المختصين فسبب الانسان لما يضع بقده : انه ما ينقص الانساني ، ما هو موضع تساؤل بالنسبة إلى كل واحد منا في كل لحظة ، ما هو مهدد باستمرار بأن يضع من غير أن يكون قد وجد قط .

كان كل شيء يسير على خير ما يرام لو ان المذهب الانساني القائم على العمل ابقى تدريجياً اعام للمذهب الانساني القائم على الحاجة : وهذا ما كان سيحدث لو لم توقف الملتوية الثورة الصناعية . واليوم يتعايش هذان المذهبان الانسانيان وهذا التعايش يشوش كل شيء : فسلفو نجد الأول وطرح فاقه لذاته ، أصبح عدو الآخر . والجماهير ، من جهة ثانية ، قد سررت إليها سرأ عدوى ايدولوجية تنغية العمالية : فهي لا تشعر بالمجمل اعام البورجوازيين لأن أفضل واحد فيهم لن يستحق ابداً ، مما يفعل ، الامتيازات التي يتمتع بها . لكن العمال المختصين ينتمون إلى البروليتاريا وهم مستقنون شأن العامل نصف المختص ، وإذا كانوا يعيشون بصورة أحسن منه بقليل ، فهذا الفرق يبدو وكأنه قابل للإعمال عندما يفارقون مستوى حياتهم مستوى حياة البورجوازيين . وهم يزعمون على الأخص أنهم مدينون هذه المزايا الطفيفة الزهيدة إلى جدارتهم . لماذا لو كان هذا صحيحاً؟ لقد قلت ان معظمهم من ابناء المختصين : لكن هذا غير محفور على جباههم بعد كل شيء . ان العامل نصف المختص يقول في نفسه ان اهله لو فرشوا على أنفسهم

بعض التصحيحات لأرسطو هو أيضاً لستوب . أو لعله يلوم نفسه على أنه كلف  
بفكر إلى الأداة والنتيجة . إن لا تساوي الشروط الظاهري يدل في نظره على  
لا تساوي القيم : إذا كان العامل المختص يستمد قيمته من عمله فإن العامل لغير  
المختص لا يساوي شيئاً طالما أنه ، من حيث التعريف ، قابل للاستبدال بغيره .  
وخلاسة القول أنه يشعر بالحيل امام أولئك الذين يفترض فيهم أنهم رفاقه في  
الكفاح . وبالتالي فإن كفاحيته مهددة بالتناقص . ولتحرير الجماهير من شعورها  
بالنقص ، توجب تصفية جميع القيم الاشتراكية لفترة ما قبيل الحرب تصفية  
جذرية . توجب إلهامها بأنها تقدم للبشر جميعاً فرصة النظر إلى الإنسان والمجتمع  
على حقيقتها ، أي يعني أفضل الناس خطأ وأكثرهم حرماناً . ولما كان لطور  
التكنيك يؤدي إلى تدوير قيمة العمل ، ذلك التفرق الأسس للإنسان على الإنسان ،  
فقد توجب ان يُبين لهذه الجمعية النفسية عند كل الخلاق وعند كل غاية ، ان التفرق  
تشرية ، ان العلاقة الإنسانية الرجيدة هي علاقة الإنسان الواقعي الكلي ، بالإنسان  
الكلي ، وان هذه العلاقة المنقذة أو المتجاهلة موجودة بشكل دائم في قلب الجماهير ،  
وإنه لا وجود لها إلا هنا . لكن يقدر ما كانت الغالبية تأخذ هذه الأيديولوجية  
الجدريسة ، كان العمال المختصون ، الذين رأوا قيمتهم تنقص ، يتصلبون على  
مواقفهم . إن الأستراتيجية لعمي ذاتها حين يُهاجم : فتمتد آخر اعوام فترة ما  
قبل الحرب ، وكررت فعل على صعود الجماهير ، اطلق نظريون مفروضون اسم  
« القروسية » على نقابية الأقلية وأرادوا ان يجعلوا من المناضل سادساً جديداً  
ليشكل الرب : فالعامل المختص ، ذلك المستبد المستبذ ، يقبل بأن ينظر نفسه  
لجماهير لكنه ينكر عليها حق الدفاع عن مصالحها بنفسها . ولقد حققت فترة  
ما بعد الحرب تصفية جديدة واختفت النقابية الثورية . لكن ليس روحها :  
فحق في داخل « الاتحاد العام الموحد للشغل » بين ١٩٢٦ و ١٩٢٧ سيقاوم  
انتصار نقابية النقابية الشيوعيين بقوة . وبين ١٩٢٩ و ١٩٣٤ أكره الاتحاد العام  
للشغل برئاسة جوهو<sup>١١</sup> على التفرغ في مزارق البيروقراطية و نتيجة التمسك  
١ - ليون جرمي ، وليس الاتحاد العام للشغل بين ١٩٠٩ و ١٩٥٧ . ان جازرة نوبل  
للسلام عام ١٩٥٦ .

التزايد لفرام النقابية ، لكن موظف النقابة لا يتل سوى النخبة العالية وقد  
 ظلت الجماهير خارج التنظيم . وفي ١٩٣٦ ، حين صرح سيار في مؤتمر تولوز :  
 « ما تزال هناك ايدولوجيتان رئيسيتان تتواجهان في الحركة العاملة وفي الحركة  
 النقابية وهاتان ايدولوجيتان هما ايدولوجية برودون وايدولوجية ماركس »  
 كان جوهره على حق إذ أجابه : « منذ ١٩٠٩ ، لم اسمع قط مناضلين يعرضون  
 وجهات نظرهم بالاستناد الى ماركس أو برودون » . كان على حق من حيث  
 الشكل لكنه في الواقع تهرب من المشكلة . ذلك ان الاتجايمين الذين تكلم عنها  
 سيار ليسا في البدء ماركسيين أو برودونيين : بل هما موجودان في البروليتاريا  
 الفرنسية بغض النظر عن كل ثقافة فلسفية أو سياسية . اسألوا مناضلاً شيوعياً  
 عن رأيه به « الكرامة الانسانية » ، تجدوه يذ كتيب . فهل من قبيل الصدفة  
 ان يكون اتحاد الماعان والاتحاد العام للشغل ، في عهد رئاسة جوهو ، قد أعلنوا  
 عن تأييدهما للتنظيم العملي للعمل شريطة « ألا يس الكرامة الانسانية »<sup>١٤</sup> ،  
 وأن تتكرر هذه الكلمات نفسها عام ١٩٤٥ في تصريح له « الاتحاد الفرنسي  
 للعمال المسيحيين » ؟ إن « كرامة » العامل المختص انما هي لثوق عمله . انه من  
 الاساس انسان - طالما انه فخور بعمله - ومن الاساس حر - طالما ان الآلة  
 العامة تفرك مكاناً واسعاً للعبادة : انه يطالب باسم الحرية والكرامة بجمع  
 اعدل يعرف بقيمته وحقوقه . اما الجماهير فلا كرامة لها ، ولا تصور حتى  
 تصوراً ما الحرية : لكن بعض وجودها يُدخِل التطلب الجذري للانساني في  
 مجتمع لا انساني ، كما تدخِل الشطية في اللحم .

## ب - ثمانية المصالح

كثيراً ما لوحظ - ولن أماري في هذا - ان الجماهير ترضى بإيقاع محصل  
 بإياه العامل المختص . فلي « مؤسسات ستروين » قامت اضرابات ١٩٢٦ و١٩٢٧  
 على أساس التعارض بين الآلات والعمل . كان للتسبون الى النقابية - وجميعهم

١ - لتولز الاتحادي الماعان ١٩٢٧ . نقل عن كويليه . المصدر المذكور ١٩٢٧ - ١٩٢٨ .

من المختصين - يعرفون تحفيض معايير المردود ، وكان العمال انصاف المختصين  
يريدون تسريع الانتاج ، فظالما أن عملهم هو في كل الأحوال لغنة ، فمن  
مصلحتهم ان يدر ويفعل . ويرجعهم على أساس القطعة يمكن أن يعادل الربح على  
أساس الساعة العامل المختص ، انه نوع من ثار . لقد أدانت مثلها الجورليات  
العمل المسلسل والعمل بالآلات نصف الآلية عند ولادته : لصنفة أنتج ، مع مر  
الزمن ، عمالاً جدها يعيشون من المكتسة ، وعليهم ، شاوراً أم أبوا ، ان يعلنوا  
عن تضامنهم معها . ولا مجال للشك ، بالفعل ، في أن ، التبو - بوليتاريا ،  
تلي ، يوظفها الذات ، متطلبات الانتاج المسلسل : فلقد ظهرت في الولايات  
المتحدة حين أراد أصحاب الماسلس ، تحت وسخر المزاحمة ، أن يوسعوا السوق  
الداخلية وان يتخذوا من الجماهير زبائن لهم ، عن طريق زيادة المردود لتحفيض  
التكاليف . وهذا بالتأكيد لا يعني أن الجماهير تعمل لثباتها : فبين العامل نصف  
المختص المنتج والعامل نصف المختص المستهلك يتصب حاجز الربح والاستغلال .  
لكن من الصحيح بالمقابل ان ارتفاع مستوى الحياة يرتفق نحو الانتاجية . ففي  
١٩٤٩ كان العامل الأميركي ينتج ، في ساعة واحدة من العمل ، أربعة أضعاف  
ما ينتجه العامل الفرنسي . وفي العام نفسه ارتفع الدخل القومي بالمسبة الى  
القرود الواحد ، الى ١٦٥٣ دولاراً في الولايات المتحدة مقابل ٤٨٦ دولاراً في  
فرنسا . ان مصلحة العامل نصف المختص عندما لا تكون في زيادة مجهوده أو  
زيادة عدد ساعات عمله : إنما عليه ان يطالب بالزيادة التدريجية لانتاجيته مقابل  
المجهود نفسه وعدد الساعات نفسه . لكن هذا يتطلب ، أقل ما يتطلب ، هجر  
الطرائق المائتسية : فن الواجب تجديد الآلات ، وتشديد التركيز ، والتنشيق ،  
ولشر الآلية . والحال ان مصير العامل المختص منوط بالإبقاء على أشكال الانتاج  
القديم : إن مصلحته مرتبطة بصورة مسا ، بالمائتسية . بينما ، ان ارتفاع  
مستوى الحياة يحسن أن يعرض عن التدفوق قيمة العمل وعن سحق تسلسل  
الأجور : لكن النزاع إنما يدور حول امتيازات التخبة وكبرياتها ، وقرحها  
بالعمل ، وكرامتها ، أي وعي تفوقها . وعلى هذا فإن مطالب الجماهير تنزع الى

تحتطع الإطارات الزراعية لاقتصاداً . والتخبة بالمقابل تعيدل في مطالبها حتى لا  
لسبب تحولات تكون شزماً عليها .

### ج - التعدد التقني

ان الاختصاص المهني يتطلب ويعني لدى العامل حسن الحكم والمبادعة  
والسؤوليات . وهو الذي يجعله أيضاً غير قابل للاستبدال بغيره . والمستخدم  
- في المشاريع الصغيرة على الأقل حيث الآلية معدومة - يظل قريباً جداً من  
جهازه التكون في غالبته من عمال مختصين . وهؤلاء العمال قادرون ، بفضل  
فعمرة معلوم بالذات ، على ممارسة تأثير دائم ومتصل على أبواب العمل والتواجيه  
الدائم بسين الأستراتيجية المعالية والصناعيين هو الذي يعني على « الناس »  
والشور . وعلى صعيد المشروع تستطيع هذه التخبة ، بقدر ما يصعب استبدالها  
بغيرها ، ان تحصل على أشياء كثيرة مجرد تهديدها بالأضراب ، وبالتالي حسن  
طريق التفاوض باعتبار ان هذا التهديد يظل دوماً مخفياً . إن العامل المختص  
يشتمع بأوراق والده في زمان : فهو يستطيع ان يناقش ويسارم ، ولا يلجأ الى  
العنف إلا كوسيلة أخيرة . انه يتقدم ويقراجع ، يهدد ويقاضل ، ويتلام مع  
موقف رب العمل مع الوضع ، مع ميزان القوى المتبدل دوماً ، وهذا كله  
بالكلمات : كلمات ليست في الواقع نغمات أصوات ولا أفعالاً ، بل يهاطل ترمس  
على البساط ويمكن سحرها في كل لحظة . ان العامل المختص يستطيع ، قبل ان  
ينتقل الى العمل ، ان يكرر رمية زهره بقدر ما يشاء . تشهير وتهديدات متبادلة ،  
وعود ، قطعة واستئناف التفاوضات : ان هذه المناورات المجردة وشبه الزمزية  
تنتطع في غالب الأحيان الطريق على امتحان قوة ، لتليح المجال في اللحظة  
المناسبة لحل ترفيقي . إن اختصاص العامل التقني يسمح للتقاية بالاحتفاظ  
بجزئتها في الشورة .

والنصف بأن هذه التخبة متجانسة : ان حركة التمركز ولدت ببروقراطية ،  
لكن مناضل القاعدة يستطيع أن يعتبر نفسه قائداً بالقوة ، فهو لا يظل عسك

رؤسائه تجربة او معرفة نظرية ، كما انه يمارس عليهم رقابة فعلية وفاقية .  
وبالتقابل لا تستطيع القيادة ان تخطى ، بسدده مشاعر القاعدة : فالثقايون  
يشكفون ، ويدلون بأرائهم وقيادات الرأي تعلق عن نفسها . وهم يساهمون  
جميعاً وشخصياً في تحديد الخطوط الكبرى للعمل الثقافي . تأس دائم بين الرؤساء  
والقاعدة ، ضغط مستمر يمارسه الشغل على رب العمل ، إذن شرطاً للسياسة  
الثقافية متوفران .

أما مع الجماهير فتتناقض فرضي القاعدة . فالعمل ، بعد ان تدورث قيمته  
يكف عن أن يكون بذاته وسيلة للعمل . وطالما ان الحركات تدور ، فإن  
العامل الانساني ، يبدو قابلاً للإعمال . وربما بعد يوم ، وبحركة واحدة يزول  
الانفصال بين العامل المحروم من القيمة التي كانت توفرها القيمة الهيبة وبين  
القيادة . وهذا المعنى يبلل الشرط الجديد للهروليثاري اني لتطرح استمرارية  
عمل : فحقن يكون للقدرة العالية تأثيرها على قرارات لرب العمل ، فلا بد  
ان تتطوى عبثه معينة ، وإلا فلن تكون محسوسة البتة . وبكلمة واحدة ، ان  
الاضراب ، اي العنف ، هو ملحوظها الوحيد . لكن سلاح العمال النوعي<sup>(١٤)</sup>  
هذا قد يدل من طبيعته : فالعامل المختص لا يمكن الاستغناء عنه ، وحسب  
يرقب الانتاج يكفي ان يظل في بيته لا يرحله . بينما ، انه يمارس عنفاً : لكن  
هذا العنف مشروع ، ثم انه يبلل - من حيث البسدا على الأقل - ان يفسى  
بمجرداً وسليماً . ومن هنا فسيان رد فعل رب العمل لا بد ان يظل محصوراً ضمن  
حدود معينة ، والمستخدم يستطيع ، اذا ربح المعركة ، ان يضاهف المطوبات ،  
لكنه سيجد مشكلة لو أراد ان يفسح دماً . لكن العامل نصف المختص يمكن  
استبداله بأي عامل آخر ، باعتبار انه كنتج لا يشتمل عن اي عامل آخر . إذن  
لا يكفي ان يترك العمل ، بل لا بد ايضاً ان يتبع الآخرون من الاستمرار فيه .  
وبعد عشرين عاماً من الحسيرة ونفس الطريق وجدت الجماهير السلاح الجديد ،  
السلاح الوحيد المتناسب مع شرطها : الاضراب مع احتلال المصانع . وكان هذا

(١٤) ليون جيومر . محاضرة في المعهد العالي ، ١٩٥٧ .



معناه التطاول على أقدم حقوق البورجوازيين ، والتعرض بالتالي لتدخل قوات الأمن . إنذارات ، قتابل مية للمدحج ، وإذا لم يكف هذا أطلقت النار . فهل سنقول ان الجماهير أكثر استقراً و « شرأ » من النخبة ؟ مثل هذا القول لا يبر ولا طائل تحته . والحقيقة هي ان تطور التنكيتك وطسده جنود العنف ؛ فكي يدافع العامل نصف النفس عن أجره ، فلا مفر أمامه من الهارفة بجلده .

ولهذا السبب نفسه لا تلك الجماهير من وسية دفاعية غير العمل الجماهيري ؛ فمن طريق عمليات جماعية تشن على المستوى القومي ، تحاول الجماهير ان تحصل على طود جماعية تشمل فروعاً بأكملها من الصناعة . لكن هذه العمليات غير ممكنة إلا اذا التزمت الجماهير دفعة واحدة بشعار واحد . والحال اننا رأينا انه يُسبب اليها خطأ نوع من وحدة وحشية ؛ لأنها في الواقع نشئت جزئياً ، تجمع ميكانيكي من الوحدات ، نتاج حرف لآلية المهام . ولا ريب في ان البلية الأورغيبيلية هي حد مثالي صرف لعملية التحول الى كتلة ؛ اما في الواقع فإن قوى التحلل تصادف عمليات عديدة . وبعض حضور الجهل النفاي - تلك الجملة العصبية - يحفظ لبروليتاروا ، عندما يتراضى التوتر الاجتماعي ، نوعاً من التقلص العضلي . بيد انه من الصعوبة بتكان اعتبار الجماهير العمالية جيتاً في حالة تلف دائم . بليناً ، ان الصراع الطبقي لا يتوقف لحظة واحدة ، كما ان العامل لا يني لحظة واحدة عمن معاداة العنف وعمن معارفته بعض واقعه الانساني . لكن نشاط الأفراد لا يبرهن البتة على ان الجماهير نشيطة بحد ذاتها . ومن الخطأ ، كما رأينا ، ان نميز ذاتاً جماعية يمكن تحليل نسبتها . إن سلوك الجماهير ليس نسبياً البتة وافصح خطأ يمكن ان نرتكبه هو ان نقارنه بسلوك فرد من الأفراد . ان إنسان الجماهير لا يتميز عن أي إنسان كان ، فهو مثلي أو مثلكم ، ومواقفه الشخصية لا أهمية لها على الاطلاق . انه بحد ذاته عامل واع ، لكن قوى التشئت ، ان تعارضه بجماره باعتباره أمانه الأخرى التي تعكس له عجزه وتضاعف من عزائه ، تعجز نشاطه وتنتج منظومة جماعية يكون رد فعلها كرد فعل الشيء ، كرد فعل الوسط المادي الذي تتداع فيه الإلارات ميكانيكياً . إن

الجماعية هي موضوع التاريخ : أنها لا تعمل أبداً عن تلقاه ذاتها ، وكل عمل تقوم به الطبقة العامة ينتمي ان قديماً الجماعية بمرادها وجودها كجماعية تأخذ طريقها الى الاشكال الأولية من الحياة الجماعية . ولا يحق لنا ان نتكلم عن « فقط » ، يقال انها الترسه على مستند منها ، وتأثيرها لا يمكن ان يكون إلا طلياً : فأولاب العمل يعرفون ان الاستقلال ، اذا تجاوزت نسبة معينة ، لعب في عكس اتجاه قوى التكتيل فوجازف بأن يسبب بطوة سريعة للجماعية العمالية ولحويلها الى بروليناريا . أما فيما يتعلق بالعمل اليومي للفاضل فبما ان التناقض يشب الى العمون ولياً ، فعمله ينصب على الجماعية - الموضوع ليحوها الى بروليناريا ذات . وهو يبدل جهده ، ايها كان ، لتصلية البنية الطيية لصالح وحدة عضوية . والحال ان الوحدة لا يمكن ان تتحقق الا اذا كانت مطاة من البداية بصورة من الصور : فطالما ان كل فرد يرى عزله في عزلة الآخر ، فإنه لا يستطيع ان يفلت منها إلا اذا اقلت منها الآخر . وبكلمة واحدة : ايها كان المرء ، فلا بد ان تكون البداية في مكان آخر . وفي مناطق التمرکز الصناعية الكبرى يمكن تسط الانتشار الليكاليكي ان يحل في البدء محل الوحدة . وهذا ما يسمى بالتقليد : وهو بالطبع ليس عملاً جامعياً بل هو تلك الحركة العقل التي تجعل العمل ممكناً : وانما على الفاضل تقع مهمة تحويل المده الساري والعمودي الى عمل عمده واضح . لكن ينبغي ان نضيف أيضاً ان التقليد نفسه يفترض وحدة معينة موجودة مسبقاً . وصحيح ان « قوانين التقليد » تنطبق فقط على القطاعات الاجتماعية التي هي في حالة التحلل دائم<sup>11</sup> : لما أظننه في جاري ليس هو الآخر بل أنا نفسي وقد أصبحت موضوع ذاتي . والا لا اكرر فعد لأنه فعد ، بل لأنني انا الذي فعد من خلاله هو . وغلاصة القول انه ينبغي ان أفرد وضعه وحاجاته كما لو انها وضعي وحاجاتي بصورة يبدو لي معها سائوكه من الخارج كشروع

١ - ان أعضاء جماعة منداه يتفانون بعمل وشهيتهم ( وبالتالي وشهيم ) يدور ما يرطيم قانون الجماعة بالذات ، لما حاجتهم الى تقليد بعضهم بعضاً طالما انهم مختلفون عن خلال الوحدة ؟ انهم يتفانون .

منبثق من رأسي. إن التقليد والمقلد قابلان للاستبدال أحدهما بالآخر ومتصلان  
 في الوقت نفسه ، والساوك التقليد هو نتيجة ديالكتيك الهوية والحارجية. فطالما  
 إن العامل نصف المختص لا يتميز عن أي إنسان آخر ، فإن نطق انتشار الحركة  
 المطلوبة عبر الجماهير سيتم عن طريق العدوى لأن كل فرد يرى الآخر قادماً  
 نحوه كأني إنسان آخر ، أي كتنفسه . ويقدّر ما إن التكتيل يولد في آن واحد  
 الأتمثال وقابلية الاستبدال ، يولد أيضاً التقليد بصفته علاقة ميكانيكية بين  
 الجزئيات . وليس التقليد مطلقاً ولا صفة نفسية ؛ بل هو النتيجة المضمومة  
 لبعض الأوضاع الاجتماعية . ولا بد أيضاً من أن تستند هذه الصلات الميكانيكية  
 الحاصلة إلى تركيب مسبق يسمح على الأقل بتواجه التقليد والمقلد ولو كان  
 ذلك من خلال وحدة السكن أو التسروع المادية الصرف . لا بد على الأقل من  
 وحدة الخطر المداوم أو الأمل المحسوس . والحال إن التثقت المسي لصناعة  
 الفرنسية يلعب دوراً في صالح أرباب العمل. إن الثاني لا يلغي سرعان العدوى ،  
 لكنه يرفع من درجة الناعة. إن الأثا تصبح أخطر عن بعد. وحتى تُقدرك وحدة  
 الموقف فلا بد أن يزداد استفحال الخطر: إن الظروف الاستثنائية هي وحدها  
 التي سنكتشف للجماهير المتفرقة عن الوحدة العينية والحاضرة عبر ليازيها.  
 ففي عام ١٩٣٦ على سبيل المثال لا الحصر ، أدى انتصار الجبهة الشعبية السياسي  
 إلى انتشار الحركات الاجتماعية عن طريق العدوى: فقد اندمجت الجماهير وحدها  
 إذ رأينا متجسدة خارجاً عنها في تحالف الأحزاب الشعبية الثلاثة ، فجاء رد  
 فعلها ، بصورة شبه ميكانيكية ، مثقلاً في تشابه عالٍ الكفا . ولو أن الحركة لم  
 توضع في وجهها المراقيل ، لتحوّلت عاجلاً أو آجلاً إلى حمل ثوري .

إن الظروف التي تحقق تبلور الجموع إلى جماهير ثورية ، يمكن أن نسمي بحق  
 « تاريخية » ؛ فهي مرتبطة بالتحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في  
 أوروبا . لكن لا بد من الملاحظة بأنها لا تتوفر في كل آن . وعلى هذا فالانتقال  
 من حالة الكتلة إلى وحدة الجمهور البدائية له بالضرورة طابع تناوبي متقطع. ذلك  
 إن الكتلة مصابة بجمود وعطالة يمنعانها من الرد على الإثارات الناعمة ؛ فنحن لا

يمكننا أن نلتفت إليها تلك الحركات السريعة والمجموعة بسرعة ، وذلك لتظاهرات  
 الحادفة إلى إثبات القوة ، وذلك العمليات الجزئية ، وذلك التغيرات التي تسمح  
 بإقامة ضغط متواصل على الخصم دون الدخول في صراع مكشوف معه . ونحن  
 كل ، فإن التغيرات البدائية تنتشر إلى التوازن ، فممكنة العمل قد سرفت مستقبل  
 العمل : فإذا ما تحركوا فهذا لأن شرطهم الراهن غير مقبول ، ولأنهم يفتقرون  
 إمكانية تعديده على الفور . ولا يمكننا أن نلتفت منهم أن يتحركوا نحوهم في دعم  
 مشروع طويل الأمد : إذن فمن المناسب أن نصيب إلى التصلب والانقطاع الذين  
 تتميز بها الحركة الجماعية شيئاً من عدم الاستقرار .

ولا تسرع على الأخص ونستجيب إلى التبو - بوليباريا ، صلاحية أكثر  
 منها لثورية : فالأمر على العكس تماماً . وصحيح أنه لا يمكن تهيئة الجماهير إلا  
 باسم الدفاع عن مصالحها المباشرة : لكنها حين تتحرك ، تريد كل شيء ، ونحن  
 الثور . فقد سبق للدعاية البورجوازية أن أفتنتها بأنها لا تستطيع أن تدخل  
 أي تعديل على شرطها بدون كلفة . وهكذا أصبح الواقع اليومي في نظرها  
 نظاماً صارماً من المحرمات . لكن ما ينشئها من حالتها الكتلوية هي استحالة  
 أحسن أيضاً : استحالة تحمل حاجتها لمدة أخرى من الزمن . وأمام هذه الاستحالة  
 الباقية ، تنهار المحرمات جميعاً ، وعندما يصبح التغيير استحالتها الأكثر مباشرة .  
 فاليأس يولد الأمل ، وتيلور الجموع إلى جماهير يولد الأيمان بأن كل شيء ممكن .  
 إن العامل المختص يستطيع أن يقتصر على بعض الطلاب ، أما الجماهير فتريد كل  
 شيء ، لأنها لا تفك شيئاً . إن عملاً مبدئياً ، مبدئياً على سنوات من التجربة ،  
 مشككاً من تلقاها ، وتقاليد ، وأحياناً ككثرة مشروعاً طويل النكس ، يمكن أن  
 يقتصر حيلياً على هدف محدد : لكن طالما إن الجماهير لا تفك فكرة جماعية  
 وطالما أن «نظامها» منتظمة ، فإن عملها يكون جديداً دوماً ، متوارداً من  
 البدء دوماً ، بلا تقاليد ولا تحريم : لا شيء يحده ، لا الحوف من القتل ولا  
 التفكير بالتاريخ . عمل يطرح نفسه في ماضيه الصفر ، كفعالية سامية وقادرة  
 مطلقاً على تغيير العالم والحياة . ومن هنا لتكشف الحاجات جميعاً دفعة واحدة .

وتعتبر « الحد الأدنى الحيوي » يعبر بدقة عما يريد التعبير عنه : فتحت مسأله  
 الحد بكن الموت . والحياة بالنسبة إلى انسان الجماهير هي الضبط ألا يوت فوراً .  
 إن الشغل لا يستطيع « في المراحل الطبيعية » أن يلبى إلا عدداً زهيداً من  
 حاجاته : الحاجات التي إن لم تلب « قطعت عليه » . وطالما إن قوى التثنية قد  
 رتخت فيه شعوره بالعجز « فلا يسه أن يارس رقابة دائمة على جميع الحاجات  
 التي ليست بجهوية . وهذه الحاجات « نصف المكبوتة » نصف الكفنة « تظل مع  
 ذلك حاضرة في كل لحظة : وكل ما هنالك انه لا يتعرفها ولا يسبها . لكن حين  
 يواجه الشغل فجأة خطر الموت على إثر تدفوع مفاجئ « في مستوى حياته »  
 تولد الحركة الشعبية وتتحوّل الجماهير والتبدل . وعلى الفور تتعكس العلاقة بين  
 الممكن والمستحيل وتفسر الحاجات عن وجهها لأن العمل يستطيع الآن أن  
 يلبها . وحين يكون كل شيء ممكناً يصبح « الحد الأدنى الحيوي » لا يطاق .  
 وانطلاقاً من هنا تتعاطم الحركة الشعبية وتوغل في سيرها باطراد المهم إلا انها  
 تحطت على صخرة المقاومة المسلحة التي سيديها أبواب العمل : إن كل نجاح من  
 نجاحاتها تشجيع لها على تطلب المزيد « وكلما تعملت جذورها بدون ان تكف  
 عن أن تكون مباشرة « طرحت بالضرورة ماعية المجتمع بالذات على بساط  
 البحث . إن الاجور « بالنسبة إلى نصف الفرنسيين » تتأرجح حول الحد الأدنى  
 الحيوي : ولو توجب اليوم أو غداً زيادة قدرتهم الشرائية إلى الثلث « فإن فرنسا  
 البورجوازية مقتطّار في الجو حطاماً . إذن فلا أهمية لتربواً إن كان الضربون  
 أو المتظاهرون يريدون أو لا يريدون تحقيق الثورة : فكل تطاهرة جماهيرية  
 هي موضوعياً ثورية : تبدأها الجماهير كيلا تقوت وتناميها تنحيا . وحتى اذا  
 أمكن « في إطار الرأسمالية » تلبية بعض حاجات الجماهير بالتباعد سياسة منسقة  
 على مدى عشرة أو عشرين عاماً « إلا أن الحقيقة الاساسية تكمن في انها لا  
 تستطيع الانتظار : إن بورجوازية يقطن داراً غير مرضية يستطيع ان يصبر «  
 فالسألة لا تعدو أن تكون بالنسبة اليه أكثر من مسألة شيء من التناقض . أما  
 الاسرة العمالية التي تسكن في كوخ حقير « فليس أمامها إلا أن تطلب اشتقاقاً

أو تنتقل إلى مسكن آخر . لكن نور السكن التي لوعد بها غير موجودة بعد ، فكيف تبتدئ سكانها اللهم إلا إذا احتلت النور الموجودة الآن ، إن الجمهور الثوري لا يمكن أن يحصل على تلبية كاملة لطلبه إلا إذا استلم السلطة<sup>١١</sup> . وهو أن البلوس لا يجره إلا في الحالات التي يمكن فيها استلام السلطة ، وكان ذلك غاية المدى . لكن كيف يؤمن بوجود هذا « الانسجام المسبق » ؟ صحيح أن كل « حركة جماهيرية » هي بداية ثورة ، وأن الظروف التي تستلزم عملاً شعبياً يمكن أن تضعف في الوقت نفسه مقاومة الطغاة الحاكمة . لكن تاريخ العروليتاريا السطوي والدموي يكفي لتدرك أن شروط الانتصار المباني دائماً ما تصورت متوفرة جميعها معاً . ثم إن العروليتاريا لا تقتل سوى ثلث الأمة وليست الجماهير سوى جزء من هذا الثلث . وحتى يكتبها الانتصار ذات يوم ، فلا بد من إعداد العدة لهذا الانتصار بعدد التحالفات داخل الطبقة العاملة ، وعند الحاجة خارجاً عنها ، ورسم خطة ، وتحديد استراتيجية ، وإستراتيجية تكتيك . وهذا بالضبط ما هي عبارة عنه . ومن هنا فإن دور المتأصل سينقلب رأساً على عقب .

إنه أولاً موظف . ولقد أصاب كولينه إذ قال : « لا يستطيع الجمهور أن يسام من لقاء نفسه في الحياة التلقائية . إنه يحض ثقتة المتساقطين المسؤولين ، ويحكم عليهم تبعاً للنتائج المباشرة التي يأتونه بها » . لكن ما الداعي لأن يأتي فيها بعد ووصف لنا متافلاً مثالياً يعمل كوسيط بين القادة والجماهير ؟ ولا أجمل بالطبع من أن ينظر مثل هذا الوسيط يومه ، شأن الرفاق ، « العمل التكتيكي والمهني الصرف » ، مع تساميه في الوقت نفسه عن طريق التنضحية فوق اختصاصه ليحكم على الشكليات الهئية ، وفوق الهئي ، لينظر إلى « الشكليات الاجهادية في عوميتها » . ومن سوء الحظ أن مثل هذا الشخص « الراسخ الجسود » ، « الشجود » ، « مأ غريب قامساً عن العامل نصف المختص المعاصر . فهو إن

١ - حين يستلها ميترجب في قائده ان يعمدا في أن واحد على تلبية حاجاته وفي مقارعة نداء صوره . وهكذا يولد ديالكتيك جديد : فالتك لا بد من مشروع طويل نفس لتحقيق ما يتطلب به الجمهور من الثورة .

لماضي ، وكوليتيه انما بصور لنا ، تحت اسم آخره العامل المختص والتنظم تلقائياً الذي عاش حوالي عام ١٩٠٠ . ولا تأخذنا الدهشة اذا اقر بعد ذلك بسان و التماثل لآدم وغير مستقر لدى العمال انصاف المختصين . . وأن يكون بعض الناس متجهين وراسخي الجذور معاً ، فهذا ممكن : فكل شيء يتعلق بالشرطه والصحة ، بأوقسات الفراخ ، بالثقافة ، وبكلمة واحدة ، بنوع العمل . ليعتق اولئك الذين يقدون مسحقين تحت وطأة الأرض ، لا يمكنهم في الوقت نفسه ان يملقوا لرقها . وللوهة الأولى لا توجد ثمة صعوبة مبدئية تحول بين العمال نصف المختص وبين ان يصبح متماثلاً تماماً . والعلة الوحيدة الجديدة لسببوا مبتذلة وعارضة : التعب . لكن هذا التعب في الواقع ليس حادثاً عارضياً . فهو يفرآك من غير ان يدوب ، كالتلوج الأيبية ، وهو الذي يصنع العامل نصف المختص ويكيّفه . بقياً ، انه سينقضي عندما تنخفض ساعات العمل او تطبق الآلية على أوسع نطاق . لكن العامل نصف المختص سينقضي منه . ثم اننا لا نعلم بإمكانيات الصناعة الأميركية او الصناعة السوفياتية ولا بشرط الانصاف في عام ٢٠٠٠ : انما اكلفك عن عام ١٩٥٤ وفرنسا للتأهوية . اكلفك عن الشغلة الذين أضلهم التعب والبؤس معاً . ومثلذ عام ١٩١٢ كان عمال تطريق المعادن ، الذين استشهد بهم ميرهاجم ، يشكون من أن تعيهم لا يسمح لهم بالاعتيام والتعبية ، ويتمنون دراسة ان يتسول عنهم ذلك غيرهم . ومذ ذاك الزيادة الأمور تلقاً وسوياً ؛ فحتى يكسب الشغل قدر ما كان يكسبه عام ١٩٣٤ ، عليه ان يعمل أكثر . انه ينهض في الساعة الزايمة او الحاسمة ، وينطلق في السادسة ، ويعود إلى بيته في الثامنة مساءً ، ويتناول طعام العشاء ، وينام في التاسعة . وهو يشكو بمرارة من حرمانه من الحياة العائلية : فمن أنى له الوقت للتشال ؟ ومواعيد العمل بالأصل تحول دون عقد الاجتماعات التلقائية ، المهم إلا اذا حدثت في مكان العمل بالنات . وكثيراً ما يتوجب تحريض العمال على وقف العمل حين يراد أخذ رأيهم بصدده مسألة تخصهم . اما المتساقون ، المتأدبون ، الذين يستطيعون تلبية مطالب كوليتيه ، فإنني أقهم أن يكونوا وغير مستقرين :

فهم مرغمون على القنصر مدة نومهم ، وعاجلاً أو آجلاً سينهارون . اللهم إلا إذا تركوا العمل اليدوي وعائلتهم التقاية ، أي رفاقهم . بينما ، لا غنى عن خروج الشامل من الكتلة ؛ لكنه على وجه التعديد يخرج منها . أهل مستكفون أيضاً بعد هذا ، من الحياة الشيوعية ؛ هي كفسادكم ألهذه ، البيروقراطية ، ضرورة في عصر ، التطوع العلي . وفي الولايات المتحدة الأمر كية نفسها حيث ظل الحزب الشيوعي عملياً بلا تأثير على التطور التقني ، تقوم التنمية المحلية الثقافية أو المستخدم نفسه بإعادة جميع للتدوين العماليين لصانع الكبيرة . بما فيهم مندوب ، الورشات ، - يستعمل دائم . وتوسع العمل الذي يتم بسين الشاملين والشغيلة في قلب المنظمات المهنية أيضاً يمكن لتوسع العمل الذي ترمي المصنع والذي خلق البروليتاري الجديد . وما ، البيروقراطية ، الثقافية إلا الرد للشاسب على بيروقراطية أرباب العمل . فطالما أن ، آخرين يفكرون بالثيابة عن العامل نصف المختص ، وموطالما أن الاختصاصيين بأخذون على عاتقهم أن يوزعوا عليه المهام من مكانهم في الشروع ، فلا بد أن يكون هناك اختصاصيون آخرون ، في مكاتب أخرى ، يفكرون ضد هذا الفكر ويفكرون كليات العمل الطالبي . أن اعتماد الإنسان من قبل الإنسان<sup>(١)</sup> في العمل لا يسد أن يكون له معادله التقني ، واتصال التكنيكي والعامل نصف المختص يجب أن يعوض عنه باتصال العامل نصف المختص والشامل المعترف . أهدأ شيء يؤسف له ؟ ممكن . لكن ما العمل ؟ فشكل الجهاز التقني عند بنية البروليتاريا . ثم أن هذا المأخذ لا نصيب هدفها علاقة على ذلك . فكولينه يسفر عن مقاصده الحقيقية حين يستخدم كلمة ، النخبة ، ويشير إلى فرق الوسطاء ؛ وهذا هو الاسم الذي كانت تسمى به ، الأقليات القاعة ، في حقبة ما قبل الحرب الأولى . وموافقنا يعرف بالتأكيد الجماهير ويظهر اهتماماً مشكوراً بمصالحها . لكنه حين يريد أن يحكم عليها ، لا يتوصل إلى التجرد من الآراء السليطة الأرستقراطية ، وهو يقدم ، والرغم من أنه ليس ببروليتاري ، الوسيلة لفهم الشفقات العمالية لأنه

١ - التعريف الترميزان ( أن ابن يسير العمل الامالي ٧ ) .



يقضى وجهة نظر قسم من البروليتاريا عن القسم الآخر منها . أجل ، القسا باسم  
ثقة قديمة بملقد البيروقراطية الجديسة وفيهم الجماهير يوجد حده في الأزراء  
الذي ينظر إليها .

لكن إذا ما قبلنا بتطورات مذهب إنساني قائم على الحاجة ، تغير كل شيء  
ووجد الموظفون الجدد تبررهم في الحاجة إليهم . فهم يتأسبون الجماهير أكثر من  
أي تحبة أخرى لأنهم لا يراجون التزاماً متناقضاً بحرية المصلحة العامة ومصصلحة  
خاصة معينة في آن واحد . قد يريد البعض أن يقول إنهم يشكلون هم أيضاً  
تحبة ، لكن هذا غير صحيح ؛ فعامل التحبة هو العامل الذي يؤدي العمل نفسه  
الذي يؤديه وفائه ، وعلاوة على ذلك يتأصل . فهو الأول بين أقرانه .  
وربما في الأضحية والطوعية تكسبه منزلة ومكانة والحق في أن تكون كلته  
مصدرة . أما الموظف النقابي فقد ولد ، على العكس ، من تنسج العمل ؛ أنه  
يفعل ما لا يملك وفائه الوقت لفعله ، ولهذا السبب بالذات لا يعود يفعل ما  
يفعلونه . وما داموا يعرضونه على خدمته ، فلا حق له البتة في عرفان الجليل  
من جانبهم ، ولا سلطات له غير السلطات التي فوضوه بها . هناك بالطبع  
مجازفة ؛ فكثيراً ما نزلت الكتاب بيل التنظيم البيروقراطي إلى اعتبار نفسه خليفة  
ذاته ، لكن هذا العيب ، بخلاف ما قيل ، أقل ظهوراً في النقابية منه في أي  
تنظيم آخر . يقيناً ، لا بد أن نجر إلى الأبد التصور الرومانتيكي القائم على مبدأ  
المساحة الذي تقول به تحبة مرسخة جذورها في الطبقات العبيقة من اللاشعور  
الشعبي ؛ فالجماهير تنظر إلى اللاشعور المتقارها إلى الشعور باعتبار أنها شخص  
تشتت ميكانكي . كأنه صحيح ، من جهة أخرى ، أنها عاجزة عن ممارسة رقابة  
دافئة ومنفصلة على الجهاز . فهل ينبغي أن نستنتج من هذا أنه بالإمكان جرهما أينا  
براد ؟ العنصر هو الصحيح ؛ فلتشتتها بالذات يحميها من التأثيرات كافة . إن  
الفكرة البورجوازية القديمة عن « العرض » راسخة الجذور بصورة لا يتوصل  
معا الكتاب السياسيون اليوم إلى التحرر منها . ولقد أمل السيد بيونهم بمحادثات  
مدعنة كثيرة بصد هذا الموضوع . وكوليته ، الأكثر تحمراً بكثير ، لا يتروء

عن الكتابة : « ان الجمهور يدل على طاقات التجارية ... لخص ما انت  
تظن . هذه الطاقات ، حتى يستغل بسبب أيدي الاطارات التي تتلخص فيها  
أندائك كلية الحياة النقابية » . والحال أن هذا رأي خاطئ . منة بالثمة : بقينا ،  
ان الجماهير لا تملك لا الأرادة ولا الوسائل لتجديد الاطارات ، وهي تفضل أن  
تحتفظ بالقادة الراعيتين . لكن هذا من قبيل اللامبالاة أكثر منه بدافع الروتين .  
فقبل ١٩١٤ ، ما كان المناضل يُعهد إليه وظائف السكرتارية النقابية إلا لأنه  
استحق لغة وفاقه . لكنهم كانوا يطيعونه ، فيما بعد ، لأنه سكرتير : إن مصدر  
السلطة ، في نقابية الأقلية ، تأسيسي الى حد كبير . والجماهير اليوم لا تأبسه  
بالمرسات ، وهذا أولاً لأن عدداً كبيراً جداً من العمال انصاف المختصين يعيشون  
على هامش المنظمات العمالية ، ولا يتعمقون بالشعارات والأوامر إلا عندما يرونها  
منسجمة ومصالحهم . أما العامل المختص والمنظم نقابياً فيطيع لأنه يعرف  
بسلطة القادة الذين انتخبهم . فيطيع لأنه يعرف بسلطة القادة الذين انتخبهم .  
لكن العامل نصف المختص إذا كان يعرف بسلطة الرؤساء الذين قد لا يكون  
شارك في انتخابهم ، فهذا لأن الظروف قد جعلته على اطلاعهم . وعلى هذا فإن  
العمل لمو أشبه باستفتاء : فالجماهير لا تصوره أبداً ، ولا تحتاج ، ولا تطالب  
بتجديد الاطارات ، ولا يمكننا ان نتكلم عن ضغط القاعدة على الرؤساء : فهي  
تسير أو لا تسير ، هذا كل شيء . وهذا يعني انها لتنظم في جماعة قاعة أو تهاجر  
وتسلم لأشكال التشكيل . والقوى النقابية تزداد أو تقل حسب النتائج التي  
يتم الوصول إليها ، أما الاطارات فتظل بالطبع تنحس عن كل تبدل ، لكن  
يحدث لها أحياناً ان تشكل وحدها كلية النقابية . ولا مجال للشك في ان عدم  
الاستقرار هذا يشجع على تحول الوظيفين الى أوليفارشية ، لكن من غير الصحيح  
انه يشجع الروتين : بل هو يرقم الفساد ، على العكس ، على تقويم سياستهم  
باستمرار . ولا يمكن بالطبع اعتبار هذا انه وهذا الجذر تهافتة على المرض أو  
الاشياء : إنما هما أمارات غير إرادية وأعراض . لكن هذا لا يمنع أنها بشكلاان  
على طبيعتها رقابة حازمة وإن لم تكن راعية . فالجماهير تراقب المناضل كما

يراقب البحر وجبل الدفة . فهو رئيس عندما تتحرك ، ولا يعود شيئاً عندما  
تثقلت . وإذا كان يتم بالجهاز أكثر من اعبائه برفاقه ، فإن الصلحة العامة  
تكون مصلحته الخاصة . وهو لا يستطيع ان يحقق مطامحه الشخصية ، إذا كانت  
تبدو مثل هذه المطامح ، إلا إذا أوحى للجواهر بثقة متجددة وبمياً . وهو ان  
يرحمي فيها بالثقة إلا اذا قبل بأن يلوذها حيث تذهب . وبكلمة واحدة ، عليه  
ان يكون الصبور حتى يكون ذاك .

بعد ان منها يحاول ان يوجد من أجلها وحدها ، فإنه لا يستطيع ان يغير  
شيئاً من واقع انه كفى عن ان يكون جزءاً منها . صحيح أنه شاطر ورافقه  
شرطه ، لكنه ما عاد يشاطرهم أبداً منذ ان أصبح منافساً . وهزل من سبيل  
الى تغيير هذا الواقع طالما ان الجواهر ليست شيئاً سوى وحدة كاذبة من العزلات  
تحتي تحتها تنشأ دائماً ؟ ولو ظل في خضم الجماليع ، لمحك على نفسه بالانتماء  
وعدم العمالية شأن أي إنسان آخر . لقد كان قابلاً البروليتاريا في عام 1900  
يسمح للناشئين بالبقاء في الطبقة : كانت الفروق المهنية لقوم القسطنطينية ، وكان  
أساس السلطة الرابطة التي تجمع بين السيد المختص والتابع غير المختص . إن  
الجواهر كالمال : فإذا كنت مجرد حبة فيها ، فكيف يمكنك ان أوجه الحيات  
الأخرى ؟ وما الواقع الشكلي الغريب المسمى به ، أي إنسان كان ، إلا عزلة  
تبادلية : فأنا أي كان في نظر أي كان . وأي كان هو في نظري أنا نفسي . ومن  
هنا فقلت من هذه الصفة المبرمة: فهي دوماً في مكان آخر . وما كان لها من أهمية  
لو كنت استطيع ان احده نفسي بنشاطي المتفرده . لكن طالما ان العامل نصف  
المختص يعمل أي شيء كان ، فإنه يرتد الى تلك الامية المبرمة التي لا تخصه .  
وهذا المبروب الدائم لواقعي يفسر التقليد ، لكني لا أفقد ، كما رأينا ، إلا لأستبد  
واقعي الشخصي الذي يتجلى دوماً كأختر ويستند الى الآخر . لكن اذا ما زعم  
أي كان انه يرحمني ويلفمني ، فإنه يتحول الى شخص معين ، فأطالبه بمستداه .  
بشيء ، حين تتحرك الجماليع ، يخرج من صفوفها رؤساء ، لكن هذا لأنها كفت  
ان تكون جماليع ولأنها تحولت الى شكل بدائي من الجماليعية يركز رئيسها

الرجل ويحسد في شخصه سيادتها المزعومة : وحين تعود الى حسابة القشتل  
يحتل الرئيس . اما الجهاز فيظل قائماً : انه يبرر وجوده بطابعه التأسيسي .  
لكن سلطة القشتل ليست إلا منقلى : فهو اذا كان يصدر أوامر الى الجماهير  
ياحبها واليات ، فهذا لأنه يستند الى وحدتها القوية أو المتكيفة ، ولأنه جعل  
من نفسه قسماً على سيادتها المزعومة عوضاً الى الكميوف . انه يلف امام حسنا  
الجمهور كشاهد على تحولاته إذ يذكره بأنه كان مجتمعاً رعيماً عبقياً ، استبدادياً  
وأرس على كل عضو من اعضاء ضلعاً لامتناهياً . ومن هنا تأتي عنه الجماهير :  
انها لا تفضل سلطته باعتبار انها لا تستطيع ان تعارف بسلطة أخرى باعتبار  
ان بقايا التوزعة المنتنة لتعيا من ان تكون مصدراً لزعياً السلطة ، يد انها  
لا تعترف بها : والواقع ان هذه السلطة تأتي من مكان آخر ، من تلك القوة  
التيهية التي كتمت عن ان تكونها . إن وحدة البروليتاريا - التي يحمدها على  
الصوام الجهاد الثقاني - تظل شامراً مجرداً أو مثلاً أهل غير قابل للتحقيق أكثر  
منها تركيبياً حياً . بل ان الجماهير تشمل على نوع من النزعة المناوئة للقبائسة :  
فالمهال يراون بعض الشيء دوسياً في اولئك المواطنين الذين لا يعيشون التشرط  
العالي بكامله مما يمكن لغائبهم واخلاصهم . وحين تكون العلية لتوى التصفيل  
(التحويل الى كتلة أو جمهور) ، فإن وجود الجهاز الثقاني يقع الخلال البروليتاريا  
الغلاماً كاملاً من دون ان يفهم لها الانتسجام الطبيعي الشام . إنه يبلى على الجمهور  
العالي في حالة غير متوازنة لا تكف عن التراجع بسبب الاصطفاف الميكانيكي  
الصرف وبين التركيب العضوي ، والجماهير إذا ما حركها تيار أمر عادت من  
جديد حياجة ملاحظة ، وبدأت ترى في التنظي الثقاني تحررها ورمز وحدتها  
التطور ، وانخرقت بالنفي وقد استعادت سيادتها المناهضة بسلطة المواطنين<sup>11</sup> .  
ولا أهمية عندئذ اذا كانت غالبية الشعبية تلك أو لا تلك البطاقة الثقانية : فهي

١ - بقدر مقارن . ولذا نلاحظ في جميع الحركات الشعبية الكبرى نزعات كبرى أو  
عظيمة بين قتلة البروليتاريان والسيوليين الثقانيين . وفي غالب الأحيان تكون العلية المواطنين  
الثقانيون إذ ان لهم خبرة أكثر . لكن لا يد أيضاً من انهم ينعوا كعادتهم في خدمة الصالح  
العامة الحقيقية .

تتبع الأوامر وأصدر حكمها بعد التنفيذ . والسريعة هي التي توجد بين هذه الجزئيات المتفرقة ، والمهارة هي التي تدجها من خلال تركيبها لأجزاءها والجهاز هو الذي يقوم بدور الوساطة بين الفرد والمجموع . لكن أصل التيارات يظل ما فوق نقالي : فالجموع أو الغضب أو الخوف هو الذي يصدر إشارة التحرك ، أو هي ، كما حدث عام ١٩٣٦ ، إنفراقة الأمل الباقية . ولولا المنظمة النقابية لتوقفت الحركات على الأوجح : فوجودها يحافظ على ظاهر الوحدة التي يسمح بالتشارها الساري . وصحتها وتمتدورها يحددون المسافات ، ويضمون عوامل سترايبورغ على اشتراك مباشر مع عامل بيرديان<sup>١١١</sup> . لكن المنظمة النقابية عاجزة بحد ذاتها عن إنتاج الحركات . وحين تشمل شرارتها لهذا لأنها تكون قد أدركت بسرعة قضيتها الحقيقية . وبالتسابل فإن المنظمة النقابية مسؤولة - إلى حد ما - عن قوة الحركات واتساعها واتجاهها وفعاليتها فعلها تقع مهمة إرشاد الجماهير إلى غايتها الحقيقية ، وتسريع أو عرقلة التطورات المحلية بدلالة التطور العام . ولا بد أيضاً من أن تكون مطلعة على الوضع الاقتصادي ، وعلى الموقف الاجتماعي وميزان القوى المتواجبة . ولا بد على الأخص من ارت

---

١ - الواقع التي صدقها تطور أهمية الإعلام والدور الذي يكتسبه أن يلبه في عرقلة أو مساعدة حركة يضمها نظرية ، ففي ١٩٣٦ حدث أول انشغال مع احتلال الصنيع في المسافر في ١١ أيار . وفي ١٣ أيار توقف عمال مصانع لايبكوتير في تولوز عن العمل وبعثوا في الصنيع . لكن ملين الاضرابين خلا جبهواين في باريس لأن الصحافة النقابية لم تذكر عليها كلمة واحدة . وفي الثاني ٥ هي وعدنا بين الصحافة الشيروبولزية التي وقعت بها في عدة مطور وبلا تفصيل . وفي ١٤ أيار حدث انشغال جديد مع احتلال الصنيع في كوريفول والتمت الصحافة الصنعت . والشيء في ٢٠ أيار ولا سيما في ٢٤ أيار فارت « الأوامر » بين الاضرابيات الثلاثة ووقعت بحدة طرائق الكفاح واللقاء . وفي اليوم نفسه نظمو ٢٠٠٠٠٠٠٠ نسخة امام « جدار وجمال الكومونة » بدعوة من لجنة الدفاع الاشتراكي - الشيوعي والأعداد العام للثقل . المن فقد كان فعالاً يشنون قوتهم الجديدة وطرائق النضال الجديدة في آن واحد . والحال انه بدأ من ٢٦ أيار امتدت حركة الاضراب إلى منطقة باريس كلها وبعدها من ٢ حزيران إلى فرنسا كلها . ودور الإعلام ينتج من خلال هذه التساويح ، فتمت الصحافة شبه تمام آخر انتشار الحركة التي حشر يوماً . وما إن ذكرت الصحف الاضرابيات الثلاثة الأولى ، حشر محمد الحركة .

تكون قادرة على ترفع وردة الفعل العالية : هل الحركة التي تخرج بواسطتها قابلة للاستمرار ؟ هل ينبغي دعمها بالطاقات التقابلية كافة، ودفع العامل إلى الانحراف فيها حتى النهاية ؟ أم لها لا تعدو ان تكون أكثر من ترقش تاضي المتصلصة بتركها تنظر ؟ وكيف السبيل إلى التماثل في الموضوع إن لم تجمع المتغيرات وتسير الأقسام وتشتت الأخصائيات ؟ إن الجماهير لا تكف عن إعطائه الشارات : وعلى التماثل تقع مهمة تأويلها . لقد ولي زمن التفرع بعرفة جامعة يزعم أنها تولد من قاعل الجذور والقرارات التي تنطج استناداً إلى حدس خلاق مزعوم : فالجماهير التي هي موضوع بطبيعتها تصبح موضوع التماثل الخاص<sup>(1)</sup> وهناك تكتيك للجماهير كما أن هناك للعلاحة . والنص التالي الذي نشرته « القوة العالية » له دلالة الميزان في هذا الصدد :

« . . . في رأينا : لا مجال للمباراة في إن حركت إضراب ١٩١٧ لتسند إلى الصعوبات الحياتية المادية للجمهرة الصغيرة من الأجراء الصغار والمتوسطين . . . إن عربة تلف على منحدر لا تحتاج إلى مسرع حتى تطلع . لذا يكفي أن يرضى بها العنان وترفع من أمامها العرائيل . أمسا للميزات الخاصة بهذه الحركة - لأن كل حركة إضراب لها ميزاتها الخاصة - فإنها لكرداً ولا شك بما علمنا إياه فنيو العلوم الثورية من أن أصل الفنية الثورية يمكن في حركات ظاهرة ناشئة عن تفاعل متسلسل يتم بها وينتشر الخلال المائة<sup>(2)</sup> . »

إن الظاهير النيكاينكي الصريح فلهذا الصور يتناقض تناقضاً صارخاً والانشاء « العضوي » « فنية ما قبل الحرب الأولى . فلهذا القوة العالية » تعترف صراحة بدور الدعاية السارية والصفة مما فوق التقابلية لأسباب الحركة . لكن أولئك

١ - نشره الذي لا يعني بالطبع إصدار حكم مسبق على العلاقات الشخصية التي يمكن أن

تكون المتماثل مع العمال .

٢ - عدد ١٢ حزيران ١٩١٧ . وكانت « القوة العالية » ما يزال مندجبة بالاعتاد العام للتفعل . وكان موقف جومو ملبساً : فهو لم يكن يريد أن يكون بلوسد الإضرابات ولا أن يدين الضربين .

التقنيين الملهورين ( انهم سينتكون عما قريب الاتحاد العام للشغل ) يقرون صراحة بمعجزم : فمن الممكن معرفة حركة وجهها ، لكن اذا انقطع العنان أو تحرب السد ، فإن العربة ستندرج حتى اسفل المنحدر أو ستتدفق المياه على السهول الواسطة . ونحن نجد في تلك السطور صدى للربيع الذي كان يشعر به بلوم والتقليبون القدامى تجاه الجماهير : فاشفاق و القوة المعالية ، ثم على أساس مبدأ « ليتج تجده من يستطيع » .

التمركز ، البيروقراطية ، التنكيتك : إن طبيعة « النبر - بوليباريا » هي التي تفرض هذه السمات على التقاية الجديدة . وهي التي تتبدل أيضاً للتنكيتك التقائي بأحاطها عليه ثلاثة ميزات جديدة : تغذية التحريض الاجتهادي ، تشجيع توسع الاضرابات في كل مرة يمكن فيها ذلك ، العمل على جعل النزاعات نزاعات جذرية .

### التحريض الدائم

إن الجماهير متعطشة أو متقدمة دوماً على رؤسائها . لكن لتعذر من الاستنتاج بأنها غبية أو بأن البيروقراطيين أنفك : وإلا سقطنا من جديد في المنهج البيسكولوجي . والواقع ان هذا التباين ليس إلا الانعكاس الوضحي لبعث المكاني الذي يوصل المناضل عن موضوعه ، وهو يتعسر بالطابع التنظيمي لتنكيتك الجماهير . إن مناضل القاعدة يقف تجاه رفاق يدعوهم الى العمل : انه يكلمهم وهم يصغون اليه ، لكن من النادر ان يتكلم الكلام معهم . ولقد عبر أحد التقايين ، هي فورييل ، عن موقفه بهذه الألفاظ : « لجولوا في المصانع ، ادعوا الى الورشات ، تزلوا في المكتب ، احضروا الاجهات ذات المسدس الكبير أو الصغير . أصفوا الى صوت المناضلين وراقبوا الجمهور : وسوف تدعون إذ تلاحظون انه ذمراً ما يكون هناك حوار بين المناضلين والجمهور . فما هناك مولولوج من قبل المناضلين وسلبية كبيرة من قبل الجمهور . وغالباً ما يحدث ألا ينجح المناضلون في كسر شوكة هذه السلبية . فالجمهور يسمع لكنه لا

يقول شيئاً . وإذا ما توجهتم بالسؤال مباشرة الى أحد افراد الجمهور ، لما حصلتم في غالب الاحيان على أي رد فعل يتكهن ان ينير السبيل امامكم<sup>١١</sup> .

وهذا لن يدعشنا : فيؤلاء الرجال متحدثون في وحدتهم . فاذا ما فصل بينهم التنب والجموع ، فأهم سيجرد على الكلام باسم الجميع ؟ وأجسم سيجرد أيضاً على الكلام باسمه الشخصي ثم الذين يقرب بينهم الوعي المشترك لغزائهم ؟ إن المناضل يظل قريباً عنهم : فهو لا يعكس لهم بعد قوتهم ووحدتهم . ومع ذلك انما تقع عليه مهمة التكوين باستعداداتهم ، وبمفعول خطاياته عليهم ، وبامكانيات الموقف الموضوعية . وإذا ما قبلنا بصحة تشخيصه ، فاننا لا نستطيع بالتقابل إلا الاقرار بأن نقل الأوامر يشوه الرسائل المتولة : فالاتحادات التقابلية تنقل المعلومات بطريقة التسلل ، وأندراً ما تكونت على ، قاصر مياصرة الأحداث ، وحين تجمع القيادة أخيراً جميع المعلومات المتوفرة لديها لا يكون التركيب الذي تقوم به إلا إعادة بناء لا يمكن لاحتمال صحته ، في أحسن الأحوال ، ان يتجاوز احتمال صحة قرينة عملية قبل التحقق التجريبي منها .

وسيكون هناك بالطبع امتحان مضاد : لكن لما كان العمل يقوم عنساً مقام التجربة فان الخطأ يكلف غالباً ويمكن ان يؤدي الى كارثة : ومن حسن الحظ انه ليس من الضروري ، في حالات كثيرة ، انتظار نتيجة الصراع لإعراك ان النضال انطلق من بدايات غير سليمة . وهكذا يُتبع الأمر سريعاً بأمر مضاد . لكن على وجه التحديد لأن الجمهور هو طبع السائلين ، فان الجهاز يمزق بأن يعزل نفسه اذا ما طالب قوى الجماهير باللا استطيع ان تقدمه على النور . كما ان القادة يجازفون ، اذا ما ارادوا تصحيح خطئهم ، بأن يمسحوا انفسهم بسيرور خلف اللودين .

يقينا ، إن التجربة وسداد البصيرة والصفات الشخصية تندخل على جميع المستويات : لكن « الاستبدادية » و « الذيلية » تظلان أخطر خطرين يراجهان العمل الثنائي . فذلك ان الوظيفين يوجهيون الحركات بتقريبات متشابهة : ضربة الى اليسار ، وضربة الى اليمين . ولهذا فان مهمة

١ - نشر في مجلة « اسبري » - تول - آب - ١٩٥١ - ص ١٢٠ .



التفاضلين الأساسية هي ان « يظنوا على لسان» مع الجماهير » . وهذه الكفالات ما كان لها معنى كبير في زمن نقابية التغطية . فهل نقول ان الحال ما تزال على ما هي عليه اليوم أيضاً ؟ ذلك ان خاصية التثقت الجزئي هي جعل الناس مستعجلاً . فالمرء يمكن ان يفتك بجماعة ما بواسطة مثليها ، لكنه لا يستطيع ان يفتك بمجموعة من الجزئيات المتفرقة . واذا أراد التنازل « ان يفتك » بالجماهير ، فعليه أولاً ان يعطيها ظاهراً من تنظيم . أهم حلقة مفترقة إذن ؟ كلاه ذلك ان مهمته هي ان يؤثر عليها باستمرار عن طريق نوع من إقارة جماعية حتى يبقى عليها في حالة تصلب وعدم تبع . ولما كان العمل وحده يستطيع ان يخضها الى ان تضع ، فعلى التنازل ان يضعف الشعارات حتى يهيء الجو لبدائيات عمل : فحتى لو ظلت هذه البدائيات مشورة ، فانها ستقرب بين الأفراد وتخلق تيارات انفعالية وتسمح بامتحان الكفالات العالية ومراقبتها . وسوف يتخذ منها أرب العمل والتخية المهنية المختصة ذريعة لتبويض البيروقراطية على تفضيلها الفوضى على المصالح العالية الحقيقية : فالتنازل « الصالح » في وأهم لا يعمل إلا في الوقت المناسب ، ويعمل بسرعة ودقة حتى يحصل على نتائج محدودة ، وينتهي التنازل عندما يتم التوصل الى هذه النتائج . لكن هذا التنازل التام والمحدد ، الذي يبدأ وينتهي في النظام ، ليس ممكناً إلا بالنسبة الى التنازلات التخوية التي هي كلها نشاط وانجائية . بيد ان عطالة الجماهير تحتم على العكس ان تأتيا الحركة من الخارج . إذن فهي تحمل معها معادفاً ، التحريض ، الذي يهدف عن طريق تخض دائم الى تغذية بداية حياة جماعية حيثما يهد الموت بحظ رحاله . ولولا التحريض ، لكانت الحركات الشعبية الكبرى أكثر روعداً ، وتأخرت طويلاً قبل ان تولد ، ولأمكن القضاء عليها بسهولة أكبر .

### التوسع

إن العامل نصف المهتم « قابل للاستبدال بغيره » ، والاحتكاك حل محصل الراحة : وهذا السبب المزوج ما عاد في وسع الاضراب ان ينجع على مستوى

التسروح وحده . فلا بد ان يتدلى فرج صناعي بكامله او الى الامة بكاملها .  
 ومن هنا ، فإن العامل لم يعد هو الذي يقرر على مستوى التسروح الخاص ، أو  
 انه الأخرى ما يزال يقرر لكن تحت الضغط : كان قبل الحرب العالمية الأولى  
 يقف الموقف المحلي ، ووازن الأخطار واحتمالات النجاح ، وينظر في العمل  
 دفاعاً عن مصالح عينية . أما اليوم فيطلب منه أن يقدم بحركة تتجاوز ولا  
 يدرك معناها إلا إيماعها أولاً غامضاً . والمناضل يقوم بدور الوسيط بين  
 الجموع والأجزاء . والجهاز قد توحد بالحركة التي تتروح ليشاعها : وعلى هذا فإن  
 الموظف المحسبي يتكلم باسم الجميع . وكل مستمع من مستمعي معزول في قلب  
 الجمهور ، إلا ان المناضل بينهم هؤلاء المستمعين ان البروليتاريا لابد تكون نفسها  
 في كل مكان : فليهم إذن تقع مهمة الموضوع للتدريب العام والانفلات من العزلة .  
 انهم يشعرون ، حتى قبل ان يكتمل الاندماج ، بالقوة القسرية الجماعية بدائية  
 في سبيلها ان تتكون من جديد . وهذا أمر لا يتم بدون أن تتشوه الديموقراطية  
 النقابية نشوفاً حقيقياً . وما ان تتجلى القادات الجماعية<sup>(١)</sup> ، حتى يتم لفرقتها من  
 الضغط الذي يمارسه على أعضائها . فالقرارات تتخذ في جو من المحاسنة والانتقال .  
 وبالطبع لا بد من التشاور والتفاني ، والجماعي ترى أن عليها أن تقرر بحرية  
 السلوك الذي ينبغي أن تسلكه . لكنها تعرف ان قاطبة عملها ستكون متناسدة

١ - المقصد بالقادات الجماعية تلك المهيمنة وليس ما لبست أموي أي « وهي جماعي » . ان  
 القاد من الجماعة التي جمع بينها الوقت ، وحده بتقنيا عملها بالقاد ، وأوجدت البنار بينما  
 القنطريات الوضوعية القادرة وتقسيم العمل الترحيل في البداية ثم التنظيم ، ونظمها لقاعة الذين  
 اختارهم لنفسها او الذين اكتشفهم . وجدت في تنظيم وحسنها القادية . وما هي « و ملطفة  
 الزعيم » . ثبتت بنا فيه الكفاية ان الرعدة العينية للجماعة إيماعية ، أي انها بالضرورة خارجية  
 عنها . فالسيادة الطبيعية المخلقة تتجمع وتتكتف في شخص الزعيم الذي يمكنها فيها بعد الشكل  
 عضو من أعضاء الجماعة ، ويحد كل واحد منهم نفسه قسماً على السيادة الكلية لجماد الآخرين والقرود  
 وذلك بقدر ما يطبع . وإنما كان هناك زعيم ، فإن كل فرد يتكون وبعيداً باسم الزعيم . وعلى  
 هذا فإن « الوعي الجماعي » هو بالضرورة محد : انه إنشائية ان كل فرد ليسد الجسماعي الذي  
 يلتصق في الوعي الفردي للآخرين .

مع قوة اندماج الجماعة . ان كل فرد يستطيع ان يبدي رأيه ، حتى يتم الموافقة على القرار ما خلا يمكنه ان يكون حلياً ، فطالما ان خطر الانهيار يظل قائماً باستمرار في قلب الوحدة ، فلا بد أن تتسأل الصيغة المقترحة موافقة الجميع . وإذا ما أشفق رأي من الآراء في تعزيز الوحدة الجماعية ، تداعى واختفى من غير ان يخلف أثراً ، ويلساء حتى أولئك الذين عبروا عنه في البدء . يقال ان هكذا هي الحال أيضاً في المجالس الترابية طالما ان الأقلية تطأطئه الرأس أمام قرارات الغالبية . لكن هذا غير صحيح مطلقاً ؛ فهي تطأطئه الرأس لضعفها تظل قائمة بجانب الغالبية وكأنها تجربتها الدافئة ، وتحتفظ بأدعائها في ان تصبح ذات يوم غالبية بدورها . أما على مستوى الجماعات فإن الغالبية تلثم الأقلية . أو ان هناك الأقليات متصرفة لا تكاد تظهر الوجود حتى تختفي بعد أن تكون قد أدت برأيها . وتم إعادة توطيد الوحدة باستمرار عن طريق تصفية المعارضين ؛ وإذا ما قاوموا حوربوا حتى بالنسف ؛ فالشئ في نظر الجماعة مجرم يؤثر عاطفته الحادة على الرأي المدع عليه ، خائن يرفض الاعتراف بخطئه ويقبل بالمجازفة بتمزيق وحدة الصف العالي . ولقد عرفت حكومتنا كيف تستغل الموقف ؛ فقد فرضت ممارسة الاستفتاء ومنعت حق التصويت لتفسير النظمين في التباين . ولقد زعمت ان قصدها ، بالطبع ، حماية حقوق الانسان . أما في الواقع فقد كانت تريد ان تفكك الروابط الجماعية . وهذا الفش يظهر للعيان الفورة التي تفصل الديمقراطية البورجوازية عن ديموقراطية الجماهير . صحيح ان التصويت يرفع الأيدي يعني الاستسلام مقدماً للضغط الجماعي ، لكن الانتخاب بالورقة السرية يلقي بالجماهير من جديد في لجة لئلتها الأولى . فلا يعبر كل فرد ، وقد وجد نفسه وحيداً من جديد ، إلا عما ينسخر به بفردية ، نظراً الى أنه لا يعرف كيف سينكر لو كان جزءاً من جماعة . لقد كانت لنوعه في الاجتماع أو في الورشة ، يجرى فكره يتكون ، وكانت يستمع إليه ، يتعلمه من شهاد رفاقه . أما الآن فإن رأيه ، هذا ان كان له رأي ، إنما هو جهل برأي الآخرين . ان وزراةنا ، بزعمهم انهم أقتدوا الشخص ، سطروا مكاتبة من جديدة

الى مستوى الفرد . فتلذ الاستفتاءات تشجع على العطاء : فحين يتخلف قرار  
التشال بصورة جماعية ومشاركة بسود جو من الحرارة وتقتشى الحماسة بالمعنى .  
لكن الشك يولد من جديد في العرفة السرية : فكل فرد يخشى تحالف الآخرين ،  
وبعود كما كان أباً كان . وهذا مثال بين ألف : ففي تشرين الثاني ١٩٦٢ ، قرر  
عمال مؤسسات سائرون الاضراب مع احتلال المصانع . وتدخّل البوليس  
وأجلام عنها . ثم نظمت السلطات العامة استفتاء مرهنة العمال على التصويت على  
فشل نصفي . وأسرع الأتحاد العام للشغل يومهم بالاستفتاء . وجرى  
الاستفتاء : فاستتكتف ٣٤٣١ من أصل ١٥٠.٠٠٠ ، وكان المستتكتفون من ذوي  
الشكبة الذين يرفضون الاسلام . كما أنهم كانوا بالطبع أكثر العمال عداء لذلك  
الشكل من الاستشارة الشعبية . أما بين الذين توجّهوا الى صندوق الاقتراع ،  
فقد صوت ١٠٣١ على متابعة الاضراب : إذن فقد كانوا متفقين مع الأوائل على  
الأهداف والتكتيك ، لكنهم لم يتقبلوا بتطلبات الأتحاد العام للشغل لأنهم كانوا  
يريدون أن يتصرفوا بحرية بحق التصويت حتى ولو كانت الحكومة هي التي  
تضمنته لهم<sup>١</sup> . وبذلك يتكون مجموع الذين أبدوا الاضراب ٥٠٣١ . أما الذين  
أبدوا استئناف العمل فقد كان عددهم ١٩٦٨ . والحال ان الاضراب لم يبدأ  
بدون تصويت مسبق . لكن من الواضح أنه ما كان أحد ليجري على تقريره مع  
مثل هذه الغالبية الضئيلة . وبعبارة أخرى ، لقد تضمنت دور الصلاة البالغ  
عددهم ٥٠٠٠ من جر الآخرين . وقد انضم المترددون ان الجهازة خوف الانعزال ،  
بينما أزم الممارضون الصمت وراجعوا عن المقاومة لأنهم عرفوا انها لن تجدي .  
إنها كما ترى نصيحتان متباينتان . ولأرباب العمل ملء الحيرة في أن يرحموا بأن  
الثاني هو وحده الصحيح : والحق انها كليهما صحيحان ، لكنها بعكسما حالتين  
متناقضتين من حالات الجهازة . فصحيح أن إجلاء العمال عن المصانع وتجههه ضرورة

١ - يمكننا الاقتراض - لكن التفاصيل غير متوفرة وللأسفة مسألة التجهيز لا أكثر - ان  
عزلاً كانوا من العمال اقتنعوا ، أنهم من ذوي الصلاة وفي الوقت نفسه يريدون التصويت على  
يسر الحقوق القومية .

فأوحى إلى أنصار الاضراب ، لكنه كان سيئتم لولا الاستفتاء ، ولكن  
 المفردون يمثلون عمن تأييدهم له لأنهم لا يعرفون من وجهة إيفاقه . لم يكن  
 التصويت أجمع تردد القارين ، وأعاد إلى المعارضين شجاعتهم . وعلى هذا فإن  
 الاضراب يعبر عن الدماغ الجماعية المفاجيء ، بينما يؤدي التصويت إلى قسطنطين  
 الجزئي . ووحدة الكفاح هي تكوين بدائي برسخ جذوره في جو من الحفاوة  
 ويقف على قدميه في غالب الأحيان بفضل الإكراه . والموظفون النقابيون  
 مستحيون بقدر ما أن الجماعة اختارهم ليأرسلوا باسمها الكتلورية على كل  
 عضو من أعضائها .

### الخطية

إن الجماهير لا تفرغ أبداً : فهي لا تصوت إلا على برامج ، إنها تشير إلى  
 الهدف الواجب بلوغه ، وعلى المناضل أن يجد أقصر الطرق إليه . ومطالبها  
 بسيطة للغاية حتى أن تحقيقها يبدو التهمة الأولى بتناول اليد : خبز ، مسكن ،  
 إبطال مفعول قانون قدر ، إنهاء حرب . أما في الواقع فإن أبسط رغباتها تكون  
 مقصولة عن موضوعها بالتمام أجمع ، ولا يمكن أن تلبس إلا بعمل طويل النفس .  
 خبز ، مسكن ؟ لقد رأينا أنه لا بد لهذا من زيادة الانتاج ، وبالتالي التخلي جزئياً  
 عن الطرائق المالتوسية ، الأمر الذي يستلزم ، على الأقل ، أن تتشكل غالبية  
 أخرى وإن تفرغ حكومة جديدة ارادتها على كبحار أبواب العمل ، واليوم  
 و العنوي الرقة ، يدفع بالفرد الصالحة إلى الاعتقاد بأن المطلب الشعبي سياسة  
 مضطربة : فيمكنه بسطه حتى نجد فيه وسيلة للبيئة . لكن هذا غير صحيح :  
 فالحاجة ليست إلا نقصاً ، وهي تستطيع أن تراسس مذهباً انشائياً لكن ليس  
 انشائياً . والجماهير بطاليتها بالخير رغم ثقلها على النضال ضد المالتوسية ،  
 لم يكن مطالبها لا تشمل في حد ذاتها على اعادة الطرائق المالتوسية<sup>(١)</sup> . وهكذا

١ - أو كما شتم : إن تلبية هذه المطالب لا تسجم موضوعياً وتتصاك بالتصايد الخطائي .  
 لكن من الممكن أن تطرح هذه المطالب تالياً من دون أن تكون الدال أي معرفة بالمالتوسية .

بأخذ المتنازل على عاتقه التزاع الدائم الذي يعارض بين الحركة الثورية التي ليس لها مأوى من حدوده ، وبين الاندفاع الثوري الذي يطرح الغايات دفعة واحدة ليطالب بتحقيقها فوراً . وما دامت الجماهير لا تستطيع ان تتحرك بدون ان تزعم المجتمع ، فهي ثورية بفعل موقفها الموضوعي : وعلى المسؤولين ، كما نجدوا قضيتها ، أن يرحموا سياسة ثورية . لكنهم من هنا بالذات يعارضونها بصورة مزدوجة : فالهدف الواضح والمحدد الذي يأخذون على عاتقهم يلوونه في لحظة معينة من التاريخ بعيد جداً ونحاس جداً في آن واحد بالنسبة الى قواهم . خاص جداً : فيقدر ما أن الغاية التي تطرح على الجماهير لا تعدو أن تكون أكثر من وسيلة لإمراك وسيلة أخرى ، فإن الجماهير لا تتعرف فيها دوماً الغايات الطفلة التي ارتضت بأن تتنازل ولوث من أجلها . وبعيد جداً : فيقدر ما أن هذه الغاية لا تعدو أن تكون أكثر من نتيجة تكشيفية ، فلها إشتد عن النتيجة المباشرة التي تطالب بها الجماهير . ذلك إنه لا فرق بالنسبة الى الجماهير بين المطالبة بالخير وبين المطالبة بتوطيد نظام انساني ، لكنها لن تستنج من ذلك من تلاءم نفسها أن عليها أن تكون مع أو ضد السلم المتحرك . وبكلمة واحدة : إن ماهية الجماهير بالذات تحرم عليها التفكير والعمل سياسياً . وما من ريب في أن سياسة الجهاز هي تسيير عملي وزمني عن مطالبها . ولما كانت الجماهير تفتقر الى القوى التي تستطيع تحقيق الشروع الثوري ، فيقال عنها انها وسائل هذه السياسة بقدر ما أنها غايتها . لكن لما كانت الاسراتيجية تظل من حيث البداية غريبة عنها ، فاننا لا نستطيع أن نقول ان الجماهير تصنع هذه السياسة بكل ما في الكلمة من معنى ، بل هي بالأحرى أدوات لها . وبالطبع يرفض القادة إصدار الأوامر الى قواهم وتوجيه حركاتها . انهم دوماً يمشون ويحرضون ، ودوماً يفسرون ويسعون الى الاقتناع . لكن الصعوبة لا تأتي من الرؤساء ولا من صلاتهم بالجنود : اذا اكتشف فقط عن التناقض الحسب الذي يمارسه المرجأ المباشر ، والذبيحة بالحملة ، والشروع بالحاجة ، والنشاط بالقوى . ونظراً الى اقتناع القادة بأنه من المستحيل كل الاستعانة بعبئة الجماهير في سبيل غايات بعيدة وبمجردة ، فانهم

يلجأون يوماً إلى ما يسمى به « الهدف المزوج » . وهذا يعني أنهم يدعّمون الهدف الأهم والأبعد بهدف مباشر وعيني ، وأنهم بالمقابل لا يهدون لبنة انت يظهرها خلف الهدف القريب وجود هدف بعيد يشكل إن صح القول معناه السياسي . وعلى هذا فإنهم سيشرحون للأجراء أن وقع الأيجور مرتبط بوقف الحرب في فيتنام وبتزع السلاح العام . وهذا الجهد إلى « الهدف المزوج » الذي طالما تعرض إلى الاحتقار والافتراء ليس ، بمعنى من المعاني ، سوى طريقة معينة في تفسير التاريخ ؛ فمن طريقه يكشف الفسادة للجماهير النتائج البعيدة لمطالبا « المطالب » ويعلمونها مساهمة الشروط العامة التي يمكن أن تلبي فيها مطالبها الخاصة . ولا مجال للشك بالنقل في أن على البروليتاريا ، في الطرف الأيمن ، أن تفرح بزوع السلاح إذا أرادت أن ترفع مستوى حياتها ، وأنهما بالمقابل تعرفل يومياً « الجهود الحربي » بقدر ما تدافع عن أجرها ضد أرباب العمل . لكن الطابع المتناظر للعمل الشعبي و « تفاوتاته » وتقلبه وتصلباته المفاجئة وانتهائه اللامتوقعة تكون نتيجة تسيط الضوء على « سبب » ثقافية . فالاضراب الرابع يبدو كواقعة كلية ، لا يمكن عزل معانها السياسي عنها . والاضراب الخامس هو عكس ذلك : هل استأنف الشفعية العمل لأن الصندوق التقني كان فارغاً ؟ هذا شيء لا اعتبار له : انما يبدو وكأنهم أنكروا رؤساءهم . وهم يكونون قد تبرأوا القهم إلا من « تسييس » الاضراب ؟ ويظل الجهاز بالتساوي معلقاً في الهواء ، مجرداً ، ويزيد بعده عن الجماهير ، نأياً . ويأخذ في نظر الجميع مظهر بيروقراطية سياسية . فقد كان الرؤساء يقولون للجماهير : لا نسوا وأنتم تناضلون من أجل اجوركم انكم تناضلون أيضاً ضد الحرب . ونظراً إلى أن الجوع غير الجماهير فهي تتخلل مؤقتاً عن النشاط ؛ فيستنتج البعض انها لا تأبه بتزع السلاح .

\*\*\*

مع تسردم البروليتاريا بتجاوب انفجار السيادة الشعبية وتبدعها . فالسيادة تتوهم في نظر النخبة المختصة على الاستحقاق ، أي على الكفاءة والطاقة والثقافة :

والعامل غير المختص أو الباروم لا يكون من جهته ، ذا سيادة ، إلا بقدر مساهمته  
فيكون مؤمراً ومستوراً ومرقباً . أما بالنسبة إلى العامل نصف المختص فالسيادة  
تليق مباشرة من الجماهير ومنها وحدها . وهذه السيادة لا تتميز عن الحركة التي  
تنتج عنها الجماهير على شكل جسد تحت ضغط الظروف الخارجية . وعلى هذا  
فإن الطبقة العامة ممزقة بصراع السلطات .

أذن فالتمدد التفاضلي معلول أكثر منه علة: بقية أنه يساهم في تنمية الانقسامات  
العالية لكنه في البداية يمكنها نصب . قبل ١٩٣٦ كان الاتحاد العام للشغل  
برنامجاً جوهرياً يضم بصورة أساسية عمالاً مختصين ووظيفيين أو شفيصة من قطاع  
الخدمات المساهمة ومستخدمين صغاراً . وعلى الأجمال ، نخبة ، القطاع الثاني  
وبعض عناصر من القطاع الثالث . وبعد اندماج ١٩٣٦ الذي تم في يوم من الأيام  
ولتحت ضغط الأحداث ، تلك الغلق هؤلاء المتاضين : كانوا يشتكفون في الماضي  
عن الاستعمار ، وعندما لاحت ظفر الحرب أسرعوا يستعيدون حريتهم . وبعد  
التحرير تضمت قوى الاتحاد العام للشغل من جديد ، ولم يبق في مواجهته  
سوى ، الاتحاد الفرنسي للعمال الشيوعيين ، . وطرحته مسألة الوحدة العضوية  
على بساط البحث . لكن على الفور تقريباً بدأ المناضلون القدامى في الاتحاد العام  
للشغل التابع لهمو يشكفون من أنهم ما عادوا يشرفون ، المحاكم ، ، وقد  
كتب في يونيو عام ١٩٤٧ : ، أنهم لكالأجانب في بيئهم بالذات ، . إن هذه الجملة  
عميقة الدلالة : فالالاتحاد العام للشغل كانت له عام ١٩٤٥ ، وبالرغم من اسمه  
المزق ، جميع السمات التي تميز تنظيمه جديداً ما يزال يبحث عن طريقه . لكن  
، والنخبة ، العالية ظلت مضرة على أعضائه مؤسسة قديمة جداً تخصصاً مباشرة :  
فكانت تستقبل فيه القاديين الجدد كالزوايا تستقبلهم في بيئها وتشكفون من سوء  
تربية مدعوها . وبالطبع لم يفكر هؤلاء المناضلون في تخرجهم ولماهم العاملين في  
الصناعة الكبيرة الفتنة : لنا وجهوا اتهاماتهم إلى القادة الشيوعيين زاعمين أن  
الوحدة التفاضلية كانت مستفهم من اللداء نفسها لولاها . لكن المأخذ التي يوجهونها  
إلى الحزب الشيوعي نصيب أولاً الجماهير . فهم يقولون : إن الشيوعيين يفضلون



الشغلة غير المنظمين على المناضلين الجريين : فأولئك أكثر قابلية لتحريك  
 والتسيير من هؤلاء . لكن ليس هذا معناه أنهم ينحون عليهم باللائمة لأنهم  
 يشنون الجماهير لا النخبة ؟ يقال ان القادة الجدد يلجأون الى العنف بسهولة أكبر  
 مما ينبغي ، وأنهم يقومون في المصانع بتحريض لا هدف له بضر مصالح البروليتاريا ،  
 ويدلون في المفاوضات على تعصب يهدد بإحباط خططهم ، اتنا لنفهم ان يستنكر  
 المناضلون الجريون هذه الحمجية . لكن العنف ، كما بينت آنفاً ، يولد من الموقف  
 بالذات ، وليس التحريض سوى نضال دائم ضد العمل التواصل القوي التكتيكي .  
 اما التعصب فله سببان رئيسيان : فهو يرجع أولاً الى ان شرط التعامل نصف  
 المختص لا يطاق ، وثانياً الى ان هذا العامل لا يملك امكانية المتطورة . وطالما ان  
 ملجأ الوحيد هو العنف فإننا في جو العنف يفرض مطالبه : فهو يحتمل الصنع ،  
 وقد تعمل قوات الأمن على إجلائه منه ، وستطلق النار إذا ما قاوم . والوقت  
 غير مناسب للعامل الوسيط والتسويات : انه بحاجة الى الكثير من الشجاعة  
 والغضب لمواجهة الأخطار . والجماهير بالتالي على حق ان تعتبر رب العمل عدواً ،  
 والتنازلات والتوفيقات خيالات : فهي تطالب بكل شيء طالما انها صادقة .  
 واذا ما خانتها قواها النهارت . القادة الشيوعيون خلقوا الديمقراطية الثقافية ؟  
 لكن أي ديمقراطية ؟ فالديمقراطية الوحيدة التي جرت ممارستها كانت  
 اوستراوية . ولقد نسبت « النخبة » ان الديمقراطية يمكن ان تكون استبدادية  
 اذ كانت الجماهير نفسها مصدر الاستبداد . ان « الدكتاتورية » الثقافية -  
 اذ كانت هناك دكتاتورية - قارس على الألفيات باسم الفصالية لكن من القو  
 الباطل الاعتقاد بأنه يمكن ان قارس على الغالبية نفسها : فالجماهير لا يمكن لا  
 ان 'تعباً ولا ان تحرك' ، وهي لا تقرر العمل إلا عندما تتحول الى جماعة فاعلة  
 يتألف الظروف الخارجية . الثقلات « الشيوعية » قد نسبت ؟ هذا لأن وجود  
 الجماهير كجماهير يتناقض والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتجها . ولا  
 يخطئ أحد في فهمي : فانا لا أزعج ان البنية الراعنة الحزب الشيوعي واهدافه  
 وطرائقه محددة كلياً بالمطالب الموضوعية للعامل نصف المختص وحدها ، فهذا

الحزب تاريخه وديالكتيكه الخاص ، وهو مشروط بالكون اجمع . لكنني أقول ان هذه الاتهامات تستهدف الجماهير بالدرجة الأولى : ومناضل النقبة يدن هذه الجماهير بإدانتها الوسطاء ، وهو يخشاعا وتسحره : فمن الممكن في القد ان ينحط الى مرتبة العامل نصف المختص نتيجة تحول المهام إلى مهام آلية .

ويتم بثغو الجماهير بدورهم ، القوة العمالية ، و ، الاتحاد الفرنسي للعامل المسيحيين ، بأنها يعملان في السياسة ، غلبة وبشكل مراد ، ، واتهامهم هذا له أساسه من الصحة . فحين يكون كل شيء مرتبطاً ، المسالوتوية والبؤس ، ارتفاع الأسعار ، إعادة التسلح والمرشحة ، فإن رفض سياسة الحزب الشيوعي اتقا يعني تنفيذ سياسة الحكومة . وعلى كل فإن ، القوة العمالية ، تعتمد على الحزب الاشتراكي ، و ، الاتحاد الفرنسي للعامل المسيحيين ، يعتمد على وزراء ، الحركة الجمهورية الشعبية ، . وحصر المطالب العمالية في النطاق الاقتصادي والمهني اتقا يعني الرغبة في تبديل العماليل بدون من العلل ، كما يعني بوجه خاص اطلاق يد العمالية البرولتارية وترك ملء الحرية لها . انهم يريدون أن يخلصوا على الحد الاعلى في اطار النظام ، ويطلبون بنعم زهيدة ، وحتى يستحقوها يدينون الشيوعية في خطايات ، لا سياسية ، ويستقبلون ، بمسئداً عن السياسة ، رسل التسابيات الأميركية . لمتنن المتأخذ التي يوجهها الاتحاد العام للشغل الى القادة تصيب أيضاً مناضل القاعدة : فـ ، القوة العمالية ، بعد كل شيء لم تمنعن ثقل حتى عام ١٩١٧ سوى ، النجاء ، ضعيف في قلب الاتحاد العام للشغل ، ولم يكن لا جوهرو ولا ضباطه يريدون ان يكونوا الباعثين ان تعطى الوحدمة ، ومناضلو الأقاليم هم الذين فرضوا القطيعة بتهديدهم بعدم تجديد بطاقاتهم التنافسية . وفي مؤتمر واصدقاء القوة العمالية ، ، الذي دعي للانتقاء على عجلة ، اقترح القيادة تسوية : مطالبة الأكتروسية بتطبيق الديمقراطية داخل الاتحاد العام للشغل . لكن عيناً : فالتأخرون لا يريدون أن يعرفوا شيئاً وانفطرت القيادة منكروهة الى السير وراءهم في الانشقاق<sup>(١)</sup> .

١ - ان التبرك الصيف الماضي لسبح عن العكس بالأصل في حديث كتاب مفروض من

هل سنقول إن الجماهير وقفت جميعها وراء الاتحاد العام للشغل ؟ وإن العمال  
 المختصين هم وحدهم المسيطرون في « القوة العاملة » أو في « الاتحاد الفرنسي للعمال  
 المسيحيين » ؟ إن هذا تبسيط للأمور . فكثير من العمال المختصين بقوا في الاتحاد  
 العام للشغل من قبيل الانضباط الطبيعيين<sup>١١</sup> . وانتمى آخرون إلى النقابات  
 المستقلة . لكن إذا عاينا نظرة إلى الأمور بصورة عامسة وبهجة ، يظل تقسيمنا  
 صحيحاً : إن الاتحاد العام للشغل يستقطب الميول الثورية للبروليتاريا العامة في  
 الصناعة الكبيرة ، بينما تمثل النقابات الأخرى في غالبيتها الاتجاه الاصلاحي لشريحة  
 مختصة تتنازل ضد عدم الاختصاص . وعلى هذا ، فإن التمرد النقابي ، بعض ما  
 مشروعه باعتباره انعكاساً لتمزق عميق . وهو ، من زاوية أخرى ، كارثة على  
 الطبقة العامة لأن تعدد الأجهزة يزيد من تعاقب النزاعات إذ يطغى شغلاً  
 وهدوفاً لكل اتجاه من الاتجاهات ويعظم كل زمرة على تحديد نفسها بعارضتها  
 لغيرها من الزمر . لصطن التمزق له ، على كل الأحوال ، سبب أعمق : فهو أجل  
 ولأية قدمتها مالتورية أرباب العمل الطبقة العامة<sup>١٢</sup> .

( « الأزمته الجديدة » - العدد ٨٩ ، لوز  
 ١٩٥٢ - العدد ٨٤ - ٨٥ ، تشرين الأول -  
 تشرين الثاني ١٩٥٢ - العدد ١٠١ ، نيسان  
 ١٩٥٣ ) .

---

١ - قرو « اتحاد الكتاب » ، ٢٥٠٠٠٠ صوت ضد ١٥٠٠٠٠٠ حساب ١٩٤٥ ، البلاد في  
 الاتحاد العام للشغل بالرغم من القائمه الاصلاحية العميقة .  
 ٢ - لقد تم تجاوز هذه المالتورية اليوم ( ١٩٦١ ) . لكن لا بد ان ينقضي زمن طويل قبل  
 ان تقضي ليس الاجماعية التابعة منها العمل حالياً بل جديد وقبل ان يتلامم النقاب النقابي مع  
 الضرورات الجديدة .

## فهرست

صفحة	
٥	صورة القاهر
١٩	علماء مزيفون ام ارنالبي مزيفة
٥٥	هل نحن في ديوقراطية ؟
٦٣	« نهاية الأمل »
٦٥	الشيوعية والسلام

## هذا الكتاب

القضايا المركزية، هو الحلقة الرابعة من سلسلة  
الموقف، التي كتبها الفيلسوف الوجودي الأول جان بول  
سارتر وجمع فيها خلاصة آرائه في الفكر والفلسفة والفن  
والحياة.

وفي هذه الحلقة يعرض سارتر لعدد من القضايا المركزية  
ويتناول بالتفصيل بعض مشكلاتها الخاصة . ولا سيما قضية  
الشيوعيون والسلام، في بحث طويل عريق أكثر من  
صدوره منذ سنوات مناقشات عميقة . ولكن الفاد أجبروا  
على أنه أوفى بحث عن موقف الشيوعية من السلام . وفيه  
يدلل الكتاب الفرنسي الكبير بمختلف الأدلة على إنعاش  
الشيوعيين لفكرة السلام والتي تصادق تطرده في العالم.

وبالرغم من أن هذا البحث كتب منذ أكثر من عشر  
سنوات . فإنه يظل جديداً . ولا سيما في هذه الفترة التي  
يتدخل فيها الاستعمار في عدد من بلاد آسيا وأفريقيا وأجزاء  
اللاتينية . فهذه السلام من جديد . ويضع الصمام على  
شفا الحرب .

كتاب هام ومختصر .